أشعة من عظمة

الإمام الحسين (ع)



المرجع الديني سماحة آية الله العظمى

الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني دام ظله الوارف

أشعة من عظمة



المرجع الديني سماحة آية الله العظمى

الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني

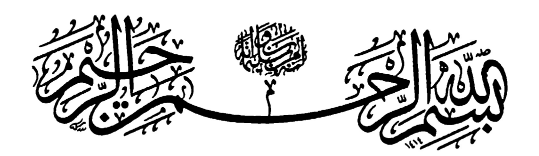
سرشناسه	:	صافي، لطف الله،
عنوان و نام پديدآور	:	اشعة من عظمة الامام الحسين / لطف الله الصافي الگلپايگاني
مشخصات نشر	:	قم: مكتبة آية الله العظمى الصافي، وحدة النشر العالمية ١٤٣٣ ق. = ١٣٩١.
مشخصات ظاهرى	:	ص ۴۰۰
شابک	:	۸۰۰۰۰ ريال 978-600-5105-66-7
وضعيت فهرست نويسى	:	فهرستنويسى قبلى
يادداشت	:	كتابنامه: ص. ۴۶۴ - ۴۶۱
موضوع	:	حسين‌بن على(ع)، امام سوم، ق۴ - ۶۱
رده بندى كنگره	:	BP۴۱/۴/ص۲ب۴ ۱۳۷۹
رده بندى ديويى	:	۲۹۷/۹۵۳
شماره كتابشناسى ملى	:	۴۳۴۲-۷۹م

اشعة من عظمة

الإمام الحسين عليه السلام

- المؤلف: المرجع الديني آية الله العظمى الصافي الگلپايگاني دام ظله
- الناشر: وحدة النشر العالمية التابعة لمكتب آية الله العظمى الصافي الگلپايگاني دام ظله
- تعريب: السيد جلال الموسوي
- المطبعة: ثامن الحجج عليه السلام
- الطبعة: الاولى ١٤٣٤ هـ. ق / ٢٠١٢ م استشهاد أبي الاحرار أبي عبدالله الحسين عليه السلام
- الكمية: ٢٠٠٠
- سعر : ١٠٠٠٠ تومان
- رقم الايداع الدولي: ٧-٦٦-٥١٠٥-٦٠٠-٩٧٨ (ISBN)

- هاتف و فاكس: ٧٧١٥٥١١-٧٤٧٩-٢٥١-٩٨+
- سايت: www.saafibooks.com www.saafi.net


بسم الله الرحمن الرحيم



اللّهُمّ

كُنْ لِوَليّكَ الحُجّةِ بنِ

الحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيهِ وَعَلى

آبائِهِ في هذِهِ السّاعَةِ وَفي

كُلِّ سَاعَةٍ وَليّاً وحَافِظاً

وَقائِداً وَناصِراً وَدَليلاً وَعَيناً

حَتّى تُسْكِنَهُ أرْضَكَ طَوْعاً

وَتُمَتّعَهُ فِيها طَويلاً

الفقيه الكبير

المرجع الديني سماحة آية الله العظمى

الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني دام ظله الوارف



مقدّمة المرجع الديني آية الله العظمى
الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني للترجمة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبيّنا محمد وآله الطاهرين ولا سيّما بقية الله في الأرضين عليهم آلاف التحية والتسليم.

وما عساني أن أقول في عظيم أُوّلت به سور وآيات وكثرت وهي تتحدث عن فضله السّيَر والروايات، وأحبه أهل الأرض والسموات وتزيّنت به الفردوس والجنات، فالحسين هو سيد شبابها، وسيد الشهداء سيد أُمرائها، وأحب أهل الأرض إلى أهل السموات.

ومن أين لنا أن نجد له مثيلاً في الأرض او السماء بل ومن له كجده وأبيه وأمّه وأخيه وذرّية كبنيه، وحاشا أن يكون لأحد تربة كتربته، وقبّة كقبّته، وذرّية كذريّته، فهو وِتر الله الموتور في السموات والأرض، وهو النورفي الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة، قد ختم الله له بالشهادة، وجعله سيّداً من السادة، وقائداً من القادة، وأكرمه بطيب الولادة، وأعطاه مواريث الأنبياء.

فما أعظم الحسين بين العظام، وما أكبر الحسين بين الكبار، بل هو شخصيّة فريدة جُعلت فيها صفات، ومنحت لها سمات، ما جُعلت وما منحت لكثير العظام والكبار، ولقد رضي الله تعالىٰ ونحن في أجلّ حالات الصلاة، أن تكون جباهنا في سجودنا على تراب الحسين عليه السلام، وان نكون دائماً عليه مُسَلِّمين في كل وقت وحين «عليك منّي سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم».

و هكذا الحسين قربان الله و فخر التاريخ ومجد الإنسانية وسعادة البشرية ورمز ديني وإنساني في الفضيلة والدين نكتسب منه رفعة و عزّة و عظمة وسمواً وعلواً ونتجلى به بين أهل الأرض ونتحلى به عند أهل السماء.

وإن هذا السِّفر هو شعاع من ذلك المصباح الذي أنبأ عنه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم و هو في مسير إسراءه بقوله: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، لنستصبح به في كل الأزمنة الحالكة ونهتدي به في كل الأمكنة المظلمة.

فيا أبا عبدالله هذه بضاعتي مع عجزي وفقري وصعوبة يومي وأمسي و فقد نبيّي و غيبة وليّ، فتفضل عليّ بالقبول فإنّك أهل الفضل والمرجو لكل خير.

لطف الله الصافي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمّد نبيه و آله وسلّم تسليما

وبعد، فان هذا الكتاب هو واحد من الكتب التي عالجت في موضوعها عظمة شخصية الإمام الحسين عليه السلام وفضائلها وأتت على بيان مقصاد وأهداف ثورته ودراسة تطلعاتها وأبعادها والتدقيق في عللها والتحقيق في نتائجها وفوائدها، والتشريح لقضاياها ووقائعها، وكل ذلك بدراية فائقة ودراسة عالية معتمدة على منابع تاريخية ومصادر اسلامية وتحاليل إنسانية.

ولقد أفاد مؤلّفه فأفاض به علماً ومعرفة وأجلى الإمام الحسين عليه السلام حقيقة انسانية ورمزاً دينياً في الفضيلة والشريعة، وقدمه معيناً تستفيد منه شعوب الأرض على أصنافها لما كان قد ذهب ـ المصنِّف ـ في مصنّفه بأساليب البيان والبرهان ومن هنا صار لهذا الكتاب الرّواج والإقبال ورغّبت فيه الفضلاء والأعلام.

وليس ببديع القول ما ذكره العلامة الشهير الشيخ محمد تقي الجعفري في بعض كتبه[1] الذي قال فيه: من أجل التحقيق والمطالعة في عظمة الإمام الحسين عليه السلام من نظر المنابع الإسلامية والتاريخية المعتبرة تفضلوا بالإستفادة من كتاب (پرتويى از عظمت امام حسين عليه السلام) تأليف الأستاذ المعظم اقا لطف الله الصافي من الصفحة ٢٠ إلى صفحة ١٠٩، ففي نظري (القول للعلامة المذكور) فإن الكتاب المذكور هو من الكتب الأفضل تحقيقاً وجمعاً في عظمة الإمام الحسين عليه السلام.

وقد رأينا أن نتشرف بعد طبعاته المتكرّرة باللغة الفارسية تعظيماً للدين وتعميماً للفائدة في ترجمة وطبع هذا الكتاب باللغة العربية راجين من المولى عزّ وجل ان يتقبل منا، وسائلين منه أن يديم ظلّ مؤلفه ويوفقنا لنشر بقية مؤلفاته. والله ولي التوفيق إنه سميع مجيب.

دائرة التوجيه و الإرشاد الديني

قسم النشر العالمي

---

(١) امام حسين شهيد فرهنگ پيشرو انسانيت.

المقدّمة

يومُ الحسين عليه‌السلام

ما مِن حادثة من أحداث التاريخ و وقائعه المهمة و المحزنة تشبه واقعة كربلاء الأليمة حيث تحييٰ ذكراها كلَّ عام بجلال و عظمة وافرة، و يشترك في مراسمها كافة الطبقات الاجتماعية، نساءاً و رجالاً، شباناً و شيوخاً و تعمُر مجالس شعائرها في المنازل و المساجد و المدارس و التكايا و الحسينيات و الاسواق و الشوارع و المحافل، و يتحدث الخطباء عنها، و يكتب الكتاب الكتب و المقالات، و يعجز مرور الازمنة و عن أن يُدرِسَها و يُبليها أو أن يقلل من اعتبارها و أهميّتها، بل علىٰ العكس، كلما مرّت الدهور إزدادت عظمة و عمق هذه الواقعة الحزينة و تمّ استنباط معانٍ سامية و اهداف رفيعة لفلسفتها تتناسب مع كل عصر من العصور، و حينٍ من الأحيان.

إنَّ يوم الحسين عليه‌السلام، يومٌ يستحيل نسيانه علىٰ مرّ الازمنة و الدهور و حادثة عاشوراء انحنت لها قلوب أهل الايمان و عشاق الفضيلة و الحقيقة، تعظيما لمعناها، و عاشوراء مشعل مُشعٌ كان و لازال في القرون و اطوار الدهر مصباح هداية العظماء و قادة الاصلاح و مُنجيهم من ظلمات الحَيرة و الضياع.

إنَّ ما قام به الحسين عليه‌السلام لم يكن أمراً عابراً كحوادث التاريخ، بل كان عملاً جبّاراً لم يسبق له مثيل و نظير.

إن ما قام به ابو عبد الله الحسين عليه‌السلام أمرٌ الهيٌّ اعتبره أهلُ عالم الجبروت و

سكان صوامع الملكوت و الملأ الأعلىٰ، اكبر تجليات الكمال في مقام الانسانية، و إنَّ روّاد الفضيلة البشرية و اصحاب العقول الكاملة، و واصلي الحقائق العالية، و الانبياء أولي العزم، و الأولياء العظام، و شهداء طريق الاصلاح و الهداية، اعتبروا ما قام به الإمام الحسين عليه السلام نموذجاً ممتازاً و فريداً لتجلي قدرة الإرادة، و قوة العزم و الثبات و كمال الدين و الصبر و الايثار و الشجاعة، فخلوص الايمان، الرجولة، الصراحة، الوفاء، علوّ الهمّة، الثبات، الاستقامة، و مقاومة الظلم و التعدّي واضحة و جليّة في كل ملامح هذه الحادثة المؤلمة.

و عظمة المقاصد، و اباء النفس و احتقار زخارف الدنيا و الماديات، و اختيار الموت بعزٍّ و شرف علىٰ العيش بالذلّ و العار، لهي رتوشٌ ظاهرة في صورة كربلاء.

و لَشَرحُ هذه القصة، شرحُ لكمال روح الانسان و تحقيرٌ لكل مظاهر المادة و لذائذ الدنيا، و ادانة للشرك و الكفر و الظلم و الجور.

و إنَّ تاريخ هذه الحادثة المؤثرة في الارواح هو تاريخ الفداء الفريد في سبيل المبادئ و العقيدة، و احترام لشرف و كرامة الحق، و محاولة لتحرير و خلاص المجتمعات المحرومة.

و من ثَمّ، فلا دهشة من تأثير صداها في كل العالم و وصول صوتها الىٰ الاسماع كوصول صوت الأذان أبدياً خالداً، و بقاء وقعها في القلوب بعد مرور اكثر من الفٍ و ثلاثمائة عام عليها و الخطباء و الكتّاب يقولون و يكتبون فيها، و لازالت الصلوات و التحيات تُهدىٰ الىٰ اولئك الرجال الأفذاذ الذين استقاموا في طريق الإيمان بالله و اجراء احكامه، و فازوا بحسنىٰ الشهادة و شربوا كأسها حتىٰ الثمالة.

إنهم رجالٌ لم تلههم الدنيا و لم يُضعف عزمهم شبحُ الموت المهيب تحت وقع

السيوف و الرماح في ساحة مقاومة طغيان أهل الباطل و تخلّوا عن كلٍّ ما من شأنه إضعاف الارادة و الهمّة من الجاه و المقام و الذهب و الفضة و النساء و الأولاد، فتملكوا أعلىٰ مراتب حرية الروح و سموها.

و في المعسكر المقابل تجد شرذمةً من ضعاف النفوس، و حقراء الغايات، عبيد شراك الدنيا و لذائذها، من ذوي الضمائر الميتة و الارواح الخبيثة الذين لا يتوانون عن قتل الأخيار من عباد الله و تمزيق أجساد الاطفال و الرضّع بسهامهم المسمومة.

و الغلبة في هذه المعركة و إن كانت بحسب المقاييس الدنيوية الظاهرية عند عامة الناس هي لهذه الطائفة الشريرة من أعداء الدين، و إنَّ ايمان و عقيدة الحسين و أصحابه التي جعلتهم مظهراًللاستقامة و الفداء المنقطع النظير، و ان لم تكن ذا قيمة بحسابات اهل الدنيا و الماديات و صحيح أنَّ نهاية هذه الحادثة كانت بانتهاء يوم عاشوراء من شهر محرم سنة ٦١ هـ، الاّ انه في الواقع و بحساب تاريخ الفضيلة و كمالات الروح الإنسانية و بالقياسات القرآنية و الإسلامية فانَّ النصر الخالد كان من نصيب الحسين عليه‌السلام و اصحابه، ذلك أنَّ ميزان اصحاب الحقيقة لا يرىٰ أنَّ قيمة الانسان وحجمه منحصران في المنافع الفانية و اللذائذ العابرة، و أنَّ ربح و خسارة و انتصار و انكسار الرجال العظام لا يكون بهذه المقاييس.

في ميزان الحقيقة، تكون قيمة و اعتبار الاشخاص بمقدار قوة ايمانهم و ارادتهم، و إنَّ الانتصار الحقيقي هو انتصار الباطن علىٰ الظاهر و انتصار الروح علىٰ الجسد و الحقيقة علىٰ المجاز، و أنَّ النصر الواقعي هو الثبات في طريق المقاصد و الأهداف السامية و تسخير عوامل ضعف الروح و تلاشي الايمان و عدم التسليم لها.

نعم، كل الناس يموتون، و كم من الناس قضىٰ نحبه في سبيل الدفاع عن العقيدة و الايمان و الحق و لكنهم مع ذلك لم يخلَّدوا كما خُلِّد شهداء كربلاء، ذلك انّ تضحيات و استقامة و ايثار و فضائل شهداء كربلاء لم تتجسد في غيرهم، في سائر ميادين المواجهة بين الحق و الباطل.

انهم أبطالٌ استقبلوا الموت و الشهادة بكل عزم و استبشار و قد كان بمقدورهم حفظ أرواحهم بمجرَّد التنحي عن ذلك الموقف الخطر الحاد.

الحقُّ، أنّ هؤلاء لو كانوا قد تراجعوا عن وقفتهم تلك و خضعوا لهيمنة حبّ النفس و المال و المقام، و استسلموا الرهبة السيوف و الموت، لكانوا قد اضرّوا بمقام الانسانية و الموازين الإسلامية السامية ضرراً يفوق حدَّ التصور.

إنَّ حادثة عاشوراء لم تكن تلك المعركة التي وقعت علىٰ ارض كربلاء، و ان المواجهة التي حصلت يوم عاشوراء بين اولئك الاشخاص الذين تقابلوا ليست هي المواجهة الحقيقية، و انما الحرب الحقيقية هي الحرب بين الحق و الباطل، بين الأسلام و الكفر، فلو أنَّ اهل الحق كانوا قد تراجعوا يومئذ، لم يكن لينتهي تراجعهم في ذلك اليوم و في ذلك المكان الجغرافي، بل كانت آثاره السيئة و الخطرة ستظهر علىٰ مستقبل الإسلام و علىٰ الاجيال اللاحقة من المسلمين، اذ أنَّ مراقبي ساحة تلك المعركة الدامية لم ينحصروا في المعاصرين لها، و انما مراقبوا تلك المعركة هم كل الشعوب الإسلامية و كل الشرائح و الطبقات المظلومة و المحرومة علىٰ مرِّ الدهور و الازمنة، و من هنا كان علىٰ الحسين عليه السلام و اصحابه ان يرسموا صورة الاستقامة كاملة الرتوش و قد فعلوا ذلك بأروع صوره حتىٰ حيّروا العقول بصمودهم في ميدان الابتلاء، و مع أنَّ العدو اللئيم قام بتقطيع أجسادهم الطاهرة ارباً ارباً و لكنه لم يستطع النيل من ذرةٍ من ذرات ارواحهم الطاهرة و ارادتهم الحرّة و نيّاتهم

الصادقة.

قد غيَّرَ الطَّعْنُ منهم كلَّ جارحةٍ إلاّ المكارم في أمنٍ مـن الغِـيَرِ

دواعي اهتمام الكتّاب و الخطباء

إنَّ من أهم دواعي اهتمام الخطباء و الكتّاب بحادثة كربلاء هو الاهمية الدينية و المذهبية لهذه الواقعة، و قيمتها المعنوية و الواقعية للإنسانية و المجـتمع البـشري عامة.

فكلُّ الدروس المستخلصة من هذه الواقعة، ساميةٌ و مـربية و مـفيدة و انّ مدرسة عاشوارء مدرسة عامة شاملة تعدُّ هاديةً بدروسها لأهل كل بقاع الأرض، تدعو سكان المدن و القرىٰ و الاريـاف و البـوادي و نـاطحات السـحاب، الىٰ الفضائل و الكمالات الانسانية.

و من البديهي أنَّ مثل هذه الاطروحة لا يمكن أن يعتريها البـلا، و ستبقىٰ جديدة جذابة و محطَّ اهتمام الجميع.

و من جهة الثواب الاخروي و طبقا للاحاديث الصـحيحية المـعتبرة عُـدَّ الكتّاب و المتحدثون و الخطباء حول قضية الإمام الحسين عليه السلام، من أوائل المتقربين الىٰ الله تعالىٰ و الىٰ الرسول صلى الله عليه و آله و من ذوي المراتب العليا و النائلين للثواب الجزيل.

أضف الىٰ كلِّ ذلك، و لما كانت واقعة كربلاء، ملحمة الصراع بـين الحـق و الباطل و العدالة و الظلم، و المواجهة بين الفضيلة و الرذيلة، صارت جاذبة بمبادئها لكلِّ المنصفين من الرساليين و روّاد العدالة و الحرية و التحرر، كما إنَّ الاحـاسيس الإنسانية الصادقة و يقظة الضمير و الشعور الباطني تجذب الجميع و تشـدُّهم الىٰ الأبطال من عشاق الحق الذين سطَّروا ملحمة عاشوراء.

و من هنا وجدنا آلاف الكتب قد كتبت في الموضوع و أنَّ مئات الآلاف من الأبيات الشعرية قد انشدت، و أنَّ الكتّاب و الشّعراء لم ينسوا الحسين عليه السلام حتىٰ في احلك ادوار الاضطهاد و التنكيل التي كان يمارسها عمّال الحكومات الجائرة لبني امية و بني العباس امثال «المتوكل» و ان خطر القتل و الإهانة و مصادرة الاموال و الحرمان من العطاء و الحقوق الإجتماعية و الاقتصادية لم تثن هؤلاء عن نشر مبادئ كربلاء، و سيدوم هذا الأمر الىٰ زمن انتهاء أجل الدنيا و لن يُنسىٰ الحسين عليه السلام.

إنَّ موجبات بقاء هذه الحادثة الأليمة هي التي حفظتها من الضياع و الاندثار ما دامت الإنسانية باقية، و ستبقى هذه الواقعة دليلاً لعشاق العدالة و الفضيلة و أعداء الظلم و الجور، و المنتفضين علىٰ الحكومات الفاسدة.

نعم، لا يمكن ان يفتُرَ انجذاب الناس الىٰ الانصات الىٰ صوت اولئك الابطال من عشاق الحق في كربلاء و الذين جاهدوا غاية الجهاد و الفداء في سبيل الدفاع عن الحق و ضد الباطل[1].

و ستبقىٰ قصة ايثار و فداء نخبة الخليقة و شهداء الفضيلة و الحقيقة يوم عاشوراء، زينةً خالدة لصفحات التاريخ، و لن تملَّ الآذان من سماعها و لا العيون و الألسن من مطالعتها و قرائتها مهما طال الزمن.

فالكتّاب اعتبروها منتقىٰ مواضيع مقالات كتبهم، فالكل يطمح ان يسجل اسمه في قائمة من ترك أثراً في قضية الحسين عليه السلام.

فشعراء العرب و العجم ترجموا مبادئ و قيم و اهداف الحسين عليه السلام و اصحابه

(١) الاّ من جهل وقائع ذلك اليوم او كان من المتخلقين باخلاق الجبارين و الظلمة و من حجبت الرذائل فطرتهم و وجدانهم.

بأبيات شعرية و قصائد بليغة غرّاء مفعمة بالحماس و الشوق، كل بلحنه و لسانه الخاص و صوروا لنا جانباً من جوانب تلك الملحمة الرائعة لرجال الله و الحقيقة ضد اهل الباطل و الضلال.

و مع كل ذلك، فما يكتب لاحقاً لا يخلوا من حلاوةٍ و وقعٍ جديدين في نفوس عشاق و رواد الفضيلة و الحق و لم توثر تلك الوفرة الأدبية في شدة استقبال الناس و انشدادهم و انجذابهم لعاشوراء.

و لما كان الموضوع و بالتناسب مع المقاصد و الاهداف المنظورة له، واسعاً و عريضاً جداً، و لمّا كان كلُّ كاتب أو أديب عاجزاً عن الإلمام بكل تفاصيل و دقائق الحقائق المرتبطة بعاشوراء الحسين عليه السلام، وجدنا انّ كل اصدار جديد حول القضية لا يخلوا من جديد و لا يُعدم الفائدة المستقلة عمّا سبق من الفوائد و لا تنقصه البواكر من الافكار و الرُوئ، و يحق لنا أن نقول إنَّ لطفاً من الطاف الإمام الحسين عليه السلام يشمل كل واحد ممن يتناول قضيته عليه السلام لكي لا يُحرم أحدٌ من أن يستقي جرعة من بحر الحسين المواج الزاخر.

و من ثمَّ، تجد الكتّاب و كبار العلماء و المفكرين قد سطروا آلاف المقالات و التصانيف في هذا الموضوع، و انّ كل كاتب له المامٌ يسير باهداف الحسين عليه السلام، رغب في الجلوس علىٰ هذه المائدة المباركة طمعاً في تسويد اسمه في ديوان عشاق الحقيقة، ليبتاع لطف و عناية يوسف مُلكِ الشهادة.

جهات ما كتب في الحسين عليه السلام

إنَّ الكتب التي كتبت في تاريخ الإسلام و فضائل اهل البيت عليهم السلام و الصحابة، تناولت قضية الحسين عليه السلام ضمن طيّاتها و الكتب التي صنِّفت في خصوص

هذه الواقعة كثيرة جداً، و اكثرها تناول القضية من جهة وقائعها الزمانية و المكانية و الحالية فحسب، دون التطرق الىٰ فلسفتها.

و امّا في زمننا المعاصر فانَّ أغلب الافكار تنصبُّ علىٰ تحليل الأحداث و علىٰ علل و نتائج القضية و بذلك تقيس و تزن تلك الأحداث علىٰ اساس فلسفتها و نتائجها، و مثل هذه التأليفات تستهوي شباب و مثقفي العصر الحاضر اكثر من غيرهم.

و لذلك فان الكتب التي تناولت قضية سيد الشهداء عليه السلام و استشهاده من جهة مبادئها و فلسفتها و أسرارها و اسبابها الواقعية و تاثيراتها في المجتمعات الإسلامية و الفكر الإسلامي، لها جمهورٌ كبير من القراء و المهتمّين، و ذلك انَّ هؤلاء يرغبون في التعرف علىٰ:

سبب نهضة الحسين عليه السلام ؟

و لماذا لم يقبل الصلح و المهادنة مع يزيد؟

و لماذا هاجر من المدينة الىٰ مكة و منها الىٰ العراق؟

و ما هي مقاصد الحسين عليه السلام من النهضة و ما هي نتائجها؟

و ما هي الفوائد التي تجنيها الامة الإسلامية من إقامة مراسم عزاء الحسين عليه السلام و احياء ذكرىٰ عاشوراء خاصة عند الشيعة؟

و مئات الاستفسارات و التساؤلات الاخرى، التي تدور في خَلَد عشاق ساحة الإمامة و الولاية.

و من ثمَّ انصب جهدُ الكتّاب و المؤلفين في قضية كربلاء، علىٰ كتابة الاجابات اللازمة لتلك التساؤلات، و صمّموا علىٰ خوض مضمار التحليل و التحقيق في الواقعة و تنبيه الناس الىٰ فلسفة هذه النهضة المباركة و شرائطها و بيان اوضاع و

احوال و ظروف هذا القيام و الفداء الكبيرين.

و لا يخفىٰ أنَّ ذلك لا يعني اهمال القدماء و السابقين من الكتّاب لهذه الجهة كلياً و عدم تعرضهم لفلسفة و اسرار الشهادة، بل إنَّ اوّل من كشف عن تلكُمُ الاسرار و الاهداف السامية للنهضة الحسينية هو نفس سيد الشهداء عليه‌السلام و اهل بيته، بل قد سبقه الىٰ ذلك نفس رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله و من ثُمَّ الأئمة المعصومون الطاهرون عليهم السلام، حيث وضحوا هذه الجهة بشكل جليّ في أحاديثهم و رواياتهم و حتىٰ في عبارات زياراتهم للحسين عليه‌السلام، ثم تبعهم علماء الإسلام و مفكرّيه سنةً و شيعة، و الشعراء الكبار ضمن قصائدهم، حيث عرَّفوا الناس بتلك الحقائق.

بَيدَ انه لم يعهد وجود كتاب مستقل يتناول تلك الأمور و فلسفتها علىٰ النحو المتعارف هذه الأيام.

و لذلك فان الكتب التي تناولت التحليل التاريخي لحوادث كربلاء قليلة جداً بالقياس الىٰ تلك التي أرَّخت أحداث الواقعة مع الاحتفاظ بتقديرنا لهذه المصنّفات التي حفظت لنا تاريخ تلك الواقعة و تفاصيل مجرياتها، ذلك أنَّ مثل هذه الكتب تشكل اللبنة الاولىٰ للتحليل و التحقيق و هي اساس الفحص و التدقيق عند المفكرين و المحققين، و كذلك فان نقل صور ما جرىٰ في كربلاء يوم عاشوراء و علىٰ الرغم من إختصارها و عدم احاطتها بكل الواقعة، حاكية عن حقيقة مظلومية الإمام عليه‌السلام وعاكسة لأسرار وفلسفة شهادته، كما أنها المرجع للمؤمنين الراغبين في نيل ثواب و اجر ذكر مصائب الحسين عليه‌السلام و البكاء و العزاء عليه و التقرب الىٰ الله باقامة شعائره.

جزا الله خير الجزاء كل الكتّاب و الخطباء و كل الذين ساهموا بنحو من الأنحاء في اعلاء و تجليل ذكر سيد الشهداء عليه‌السلام سابقاً و لاحقاً.

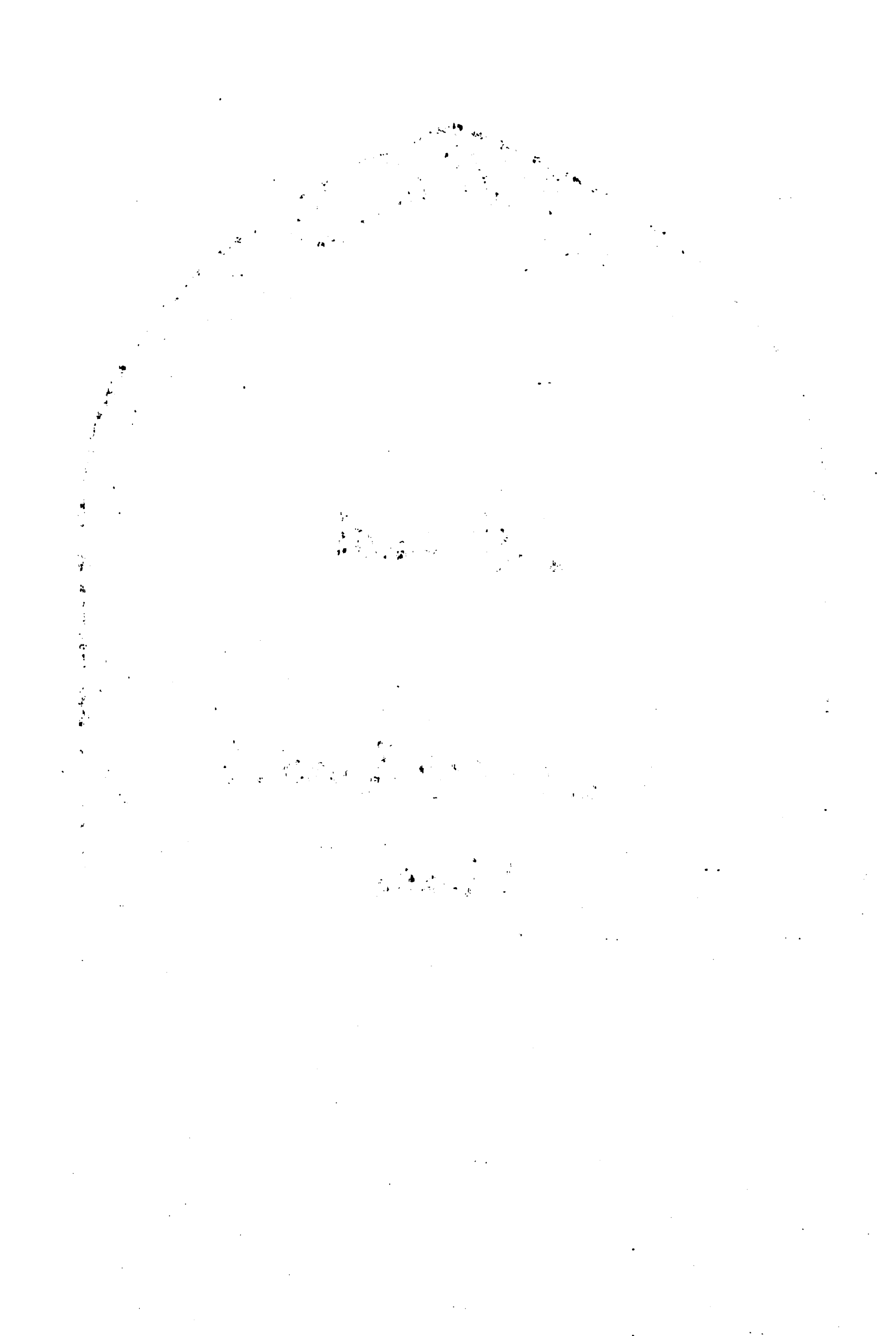
و هذا الكتاب الذي بين يدي القرّاء الكرام و المتضمن لمختصر من فضائل حضرة سيد الشهداء عليه السلام غيضٌ من فيض علل و نتائج واقعة كربلاء، فهو بضاعة مزجاة و فخذ جرادة يقدمها هذا العبد العاصي بكل خجل و خضوع، هديةً لساحة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها و الىٰ ملجأ الدين الابن التاسع لسيد الشهداء الحسين عليه السلام بقية الله في الارضين مولانا قائم آل محمد أرواح العالمين له الفداء راجيا من الأم و الابن العزيز القبول آملاً الفوز في الدنيا و الآخرة ببركة التوسل بساحة قدس اهل بيت العصمة و الرسالة، و أنْ أعدَّ في زمرة مُحبّيهم، بحق محمد و آله الطاهرين صلوات الله تعالىٰ عليهم اجمعين.

أقلّ خدمة ساحة محبّي أهل بيت النبوّة
لطف الله الصافي الگلبايگاني



البحث الأول

شخصيّة الحسين عليه السلام وفضائله



شخصيّة سيّد الشهداء عليه السلام

لا يمكن الحكم علىٰ قيَم و اهداف و علل نهضةٍ و حركةٍ ما لم يتم التعرف علىٰ شخصية قائد تلك النهضة و الوقوف علىٰ أخلاقه و فضائله و علمه و معارفه و سوابقه الفكرية و المحيط الذي نشأ فيه، و في غير هذه الصورة لا يكون الحكم تحقيقياً معتَمَداً.

فمثلاً للتعرف علىٰ حقيقة الدعوة الإسلامية، يجب الاعتماد (مضافاً الىٰ القرآن المجيد و التعاليم و المناهج الإسلامية) علىٰ دراسة تاريخ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و حياته و أخلاقه وسلوكه وعلاقاته وطريقة تعامله في الحروب و الغزوات وسائر حالاته و حالات أهل بيته الأطهار عليهم السلام.

و للتعرف علىٰ قيمة و حقيقة و علل و نتائج الثورة الحسينية المباركة لابد من المرور علىٰ سيرة الإمام الحسين عليه السلام و فضائله و مناقبه و معجزاته و كراماته و مكارم اخلاقه و محامد أوصافه و محبوبيته و مكانته الاجتماعية و شهادة اعدائه بمقامه، و غير ذلك مما يرتبط بشخصيته، لكي نحصل علىٰ ثواب ذكر فضائله مضافاً الىٰ التعرف علىٰ حقيقة إمام الاحرار بقدر إستعدادنا لتلقي الحقائق.

سمات الحسين عليه السلام اللامعة في كتاب الله[1]

١ـ آية المودة:

«قُلْ لاٰأسئَلُكُمْ عَلَيهِ أجْراً إلاّ المَوَدَّةَ فِي القُربىٰ»[2]

روىٰ أحمد بن حنبل في «المسند» و ابو نعيم الحافظ، الثعلبي، الطبراني، الحاكم النيشابوري، الرازي، الشبراوي، ابن حجر، الزمخشري، ابن منذر، ابن ابي حاتم، ابن مردويه، السيوطي و جمع آخر من علماء اهل السنة باسانيدهم عن ابن عباس، قال: «لما نزلت هذه الآية، قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

فقال لهم: «علي و فاطمة و ابناهما»[3]

و قد نظم في هذا المعنىٰ الشيخ شمس الدين ابن العربي:

رأيت ولائي آل طٰه فريضةً　　علىٰ رغم اهل البُعد يورثني القُربا

---

(١) لا يخفىٰ ان الآيات النازلة في شأن أهل البيت و الشاملة للإمام الحسين عليه السلام كثيرة و لكننا و رعاية للاختصار نتعرض الىٰ ثلاث آيات فقط، و من أراد مزيد الإطلاع فليراجع كتب التفسير و الحديث و من جملة تلك الآيات الأخرىٰ آية ٣٧،٣٥ من سورة البقرة و الآية ٢٢ سورة الرحمن، و الآية ٢٧ سورة الفجر، و سورة هل أتىٰ و آيات اخرىٰ.

(٢) سورة الشورىٰ، الآية ٢٣.

(٣) احياء الموات ج٢، الاتحاف ص٥، الصواعق ص١٦٨، الاكليل ص١٩١، الغدير ج٢ ص٣٠٧، خصائص الوحي المبين ف٥ ص٥٥ـ٥٢، ابن بطريق ف٩ ص٢٥ـ٢٣.

فما طَلَب المبعوثُ أجراً علىٰ الهدىٰ   بتبليغه إلاّ المودّة في القُربي[١]

و قال الشافعي في هذا الشأن:

يا أهل بَيتِ رسولِ الله حُبُّكُم   فرضٌ من اللّهِ في القرآنِ أنْزلَهُ

كَفاكُمُ من عَظيمِ القَدْرِ أنّكُمُ   مَنْ لم يصلِّ عليكُمْ لاٰ صَلوٰة له[٢]

٢ـ آية التطهير:

«إنَّما يُريدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُم الرِّجْسَ أَهلَ البَيْتِ و يُطَهِّرَكُم تَطْهيراً»[٣]

وردت احاديث متواترة و مشهورة عند الفريقين ـ السنة و الشيعة ـ في انَّ آية التطهير نزلت في مورد اجتماع أشرف شخصيات عالم التكوين، ايّ الخمسة أصحاب الكساء و الذين صلّىٰ و دعا لهم الرسول صلى الله عليه وآله مرات متكررة في بيته و في بيت فاطمة الزهراء عليها السلام و في حجرة امِّسلمة و بعض الاماكن الاخرىٰ، فهذه الآية الشريفة و الأحاديث الواردة في تفسيرها تدلُّ بوضوح علىٰ عصمة و جلالة شأن الإمام الحسين عليه السلام.

و فيما يتعلق بهذه الآية الشريفة و احاديث الكساء و متونها، أُلِّفت كتب كثيرة، و قد نقل قسماً منها بعض الرواة مثل صبيح[٤] و نقل مسلم و البغوي و الواحدي و الاوزاعي و المحب الطبري، و الترمذي و ابن الاثير و ابن عبد البر و

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٧٠. اسعاف الراغبين ص ١١٩.

(٢) نظم درر السحطين ص ١٨. اسعاف الراغبين ص ١٢١. الاتحاف ص ٢٩. الصواعق ص ١٤٨.

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٣.

(٤) اسد الغابة ج ١٣ ص ١١. الاصابة ج ٢ ص ١٧٥ـ٣٣ـ٤.

احمد و الحمويني و الزيني الدحلان و البيهقي و اخرون عن عائشة و ام‌سلمة و انس و وائلة و صبيح و عمر بن ابي سلمة و معقل بن يسار و ابي الحمراء و عطية و ابي سعيد و ام سليم، روايات عديدة في هذه الواقعة الجليلة و المنقبة العظيمة.

عن عائشة قالت:

خرج النبي صلى الله عليه وآله ذات غداة و عليه مرط مرجل من شعر فجاء الحسن بن علي فادخله فيه ثمَّ جاء الحسين فأدخله فيه ثمَّ جاءت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثمَّ قال: «**إنَّما يُريدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُم الرِّجْسَ أَهلَ البَيْتِ وَ يُطهّركم تَطهيراً**»

و روىٰ الأوزاعي عن شداد بن عبد الله قال: سمعت واثلة بن الاسقع و قد جيء برأس الحسين عليه السلام فلعنه رجل من اهل الشام و لعن أباه فقام واثلة و قال:

و الله لا أزال أحب عليا و الحسن و الحسين و فاطمة بعد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهم ما قال، لقد رأيتني ذات يوم و قد جئت النبي صلى الله عليه وآله في بيت ام سلمة فجاء الحسن فأجلسه علىٰ فخذه اليمنىٰ و قبله ثم جاء الحسين فأجلسه علىٰ فخذه اليسرىٰ و قبله ثم جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه ثم دعىٰ بعلي ثم قال «**إنَّما يُريدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُم الرِّجْسَ أَهلَ البَيْتِ وَ يُطهّركم تَطهيراً**»[1]

و روىٰ «الدولابي» في «الذرية الطاهرة» عن امِّ‌سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: ائتيني بزوجك و ابنيك. فجاءت بهم و أكفأ عليهم كساءً فَدَكيّاً ثم وضع يده عليهم ثم قال: **اللهمَّ إنَّ هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك و بركاتك علىٰ آل محمد انك حميد مجيد.**

(١) اسد الغابة ج٢ ص٢٠.

قالت امّسلمة: فرفعتُ الكساء لأدخل معهم فجذبهُ رسول الله صلى الله عليه وآله و قال: «إنَّكِ علىٰ خَيْرٍ»(١)

و روى، الحمويني نظير هذه الرواية عن وائلة.(٢)

و روىٰ الواحدي في اسباب النزول و أحمد في المناقب و الطبراني عن ابي سعيد الخدري أنَّ آية «إنَّما يُريدُ اللّهُ» نزلت في حق خمسة اشخاص و هم: رسول الله صلى الله عليه وآله و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام.(٣)

و روى احمد عن امِّسلمة مثله.(٤)

و روىٰ مثله الواحدي(٥) بسنده عن امِّ سليم.

و هذه الاحاديث الكثيرة تدل علىٰ عصمة سيد الشهداء عليه السلام و أنَّ كل عمل و نهضة تصدر عنه، إنّما هي مطابقة للصواب و الحقيقة و قد استدلّ السيوطي بهذه الآية و قال: الكلّ يعتبر أنَّ اجماع اهل البيت عليهم السلام، حجّة، لان الخطأ رجسٌ و قد نفاه الله عنهم.(٦)

---

(١) ذخائر العقبىٰ ص٢٤. العمدة ف٩ ص٢٥. و نقل في الفصل ٨ صفحة ٢٢ـ١٥ و فصول اخرىٰ احاديث كثيرة عن اهل السنة في اجتماع هؤلاء الخمسة المصطفين.

(٢) فرائد السمطين ج١ ص٢٤.

(٣) ذخائر العقبىٰ ص٢٤. و ذكر فيه طرق هذا الحديث في الصفحات ٢٤ـ٢١. اسباب النزول ص٢٦٧.

(٤) السيرة النبوية ج٣ ص٣٦٦.

(٥) اسباب النزول ص٢٦٧.

(٦) الأكليل ص١٧٨؛ و لا يخفىٰ ان أسانيد هذا الحديث في الكتب الشيعية كثيرة جداً، و قد رُوي متن بعض هذه الأحاديث بنحو مفصل مثل حديث الكساء».

٣ـ آية المباهلة:

« فَمَن حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تعالَوا نَدْعُ أبنائَنا و أبنائكم و نِسائَنا و نِسائَكُم و أنْفُسَنا و أنْفُسَكُم ثُمَّ نَبْتهِلْ فَنَجعَل لَعنَةَ اللّهِ عَلىٰ الكاذِبِين »(١)

من جملة الآيات الدالّة علىٰ فضيلة و عُلوّ مقام و رتبة سيّد الشهداء عليه السلام و باتفاق المسلمين هي آية المباهلة الشريفة.

و تعدُّ قضية المباهلة بين النبي صلى الله عليه وآله و نصارىٰ نجران من أوضح مظاهر و دلائل قوة ايمان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله و تمسكه و اعتقاده برسالته، اذ أنَّ الدعوة الىٰ المباهلة من قبله عليه السلام اذا لم تكن مقرونة بايمانه الراسخ بدعوته، لكانت انتحاراً حقيقياً و سنداً مهماً بيَدِ أعدائه لإبطال رسالته.

إذ إنَّ الأمر لم يكن ليخلو من احدىٰ نتيجتين، إمّا ان يستجاب دعاء النصارىٰ بانزال اللعنة الإلهية علىٰ جانب النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و إمّا ان لا يستجاب دعاء كلا الجانبين، و في كلتا الحالتين تبطل دعوىٰ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، و لم نعهد عاقلاً إدّعىٰ النبوّة قد اقترح مثل هذا الاقتراح و التحدي الاّ اذا كان علىٰ يقين و اطمئنان تامّين من استجابه دعائه في هلاك اعدائه، و قد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله حاملاً لمثل هذا اليقين، و لذا قام بكل جرأة و شجاعة بمثل هذا الاقتراح، و هذا الثبات و الطمأنينة هو الذي أجبر خصمه علىٰ الانسحاب.

كما ان إشراك الإمام عليّ و الحسن و الحسين و فاطمة الزهراء عليهم السلام في المباهلة بامرٍ من الله تعالىٰ، لخيرُ دليل علىٰ أنَّ هؤلاء النفر الأربعة هم خيرُ خلق

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

الله تعالىٰ و أعزَّ الناس علىٰ قلب رسول الله صلى الله عليه وآله.

أجل، لقد كانت آية المباهلة اعلان جلالة و مقام هؤلاء الأطهار و قربهم من الله تعالىٰ و من ثمَّ كانت هذه الفضيلة واحدةً من أهمّ فضائل الإمام الحسين حيث إنتخب من بين كلِّ الامة الإسلامية، اطفالها و شبّانها و شيوخها رجالاً و نساءاً، ليكون أحد دعائم هذه القضية التاريخية و المنعطف العقائدي الخطير، بمعية أُمّه و أبيه و أخيه.

و في الوقت الذي نجد أنفسنا في غنىً عن ذكر المصادر و المراجع التي نقلت هذه الحادثة لكبار مفسري و محدثي و مورخي المسلمين الاّ انّنا سنذكر طرفاً منها ليراجعها من أراد الوقوف علىٰ المزيد من حقائقها: تفسير الطبري، البيضاوي، النيشابوري، الكشاف، الدر المنثور، اسباب النزول للواحدي، الاكليل للسيوطي، مصابيح السُنَّة، سُنن الترمذي و كتب اخرىٰ.

سِماتُ الحسين عليه السلام في احاديث النبي الاكرم صلى الله عليه وآله

١ـ الحُسين عليه السلام سيد شباب اهل الجنّة

روىٰ احمد بن حنبل في مسنده، البيهقي في سُننه، الطبراني في الاوسط و في الكبير، ابن ماجه في السنن، السيوطي في الجامع الصغير و الحاوي و الخصائص الكبرىٰ، الترمذى في سننه، الحاكم في المستدرك، ابن حجر في الصواعق، ابن عساكر في تاريخ دمشق، ابن حجر العسقلاني في الإصابة، ابن عبد الله في الاستيعاب، البغوي في مصابيح السنّة، ابن الاثير في أسد الغابة، الحمويني الشافعي في فرائد السمطين، أبو سعيد في شرف النبوة، و المحب الطبري في ذخائر العقبىٰ، ابن السمّان في الموافقة، النسائي في خصائص امير المؤمنين، ابو نعيم في الحلية، الخوارزمي في المقتل، ابن عدي في الكامل، المناوي في كنوز الحقايق، و اخرون عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله انه قال: «**الحسن و الحسين سيدا شباب اهل الجنة**».

و هذا الحديث روي باسانيد عديدة عن جمع من كبار الصحابة كعلي بن ابى طالب عليه السلام، ابن مسعود، حذيفة، جابر، ابوبكر، عمر، عبد الله بن عمر، قُرَّه، مالك بن الحويرث، بريده، ابي سعيد الخدري، ابي هريرة، اسامه، براء، و أنَس و غيرهم.

و يستفاد من مجموع ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قد عرَّف الحسن و الحسين عليهما السلام بهذه الصفة مرات متكررة، و ان صدور هذا اللفظ «الحسن و الحسين سيدا شباب اهل الجنة» عن رسول الله صلى الله عليه وآله متواترٌ و مسلّمٌ و مشهور و معروف عند المسلمين، كما أنَّ

متن اكثر الاحاديث هو هذا اللفظ. و ورد في بعضها: «إنَّ ملكاً من الملائكة هبط عليَّ و لم يكن قد هبط قبل ذلك و بشرني بأن ابنتي فاطمة سيدة نساء امّتي و ان حسناً و حسيناً سيدا شباب اهل الجنّة»

و في بعضها اضافة: «و أبوهما خيرٌ منها»

و في بعض طرق هذا الحديث ذكرت فضائل اخرىٰ لأهل البيت عليهم السلام.[1]

٢ـ الحسين حبيب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله

«حسينٌ مني و أنا مِن حُسَيْن»

كان حبُّ رسول الله للحسن و الحسين عليهما‌السلام حبّاً مميزاً، و كان صلوات الله و سلامه عليه يظهر ذلك الحب و يفصح عنه في مناسبات عديدة.

و قد اتفقت الروايات و التاريخ علىٰ أنَّ حبَّ النبي لهؤلاء الاطهار لم يكن حبَّ الابِ لأبنائه فحسب بل كان حبّه يتعدىٰ ذلك فجذور هذا الحب تمتد الىٰ وحدة سنخية أرواحهم و اتصالهم المعنوي الراسخ و توافقهم الفكري العميق، الذي يعبِّر عنه النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله:

(١) سنن ابن ماجه ج ١ باب فضل اصحاب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ ص٥٦. الجامع الصغير ج ١ ص٧ و ص١٥٢. الصواعق ص ١٨٥ و ص١٨٩. الاصابة ص٣٣٠. الترمذي ج١٣ ص ١٩١و ص ١٩٢ و ص ١٩٨. مصابيح السُنة ج ٢ ص ٢٨٠. الحاوي ج ٢ ص ٤٥٧. فرائد السمطين ص٣٥. درر السمطين ص٢٠٥. ذخائر العقبىٰ ص٩٣ و ص ١٣٩. خصائص النسائي ص٤٨و ص٤٩و ص٥٣و حلية الأولياء ج ٥ ص٧١. مقتل الخوارزمي ف٦ ص٩٢. الخصائص الكبرىٰ ج ٢ ص٢٦٥. مطالب السئول ص٦٥. تاريخ ابي الفداء ج ٢ ص٩٧.

« إِنَّهُمْ منّي و أنا مِنهُمْ »

او كما جاء في حديث زيد بن ارقم:

« أنا سِلمٌ لِمَنْ سالَمْتُمْ و حربٌ لِمَنْ حارَبْتُمْ »[١]. و تعابير اخرىٰ كلها تدل علىٰ تفسير و ترجمة هذا الحبّ و العلقة الثابتة بينهم، البعيدة عن المجاملات و المبالغات.

إنَّه اتصال واقعي روحي و وحدة فكرية و أخلاقية و عقائدية تدعو النبي الاكرم صلى الله عليه وآله الىٰ ان يعبِّر بهذا التعبير « أنا سلمٌ لمن سالمتم و حرب لمن حاربتم »فالجملة صريحة في وحدة التفكير و السلوك و الاساليب بينهم و بين النبي الاكرم صلوات الله عليهم اجمعين، و انه لا اختلاف و لا تفاوت بينهما في هذه الجهات ابداً و بذلک فقط يصير سلمهم و حربهم، سلم و حرب رسول الله صلى الله عليه وآله.

و نحن اذ نطالع هذه الاخبار و الاحاديث التي تحكي لنا شدة ارتباط النبي بالحسين عليهم السلام، يجب ان لا نغفل عن ان هذه الكلمات تصدر عن خير انبياء الله و سيدهم، و عن رجل قضىٰ حياته ماقتاً للمجاملات الكاذبة و الإطراءات الخادعة و التملّقات الرخيصة، بل كانت خطاباته و سلوكه و افعاله كلّها حجّة للبشرية، و قوانين و شرائع للإنسانية، فكان كل ما يقوله ترجمةً للحقيقة.

لقد كان لرسول الله صلى الله عليه وآله بنات غير فاطمة عليها السلام و كان له ابناء عمومة غير علي عليه السلام، فلماذا خص حنانه و محبته المتميزة هاذين و ابنائهما دون سائر اقربائه؟

و لماذا اختار هؤلاء من دون سائر اصحابه؟

كل ذلك بسبب أنَّ هؤلاء الاربعة كانوا يُجسّدون صفاته و اخلاقه و كمالاته الروحية.

---

(١) سنن ابن ماجه ج ١ باب: فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ص ٦٥. سنن الترمذي ج ١٣ ص ٢٤٨.

اذن، فافضل معرِّفٍ و دليل للفرد المؤمن علىٰ عظمة الإمام الحسين عليه السلام و فضله هو نفس هذا الخطاب النبوى الشريف.

و من جملة الأحاديث الحاكية عن هذا الإرتباط و التعلق الشديد لرسول الله صلى الله عليه وآله بالحسين عليه السلام هو حديث يعلى بن مرّة إنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله الىٰ طعام دعي اليه فإذا حسين عليه السلام يلعب مع الغلمان في طريق فاستنثل رسول الله صلى الله عليه وآله أمام القوم ثم بسط يده و جعل الصَّبيُ يفرُّ هٰاهنا و هٰاهنا فأخذه فقال: «اللهم إني أُحبّه حسين سبط من الاسباط.» (١)

و رواه البخاري و الترمذي و ابن ماجه و الحاكم بهذا النص:

«حُسين منّي و أنا مِنْهُ أحبَّ الله مَن أحبَّ حُسيناً. الحسن و الحسين سِبطانِ مِنْ الاسباطْ» (٢)

و روىٰ الشرباصي حديث النبي صلى الله عليه وآله:

«حُسين سبطٌ من الأسباط و أمَّة مِنَ الأُمِم»

ثم قال نقلاً عن القاموس: معنىٰ السبط، الجماعة و القبيلة، و قد يُريد النبي بذلك ان الحسين في مرتبته و رفعته أُمَّة كاملة، أو أن أجر الحُسين و ثوابه كأجر امة كاملةٍ لعظمة فضيلته و عظمة ما قام به عليه السلام. (٣)

---

(١) سنن ابن ماجه ج١ ص٦٥. مصابيح السنة ج٢ ص ٢٨١. الترمذى ج١٣ ص١٩٥ و ص١٩٦. اسد الغابة ج٥ ص ١٣٠ و ص٥٧٤ و ج٢ ص ١٩. كنز العمال ج٦ ص ٢٢٣ و ج٣ ص ٣٩٥. مطالب السئول ص٧١.

(٢) الجامع الصغير ج١ ص١٤٨. كنز العمال ج٦ ص٢٢٣ ح٣٩٥٣. امالي الشريف المرتضىٰ ج١ ص٢١٩.

(٣) راجع حفيدة الرسول ص٤٠.

و روى الشبلنجي و ابن عبد البّر و مُسلم عن ابي هريرة، عنّ النبي صلى الله عليه وآله قال في حق الحسن و الحسين عليهما السلام عليهما السلام:

«اللّهُمَّ إنّي أحبُّهما فأَحِبَّهُما و أحبَّ مَنْ يُحبُّهما»(١)

و روى البغوي و الترمذي و سيد احمد الزيني و ابن الاثير و النسائي عن أسامة قال: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال فى الحسن و الحسين عليهما السلام:

«هٰذان إبنايَ و إبنا إبْنَتي اللّهمَّ إنّي أحبُّهما فأحبَّهُما و أحبَّ مَنْ يُحبُّهُما»

و روى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«اللّهمَّ إنّي أحبُّهما فأحِبَّهُما»(٢)

و روى الترمذي و البغوي عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن احبِّ أهل بيته اليه فقال: الحسن و الحسين.

و نقل السيوطي و المناوي ان النبي صلى الله عليه وآله قال:

«أحَبَّ أهلَ بَيْتي إلَيَّ الحَسَنُ و الحُسَينُ»(٣)

و روى الترمذي و البغوي عن انس ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول لفاطمة عليها السلام:

«أدْعُ إلَيَّ إبنَيَّ فَيَشُمُّهُما و يَضُمّهُما إليه»(٤)

و روى أحمد بن حنبل ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول:

---

(١) الاستيعاب ج١ ص٣٧٦. نور الابصار ص١٠٤. السيرة النبوية ج٣ ص٣٦٨.

(٢) مصابيح السنة ج٢ ص٢٨٠. الترمذي ج١٣ ص١٩٢ وص١٩٣ وص١٩٨. اسد الغابة ج٢ ص١١. خصائص النسائي ص٥٣ـ٥٢.

(٣) مصابيح السنة ج٢ ص٢٨١. الترمذي ج١٣ ص١٩٤. الجامع الصغير ج١ ص١١. كنوز الحاقايق ج١ ص١١.

(٤) ذخائر العقبىٰ ص١٤٣. نور الابصار ص١١٤.

«أللّهمّ إنّي أُحبُّ حُسَيناً فأحِبَّهُ و أحبَّ من يُحِبُّهّ»(١)

و روىٰ ابنُ ابي شيبه ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول في حق الحسن و الحسين:

«اللّهمّ إنّي أُحبُهما فأحبَّهُما و ابغُض من يُبْغِضُهُما»(٢)

و روىٰ الصبّان عن ابي هريرة قال:

«رأيت رسول الله يَمتصُّ لِعاب الحُسين كما يمتصُّ الرَجُلُ التمرةَ»(٣)

و روى المحب الطبري عن ابن بنت منيع و هو عن يزيد بن ابي زياد انه قال: خرج النبي من بيت عائشة فمرَّ بدار فاطمة و سمع الحسين يبكي فقال:

«ألَمْ تعلمي أنَّ بكاءَهُ يُؤذيني»(٤)

و نكتفي بما نقلناه عن سرد أمثال هذه الاحاديث و هي كثيرة، و سيظهر لنا مما سنرويه في الفصول اللاحقة مدىٰ عمق و شدة حبِّ النبي صلى الله عليه وآله للإمام الحسين عليه السلام.

٣ـ الحُسَين ريحانة النبيّ صلى الله عليه وآله

روىٰ ثلّة من كبار محدثي اهل السّنّة عن علي عليه السلام و إبن عمر و أبي هريرة و سعيد بن راشد و ابي بكر، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال:

«الحسن و الحسين عليهما السلام ريحانتايَ مِنَ الدُنيا»

و في لفظ آخر:

«الوَلَدُ رَيحانَةٌ و ريحانَتَيَّ الحَسَنُ و الحُسينُ»

---

(١) كنوز الحقائق ج١ ص٤٤.

(٢) كنوز الحقائق ج١ ص٤٤.

(٣) اسعاف الراغبين ص١٨٢.

(٤) ذخائر العقبىٰ ص١٤٣. نور الأبصار ص١١٤.

و في لفظ آخر:

«إنَّ ابنيَّ هٰذَينِ ريحانَتايَ من الدُنيا»

و في آخر:

«هَما ريحانتاي من الدَنيا»

و من اختلاف الألفاظ يظهر لنا جليا صدور هذا المضمون مراراً و تكراراً من النبي صلى الله عليه وآله[1]

و روىٰ سعيد بن راشد ان الحسن و الحسين اقبلا الىٰ النبي صلى الله عليه وآله فضمّهما اليه و قال:

«هٰذان ريحانتاي من الدُنيا مَنْ أحبَّني فَلْيُحبهما»[2]

و روىٰ المناوي عن الديلمي في فردوس الاخبار ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام:

«سَلامُ الله عَليك يا أبَا الريحانتَيْن»[3]

اضف الىٰ هذه الاحاديث ما ورد عنه عليه السلام مثل قوله:

«أوصيك برَيْحانتيَّ خَيراً»[4]

و لكننا أعرضنا عن ذكرها رعاية للاختصار.

(١) صحيح البخاري ج٢ ص١٨٨. الترمذي ج١٣ ص١٩٣. اسد الغابة ج٢ ص١٩. الإصابة ج١ ص ٣٣٢. مصابيح السنة ج٢ ص ٢٨٠ـ٢٧٩. كنوز الحقائق ج١ ص ٦٣ و ص٦٧ و ج٢ ص١٥١. خصائص النسائي ص ٥٤. كنز العمال ج٦ ص٢٢٠ ح ٣٨٧٤ و ص٢٢١ ح٣٩١٢. نظم درر السمطين ص ٢١٢. مطالب السئول ص٥٦. الصواعق ص١٩١.

(٢) ذخائر العقبىٰ ص١٢٤.

(٣) كنوز الحقائق ج١ ص١٤٥.

(٤) تاج العروس ج٢ ص ١٤٥. نهاية ابن الأثير.

٤ـ الحُسين عليه السلام أشبهُ أهل البيت بالنبيّ صلى الله عليه وآله

روىٰ البخاري و ابن الاثير أنّه عندما جيئ براس الحسين عليه السلام لابن زياد لعنه الله و وضع بين يديه في طست، اخذ ابن زياد يضرب الرأس الشريف بعمود خيزران و يقول: اسرع اليك الشيب يا ابا عبد الله. فقال له أنس: انه اشبه اهل بيته برسول الله صلى الله عليه وآله(١)

و نقل في «البدء و التاريخ» ان عبيد الله بين زياد كان يضرب الرأس الشريف و يقول: لم أرَ وجهاً أجملَ منه» فقال له انس بن مالك: إعْلَم انه شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله(٢)

٥ـ النبيّ صلى الله عليه وآله يُقَبِّل الحسين عليه السلام

ان تقبيل الأولاد هو احد مظاهر المحبة و ترجمة العاطفة الجياشة للوالدين تجاه أولادهم.

لقد كانت امثال هذه التعابير عن العاطفة و الاحاسيس الشفافة معدومة في الجاهلية عند العرب قبل شروق شمس الإسلام و الهداية، حيث كان العرب يعتبرون الرأفة و الشفقة و المحبة و العطف لوناً من الوان الضعف، بينما كانوا يتفاخرون بقساوة القلب. و من اوضح مظاهر قساوة القلب عندهم هي ظاهرة وأد البنات حيث كان الاب يدفن ابنته و هي حيّة.

---

(١) صحيح البخاري ج٢ ص١٨٨. اسد الغابة ج٢ ص ٢٠.

(٢) البدء والتاريخ ج٦ ص ١١.

و كان تقبيل الولد و خاصة البنت يُعدّ عاراً عندهم، كما ان حَمل الولد امام الانظار يُعدُّ عندهم ضعةً و كسراً للهيبة و خرقاً للحشمة الكاذبة المصطنعة التي كان المتكبرون منهم يضفونها علىٰ أنفسهم.

و لمّا كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين و مبرءاً و منزهاً عن الرياء و النفاق، و كان ساعياً لبسط الرحمة و الرأفة و الإحسان و المحبة بين الناس و داعياً للايثار و نشر الفضائل و تقوية العواطف الخيِّرة، لذا نجد انه كما كان مظهراً لتمام و كمال العواطف الإنسانية لسائر المسلمين، فكذلك كان في اهل بيته، فقد وصلت احاسيسه و عواطفه النبيلة تجاه ابنته فاطمة عليها السلام و أبنائها حدَّ الكمال، و كان يرىٰ ان وجود الحسن و الحسين عليهما السلام امتدادُ لوجوده الكريم، و ان بقاءَهم و حياتهم بقاءَه و حياته.

تقول «بنت الشاطئ» الدكتورة المصرية و الاستاذة في جامعة عين شمس موضحة جانباً من جوانب حبٍّ و عاطفة النبي صلى الله عليه وآله تجاه ابناء إبنته العزيزة فاطمة عليها السلام في فصل مستقل من كتابها ـ بنات النبي صلى الله عليه وآله:

و احتفلت مدينة الرسول صلى الله عليه وآله بمولد «الحسن عليه السلام» و تصدق جده صلى الله عليه وآله علىٰ الفقراء من أهلها بزنة شعره فضة. ثم راح يرقب تفتح الحياة في هذه الفلذة الغالية منه، فما بلغ الوليد من العمر عاماً و بعض عام، حتىٰ أردفته أُمه الزهراء عليها السلام بشقيقه «الحسين عليه السلام» في شهر شعبان، سنة أربع من الهجرة.

و تفتح قلب النبي صلى الله عليه وآله لهذين الحفيدين الغاليين يملآن حضن أُم أبيها «الزهراء عليها السلام»، و رأىٰ فيهما امتداداً لحياته الخاصة علىٰ هذه الأرض، و متنفسا لما يفيض به قلبه الكبير من عاطفة الأبوة التي يئست من الولد منذ ماتت خديجة عليها السلام.

و بدا أن قدانقطع خلف محمد بن عبد الله، إلاّ ان يكون عن طريق ابنته

« الزهراء عليها السلام ».

فلا عجب أن أقبل الرسول علىٰ سبطيه « الحسن و الحسين عليهما السلام » يغمرهما بكل ما امتلأ به قلبه الكبير من حب و حنان، و يفيض عليهما من عاطفة الأبوة ما شاء له الحرمان من الولد، علىٰ كثرة من تزوج من النساء. بل لا عجب ان دعاهما ابنيه، فعن أنس بن مالك أنه صلى الله عليه وآله «كان يقول لفاطمة عليها السلام:

« ادعِ لي ابنيّ. فاذا ما جاءا اليه شمّهما و ضمّهما ».

و نقل الترمذي في سننه عن « أسامة بن زيد » أنه قال:

طرقت باب النبي صلى الله عليه وآله في بعض الحاجة، فخرج رسول الله و هو مشتمل علىٰ شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت عن حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه يا رسول الله؟

فكشفه، فاذا الحسن و الحسين عليهما السلام، و قال:

« هذان ابناي و ابنا ابنتي، اللهم إنّي أُحبُّهما فأحبَّهما، و أحبَّ من يحبُّهما. »

و كان اسماهما عليهما السلام نغمة حلوة في فم أبي الزهراء عليها السلام، يستعذبها و لا يمل من ترديدها، و فيهما كان يجد أنسه و سلوته عمن فقد من الأبناء!

لقد آثر الله الزهراء بالنعمة الكبرى، فحصر في ولدها ذرية نبيه المصطفىٰ صلى الله عليه وآله، و حفظ بها أشرف سلالة عرفتها العرب منذ كانت.

كما كرم الله وجه « على عليه السلام »، فجعل في صلبه نسل خاتم الأنبياء، فكان له من هذا الشرف مجد الدهر و عزة الأبد.

و لعل محمداً صلى الله عليه وآله لو خير أي بناته تكون وعاء لنسله الطهور، و أي أصهاره يكون أبا لأهل البيت الشريف، لأختار ما اختاره الله له!

فعليّ أقرب أصهاره اليه مكانا و أمسهم رحماً، في عروقه يجري الدم الهاشمي

الأصيل، و عند عبد المطلب يلتقي نسبه بنسب الرسول، فكلاهما له حفيد!

و ليس بمستغرب بعد هذا، أن يعي الزمن من آيات حب الرسول صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام و علي عليه السلام و بنيهما عليهما السلام، ما نستطيع معه أن نتمثله صلى الله عليه وآله و هو يرنو الىٰ بيت صهره «على عليه السلام» كلما مرَّ به، و قلبه الكريم يخفق حبّاً و حنوّا، فاذا وجد من وقته سعة، عرج علىٰ دار الأحبة، فأسعد أهلها بعطفه، و أسبغ علىٰ حفيديه فيضا من حنانه الغامر!

و عاشت له فاطمة عليها السلام، كما عاش بنوها يملئون دنيا الرسول بهجة و أنسا، و يرضون فيه عاطفة الأبوة التي آدها تكل البنين و البنات، و لم يبق لها إلاّ هذه البنت الحبيبة، تعوض أباها عمن فقد، و تعزيه عمن غاب. (١)

و روىٰ ابن عبد البر القرطبي عن ابي هريرة قال: قال ابو هريرة:

أبصَرَتْ عَيْناىَ هاتان و سَمِعَتْ أُذنايَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وَ هُوَ آخِذٌ بكَفّي حُسَين و قَدَماهُ علىٰ قَدَمِ رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يقول: تَرَقَّ عَيْنَ بُقَّةٍ، قال: فَرَقىٰ الغُلامُ حتّىٰ وَضَعَ قَدَميهِ علىٰ صَدْرِ رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال رسول الله: إفْتَح فاكَ. ثُمَّ قبَّلَهُ ثمَّ قال: «اَللّهُمَّ أحِبَّه فانّي أُحبُّهُ» (٢)

---

(١) بنات النبي ص٢٥٣ـ٢٤٤ ـ بنت الشاطئ.

(٢) الاستيعاب ج١ ص١٨٢ وص ٣٨٣. السيوطي في الجامع الصغير ج٣ ص ١٨٤ نقلاً عن الخطيب عن وكيع في الغرر و ابن سني في عمل اليوم والليلة، و كذلك عن ابى عساكر عن ابي هريرة و نقل الحديث بهذا اللفظ: «حُزُقَّةٌ حُزُقَّةٌ مَرَقَّ عَيَنَ بَقَّةٍ» و رواه ابن منظور في لسان العرب بهذا اللفظ أيضاً و من كلامه يستفاد ان النبي صلى الله عليه وآله كان يلاطف الحسنين مراراً بهذا النحو.

و «الحُزُقَّة» بفتح الحاء و ضمّ الزاء أو بضمها معاً، كلمة تقال للشخص الضعيف الصغير ←

روىٰ العلايلي هذا الحديث و قال: إنّ «عَين بقّة» كلمة تؤثر في روح الطفل و تدخل عليه البهجة و الطراوة.

ثم يقول: و لقد كان النبي صلى الله عليه وآله يمدُّه من رواء العاطفة كما يمده من رواء النبوة، و يغمره بالحب و يسقيه من نَبْعة الشعور، حتىٰ يجيء حُقًّا قدسياً لمعنىٰ قدسي، يقدّم فيه المُثاليّه العظمىٰ التي يَنشُدها الانسان بالجدّ، فلا يخوّض منها إلا في السَّراب و الآل، و فيما يقص أبو هريرة شكل من أشكال تَخْليق النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام تخليقاً مِثالياً، قال في حديث له «أبصرت عيناي هاتان و سمعت أذناي رسول الله صلى الله عليه وآله، و هو آخذ بكفي حسين صلى الله عليه وآله و قدماه علىٰ قدم رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يقول ترق ترق عين بقة، فرق الغلام حتىٰ وضع قدميه علىٰ صدر رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله افتح فاك ثم قبله، ثم قال:

«اللهم أحِبَّهُ فإني أحبُّه.»

فالنبي صلى الله عليه وآله خَتَمَ في نفس الغلام، علىٰ ما استودَع من معاني نفسه الكبيرة بقُبلة ناعمة، ثم قال يدعو اللهم أحبه فإنى أحبه، كأنه قال للناس مشيراً إلىٰ غلامه، أنا هُنا.

و الحب لا يكون حباً إلاّ إذا صاحبه الاصطفاء والاستخلاص، و أمّا إذا جاء دونهما فانما هو شيء من طَفح العاطفة، فلا تبالى أني وقعت. فالنبي صلى الله عليه وآله يحب حسيناً حقيقة الحب لأنه مصطفاه، و الله يحبه لأن النبوة تركت به شَفَقاً يعترض الأفق في مفرق الغروب. (١)

← قصير القدمين، و تَرَقّ بمعنىٰ إصعد، و عَيّنَ بَقّة كناية عن الصغر كما ذكر ذلك العلايلي، و هذه الجملة تقولها العرب لملاعبة الاطفال و ملاطفتهم.

(١) سُمو المعنىٰ في سُمو الذات ص٧٧ـ٧٦ ـ العلايلي.

و نقل ابن الاثير و السبط ابن الجوزي و الطبري قال ابو مخنف:

«حدثني سليمان بن ابي راشد، عن حُميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرَّحني إلىٰ اهله لأبشرهم بفتح الله عليه و بعافيته، فأقبلت حتىٰ أتيت أهله، فاعلمتُهم ذلك، ثم أقبلت حتىٰ أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس و أجد الوفد قد قدموا عليه؛ فأدخلهم. و أذن للناس، فدخلتُ فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، و إذا هو يَنكُت بقضيب بين ثنيّتيه ساعةً،فلما رآه زيد بن أرقم لا يُنجِم عن نَكته بالقضيب، قال له: «أُعلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيَّتين، فوالذي لا إله غيرُه لقد رأيتُ شَفَتي رسولِ الله صلى الله عليه وآله علىٰ هاتين الشفتين يقبّلهما» ثم انفضح الشيخُ يبكي؛ فقال له ابن زياد: أبكَى الله عينك! فوالله لولا أنك شيخ قد خَرِفتَ و ذهب عقلك لضربتُ عنقَك. قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعتُ الناس يقولون: و اللّهِ لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتَلَه. قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مرّ بنا و هو يقول: ملَّك عبدٌ عبداً، فاتّخذهم تُلداً. أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، و أمَّرتم ابن مُرجانةٰ فهو يقتل خيارَكم، و يستعبد شِراركم، فرضيتم بالذلّ،فبعداً لمن رضي بالذّل![1]

و نقل في «البدء و التاريخ» ان يزيداً أمر ان يوقفوا نساء الحسين عليه السلام و بنات الرسالة بباب المسجد حيث يحبس الأُسارىٰ كي يتفرج الناس عليهم و وضع رأس الحسين بين يديه و أخذ يضربه بعمود الخيزران أو بالسيف و يقول:

ليتَ أشياخي بِبَدرٍ شَهِدُوا   جزع الخزرَجِ مِن وَقع الأسَلّ

(١) اسد الغابة ج٢ ص ٢١. تاريخ الطبري ج٤ ص ٣٤٩. الكامل ج٣ ص٢٩٨. تاريخ ابي الفداء ج٢ ص١٠٦. تذكرة الخواص ص٢٦٧.

لأهـــلّوا و اســتَهلّوا فــرحــاً   و لقالوا يا يــزيدُ لا تَشــل(١)

رویٰ ابن الاثير و الترمذي و الطبري عن ابي برزه و هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ليزيد:

«أتَنكُت بقضيبكَ في ثغر الحسين عليه السلام ؟! أما لقد أخذَ قضيبُكَ من ثَغرِهِ مأخذاً، لربّما رأيتُ رسول الله يَرشِفُهُ، أما انك يا يزيد تجيءُ يوم القيامة و ابن زياد شفيعك، و يجيءُ هذا يوم القيامة و محمد صلى الله عليه وآله شفيعه. ثم قام فولّىٰ. (٢)

٦ـ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله يحملُ الحسين عليه السلام علىٰ كتفه

وردت روايات كثيرة في أن النبي محمد صلى الله عليه وآله كان يحمل الحسين عليه السلام علىٰ كتفه و علىٰ صدره، و قد رویٰ اهل السنة ذلك أمثال ابن حجر العسقلاني عن ابي هريرة، و عبد الله البغوي عن شداد و ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود، و ابو حاتم عن عبد الله و جابر و ابن ابي الغرّاء عن انس، رووا هذا المعنىٰ من تعلق النبي العاطفي و الروحي بولديه الحسن و الحسين عليهما السلام. (٣)

و يُستفاد من جملة الاحاديث تكرر حمل النبي صلى الله عليه وآله الحسنَ و الحسينَ علىٰ كتفه، و كذلك ارتقاءهما ظهر رسول الله حال الصلاة و هما صبيّين. و عُرِفَ أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يؤخر رفع رأسه من السجود حتىٰ ينزل الحسن أو الحسين عن كتفه،

---

(١) البدء و التاريخ ج٦ ص ١٢.

(٢) الكامل ج٢ ص ٢٩٩. اسد الغابة ج٥ ص٢٠. الترمذي ج١٣ ص ١٩٧. الطبري ج٤ ص ٣٥٦.

(٣) الاصـابة ج١ ص٣٣٠ الحديث ١٧١٩. الجامع الصغير ج٢ ص ١١٨. ذخائر العقبىٰ ص١٢٣ و ص١٣٢.

بل و يستفاد من بعضها توبيخُ النبيّ صلى الله عليه وآله لمن لا يعرف قدر الحسن و الحسين عليهما السلام .

و في هذا السياق روىٰ ابو سعيد في « شرف النبوة » عن عبد العزيز باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً فاقبل الحسن والحسين فلما رآهما صلى الله عليه وآله قام لهما و استبطأ بلوغهما اليه فاستقبلهما و حملهما علىٰ كتفيه و قال : « **نِعْمَ المطيُّ مَطيُّكُما و نعمَ الرّاكبان أنْتُما** »(١)

و روىٰ الشبلنجي ان النبي صلى الله عليه وآله مرَّ بالحسن و الحسين عليهما السلام و هما يلعبان فطأطأ لهما عنقه و حملهما و قال : **نعم المطيّة مطيتهما ، و نعم الراكبان هما** .(٢)

و روىٰ جمال الدين الحنفي و الترمذي و ابن حجر عن ابن عباس قال :

« أقبل النبي صلى الله عليه وآله و قد حمل الحسن علىٰ رقبته ، فلقيه رجل ، فقال : نعم المركب ركبتَ يا غلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **و نعم الراكب هو** » .(٣)

و روىٰ الزرندي عن عُمر و جابر و سعد و أنس روايات اخرىٰ في هذا المعنىٰ(٤).

٧ـ حبُّ الحُسين عليه السلام فرضٌ

إنَّ الاحاديث التي وردت في وجود حُبِّ الحسين عليه السلام بلغت حدَّ التواتر فقد روىٰ ابن عبد البر و ابو حاتم و المحب الطبري عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله قال :

---

(١) ذخائر العقبىٰ ص١٣٠ .

(٢) نور الأبصار ص١٠٩ .

(٣) الترمذي ج١٣ ص١٩٩ـ١٩٨ . نظم درر السمطين ص٢١٢ . الصواعق ص١٣٥ .

(٤) نظم درر السمطين ص ٢١٢ـ٢١١ .

« من أحبّني فَلْيُحبَّ هٰذَيْن » يعني الحسن و الحسين عليهما السلام .

و قال ابن عبد البر : و روىٰ مثل هذا الحديث في المعجم البغوي عن شداد بن الهاد . (١)

و روىٰ الدولابي واحمد بن حنبل عن يعلىٰ بن مرّة قال : جاء الحسن و الحسين يستبقان الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يَدَه في عُنُقه فضمّهُ الىٰ بطنه صلى الله عليه وآله و قبّل هذا ثم قبّلَ هذا ثم قال :

« إنّي أُحبُّهما فاحبّوهما » (٢)

٨ـ فضلُ حُبِّ الحسين عليه السلام و عقابُ من أبغَضَهُ

روىٰ ابن ماجه ، ابن حجر ، الديلمي ، المناوي ، احمد ، الحاكم ، السيوطي ، ابن حجر الهيثمي ، هارون الرشيد عن آبائه عن ابن عباس ، المحب الطبري ، ابو سعيد ابن حرب الطائي ، السلفي ، ابو طاهر البالسي ، ابن السري و ابن الجوزي عن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله قال :

« مَنْ أحَبَّ الحَسَنَ و الحُسَينَ فَقَدْ أحَبَّني وَ مَنْ أبغَضَهُما فَقَدْ أبغَضَني »

و هذا الحديث مشهور و معروف بين المحدثين ، و بعض طرقه تنتهي الىٰ ابي هريرة و مضمونه ان النبي خرج ذات يوم و معه الحسن و الحسين علىٰ كتفه يقبل مرّة هذا و مرّة هذا حتىٰ وصل عندنا فقال : من أحبَّ هذين فقد أحبّني و من أبغضهما فقد أبغضني »

(١) الاصابة ج ١ ص ٣٣٠ ح ١٧١٩ . ذخائر العقبىٰ ص ١٢٣ .

(٢) ذخائر العقبىٰ ص ١٢٣ .

و قد نقل بعض الرواة المقطع الاول فقط، و نقله بعضهم الآخر هكذا:

« هٰذان إبناي مَنْ أحَبَّهُما فَقَدْ أحبَّني »

و في أحد الحديثين الذين رواهما هارون الرشيد في هذا الموضوع جاء:

« الحَسَن و الحسين مَنْ أحبّهما في الجنَّة و مَن أبغضَهما في النارِ »[1]

و روىٰ الترمذي و احمد، إنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وآله أخَذَ بيد حَسَن و حُسَين فقال: مَنْ أحَبَّني و أحبَّ هٰذَينِ و أباهُما و أُمَّهُما كانَ مَعي في درجتي يَوْمَ القيامَة.»[2]

و روىٰ الطبراني عن سلمان ان النبي صلى الله عليه وآله قال:

« مَنْ أحَبَّ الحَسَنَ و الحُسَينِ أحْبَبتُهُ وَ مَنْ أحببْتُهُ أحَبَّهُ اللّٰه و أدْخَلَهُ النعيمَ وَ مَنْ أبغَضَهما أو بغىٰ عَلَيهما أبغَضْتُهُ وَ مَنْ أبغَضْتُهُ أبغَضَهُ الله و أدْخَلَهُ جَهَنّمَ و لَهُ عذابٌ مُقيم »[3]

٩ـ النَظَر الىٰ سيد شباب اهل الجنَّة

روىٰ ابن حبّان، ابو يعلى، ابن عساكر، ابن سعيد، المحب الطبري، الشبلنجي و الصبّان عن جابر بن عبد الله الانصاري قال:

سَمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: « مَنْ أحبَّ (أو مَنْ سرَّهُ) ان يَنظُر الىٰ سيِّد شبابِ

(١) سنن ابن ماجه ج١ ص٥٦. الاصابة ج١ ص٣٣٠ حديث ١٧١٩. كنوز الحقائق ج٢ ص ٩٤. الجامع الصغير ج٢ ص ١٦٠. الصواعق ص٩٠. تاريخ الخلفاء ص١٩٤. مسند أحمد ج٢ ص٢٢٨. ذخائر العقبىٰ ص١٢٤ـ١٢٣. نظم درر السمطين ص٢١٠. مطالب السئول ص٧١.

(٢) سنن الترمذي ج١٣ ص١٧٦. الصواعق ص١٨٧. السيرة النبوية ج٣ ص٣٦٨. كنز العمال ج٦ ص ٢١٦ حديث ٣٧٨٢.

(٣) كنز العمال ج٦ ص٢٢٢ ح٣٩١٦.

أهْلِ الجنَّة فليَنْظُر الىٰ هذا»

و رُوي ايضاً عن جابر بهذا اللفظ:

«مَنْ سرَّهُ أنْ يَنظُرَ الىٰ رَجُلٍ مِنْ أهْل الجنَّة ـ و في لفظٍ الىٰ سيِّد شباب أهْلِ الجنّة ـ فلْيَنظُر الىٰ الحُسَينِ بن علي»(١)

١٠ ـ محبّو الحسين عليه السلام في الجنّة

روىٰ في «سيرة الملأ» عن ابن عباس حديثاً طويلاً عن النبي صلى الله عليه وآله في فضائل الحسنين عليهما السلام يقول في آخره «أن الحسن و الحسين عليهما السلام و عمهما و عمتهما في الجنّة، و من أحبهما ففي الجنة و من عاداهما ففي النار»

و رواه في «نظم درر السمطين» عن هارون الرشيد و ذكر ان هارون كلما ذكر هذا الحديث جرت دموعه و خنقتهُ العبرة»(٢)

و روىٰ نظيره صاحب كتاب «السُنّة» عن حذيفة.(٣)

١١ ـ دَرَجَةُ الوَسيلَة

روىٰ ابن مردويه عن علي عليه السلام أنَّ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله قال:

«فِي الجنَّة دَرَجة تُدعىٰ الوَسيلَة فاذا سألتُم الله فسَلُوا لي الوَسيلَة. قالوا: يا رسول الله مَنْ سَكَن معك فيها؟ قال: عليّ و فاطمة و الحَسَنُ و الحُسينُ»(٤)

---

(١) نور الابصار ص١١٤. ذخائر العقبىٰ ص١٣٠. اسعاف الراغبين ص١٨٢.

(٢) هذا اعتراف صريح من اهل الباطل علىٰ حقانية اهل الحق.

(٣) ذخائر العقبىٰ ص١٣١. نظم درر السمطين ص٢٠٧ و ص٢١٣.

(٤) كنز العمال ج٦ ص٢١٧ ح٣٨١٦. أسد الغابة ج٥ ص٥٢٣.

١٢ـ الحسين عليه السلام مع النبيّ في دَرَجتِهِ

روىٰ احمد و الطبراني و ابن الاثير عن عليٍّ عليه السلام و الحاكم في مستدركه عن ابي سعيد إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام:

« يا فَاطِمَةُ إنِّي و ايّاكِ و هٰذا الراقِد (يعني علياً) و الحَسَنَ و الحُسَينَ يَوْمَ القيامَة لَفي مَكانٍ واحدٍ »[1]

و روىٰ الطبراني عن ابي موسىٰ ان النبي صلى الله عليه وآله قال:

« أنَا و عليٌّ و فاطمَةَ و الحَسَنُ و الحُسَينُ يَومَ القيامة في قُبَّةٍ تَحتَ العَرشْ »[2]

و روىٰ عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

« أنَا و عليٌّ و فاطمَةَ و الحَسَنُ و الحُسَينُ في حَظيرةِ القُدْسِ في قُبَّةٍ بيضاءَ و سَقْفُها عَرْشُ الرحمٰن »

و مثله عن ابي هُريرة[3]

١٣ـ وُجوبُ نُصرَة الحسين عليه السلام

ان هذه المفردة مستفادة بوضوح من الاحاديث السابقة و كذا فيما سيأتي منها، و لو أنَّ امثال عبد الله بن عمر و عبد الله ابن الزبير و غيرهم ممّن تيقنوا عدم شرعية حكومة يزيد، كانوا قد نصروا الحسين عليه السلام، لكان وضع الامة الإسلامية اليوم غير الذي هي عليه و هذه من اكبر الاشكاليات علىٰ اولئك النفر من المسلمين.

---

(١) كنز العمال ج٦ ص٢١٦ ح٣٧٩٣.

(٢) كنز العمال ج٦ ص٢١٧ ح ٣٧٩٨. فرائد السمطين ج١ ص٣٦.

(٣) فرائد السمطين ج١ ص٣٦.

و قد روىٰ أنس بن الحارث بن نبيه ـ و هو احد شهداء كربلاء مع الحسين عليه السلام ـ عن ابيه و هو من صحابة النبي صلى الله عليه وآله و من أهل الصفَّة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول مشيراً الىٰ الحسين الذي كان في حجره:

«إنَّ إبنِيَ هٰذا يُقْتَلُ في أرضٍ يُقالُ لها العِراق فَمَن أدْرَكَهُ فلينصُره»(١)

و رواه السيوطي عن البغوي، ابن عساكر و الباوردي و ابن منده و ابن السكن عن انس بن الحارث بهذا اللفظ:

«إنَّ ابني هٰذا يُقتَلُ بارضٍ مِنَ العراقِ يُقال لَها كربلاءَ فَمَنْ شهد ذلك مِنهُم فلينصُره»(٢)

و روىٰ الخوارزمي في خبر طويل ان الحسين عليه السلام قال لابن عباس: أتَعلَم أني ابن بنت رسول الله؟ فقال اللّهم نعم، لا نعرف في الدنيا أحداً هو ابن بنت رسول الله غيرك و إن نصرك لفرض علىٰ هذه الأمة كفريضة الصيام و الزكاة التي لا تقبل احديهما دون الاخرىٰ فقال الحسين عليه السلام يابن عباس، فما تقول في قولم أخرجوا ابن بنت رسول الله من وطنه و داره و موضع قراره و مولده و حرم رسوله و مجاورته قبره و مسجده و موضع مهاجرته و تركوه خائفاً مرعوباً لا يستقر في قرار و لا يأوي الىٰ وطن يريدون بذلك قتله و سفك دمه و هو لم يشرك بالله شيئا و لا اتخذ دون الله ولياً و لم يتغير عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله و خلفائه من بعده. فقال ابن عباس ما أقول فيهم الاّ أنهم كفروا بالله و رسوله (لا يأتون الصلاة الا و هم كسالىٰ يراؤن الناس و لا يذكرون الله الا قليلاً؛ مذبذبين بين ذلك لا الىٰ هؤلاء و لا الىٰ

(١) أسد الغابة ج١ ص ٣٤٩. الاصابة ج١ ص٦٨ و ص٢٦٦.

(٢) كنز العمال ج٦ ص ٢٢٣ ح٣٩٣٩.

هؤلاء) الآية فعلىٰ مثل هؤلاء تنزل الطبشة الكبرىٰ؛ و اما انت ابا عبد الله فـانك رأس الفخار، ابن رسول الله، و ابن وصيه، و فرخ الزهراء نظيرة البتول، فلا تظن بابن رسول الله بان الله غافل عما يعمل الظالمون، و انا اشهد ان من رغب عـن مجاورتك و مجاورة بنيك، فما له في الآخرة من خلاق، فقال الحسين اللهم اشهـد، فقال ابن عباس جعلت فداك يابن رسول الله كانك تنعىٰ الىٰ نفسك؛ و تريد مني ان انصرك؛ فوالله الذي لا اله الا هو لو ضربت بين يديك بسيفي، حتىٰ ينقطع و تنخلع يداي جميعاً لما كنت ابلغ من حقك عشر العشير؛ وها انا بين يديك فمرني بامرك.

و هذا الخبر طويل و سننقل بغض مقاطعه في الصفحات اللاحقة و في أول هذا الخبر أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **حسين مـقتول فـلئن خذلوه و لم ينصروه ليخذلنّهم الله الىٰ يوم القيامة.** (١)

١٤ـ أوّلُ من يَدخُل الجَنَّةَ

روىٰ الحاكم و ابن سعد عن علي عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إنَّ أوَّلَ مَنْ يَدخُل الجنَّة أنا و أنْتَ و فاطمةَ و الحَسَـنَ و الحُسَـين» قـال علي عليه السلام :فقلتُ : فمحبّونا؟ قال صلى الله عليه وآله : من ورائكم» (٢)

و رواه الطبراني و أحمد بن حنبل في المناقب ايضاً (٣)

---

(١) مقتل الحسين ـ الخوارزمي ـ ف ١٠ ص ١٩١ و ص ١٩٢.

(٢) الصواعق ص ١٥١. ذخائر العقبىٰ ص ١٢٣. كنز العمال ج٦ ص ٢١٦ ج ٣٧٨٧.

(٣) الصواعق ص ١٥٩. ذخائر العقبىٰ ص ١٢٣. كنز العمال ج٦ ص ٢١٨ ح ٣٧٨٧.

١٥ـ القائم عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف من وُلدِ الحَسين عليه السلام

روىٰ حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال:

« لَوْ لَم يبقَ من الدُنيا إلاّ يومٌ واحدٌ لطوّل اللهُ ذلك اليومَ حتّىٰ يَبْعَثَ رَجُلاً من وُلدي اسمُهُ كاسمي. فقال سلمان: مِنْ أيِّ وُلدِكَ يا رسول الله قال: من وُلدِ هذا و ضرب بيده علىٰ الحسين »[١]

١٦ـ القائم عليه السلام هو التاسع مِنْ وُلدِ الحسين عليه السلام

رُوي عن سلمان قال: دخلت عن النبي صلى الله عليه وآله و اذا الحسين علىٰ فخذه و هو يقبل عينيه و يلثم فاه و يقول: « إنك سيد ابن سيد أبو سادة، إنك امام ابن امام ابو ائمة، انك حجة ابن حجة أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم »[٢]

روىٰ الحمويني في خبر طويل عن النبي صلى الله عليه وآله قال: الحسن و الحسين إماما امتي بعد أبيهما و سيّدا شباب أهل الجنة، و أمّهما سيدة نساء العالمين، و أبوهما سيد الوصيين. و من ولد الحسين عليه السلام تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي طاعتهم طاعتي و معصيتهم معصيتي إلىٰ الله اشكو المنكرين لفضلهم و المضيّعين لحرمتهم بعدي و كفىٰ بالله ولياً و ناصراً لعترتي و ائمة امتي و منتقماً من الجاحدين حقهم « و سَيَعلَمُ الذين ظلموا ايَّ منقلبٍ ينقلبون »[٣]

---

(١) ذخائر العقبىٰ ص١٣٧ـ١٣٦. و هناك اكثر من ١٨٠ حديثاً تدل علىٰ هذا المضمون راجع كتاب منتخب الأثر للمؤلف باب٨ ف٢.

(٢) مقتل الخوارزمي ص١٤٦ ف٧. ينابيع المودة ص٤٤٥. مودة القربىٰ ـ المودة العاشرة.

(٣) فرائد السمطين ج١ ص٤٣ـ٤٢. و الاحاديث في هذا الموضوع متواترة فراجع منتخب الأثر للمؤلف باب١٠ ف٢.

١٧ـ ثمرةُ شجرة النبوة

روىٰ الحمويني، السمعاني، القندوزي و الخوارزمي عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفات و عليّ عليه السلام تجاهه فأومىٰ إلىٰ عليّ عليه السلام فأتاه. قال: ادن مني يا علي. فدنا علي منه فقال: اطرح خمسك في خمسي (يعني كفك في كفي) يا علي أنا و أنت من شجرة أنا أصلها و أنت فرعها و الحسن و الحسين أغصانها فمن تعلق بغُصنٍ من أغصانها أدخله الله تعالىٰ الجنة.

يا علي لو أن امَّتي صاموا حتىٰ يكونوا كالحنايا و صلوا حتىٰ يكونوا كالأوتار ثم أبغضوك لأكبّهم الله تعالىٰ في النار. (١)

و روىٰ الكنجي الشافعي عن تاريخ بغداد للخطيب عن علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا أصلها و علي فرعها و الحسن و الحسين ثمرتها و الشيعة و رقها فهل يخرج من الطيّب الاّ الطيب و انا مدينة العلم و عليٌّ بابها فمن أراد المدينة فليأتيها من بابها. (٢)

و الاخبار بهذا المضمون كثيرة.

و قد نظم بعض الشعراء في ذلك فقال:

يا حبذا دوحةٌ في الخلد نابتةٌ ما مثلَها في الخُلدِ من شَجَرِ
المصطفىٰ اصلها و الفرع فاطمةٌ ثمَّ اللقاحُ عليٌّ سيِّد البَشر
و الهاشميان سِبْطاهُ لها ثمرٌ و الشيعةُ الورقُ الملتفّ بالثمر

---

(١) فرائد السمطين ص٣٩. مقتل الخوارزمي ص١٠٨ ف٦. ينابيع المودة ص٩١.

(٢) كفاية الطالب ص٩٨ و ص١٧٨.

أنـــا بحـــبِّهم ارجـــو النـــجاة غـــداً و الفوزُ في زمرَةٍ مِـن أفـضلِ الزُمُـرِ
هـــذا هـــو الخَـبرُ المأثـورُ جـاءَ بـه أهـلُ الروايـة في العـالي مـن الأثَـرِ

١٨ـوديعة الرسول صلى الله عليه وآله

نقل الشبراوي و السبط بن الجوزي ان زيد بن ارقم اعترض علىٰ ابن زياد عندما رآه يضرب ثنايا ابي عبد الله الحسين عليه السلام و قال: إرفع قضيبك، فوالله لطالما رأيت رسول الله يقبل ما بين هاتين الشفتين. و بكىٰ زيد فاغلظ عليه ابن زياد و هدده بالقتل و قال: لولا انك شيخ قد خرفت لضربت عنقك. فنهض زيد بن ارقم من مجلس ابن زياد و هو يقول: ايّها الناس انتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة و وليتم ابن مرجانة و الله ليقتلن أخياركم و ليستعبدنَّ سراتكم فبعداً لمن رضي بالذل و العار ثم التفت راجعاً لابن زياد و قال:

لاحدثنّك بما هو اغيظ عليك من هذا، رايت رسول الله اقعد حسناً علىٰ فخذه اليمنىٰ و حسيناً علىٰ فخذه اليسرىٰ، ثم وضع يده علىٰ يافوخهما ثم قال:

«اللهمَّ اني استودعتك ايّاهما و صالح المؤمنين.» فكيف كانت وديعة النبي عندك يابن زياد. قال: فغضب ابن زياد و همَّ بقتله.

و روىٰ هذا الدعاء السيوطي و المناوي نقلاً عن الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وآله(١).

---

(١) الاتحاف ص١٧. تذكرة الخواص ص٢٦٧. كنوز الحقائق ج١ ص٤٣. كنز العمال ج٦ ص٢٢١ ح٣٩٠٦.

١٩ـ دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله في حق الحسين عليه السلام

روىٰ الطبراني عن وائلة أنَّ النبي صلى الله عليه وآله دعا في حق علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام فقال:

اللّهمَّ إنَّك جعَلْتَ صَلَواتكَ و رَحمتَكَ و مَغفِرَتَكَ علىٰ إبراهيمَ و آل ابراهيم اللّهمَّ إنّهم منّي و أنا مِنْهُمْ فاجْعَلْ صلواتكَ و رَحمتَكَ و مغفرتكَ و رضوانَكَ عَلَيَّ و عليهِمْ (يعني علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً)[١]

٢٠ـ اشتقاق اسم الحسين عليه السلام من اسم الله تعالىٰ

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال:

لما خلق الله تعالىٰ آدم أبو البشر و نفخ فيه من روحه التفت آدم يمينة العرش فاذا في النور خمسة اشباح سُجَّداً ركَّعا. قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم. قال: فمن هؤلاء الخمسة الاشباح الذين أراهم في هيئتي و صورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولا هم ما خَلقتك. هؤلاء شققت لهم خمسة اسماء من اسمائي. لولاهم ما خلقت الجنة والنار، و لاالعرش و لاالكرسي و لا السماء و لا الأرض و لا الملائكة و لا الانس و لا الجن، فانا المحمود و هذا محمد، و أنا العالي و هذا علي، و أنا الفاطر و هذه فاطمة، و أنا الاحسان و هذا الحسن و أنا المحسن و هذا الحسين، آليت بعزتي انه لا ياتيني أحدٌ بمثقال ذرة من خردل من بغض أحدهم إلاّ أدخلته ناري و لا ابالي. يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم انجيهم و بهم

---

(١) كنز العمال ج٦ ص٢١٧ ح٣٨٠٧.

أهلكهم ، فاذا كان لك الىَّ حاجة فبهؤلاء توسل .

فقال النبي صلى الله عليه وآله نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجا و من حاد عنها هلك فمن كان له الىٰ الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت . (١)

و روىٰ سلمان الفارسي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

أنا و علي بن أبي طالب من نور الله عن يمين العرش نسبح الله و نقدسه من قبل أن يخلق الله عزوجل آدم باربعة عشر ألف سنة ، فلما خلق الله آدم نقلنا إلىٰ أصلاب الرجال و أرحام النساء الطاهرات ، ثم نقلنا إلىٰ صلب عبد المطلب و قسمنا نصفين فجعل نصفاً في صلب أبي عبد الله ، و جعل النصف الآخر في صلب ابي طالب ، و اشتق الله تعالىٰ لنا من أسمائه أسماءً فالله عزوجل محمود و أنا محمد ، و الله الأعلىٰ و أخي علي ، و الله الفاطر و ابنتي فاطمة ، و الله محسن و ابناي الحسن و الحسين ، و كان اسمي في الرسالة و النبوة ، وكان اسمه في الخلافة و الشجاعة ، و أنا رسول الله و علي ولي الله » . (٢)

---

(١) فرائدالسمطين ص٢٦ـ٢٥.

(٢) فرائد السمطين ص ٣٠. ان امثال هذه الأحاديث تعدُّ اشارة الىٰ مقام هؤلاء الخمسة الاطهار و انهم متأدبون بالادب الالهي و ان تربيتهم تربية الهية و ان اخلاقهم هي اخلاقٌ الهية ، و كما ان الاسم يدُلُّ علىٰ المسمىٰ فكذلك اسماؤهم المشتقة من الحق جلّ و علا تدلّنا عليه سبحانه و تعالىٰ ، كما ان ذلك يدل علىٰ ارتباطهم الوثيق بعالم الغيب و قد ورد في الخبر عنهم عليهم السلام : « نحن و الله الاسماءُ الحُسنىٰ » ، و الموجودات و إن كانت كلها اسماء الحق تعالىٰ لكن هذه الانوار الخمسة المقدسة تمتاز بمقام شامخ و ان دلالتها علىٰ المسمىٰ دلالة أظهر و أوضح من سائرها ، و اما سبب تعدد اسماءهم فشرحه خارج عن اطار هذا الكتاب .

٢١ـ إرث الحسنين عليهما السلام من النبي صلى الله عليه وآله

ورث الحسنُ و الحسينُ عليهما السلام كمالات النبي صلى الله عليه وآله العلمية و الروحية و الاخلاقية و الجسدية. و لقد كان المسلمون يرون في الحسين عليه السلام التجسيد الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله في سماته و سلوكه و اخلاقه و روحانيته.

و لا عجب في ذلك بعد أن تبين لنا ان النبي الاكرم صلى الله عليه وآله كان للحسن والحسين عليهما السلام الحجر الشفيق الرؤوف العطوف و المعلم المخلص و الاب الرحيم. كان يُحبها و يشمَّهُما و يقبّلها و يمصُّ لسانها و يحملها علىٰ كفته المبارك و يقول: إنَّهما ريحانتاي.

و كان صلوات الله عليه يحتضنُهُما كوُلده ويتأذىٰ لبكائهما و يضعهما الىٰ جنبه الشريف و علىٰ صدره، و يلتذ من سماع إسمهما، و يصطحبهما معه الىٰ السوق و المسجد والدار. و كان يهتمُّ لامر هما حتىٰ و هو في حال الصلٰوة أو الخطبة.

و الاخبار المروية في كتب اهل السُنَّة المعتبرة، كلها حاكية عن هذا اللطف و الرعاية النبوية و لاعواطف الابوية.

و هذه الاحاسيس و العواطف النبوية و ان كانت تُعدُّ نموذجاً لتواضع النبي صلى الله عليه وآله و بساطته في العيش، الاّ أنها في نفس الوقت تحكي عن تمركز العواطف الابوية الشديدة و الجيّاشة تجاه الحسن و الحسين و فاطمة عليهم السلام. لانها عواطفٌ صادرة عن رسول الله الذي هو في غاية الاعتدال و الاستقامة في كل الكمالات، و الحب و الرضا لا يجعلانه يبالغ في وصف الاخرين و لوبكلمة واحدة، بل انَّ لياقة الحسنين و علو شأنهما و صلاحيتهما هي التي دعت النبي صلى الله عليه وآله الىٰ وصفهما بتلك الاوصاف و الىٰ صبّ محبَّته و لطفه فيهما، فلم تكن المسألة مجرد احاسيس

أبويّة عارية عن الحقيقة و المصداقية، بل كان النبي صلى الله عليه وآله يرىٰ في سيماهُم سرّاً إلهيّاً كشف عنه النبي صلى الله عليه وآله بوصفه ايّاهم بتلك الكلمات.

و بحسب ما جاء في احاديث الثقلين الشريفة، و احاديث «إمامان قاما أو قعدا» و أحاديث «السفينة» و غيرها و هو كثير و قد اوردناها في كتابنا الذي ألّفناه في إثبات حجية فقه الشيعة و دلالتها الواضحة و الصريحة، بحسب كل ذلك يثبت ان الحسن و الحسين عليهما السلام هما وارثا علوم النبي صلى الله عليه وآله وكلٌ منهما هو الإمام و القائد الحقيقي للامة و وصي النبي هو ان يكون ميزاناً لتعادل و إعتدال الامور، اي ان يكون مركزاً و محوراً لطلاّب الحقيقة و الهُدىٰ و دليلاً للسائرين في قافلة النجاة كي لا يتخلف عن القافلة احدٌ فيضل و لا يتقدم عنها احدٌ فيضيع، و الىٰ هذا المعنىٰ اشار رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله في ذيل بعض نقولات حديث الثقلين الصحيحة:

«فلا تَقدِموهُما فَتهلكوا و لا تَقْصُروا عَنهُما فَتَهلكُوا و لاتُعلّموهُمْ فانّهُمْ أعْلَمُ منكُمْ»(١)

اذن فالإمام الحسين عليه السلام هو وارث علم و كمال رسول الله صلى الله عليه وآله بلا شك، و أن جميع الناس فقراء الىٰ علمه و معرفته افتقارهم لعلم و معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

هذا و قد جاء في روايات متعددة ذكرتها الكتب المعتبرة أنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت بالحسن و الحسين الىٰ رسول الله في مرضه الذي توفي فيه و طلبت منه ان يورِّثهما، فقال:

أمّا الحَسنُ فَلَهُ هَيبَتِي وَ سُؤدَدي. و أمّا الحُسين فَلَهُ جُرأَتي و جُودِي. (٢)

---

(١) الصواعق المحرقة ص١٤٨.

(٢) نظم درر السمطين ص٢١٢. الاصابة ج٤ ص ٣١٦ وص٤٨١. ذخائر العقبىٰ ص١٢٩. الصواعق ص١٨٩. كفاية الطالب ص٢٧٧.

و هذه الاحاديث انما تكشف عن جانب صغير من الكمالات الاخلاقية و الروحية التي ورثها الإمام الحسن و الإمام الحسين عليهما السلام من جدّهما.

و السرُّ في هذا الاختلاف في التعابير هو اختلاف الظروف الخاصة بكل واحد من الحسنين في قيادة الامة و جاءت احاديث النبي الاكرم مصدِّقةً لسلوكهما مع الامة، كلٌ بحسب عصره و ليعلم الناس أنَّ مصدر هذين الاسلوبين في القيادة واحدٌ و هو التكليف الديني و الارشاد النبوي المتلقىٰ من الوحيٰ و الذي امرهما به النبي الاكرم، و لا يتخلف سلوكهما أيّا كان عن سلوك رسول الله صلى الله عليه وآله لان الحسن و الحسين عليهما السلام كلاهُما جامعٌ لكمالات المصطفىٰ و وارث لاخلاقه و كلاهما حافظ للدين و القرآن المبين.

الإخبار باستشهاد الحسين عليه السلام(١)

من جملة معجزات النبي المصطفىٰ المهمة هي اخباراته و تنبؤاته عن المستقبل و احداثه، و التي حفظتها لنا الاسناد و الوثائق التاريخية المعتبرة، و ان من له إطلاع علىٰ تاريخ الإسلام سوف لن يتردد أو يشكك في تلك الاخبارات، ذلك أنها قد تحققت بحذافيرها. و في زمننا المعاصر، و بسبب سيطرة الافكار المادية علىٰ الناس، و ضعف الارتباط بعوالم الغيب، و التشكيك بعالم الحقائق و كثرة الاهتمام بالظواهر و التجمُّلات و الانغماس بالملذات في الماكل و الملبس و المشرب، قلَّ التأمل و التفكير في هذه العوالم و الحقائق، و ان اكبر ما يشغل بال البشرية الماديّة هو الاكل و الشرب و اللباس و الالتذاذ الجنسي، و من أجل هذه التوافه تراهم يُشعلون الحروب و يُجَيِّشُون الجيوش، و يرتكبون المجازر الجماعية و يقترفون آلاف المظالم و الجنايات للوصول الىٰ غايتهم تلك.

فالبشرية اليوم تعتبر كل الامور مقدمات لهذه المتطلبات المادية الثلاث، و اذا نادت ـ كذبا او صدقا ـ بالحريات و الاستقلال و السياسة و العدالة و القانون و

(١) بعد كتابة هذا الفصل وصلني مقال عن عالم الفيزياء المسمىٰ «روبرت موريس بيج» تحت عنوان «امتحانٌ ناجح» في كتاب «اثبات الله» في الصفحة ٢٥، يحاول المؤلف فيه اثبات وجود الله عن طريق صحة و تحقق تنبؤات الانبياء. و لو ان هذا العالم الذي سجل لنفسه ٣٧ اختراعاً و وفق لنيل جوائز كبيرة، كان قد اطلع علىٰ تاريخ الإسلام و تنبؤات و اخبارات النبي الاكرم المستقبلية، لكان ايمانه بالله اقوىٰ و آكد.

المساواة و رعاية الحقوق و حبّ الوطن و نشر العلم و الثقافة و تأسيس الجامعات و الكليّات و المعاهد و المصانع و الشركات و مكافحّة الرجعية و الدعوة الىٰ التقدمية و... الخ فكل ذلك انما هو للوصول الىٰ تلك المطالب الثلاثة، المأكل و الملبس و الجنس و سدِّ حاجتها منها. و من هنا نجد أن الانسان لن يصل الىٰ الاستغناء أبداً، بل تزداد رغباته و احتياجاته يوماً بعد آخر.

إن الاكل و الشرب و الالتذاذ الجنسي امرٌ مشترك بين كل البشر و كل الحيوانات و لكنه ليس قدراً مشتركاً جامعاً للبشرية حول محور واحد يمنعها من التجاوز علىٰ بعضها البعض، و لا يمكنه ان يُخمدُ نيران الحرص و الطمع التي تسعر اوارها في نفس البشرية. و هذا القدر المشترك لا يثني احداً من الناس عن التفكير بالاكثار من الاسترباح باي وسيلة كانت حتىٰ بغصب حقوق الآخرين و نهب اموالهم.

و لسنا في هذا المقام بصدد بيان مضار و عواقب المدنيّة المجرّدة عن الإنسانية و أنها لا تتناسب مع شأن و مقام الإنسان و الهدف من خلقه، و أنها عاجزة عن حلِّ مشاكل البشرية، فان كل ذلك يحتاج الىٰ بحث مفصل، و انما غرضنا الحالي هو أن نبيّن ان البشر اليوم قد غرق في مستنقع الماديات، يسبحُ من اجل التمتع بالحظوظ الحيوانية، و انه يتخبط في الظلمات الىٰ درجة الغفلة عن انوار الحقائق و مصابيح عوالم ماوراء المادة، و إذا كان بعض الناس يرون بصيصاً ضعيفاً لتلك الانوار و الحقائق فان انشغالهم بامور الدنيا يؤدي بهم الىٰ نسيان مصدر ذلك النور و جهته فَيبقَوْنَ تائهين في ظلماتٍ و ظلمات.

إنَّ إدراك و فهم الانسان المعاصر، راقٍ الىٰ درجة أنه و علىٰ الرغم من إنغماسه بالمادة و الامور الدنيوية و علىٰ الرغم من إنَّ زخارف الدنيا تبهر نظره،

تترشح منه أحياناً حقائق كبيرة، الا انَّ الماديات و قواه الحيوانية و نزعاته الهامشية تطغىٰ عليه فتغطي تلك الافرازات الفكرية و تحجبها فلا تعُدُّ مؤثرة في حياته و لا تقدر علىٰ تمزيق تلك الستائر السميكة التي نسجتها دوافعه المادية.

فاذا لم تكن تلك الحُجُب و الستائر الغليظة، و اذا كان الناس اليوم يستغلّون تلك الملكات الاخلاقية العالية، و اذا كان هناك منهج و اطروحة اخلاقية صحيحة، لتعاضدت النهضة الصناعية مع المنهج الاخلاقي المعنوي الصحيح و تمكنا من صناعة دنيا آمنة سعيدةً مستقرةً هادئة.

و لكي يقبل الإنسان المعاصر مناهج الانبياء الاصلاحية فكرياً و مادياً عليه أن يطالع بدقّة حياة الانبياء و سيرتهم ليقف علىٰ بعض المواقف التي تعتبر أدلة إطمئنان معقولة للهداية و الفلاح.

و تاريخ الأنبياء الماضين و إنْ لم تكن جزئياته بل و حتىٰ بعض الخطوط العامة له، مضبوطة و مدونة و محفوظة و إنْ بقى منها شئٌ فانه قابل للنقاش، و لكن تاريخ نبينا الاكرم محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله و ائمة الهدىٰ أوصياؤه و تلامذته، بقي واضحاً محفوظاً مسنداً بالوثائق و المدارك المعتبرة الصادقة، مما يُمكِّنُ المحققين و العلماء من الوصول الىٰ حقائق قيمة فيما يرتبط بالنبوة و الوحي و فلسفة بعث الانبياء.

فاحوال و اخلاق النبي الاكرم محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله و حروبه و صُلحه و سائر ملامح حياته الشريفة، و تاريخ حياة والديه و اجداده و جدّاته و اقاربه و قومه و قبيلته و أصحابه، كلها محفوظة مدونة و معلومة مسندة، و إنَّ بعضها يُعدُّ فوق المعتبر من جهة القيمة السندية، اذ أنّه مقترنٌ بشواهد و قرائن توجب اليقين عندنا الىٰ درجة الاحساس بمعاصرة ذلك الزمن و العيش فيه، و بعضها قد وصل الينا عن طريق أسانيد متواترة كثيرة جداً الىٰ حدِّ الاطمئنان.

و من جملة الامور التي تفرض علينا القبول و الاطمئنان هو ما يرتبط بموضوعنا و هو الاخبار عن المستقبل و التنبؤ باحداثٍ تحققت بلا زيادة و لا نقصان، و هو ما يسمىٰ بالإخبارات الغيبية.

فكل من طالع تاريخ الإسلام، لن يشكّ أبداً بأنَّ الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله قد أخبر عن احداث و وقائع مستقبلية، قد حدث قسم منها في فترة حياته و تحقق قسم منها بعد التحاقه بالرفيق الاعلىٰ كما أخبر، و إنَّ مثل هذه الموارد تتعدىٰ العشرات بل المئات من القضايا، و إنَّ هذه الاخبارات تورث اليقين خاصة بضم القرائن و الشواهد اليها بعد أنْ ثبت صدورها عنه صلوات الله عليه و آله بالقطع و التواتر.

و من جملة تلك الإخبارات، مقتل عمار بن ياسر (رضوان الله تعالىٰ عليه) علىٰ يد الفئة الباغية، فمهما كان الإنسان مشككاً الا انه سيذعن بقبول خبر مقتل عمّار الذي صرح ابن حجر و غيره بتواتره، مضافاً الىٰ وجود القرائن و الشواهد الباعثة علىٰ الاطمئنان له. فكتب السيرة و الحديث و تراجم الصحابة و غيرها، ذكرت و روت عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لعمّار: « **تَقْتُلكَ الفِئَةُ الباغيةُ** »

و قد تكرر ذلك القول من النبي صلى الله عليه وآله حين بناء المسجد النبوي الشريف في المدينة، و في وقت حفر الخندق فيما كان عمارٌ سبّاقاً في العمل، و في مواضع اخرىٰ، و قد رُوي ذلك الخبر في بعض اسانيده بهذا النحو:

« تقتُلكَ الفئةُ الباغيةُ تدعُوهم الىٰ الجنَّة و يدعوكَ الىٰ النار »

و في بعضها:

« تقتُلكَ الفئةُ الباغيةُ و قاتلُكَ في النار »

و في بعضها الأُخر:

«تَقْتُلُ عمّارَ الفِئَةُ الباغيةُ»(١)

إنَّ هذا الخبر كان معروفاً عند المسلمين عامةً بل و حتىٰ عند المنافقين، و من هنا فان عمر بن العاص إضطرب كثيراً عندما سمع بمقتل عمّار الذي يقاتل الىٰ صف سيد الولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فجاء (اي عمرو) الىٰ معاوية قائلاً: لقد قُتِلَ عمّار!!

فقال معاوية: ثمّ ماذا؟

فقال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «تَقْتُلُ عمّارَ الفِئَةُ الباغيةُ». فاضطرّ معاوية الىٰ الاحتيال للتخلص من تبعة دم عمار أمام جيشه و تضليلهم فقال: إنّما قتل عمّار من أخرجه من داره!!

و عندما وصل هذا التضليل الىٰ اسماع علي عليه السلام قال:

علىٰ هذا يكون رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة(٢)

و عندما استشهد عمّار نزل خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين) الىٰ ساحة المعركة و كان في جيش علي عليه السلام لكنه الىٰ ذلك الوقت لم يقاتل، و قد كان مقتل عمار علىٰ يد الفئة الباغية دليلاً قاطعاً لخزيمة علىٰ حقانية علي عليه السلام و كان خزيمة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص ٧٦. سيرة ابن هشام ج٢ ص ١١٤. أسد الغابة ج٤ ص ٤٧ وج٢ ص١١٤. الاصابة ج١ ص٤٢٦ و ج٢ ص٥١٢ ٥٧٠٤. الاستيعاب ج١ ص ٤١٨ و ج٢ ص ٤٤٨١. كنوز الحقائق ج١ ص١٠٨ و ج٢ ص١٧. الجامع الصغير ج٢ ص٦٦. و في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٨ طبعة مصر ص٢٧١١. و قد نقل بن مزاحم حكاية في هذا المجال يتعسر علينا ذكرها هنا لتحاشي التطويل، و لكننا نوصي القرّاء الاعزاء بالرجوع اليها للوقوف علىٰ صحة هذا الحديث و ثبوته، و لكي يتضح كيف ان معاوية وقف ضد الإمام الحق مع انه كان يعلم و كذا المحيطين به انهم علىٰ الباطل.

(٢) راجع السيرة الحلبية ج٢ ص ٧٨.

« عمّارٌ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغيةُ »(١)

و كان « ذو الكلاع » أحد قادة جيش معاوية ، و اميراً علىٰ اربعة آلاف فارس ، فقال يوماً لمعاوية : كيف تقاتل علياً و معه عمار؟

فقال معاوية : سيعود عمّار الينا و يقتلُ معنا .

و صادف ان قتل « ذو الكلاع » قبل استشهاد عمّار ، فقال معاوية : لو كان ذو الكلاع حيّا لاخذ نصف العسكر معه الىٰ علي"(٢)

عندما نراجع كتب التاريخ ، فكما اننا لا نشك بأصل وجود عمّار وياسر و سميّة ، فكذلك لا نشك باخبار النبي صلى الله عليه وآله بقتل عمار ، و كما اننا علىٰ يقين من قتل عمار في صفين بيد جيش معاوية كذلك نحن علىٰ يقين من أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قد اخبر بشهادته كذلك ، و قد اعترف عمرو بن العاص و معاوية بهذه الحقيقة أيضاً . (٣)

و نظير هذا الخبر ، اخبارات غيبية اخرىٰ وردت عن النبي صلى الله عليه وآله و هي مشهورة و مسلَّمة كاخباره ـ صلوات الله عليه و آله ـ إن اوّل الناس لحوقاً به من اهل بيته هي ابنتُه فاطمةَ الزهراء عليها السلام و كذلك اخباره بخروج عائشة و نباح كلاب الحوأب عليها ، و إخباره بقتال أمير المؤمنين علي ابن ابى طالب عليه السلام للناكثين و

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٨. اسد الغابة ج ٤ ص ٤٧ و ج ٢ ص ١١٤. الاصابة ج ١ ص ٢٢٥١ـ٤٢٦. و ذكر هذه الأبيات لخزيمة :

إذا نحنُ بايعنا عليّاً فحسبُنا أبو حَسَن ممّا نَخافُ مِنَ الفِتَنْ
و فيه الذي فيهمْ من الخير كُلِّهِ و ما فيهِمُ بعضُ الذي فيهِ مِنْ حَسَنْ

الاستيعاب ج ١ ص ٤١٨.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٨.

(٣) يقول ابن عبد البر في الاستيعاب : تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله : « تَقْتُلُ عمّارَ الفِئَةُ الباغيةُ » و هذا الحديث من اصحّ الأحاديث و من الاخبار الغيبية الدالة علىٰ نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله .

القاسطين و المارقين و إخباره باستشهاد علي عليه‌السلام و اخباره بارتداد بعض الصحابة و اخباره بفتوحات المسلمين و غير ذلك من الاخبارات، نكتفي بما نقلناه مراعاةً للإختصار، و نضيف ان هذا دليلٌ و برهانٌ علىٰ صحة ادّعاء النبوة من رجل لم يدرس عند أحد و يُخبر عن الغيب و تتحقق اخباراته بعد ثلاثين أو اربعين او ستين سنة؛ بل و حتىٰ بعد الف سنة و اكثر و اقل. و هذا لوحده كافٍ لذوي الايمان و البصيرة لاثبات نبوة الرسول الاكرم محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله و اثبات نبوات الانبياء و ارتباطهم بالسماء.

و من جملة اخبارات النبي محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله بالمغيبات هو اخباره باستشهاد ولده الإمام الحسين عليه‌السلام و الذي وردت فيه روايات متعدده بطرق اهل السنّة في تواريخهم وكتبهم الحديثية و تراجمهم فضلاً عن ورودها بطرق الشيعة و علمائهم، و هذا يدعم صحة تلك الاخبارات و يثبتها، مضافاً الىٰ انه يجعلها متواترة بالمعنىٰ.

و قد ذكّرنا ببعض تلك الروايات فيما مضىٰ، و نضيف هنا بعض الروايات الواردة في مصادر معتبرة جداً عند السنة:

١ـ روىٰ ابن سعد و الطبراني عن عائشة أنَّ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله قال:

«أخْبَرني جبرَئيلُ أنَّ الحُسَين يُقتلُ بَعدِي بارضِ الطفِّ و جاءني بهذِهِ التُربَةِ فاخبرني أنَّ فيهامضجعَهُ»

و في الملاحم روىٰ هذا الحديث بتفصيل زائد، و رواه الخليلي في الارشاد عن عائشة و امسَلَمة بهذااللفظ:

«إنّ جبرئيلَ أخبرني أنّ إبني الحُسَينُ يُقْتَلُ و هذه تربةُ تِلكَ الارض»

و في سندٍ آخر عن عائشة، قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله:

«إنَّ جبرئيلَ أراني التُربَةَ التي يُقْتَلُ عليها الحُسينُ فاشتدَّ غَضَبُ الله علىٰ من

يَسفِكُ دَمَهُ »(١)

٢ـ روىٰ ابو داود و الحاكم عن امّ الفَضل بنت الحارث أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال:

« أتاني جبرَئيلُ فأخبرني أنَّ أُمّتي سَتَقتُلُ إبني هذا « يعني الحسين » و أتاني تُربةً من تُربَةٍ حمراء »(٢)

٣ـ روىٰ الطبراني و ابو يعلى عن زينب بنت جحش عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال:

« إنَّ جبرئيلَ أتاني و أخبرني أَنَّ ابني هذا تَقْتُلُهُ أُمَّتي قلتُ: فأرِني تُربتَه، فاتاني بتُربةٍ حمراء »(٣)

٤ـ روىٰ أحمد ابن حنبل ان النبي الاكرم صلى الله عليه وآله قال:

« لَقَد دَخَلَ عَلَيَّ البَيتَ مَلَكٌ لم يَدخُل عليَّ قبلَها فقالَ لي: ان إبْنَكَ هَذا حُسيناً مقتولٌ و ان شئتَ أَرَيتكَ من تُربةِ الارضِ الّتي يُقتَلُ بها قال: فأخرَجَ تُربةً حمراءَ »(٤)

٥ـ و روىٰ ابن سعد عن امسلمة ان النبي صلى الله عليه وآله قال:

« أخبرني جبرئيلُ بانّ ابنيَ الحسين عليه السلام يقتل..».

و روىٰ ابن عساكر عن امسلمة الحديث بهذا اللفظ:

« إنَّ جبرئيلَ أخبرني أنَّ ابني هٰذا يُقتلُ فاشتدَّ غَضَبُ اللّهِ علىٰ مَنْ يَقتُلُه »(٥)

---

(١) الصواعق ص١٩٠ و ص١٩١. كنزالعمال ج٦ ص ٢٢٣ حديث ٢٩٤.

(٢) الصواعق ص١٩٠. مقتل الخوارزمي ص١٥٦ ف٧.

(٣) كنز العمال ج٦ ص٢٢٣ حديث ٣٩٤٤.

(٤) الصواعق ص١٩٠.

(٥) كنز العمال ج٦ ص٢٢٣ حديث ٣٩٣٦ و حديث ٣٩٤١.

و عن عبد الله ابن يحيىٰ عن أبيه إنَّه سافر مع علي عليه السلام و كان علىٰ مطهرته فلما حاذىٰ بيوتنا و هو منطلقٌ الىٰ صفين فنادىٰ علي عليه السلام :

« صَبراً يا أبا عبد الله صبراً يا أبا عبد الله صبراً يـا أبـا عـبد الله بشـاطئ الفُرات » ،

فقلت له :ماذا أبا عبد الله؟ فقال : دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله و عيناه تفيضان . قال : قام من عندي جبرئيل عليه السلام قبل و حدّثني أنَّ الحسين يُقتل بشط الفرات . قال : فقال : هل لك الىٰ ان أشمَّك من تربته؟ فقلت : نعم . فمدَّ يَدَه فقبض قبضةً من تراب فأعطانيها فلم أملك عينيّ أنْ فاضتا . (١)

و رواه أحمد بن حنبل و ابن الضحاك عن علي عليه السلام كما رواه عبد الله بن يحيىٰ عن أبيه عن علي عليه السلام .

٧ـ روىٰ الخوارزمي ان البيهقي نقل في تاريخه ان النبي صلى الله عليه وآله قال للحسين عليه السلام :

« إنَّ لك في الجنّة دَرَجَةً لا تَنالُها إلاّ بالشهادة »

قال ابو علي السلامي: و من هنا كان الحسين عليه السلام و حينما اجـتمعت عـليه ١الجيوش علم انه سيُقتل و لذا فانه صبر علىٰ ذلك و لم يجزع الىٰ ان استشهد عليه افضل السلام . (٢)

٨ـ روىٰ السبط ابن الجوزي : لما وصل الحسين عليه السلام أرض كربلاء قال :

« ما يقال لهذه الأرض فقالوا كربلاء و يقال لها أرض نينوىٰ قرية بها فبكىٰ و قال : كرب و بلاء أخبرتني أُم سلمة قالت : كان جبرئيل عند رسول الله صلى الله عليه وآله و أنت

---

(١) الصواعق ص١٩١ . ذخائر العقبىٰ ص١٤٨ . تذكرة الخواص ص٢٦٠ .

(٢) مقتل الخوارزمي ص١٧٠ ف٨ .

معي فبكيت فقال رسول الله : دعي ابني فتركتك فأخذك و وضعك في حجرة فقال جبرئيل أتحبُّه؟ قال نعم . قال فان أُمتك ستقتله . قال و إن شئت أن أريك تربة أرضه التي يقتل فيها . قال نعم .قالت فبسط جبرئيل جناحه علىٰ أرض كربلاء فأراهُ إياها .

فلما قيل للحسين عليه السلام هذه أرض كربلاء شمها و قال هذه و الله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله و إنني أقتل فيها .

و في رواية قبض منها قبضة فشمها و قد ذكر ابن سعد في الطبقات عن الواقدي بمعناه . (١)

و روىٰ ابن بنت منيع حديثين في هذا الباب عن ام سلمة(٢)

٩ـ ذكر ابن الاثير و الطبري و آخرون عن رجل من بني فزاره قال:

لما كان زمن الحجّاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التّمّارين ، التي أقطعت بعد زهير بن القَيْن ، من بني عمرو بن يَشكرَ من بَجيلة ، و كان اهل الشام لا يدخلونها ، فكنا مُخْتَبِئين فيها ، قال : فقلت للفَزاريّ: حدّثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن عليّ؛ قال : كنا مع زهير بن القيْن البَجَليّ حين أقبلنا من مكة نساير الحسين ، فلم يكن شيءٌ أبغض إلينا من أن نسايره في منزل ، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القَيْن ، و إذا نزل الحسينُ تقدّم زهير ، حتىٰ نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بُدّاً من أن ننازله فيه ، فنزل الحسين في جانب ، و نزلنا في جانب ، فبينا نحن جلوس نتغدىٰ من طعام لنا ، إذ أقبل رسولُ الحسين حتىٰ سلّم ، ثم دخل فقال:

---

(١) تذكرة الخواص ص٢٦٠ـ٢٥٩ .

(٢) ذخائر العقبىٰ ص١٤٨ـ١٤٧ .

يا زهير بن القَيْن، إنّ أبا عبد الله الحسين بن عليّ بعثني إليك لتأتيَه، قال: فطرح كلّ إنسان ما في يده حتىٰ كأننا علىٰ رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدّثتني دَلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القَيْن، قالت: فقلت له: أيبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه! سبحان الله! لو أتيتَه فسمعتَ من كلامه! ثم انصرفت؛ قالت: فأتاه زهير بن القَيْن، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهُه؛ قالت: فأمر بفسطاطه و ثَقَله و متاعه فقُدّم، و حُمل إلىٰ الحسين، ثم قال لأصحابه: مَنْ أحبّ منكم أن يتبعني و إلا فإنه آخر العهد، إني سأحدّثكم حديثاً، غَزوْنا بلَنْجَر ،ففتح الله علينا، و أصبنا غنائم، فقال لنا سَلمان الفارسيّ: أفرِحتم بما فتح الله عليكم، و أصبتم من الغنائم! فقلنا: نعم، فقال لنا: «إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا اشدّ فرحاً بقتالكم معهم مما أصبتم من الغنائم»، فأمّا أنا فإنيّ أستَودعكم الله. قال: ثم و الله مازال في أوّل القوم حتّىٰ قُتل.

و عبارة إبن الاثير هي:

«إذا أدركتم سيِّد شباب آل محمد فكونوا اشدَّ فرحاً بقتالكم مَعَهُ بما أصبتم اليومَ من الغنائم».

و ذكر الطبري «سلمان الباهليّ» بدلاً من سلمان الفارسيّ و هو الاصح اذ ان سلمان الباهلي هو الذي قُتل في بَلنجر.(١)

١٠ـ روىٰ ابن الاثير عن غرفة الأزدي و كان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من اهل الصفّة قال:

دخلني شكٌ من شأن علي عليه السلام فخرجنا مع علي عليه السلام إلىٰ شاطئ الفرات فعدل

(١) سموّ المعنىٰ ص ١٤١. الكامل ج ٣ ص ٢٧٨ـ٢٧٧. الطبري ج ٤ ص ٢٩٩.

عن الطريق و وقف وقفنا حوله فقال و أومأ بيده: هذا موضع رواحلهم و مناخ ركابهم و مهراق دمائهم بأبي من لا ناصر له في الأرض و لا في السماء إلاّ الله فلما قتل الحسين عليه السلام خرجت حتىٰ اتيت المكان الذي قتلوا فيه فاذا هو كما قال ما أخطأ شيئا. قال: فاستغفرت الله مما كان مني من الشك و علمت أنَّ عليا عليه السلام لم يقدم إلاّ بما عهد اليه فيه.[1]

١١ـ رُوي عن سويد بن غفلة حديثٌ أن رجلا أتىٰ أمير المؤمنين عليه السلام و قال: عبرت وادي القرىٰ و قيل لي أن خالد بن عرفطة قد مات فاستغفرت له و قال له علي أمير المؤمنين عليه السلام لا يموت حتىٰ يقود جيشا ضالاً و صاحب رايته حبيب ابن حمار.

فقام رجل إليه و قال: يا أمير المؤمنين أنا أحبك و أنا حبيب بن حمار. فقال له علي عليه السلام إنك ستكون حامل رايته و ستدخل برايتك من هذا الباب و أشار إلىٰ الباب الذي كان أمامه.

و ما أن مرّت الأيام حتىٰ أرسل إبن زياد عمر بن سعد لحرب الحسين عليه السلام و كان خالد بن عرفطة أحد قادة الجيش و حبيب بن حمار صاحب لوائه و وردا من نفس الباب الىٰ مسجد الكوفة و صح بذلك إخبار أمير المؤمنين عليه السلام.[2]

١٢ـ روىٰ «الملاّ» إنَّ علياً عليه السلام لما مرَّ بمكان قبر الحسين عليه السلام قال:

«هٰهُنا مَناخُ رِكابِهِمْ و هٰهُنا مَوضُعُ رحالهم و هٰهُنا مَهراقُ دمائِهِمْ فتيةٌ مِنْ

---

(١) اسد الغابة ج ٤ ص ١٦٩.

(٢) الاصابة ج ١ ص ٤١٠ ـ ٢١٨٢. و هذا الحديث نقله صاحب الاصابة عن ارشاد الشيخ المفيد و لمّا لم يُعلّق عليه ظهر لنا أنه معتبر عنده. و في الارشاد (حبيب ابن حماد) بدل حمار.

آل مُحَمَّدٍ يُقتلونَ بِهذِهِ العَرَصَةِ تبكي عَلَيهُم السماءُ و الأرض »[١]

و روىٰ هذا الحديث، الحافظ عبد العزيز الجنابذي في «معالم العترة الطاهرة» عن الاصبغ بن نباته عن علي عليه السلام باختلاف طفيف في الالفاظ.[٢]

١٣ـ قال ابو حنيفة الدنيوري لمّا ورد الحسين عليه السلام و اصحابه الىٰ كربلاء فوقف الحر و أصحابه امام الحسين و منعوهم من المسير و قال انزل بهذا المكان فالفرات منك قريب. قال الحسين عليه السلام و ما اسم هذا المكان؟ قالوا له كربلاء. قال ذات كربٍ و بلاء و لقد مرَّ أبي بهذا المكان عند مسيره الىٰ صفين و أنا معه فوقف فسأل عنه فاخبر باسمه فقال هٰهنا محط ركابهم و هٰهنا مهراق دمائهم فسئل عن ذلك فقال «ثِقلٌ لآلِ مُحمَّدٍ ينزِلونَ هٰهُنا»[٣]

و رواه الدميري و لكنه ذكر كلمة «نفرٌ» بدل «ثقلٌ»

١٤ـ روىٰ الحسن ابن كثير و عبد خير أنَّ علياً عليه السلام لمّا وصل الىٰ كربلاء وقف و بكى و قال:

«بأبِي أُغيلمةٌ يُقتلون هٰهُنا، هٰذا مَناخُ ركابهم و هذا مَوضِعُ رِحالِهم، هٰذا مصرعُ الرَجُلْ»[٤]

١٥ـ روىٰ الديلمي عن معاذ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«نُعِيَ إليَّ الحُسينُ و أُتيتُ بتُربَتِهِ و أُخبِرتُ بقاتِلِهِ»[٥]

---

(١) الصواعق ص١٩١.

(٢) نور الابصار للشبلنجى ص١١٥.

(٣) الاخبار الطوال ص ٢٢٦. حياة الحيوان ج١ ص ٦٠.

(٤) تذكرة الخواص ص ٢٦٠.

(٥) كنز العمال ج٦ ص٢٢٣ حديث ٣٩٥٢.

١٦ـ روىٰ ابن عساكر عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

« لا بارَكَ اللّهُ في يزيدَ الطَعان اللّعانِ أما إنّهُ نُعِيَ اليَّ حبيبي و سَخيلي حُسينٌ أُتيتُ بتُربتِهِ و رأيتُ قاتِلَهُ اما إنَّهُ لا يُقتلُ بين ظهراني قومٍ فلا ينصروه إلاّ عمَّهُمُ الله بِعِقابٍ »(١)

١٧ـ روىٰ ابن عساكر عن علي عليه السلام انه قال لعمر بن سعد:

كَيفَ أنْتَ إذا أقَمتَ مَقاماً تُخَيَّر فيهِ بينَ المنيُة و النار فتَخْتارَ النارَ »(٢)

١٨ـ و روىٰ البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وآله أُخبر بقتل الحسين في الطف و هو مكان قريب من الكوفة يعرف بكربلاء.(٣)

١٩ـ روىٰ ابن ابى الحديد في ضمن خبر عن امير المؤمنين انه قال لتميم بن اسامة بن زهير التميمي وكان ابنه الحصين طفلاً رضيعاً و أخبره بأن ابنه الحصين هذا سيشترك في قتل ولده الحسين عليه السلام.

و هذا ما حصل فلم يزل الحصين حتىٰ عيّنه ابن زياد علىٰ الشرطة و أرسله يوم التاسع من المحرم إلىٰ كربلاء ليبلغ عمر بن سعد بقتال الحسين و يحذره من امهاله.(٤)

٢٠ـ وكذلك ذكر ابن ابى الحديد ضمن إخبار امير المؤمنين بالمغيبات انه قال للبداء ابن عازب:

« أيُقتَلُ الحُسينُ و أنتَ حَيٌّ فلا تنصُره »

---

(١) كنز العمال ج٦ ص٢٢٣ حديث ٣٩٤٩.

(٢) كنز العمال ج٧ ص١١١ ح ٩٦٠.

(٣) السيرة النبوية ج٣ ص٢٢٠.

(٤) شرح نهج البلاغة ج٢ ص٥٠٩ـ٥٠٨.

فقال البراء:

«لاكانَ ذٰلك يا أمير المؤمنين»

و كان البراء حينما قُتل الحسين عليه السلام يتذكر هذا الحديث و يبكي حسرةً علىٰ عدم نصرته للحسين عليه السلام. (١)

٢١ـ نقل الخوارزمي عن شيخ الإسلام الحاكم الجشمي أنّ أمير المؤمنين لما سار إلي صفين نزل بكربلاء و قال لابن عباس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا. قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم بكىٰ بكاءاً شديداً، ثم قال: ما لي و لآل أبي سفيان. ثم التفت الىٰ الحسين و قال: **صبراً يا بني فقد لقىٰ أبوك منهم مثل الذي تلقىٰ بعده**. (٢)

٢٢ـ يقول اليعقوبي في تاريخه: و كان اول صارخة صرخت في المدينة امّ سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، كان دفع اليها قارورة فيها تربة، و قال لها: إن جبرئيل أعلمني ان امّتي تقتل الحسين عليه السلام، و أعطاني، هذه التربة و قال لي: إذا صارت دماً عبيطاً فاعلمي أن الحسين عليه السلام قد قتل. و كانت عندها، فلمّا حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة في كلّ ساعة، فلمّا رأتها قد صارت دماً صاحت: وا حسيناه! و ابن رسول الله صلى الله عليه وآله! و تصارخت النساء من كلّ ناحية، حتىٰ ارتفعت المدينة بالرجة التي ما سُمع بمثلها قط. (٣)

و روىٰ ابن حجر هذا الحديث عن «الملا» و ابن أحمد في زيادة المُسند،

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٢ ص٥٠٩.

(٢) فضل الخوارزمي ص١٦٢ ف٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢١٩ـ٢١٨.

بتفاوت بسيط و روىٰ أنَّ تلك التربة هي تربة مكان قتل الحسين عليه السلام [١]

و مثل هذه الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله و عن أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة، و منها يُعلم أنَّ الشهادة قدكتبت علىٰ الحسين عليه السلام و قدكانت شهادته من اكبر مناقبه و فضائله و من جملة مقاماته صلوات الله عليه و آله اجمعين.

(١) الصواعق المحرقة ص١٩١.

معاجز الإمام الحسين عليه السلام(١)

تعد المعجزات من جملة ادلة اثبات النبوات و الارتباط بالسماء و واحدة من اسس صحة الرسالات السماوية.

و تاريخ النبوات، يثبت اصل صدور المعجزات عنهم، كما ان الكتب السماوية و منها القرآن الكريم، يُصرِّح بذكر عدد من معاجز الانبياء الكرام صلوات الله عليهم أجمعين.

و قد جَرَت السنن الاجتماعية علىٰ طلب المعجزات من ادعياء النبوة، و من هنا كان الحق تعالىٰ يظهر بعض المعاجز علىٰ أيديهم لكي تكون حُجَّة علىٰ البشر.

و في زمننا المعاصر قلَّ تصديقُ بعض الناس بمثل تلك المعجزات كشفاء المرضىٰ و احياء الاموات و انقلاب العصا الىٰ ثعبان و نزول مائدة من السماء. و بعض أتباع الديانات السماوية و بعض المؤمنين بالانبياء أخذوا يفلسفون تلك الامور الخارقة للعادة علىٰ اساس العلل و الاسباب الظاهرية و يطبقونها علىٰ السنن

(١) المعجزة امرٌ خارق للعادة يتحقق علىٰ يد النبي للتدليل علىٰ صدق دعواه و قد ذكرت في الكتب الكلامية عدة تعاريف يظهر منهاان ما كان يصدر عن الائمة عليهم السلام و خواص اصحابهم من الامور الخارقة لا يطلق عليها اسم معجزة الا من باب المسامحة في التعبير، و الاكثر يعبرون عن غير ما يصدر عن النبي من الامور الخارقة اسم «كرامة» كما يعبرون عن خوارق العادة الصادرة عن النبي قبل نبوته بالارهاصات، و لكن و لوجود وجه اشتراك بين الجميع يعبر عنها احياناً بالمعجزة.

و النواميس و القواعد العلمية الحاكمة علىٰ الطبيعة و ازداد ايمانهم بالمعجزات العلمية التي يذكرها القرآن الكريم، و ازداد تقبلهم و يقينهم بتلك المعجزات.

و الحق أنَّه ينبغي التسليم و قبول كل المعجزات و الايمان بها، ذلك لان المعجزة تعبير عن القدرة الغيبية و القوة المطلقة لله سبحانه و تعالىٰ، و المؤمن بالله و قدرته و علمه و خلقه و ايجاده لهذا العالم، لا يمكنه ان يُشكك بصدور المعجزة، أوليس هذا العالم الكبير المترامي بكل كراته و مجراته و مخلوقاته الكبيرة و الصغيرة، و كل هذا الروعة في الخلق، معجزة؟

أنَّ المعجزة، هي الامر الذي يعجز البشر عن ايجاده بنفسه بدون الاستعانة بمقدماته و وسائله. و علىٰ هذا فنفس العالم، معجزة، و هذه الجبال و البحار و الاشجار و المحيطات و الشموس و المنظومات السماوية، كلها معاجز.

و نزول المائدة من السماء، و احضار الشجرة و احياء الأموات و تكلُّم الحصاء و نظائر ذلك كلها معاجز، فكما إنَّ تلك معجزة فهذه أيضاً معجزة مع فارقٍ و هو أنَّ هذه المنظومات الشمسيه و الجبال و البحار و.. الخ مرئية لنا، و تلك مسموعة فلذا لا نتعجب من الاولىٰ لاننا نزاها يومياً، أمّا معجزات الانبياء و لانها لم تكن مستمرة أبدية ـ أغلبها ـ و لم نتمكن من لمسها و النظر اليها و انما نسمعها فقط، صارت عجيبةً عندنا و لذا يستبعدها بعض الناس.

اذن، فمن جملة السنن الالهية ان من يُنتخب و يُصطفىٰ من قبل الله للنبوة، لابد ان يكون له معجزة، ليكون ذلك دليلاً علىٰ تكذيب أدعياء النبوة المزيفين.

و لقد كان كبار الفلاسفة كابن سينا و الفارابي و ابن مسكويه يؤمنون بمعجزات الأنبياء.

يقول فريد وجدي في دائرة المعارف بعد ان يذكر شرحاً في معجزات الانبياء

و خاصة نبينا الاكرم محمد صلى الله عليه وآله:

«لا يوجد اليوم من يستطيع أن ينكر امكان حدوث المعجزات غير جماعة الماديين الذين وقفوا من العلم الطبيعي مع ما وصل اليه منذ مائة سنة و لو كان هؤلاء الماديون يستعرضون أمامهم ما هدي اليه ألوف من العلماء الباحثين في المباحث النفسية في مشارق الارض و مغاربها أمثال الاساتذة «ويليم كروكش» و «روبل ولاس» و «اللورد أفيرى واكسون» و «تندل» و «باركس» و «لودج» و «مورغان» و... من الانجليز و «كاميل فلامريون» و «الدكتر داريكس» و «الدكتورة جيبي» و «الاستاذ شارل ريشه» من الفرنسيين و عدد لا يحصىٰ من العلماء الايطاليين و الالمانيين و الروس و سواهم لرأوا أنّ كل هؤلاء قد هدوا بالتجارب التي أجروها علىٰ القوىٰ النفسية الىٰ نواميس ارقىٰ من النواميس الحاكمة علىٰ المادة و في استطاعتها في شروط المخصوصة ابطال عمل تلك النواميس و احداث ظواهر جديدة خارقة للنظام الطبيعي المادي فأصبحت المعجزات في نظر العالم من الممكنات و علم أنها تابعة لنواميس خاصة بها.[١]

و من البديهي فان من يؤمن بمعاجز الانبياء اليوم، انما يؤمنون بها سماعاً و بالاعتماد فقط علىٰ النقولات الموثقة الىٰ درجة كبيرة توجب الاطمئنان القريب من الحس.

قد يظن البعض ان دعوي المعجزة غير مقبول عقلاً و انه مخالفُ للاصول و المقاييس العلمية، أو ان اثبات وقوعها صعب جداً.

لكنَّ هؤلاء علىٰ خطأ، ذلك ان المعجزة لا تتنافى ابداً مع العقل، بل إنَّ العقل

---

(١) دائرة المعارف ج١ ص٢٠٢.

يؤيد و يُصدِّق وقوعها، عن طريق المشاهدة أو السماع القطعي و النقل اليقيني و المتواتر.

و هؤلاء الذين لا يُخطون خطوة واحدة في طريق قبول و تعقل المعجزة و يعدونها مخالفة للمقاييس العلمية الطبيعية، إن كان مقصودهم من المخالفة، مخالفة العلوم المادية الحديثة التي توصلوا اليها و التي صارت طريقهم الوحيد لمعرفة اسرار الكون، فاننا نقول لهم في معرض الاجابة: إننا لا نحتاج الىٰ هذه الموازين لاثبات صحة دعوىٰ وقوع المعجزات، اذ انَّ تلك القوانين ليست السبيل الوحيد لإدراك كل الحقائق الكونية، إذ إننا اليوم نواجه مجهولات كثيرة جداً تفوق معلوماتنا، و هذه القوانين العلمية لا تهدينا الىٰ تلك المجهولات و اكتشافها فهي قاصرة و لكننا نقبل تلك المجهولات و لا يمكن اثبات امتناعها الا بحكم العقل و البرهان.

اذن، فاذا لم نتعرف علىٰ تحقق حادثة خارقة العادة، عن طريق الموازين العلمية الحسيّة و التجريبية، فهذا لا يبيح لنا انكار أصل وجودها، و سيكون مثل هذا الانكار غروراً و تعنتاً و اعتماداً علىٰ سلسلة معلومات ناقصة و حفنةٍ من النظريات و الفرضيات غير القطعية.

مَثَلُ هؤلاء الاشخاص مثل الكيميائي الخبير و المطلع المتخصص في التركيبات الكيميائية، الذي يحاول التعرف علىٰ كل المسائل الطبيّة من نافذة علم الكيمياء الضيقة، فيرد بعضها و يقبل بعضاً، و يبرم بعضا و ينقُضُ بعضاً، و الحال إنَّ الاطبّاء في العالم و استناداً الىٰ تلك القواعد الطبية التي ينكرها هذا الكيميائى، يقومون بمعالجة و مداواة آلاف البشر يوميّاً.

و عقيدتنا بمعاجز الانبياء و كرامات الاولياء و عللها هو أنها ظواهر كالظواهر الكونية الاخرىٰ الموجودة في هذا العالم الكبير، و سواء سميتموها باسرار

الطبيعة و عالم الخلقة او سمّيتموها خوارق العادات، فاننا نقول إنَّ هذه الامور التي اسمها معجزة قد حصلت و تحققت في هذا العالم و قد ثبت ذلك بـاوثق النـقولات المتواترة، و امّا تعليلها بالعلل الماديّة فليس بصحيح، و من حاول إضـفاء صـبغة علمية حسيّة مادية عليها و أنّها معلولات لعلل مادية طبيعية فـهو مشـتبه، اذ ان انقلاب العصا الىٰ ثعبان و احياء الموتىٰ علىٰ يد عيسى المسيح، لا ارتباط له ابـداً بالعلل المادية الطبيعية.

و لو لم تكن تلك الاخبارات الموثقة الاّ حول امرٍ عادي بسيط لقبلها الناس بـ ١٪ من تلك الاخبارات و النقولات، و لكن لما كانت تلك الاخبار الموثقة حول امور خارقة للعادة و معجزات غير مأنوسة للبشر فاننا نضطر الىٰ مزيد من التحقق منها و التأمل ثم قبولها.

و في زمننا الحالي، تنقل أحيانا مراكز الانواء الجوّية و بعض الجرائد بـعض الظواهر الجوية الغريبة و التي يصعب التصديق بها، و مع ذلك فنحن نصدق تلك المراكز و الجرائد، مع اننا لو سمعنا ذلك الخبر من شخص عادي من افراد المجتمع ممن ليس له خبرة في هذا المجال لاستهزئنا به و اتهمناه بالسطحية و السذاجة، فـنحن نـقبل مـن محـطات التـلفزة و الراديـو و وكـالات الأنـباء العـالمية المـعتبرة كالاسيوشتيدبرس و غيرها، لان تكذيب هذه المراكـز يـعني اضـطراب النـظام الاقتصادي و السياسي العالمي القائم علىٰ اساس هذه الاخبارات.

و لكننا نقول إنَّ ذلك خطأ، فان الراي الصادر من انسانٍ عادي محترمٌ أيضاً و لا يمكن ردّه بلا دليل اذ قد يكون مطابقاً للواقع، و انَّ الخبر الذي تنقله وكـالة الانباء العالمية الفلانية و الذي لم يقم اي دليل أو قرينة أو شاهد علىٰ صحته، لا يمكن قبوله ببساطة كما لا يمكن انكاره و ردّه ببساطة، بل يبقىٰ في حيز الامكان و الرد و

القبول.

و اليوم، نجد ان اكثر الناس يقبلون الاخبار التي ينقلها صحفي او مراسل مركز اعلامي، و يرتبون كل الآثار عليها، وكذلك لو سمعوا عن فلكي مجهول الهوية أنَّ النجم المذنب الكذائي سيرتطم بالارض في اليوم الفلاني و ان الارض ستتلاشىٰ، فانهم سيقبلون ذلك دون تردد و سيُسيطر عليهم الخوف و الهلع، يقبلون ذلك و ينكرون كل هذه الاخبار التي تدلُّ علىٰ حصول المعاجز علىٰ يد الانبياء خاصة معاجز نبينا الاكرم محمد صلى الله عليه وآله و الائمة الطاهرين من عترته عليهم السلام، و التي نُقلت في اوثق المصادر التاريخية و الكتب الروائية المعتبرة، و التي رواها أوثق الرواة و المتتبعين، ما يجعلنا نقطع بتحقق تلك المعاجز في الزمن السابق.

و اني لا أظن انَّ متتبعاً للكتب تتبُّعَ احاطةٍ بالوثائق و المدارك التاريخية، يقف علىٰ تواتر أخبار المعاجز يُمكنه ان ينكرها، و أنَّ اولئك الذين ينكرون المعاجز انما ينكرونها بسبب عدم اطلاعهم و عدم مراجعتهم للكتب التاريخية و الحديثية الروائية، و يندر أن ينكر ذلك احدٌ عن تعصبٍ أو لاغراض اخرىٰ، فان وجود قوة التعقل و استقامة الفكر تمنع الإنسان من ردِّ هذه الاخبار، فانَّ إنكارها يحكي عدم اعتدال القوة الفكرية و شذوذ العقل و انحرافه.

و علىٰ كل حال، فانّنا نعتقد أن أهم دواعي المنكرين للمعاجز هو الاستبعاد المحض، و مجرد الاستبعاد لم يكن ابداً دليلاً عند العقلاء و لا يُعدَّ دليلاً عقلياً قطعياً للاحكام الجزمية.

و في هذا المبحث ـ معجزات الإمام الحسين عليه السلام ـ لا اريد الخوض في هذا الموضوع اكثر مما ذكرت، خاصة و إنَّ اكثر قراءنا الكرام هم من المؤمنين و المعتقدين بالمعاجز و خوارق العادة، و بناءً علىٰ ذلك لا نحتاج الىٰ ذكر مقدمات و

توضيحات اكثر في مقام ذكر بعض معجزات الإمام الحسين عليه السلام.

و صدور المعجزات عن الإمام الحسين عليه السلام سواءٌ في حال حياته أو بعد شهادته عليه السلام من المسلمات و المتواترات، و انَّ صدور تلك المعجزات عن الشُعاع الحق لنور النبوة و الامتداد الطبيعي لوجود شخص الرسول محمد صلى الله عليه وآله، و من صاحب مقام الولاية و الإمامة، غيرُ مستبعدٍ و لا منكر من ايِّ مسلم، فانه اذا لم يكن الحسين عليه السلام له مثل هذه المعجزات، فلمن يكون أذن؟

و اذا لم يكن الحسين عليه السلام مشمولاً للرعاية الالهية الخاصة، فمن ذا الذي يكون كذلك إذَنْ؟

و لما كان غرضنا في هذا المبحث هو إظهار سعة دائرة فضائل و مناقب و مقام الإمام الحسين عليه السلام بين عامة المسلمين و في كل نواحي شخصيته العظيمة فاننا لن ننقل ذلك من كتب الشيعة مع قوة اسانيدها و اعتبارها و صحتها، بل سَنقتصر علىٰ ذكر نماذج مما ورد في كتب كبار علماء اهل السنة و محدثيهم و بعبارة اخرىٰ سنكتفي بغيضٍ من فيضٍ ما جاء عنهم في هذا المضمار.

١ـ نقل الطبري: بعد ان كتب عبيد الله ابن زياد الىٰ عمر ابن سعد: أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه و بين الماء، و لا يذوقوا منه قطرة، كما صُنع بالتقيّ الزّكيّ المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان. فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج علىٰ خمسمائة فارس، فنزلوا علىٰ الشريعة، و حالوا بين حسين و أصحابه و بين الماء أن يُسقوا منه قطرة، و ذلك قبل قتل الحسين بثلاث. قال: و نازَلَه عبد الله بن أبي حُصين الأزديّ فقال: يا حسين، ألا تنظر الماء كأنه كبد السماء! و الله لا تذوق منه قطرة حتىٰ تموت عَطَشاً، فقال حسين: اللهم اقتله عطشاً، و لا تغفر له أبداً.

قال حميد بن مسلم: و الله لعُدتُه بعد ذلك في مرضه، فوالله الذي لا إله إلاّ هو

لقد رأيتُه يشرب حتىٰ يبغر، ثم يقيْ، ثم يعود فيَشرَب حتىٰ يبغر فما يَرویٰ، فمازال ذلك دأبه حتىٰ لَفَظ عصبه. (١)

٢ـ و كذلك نقل الطبري: رویٰ هشام عن أبيه محمد بن سائب عن القاسم بن اصبغ بن نباته قال: حدّثني من شهد الحسين عليه السلام في عسكره، أنّ حسيناً حين غُلبَ علىٰ عسكره ركب المسنّاة يريد الفرات، قال: فقال رجل من بني أبان بن درام، وَيْلَكم! حولوا بينه و بين الفرات، فقال الحسين: اللهم أظْمِهِ، قال: و انتزع الأباني بسهم، فأ ثبته في حنك الحسين، قال: فانتزع الحسين السهمَ، ثم بسط كفَّيه فامتلأتْ دماً، ثم قال الحسين: **اللهمّ إنّي أشكو إليك ما يُفعل بابن بنتِ نبيك**؛ قال: فوالله إنْ مكث الرجل إلاّ يسيراً حتىٰ صبّ الله عليه الظمأ، فجعل لا يَروَىٰ. قال القاسم بن الأصبغ: لقد رأيتني فيمن يروّح عنه و الماء يبرَّد له في السّكَر و عِساس فيها اللبن، و قِلال فيها الماء، و إنه يقول: وَيْلَكم! اسقُوني قتلني الظمأ، فيعطىٰ القُلّة أو العُسَّ فيشربه، فإذا نزعه من فيه اضطجع الهُنيهة ثم يقول: وَيلَكُم! اسقوني قتلني الظمأ؛ قال: فوالله ما لبث إلاّ يسيراً حتىٰ انقدّ بطنُه انقداد بطن البعير. (٢)

٣ـ رویٰ الامام أحمد بن حنبل في مناقبه عن ابي رجاء انه كان يقول:

«**لا تسبّوا عليّاً و لا أهْلَ هذا البيت**» إنَّ جاراً لنا من بني الهجيم قدم من الكوفة فقال: ألمْ تروا هذا الفاسق ابن الفاسق ان الله قتله (يعني الحسين عليه السلام). فرماه الله بكوكبين في عينيه و طمس الله بصره. (٣)

---

(١) تاريخ الطبری ج ٤ ص٣١٣. تذكرة الخواص ص٢٥٧. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص٦٨.

(٢) تاريخ الطبری ج ٤ ص٣٤٤. الكامل لابن الاثير ص٢٩٤. ذخائر العقبیٰ ص١٤٤.

(٣) ذخائر العقبی ص١٤٥.

٤ـ روىٰ ابن الجراح عن السدّي قال: أتيت كربلاء لأبيع التمر بها فعمل لنا شيخ من طي طعاماً فتعشينا عنده فذكرنا قتل الحسين عليه السلام فقلت: ما شرك احد في قتل الحسين إلاّ ماتَ بأسوأ موته و آيات ظهرت لمقتله. قال: ما اكذبكم يا اهل العراق انا ممن شرك في ذلك. فلم يبرح حتىٰ دنا من المصباح و هو متقد بنفط فذهب يخرج الفتيلة باصبعه فاخذت النار فيها فذهب يُطفئها بريقة فأخذت النار في لحيته فغدا فالقىٰ نفسه في الماء فرأيتهُ كأنه جمجمة.(١)

و ذكره في «كفاية الطالب» و «المحاسن و المساوى» و البيهقي و الصواعق، و ورد فيها حممة بدلاً عن جمجمة، يعنى مثل الفحم.(٢)

٥ـ روىٰ السبط بن الجوزي عن الواقدي أن شيخا حضر قتله فقط «أي الحسين» فعمىٰ، فسئل عن سببه فقال: إنه رأىٰ النبي صلى الله عليه وآله حاسراً عن ذراعيه و بيده سيف و بين يديه نطع، و رأى عشرة قاتلي الحسين مذبوحين بين يديه، ثم لعنه و سبّه لتكثير سوادهم ثم أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمىٰ.(٣)

٦ـ روىٰ ابن الاثير في ضمن وقائع كربلاء: و تقدم رجل اسمه عبد الله ابن حوزه و وقف أمام الحسين فقال: يا حسين، يا حسين، فقال الحسين عليه السلام: ما تشاء فقال: أبشر بالنار. قال عليه السلام: كلاّ إني أقدم علىٰ ربٍ رحيم و شفيعٍ مطاع. من هذا؟ قال له اصحابه هذا ابن حوزه قال: ربّ حزهُ الىٰ النار. فاضطرب به فرسه في جدول و وقع فيه و تعلّقت رجله بالركاب و وقع رأسه في الارض و نفر الفرس

(١) ذخائر العقبى ص١٤٥.
(٢) كفاية الطالب ص٢٨٩. الصواعق ص١٩٣. المحاسن و المساوي ج١ ص٩٨.
(٣) نور الابصار ص١٢١. اسعاف الراغبين ص١٩٢. الصواعق ص١٩٣.

فأخذ يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجر و كلّ شجرة حتىٰ مات.[١]

و روىٰ نظير هذه المعجزة عن ابن بنت منيع عن علقمة بن وائل و وائل بن علقمة في رجب لاسم: جريره.[٢]

٧ـ روىٰ الطبري قال: و لما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو اربعة دعا بسراويل مُحقَّقة يلمع فيها البصر يمانيّ محقق ففزره و نكثه لكيلا يُسلَبْه، فقال له بعض أصحابه: لو لَبسْتَ تَحتَه تُبّاناً (سراويل قصير) قال: ذلك ثوب مذلّة و لا ينبغي لي أن البسه. قال: فلما قُتِل اقبل بحر بن كعب فَسَلَبَهُ إيّاه فتركه مجرّدا.[٣]

٨ـ روىٰ الشبراوي شيخ الازهر الاسبق: و اشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فتلقى الدم في يده و قال اللهم اقتل حصيناً عطشاً. قال العلامة الاجهوري فابتلي بالحر في بطنه و البرد في ظهره و صار يوضع بين يديه الثلج و المراوح و يوضع خلفه الكانون و هو يصيح من الحر و العطش و صار يؤتى بسويق و ماء و لبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشرب فلا يرتوى ثم يصيح فيسقىٰ كذلك الىٰ ان قُدَّ بطنُه و مات بعد موت الحسين بايام.[٤]

٩ـ روىٰ الطبري عن ملاكه و هو من كبار علماء السنة عن رجل من كليب قال: صاح الحسين بن علي: «إسقونا ماءً» فرمىٰ رجلٌ بسهمٍ فشقَّ شدقه فقال: لا ارواك الله. فعَطِش الرجل الىٰ ان رمىٰ بنفسه في الفرات فشرب حتىٰ مات.[٥]

---

(١) الكامل ج٣ ص٣٨٩.

(٢) ذخائر العقبىٰ ص١٤٤.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٥.

(٤) الاتحاف ص١٦.

(٥) ذخائر العقبىٰ ص١٤٤.

١٠ـ روىٰ الترمذي حديثاً صحيحاً عن عمارة بن عُمير قال: لما جيء برأس ابن زياد و وضع في القصر رأيت الناس مجتمعين حوله و إذا بحية تأتي تدخل الىٰ منخره و تخرج من فمه تفعل ذلك ثلاثاً.(١)

١١ـ روىٰ ابن بنت منيع عن ابي معشر عن بعض مشيخته: ان قاتل الحسين عليه السلام لمّا جاء الىٰ ابن زياد و حكىٰ عليه كيفية قتله و ما قال له الحُسَين، إسْودَّ وجهُه.(٢)

١٢ـ روىٰ الطبري عن ابي مخنف قال: حدثني سليمان بن ابي راشد عن حُميد بن مسلم، قال:... و مكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهىٰ اليه رجل من الناس انصرف عنه و كره ان يتولى قتله و عظيم إثمه عليه، قال: و ان رجلاً من كندة يقال له مالك بن النُسير من بني بَداء، أتاهُ فضربه علىٰ رأسه بالسيف و عليه بُرنُس له، فقطع البرنس و اصاب السيف رأسه، فادمىٰ رأسه، فامتلأ البرنس دماً، فقال له الحسين عليه السلام:

«لا أكَلْتَ بِها و لا شَرِبت و حَشَرك الله مع الظالمين» قال: فالقىٰ ذلك البرنس ثمَّ دعا بقلنسوة فلبسَها، و اعتمَّ و قد أعيا و بَلَّدْ. و جاء الكندي حتىٰ أخذ البُرنس ـو كان من خز. ـفلما قدم بعد ذلك علىٰ امراته ام عبد الله ابنة الحر اخت الحسين بن الحرّ البدّي، اقبل يغسل البُرنس من الدم، فقالت له إمرأته: أسَلبَ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تدخِلُ بيتي؟ أخرجه عنّي. فذكر اصحابُه انه لم يزل فقيرا بشرٍّ حتىٰ مات.(٣)

---

(١) سنن الترمذي ج١٣ ص١٩٧. أسد الغابة ج٥ ص٢٠. اسعاف الراغبين ص١٨٩.

(٢) ذخائرالعقبىٰ ص١٤٤.

(٣) الطبري ج٤ ص٣٤٢. الحسن و الحسين عليه سبطا رسول الله ص٦٩.

١٣ـ نُقل عن اليسار بن الحكم قال: إنتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب فما تطيبت به إمرأة الاّ برصت.(١)

١٤ـ روىٰ السيوطي: ان ما نُهبَ من مخيم الحسين عليه السلام من الورس قد تحول الىٰ الرماد. (٢)

١٥ـ يقول العالم المصرى محمد رضا: و من اعجب كرامات الحسين عليه السلام هو حديث الزهري في قتل الحسين و هذا هو سأل عبد الملك ابن مروان و هو قاعد في ايوانه، من كان مجتمعاً بحضرته فقال: ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي ابن ابي طالب. فلم يجبه أحد، فقال الزهري: إنه لم يرفع تلك الليلة التي قتل صبيحتها علي ابن أبي طالب و الحسين بن علي حجرٌ في بيت المقدس الاّ وجد تحته دمٌ عبيط.

قال عبد الملك: صدقت، حدّثني الذي حدثك و إني و إيّاك في هذا الحديث لغريبان. ثم أعطاه مالاً كثيراً.(٣)

و روىٰ المحب الطبري عن ابن السرّي عن الزهري انه لمّا قُتل الحسين عليه السلام لم يُرفع أو لم يُقلع حجر بالشام الاّ عن دم. (٤)

١٦ـ روىٰ المحب الطبري عن ابن لهيعة عن ابي قبيل قال: لمّا قتل الحسين ابن

---

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٣٨٤. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص ٧٠ـ٦٩. و قال بعد نقل هذه الكرامة: ان كرامات الحسين عليه السلام لا تحصىٰ.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١٣٨. اسعاف الراغبين ص ١٩٢. الصواعق ص ١٩٢.

(٣) الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص ٧٠. اسعاف الراغبين ص ١٩٢. تاريخ الخلفاء ص ١٣٨.

(٤) ذخائر العقبىٰ ص ١٤٥.

علي بعث برأسه الىٰ يزيد فنزلوا اوّل مرحلة فجعلوا يشربون و يتحيّون بالرأس، فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت سطراً بدم:

أترجو أُمّةٌ قتلت حسيناً شفاعة جدِّه يوم الحِساب .

فهربوا و تركوا الرأس. (١)

و لا يخفىٰ ان أخباراً كثيرة وردت في هذا الشعر، منها ما رواه السبط ابن الجوزي و ابن حجر و في درر السمطين و الشبراوي و الدميري و آخرون. (٢)

١٧ـ و رويت عنه روايات حول بعض الآيات السماوية و خوارق العادات حين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مثل مطر السماء دماً و غيرها، نقلها كبار علماء القوم مثل الحافظ ابي نعيم في دلائل النبوة، و ابن بنت منيع و المحب الطبري و الشبراوي و الشبلنجي و ابن الجوزي و الصبّان. (٣)

١٨ـ روىٰ السبط بن الجوزي أنَّ شخصاً علَّق رأس الحسين عليه السلام في لَبَب فرسه فرؤيَ بعد أيّام وجهُه أشدُّ سواداً من القارّ و مات علىٰ أقبح حالة. (٤)

١٩ـ روىٰ ابن خالويه عن الاعمش عن المنهال الاسدي قال:

و الله لقد رأيت رأس الحسين عليه السلام حين حُمل و أنا بدمشق و بين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتىٰ بلغ «أم حَسِبتَ أنَّ أصحابَ الكَهفِ و الرَّقيمَ كانوا من

---

(١) ذخائر العقبىٰ ص١٤٥. اسعاف الراغبين ص١٩٣.

(٢) الاتحاف ص١٢. تذكرة الخواص ص٢٨٤. نظم درر السمطين ص ٢١٩. كفاية الطالب ص٢٩١ـ٢٩٠. حياة الحيوان ج١ ص٦٠. الصواعق ص ١٩٤ـ١٩٣.

(٣) ذخائر العقبى ص١٤٥. الاتحاف ص٢٥ـ٢٤. نور الابصار ص١٢٠. تاريخ الخلفاء ص١٣٨. نظم الدرر ص٢٢٢ـ٢٢١. اسعاف الراغبين ص١٩٢.

(٤) نور الابصار ص١٢١. اسعاف الراغبين ص١٩٣ـ١٩٢.

آياتِنا عَجَبا » فنطق الرأس و قال: « قتلي أعجب من ذلك » و قد روىٰ الصبّان هذه الكرامة الباهرة بهذه العبارة: « فنطق الرأس الشريف بلسانٍ عربيٍّ فصيح فقال جهاراً: أعجب من أصحاب الكهف قتلي و حملي »(١)

و قال الدميري، و تكلم بعدالموت اربعة، يحيىٰ ابن زكريا حين ذبح، و حبيب النجار حيث قال: « يا ليتَ قَومي يعلَمون ... » و جعفر الطيار حيث قال: « و لا تَحسَبَنَّ الَّذينَ قُتلوا في سبيل الله ... » و الحسين بن علي عليه السلام حيث قال: « وَ سَيَعلم الذينَ ظَلَموا أيَّ منقَلَبٍ ينقَلِبون »(٢)

٢٠ـ يذكر صاحب كتاب « البدء و التاريخ »: في الليلة التي قتل الحسين عليه السلام في صبيحتها سمع اهل مدينة هاتفا يقول و لا يرون شخصه:

مَسَحَ الرَسولُ جَبينَهُ فَلَهُ بَريقٌ في الخدودِ
أبواهُ من عَلياً قريشٍ وَ جَدُّه خيرُ الجُدودُ (٣)

٢١ـ روىٰ السبط ابن الجوزي عن عبد الملك ابن هشام في كتاب « السيرة » قال: لما أنفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية مع الأسارىٰ موثقين في الحبال موثقين مكشفات الوجوه و الرؤوس و كلما نزلوا منزلا أخرجوا الرأس من صندوق أعدوه له فوضعوه علىٰ رمح و حرسوه طول الليل إلىٰ وقت الرحيل، ثم يعيدوه إلىٰ الصندوق و يرحلوا فنزلوا بعض المنازل و في ذلك المنزل دير فيه راهب فأخرجوا الرأس علىٰ عادتهم و وضعوه علىٰ الرمح و حرسه الحرس علىٰ عادتهم و أسندوا الرمح إلىٰ الدير فلما كان في نصف الليل رأىٰ الراهب نوراً من مكان الرأس

(١) نور الابصار ص١٢٢. اسعاف الرغبين ص١٩٣.
(٢) حياة الحيوان ج١ ص٥٥.
(٣) البدء و التاريخ ج٦ ص١٣ـ١٢.

إلى عنان السماء فأشرف علىٰ القوم و قال من أنتم؟ قالوا نحن أصحاب ابن زياد. قال و هذا رأس من؟ قالوا رأس الحسين بن علي ابن أبي طالب بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. قال نبيكم. قالوا نعم. قال بئس القوم أنتم لو كان للمسيح ولد لأسكنّاه أحداقنا ثم قال هل لكم في شئ قالوا و ما هو. قال عندي عشرة آلاف دينار، تأخذوها و تعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة و إذا رحلتم تأخذوه قالوا و ما يضرنا فناولوه الرأس و ناولهم الدنانير فأخذه الراهب فغسله و طيبه و تركه علىٰ فخذه و قعد يبكي الليل كله فلما أسفر الصبح قال يا رأس لا أملك الا نفسي و أنا أشهد ان لا إله الاّ الله و ان جدك محمداً رسول الله و أشهد الله أنني مولاك و عبدك. ثم خرج عن الدير و ما فيه و صار يخدم أهل البيت. قال ابن هشام في السيرة ثم أنهم أخذوا الرأس و ساروا فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض تعالوا حتىٰ نقسم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منا فأخذوا الأكياس و فتحوها و إذا الدنانير قد تحوّلت خزفاً و علىٰ أحد جانب الدينار مكتوب «و لا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون»[١] و علىٰ الجانب الآخر «و سيعلم الذين ظلموا ايّ منقلبٍ ينقلبون»[٢] فرموها في نهر «بَرَدا»[٣]

و روىٰ هذه المعجزة ابن حجر ايضاً[٤]

٢٢ـ و من جملة معاجز الحسين عليه السلام ما نقله العلامة التلمساني في شرح الشفاء، الفصل ٢٤. و لعدم الاطالة نحيل القارئ المحترم الىٰ الكتاب المذكور و كتاب

(١) سورة ابراهيم، الآية ٤٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٣) تذكرة الخواص ص٢٧٤ـ٢٧٣.

(٤) الصواعق ص١٩٧.

نور الأبصار للشبلنجي.[١]

٢٣ـ روىٰ ابو الفرج الاصفهاني ان رجلاً قال للحسين عليه السلام «ألا تَرىٰ إلىٰ الفُراتِ يا حُسينُ كأنَّهُ بُطونَ الحَيّات و الله لا تذوقَه أو تموتَ عَطَشاً.» قال: فوالله لقد كان هذا الرجل يطلب الماء فيسقىٰ فيخرج الماء من فيه ثم يطلب فيُسقىٰ فيخرج الماء من فيه حتىٰ مات عطشاً.[٢]

٢٤ـ نُقل عن سلمان بن يسار قال: وجدوا حجراً كُتب عليه:

لابُدَّ أنْ تَردَ القيامَةَ فاطمٌ و قَميصُها بُدَمِ الحُسين مُلَطَّخُ
وَيْلٌ لِمَنْ شفعاؤهُ خصماؤه و الصُّور في يَومِ القيامَةُ يُنفَخُ[٣]

٢٥ـ روىٰ الشبراوي و الشبلنجي بجزم ان الحسين عليه السلام يردُّ سلام بعض العلماء في كل وقت في المشهد الحسيني في مصر.[٤]

و حكىٰ الشبراوي أيضاً ان السلطان صلاح الدين يوسف وشي له مرة بخادم من خدمة القصر المذكور كان بيده زمام القصور و قيل له انه يعرف موضع الاموال و الدفائن التي بالقصر فأُخذ و سئل فلم يذكر شياً و تجاهل فامر صلاح الدين بتعذيبه فاخذه متولى العقوبة و جعل علىٰ رأسه خنافس و شد عليها قرمزية و يقال

(١) شرح الشفاء. نور الابصار ص١٢٤ـ١٢٣.
(٢) فضائل الطالبيين ص١١٧.
(٣) نظم درر السمطين ص٢١٩. تذكرة الخواص ص٢٧٤.
(٤) الاتحاف ص٢٦. نور الابصار ص١٢٢. لا يخفىٰ ان احد المشاهد الشريفة المنسوبة الىٰ راس الحسين عليه السلام مقام رأس الحسين في القاهرة و هو من المزارات المعروفة عند المسلمين، يؤُمه آلاف الزائرين كل سنة، و ان اهل مصر يعتقدون كل الاعتقاد به و يحترمونه كثيراً و يجللونه، و كان كبار علماء و مشايخ الازهر، و سلاطين الدولة العثمانية و مصر و الحكام و عامة الناس يزورونه علىٰ الدوام.

ان هذا أشد العقوبات لانها تثقب بالرأس فلا يطيق الإنسان الصبر عليها فعل به ذلك مرارا و الخنافس توجد ميتة و لا تؤذيه فاخبروا به صلاح الدين فاحضروه و قال له عرفني ما سبب هذا فقال ليس له سبب أعرفه غير أنه لما وصل الرأس الشريف الىٰ هنا حملته بالديباج و الطيب علىٰ رأسى حتىٰ وضعته داخل الضريح فقال صلاح الدين و أى سبب أشرف من هذا و عفىٰ عنه. (١)

٢٧ـ و من جملة كراماته عليه السلام ان رجلاً يقال له شمس الدين القعويني كان ساكنا بالقرب من المشهد و كان معلم الكسوة الشريفة، حصل له ضرر في عينيه فكف بصره و كان كل يوم اذا صلّى الصبح في مشهد الإمام الحسين عليه السلام يقف علىٰ باب الضريح الشريف و يقول يا سيدى أنا جارك قد كف بصري و أطلب من الله بواسطتك أن يرد عليّ و لو عينا واحدة. فبينما هو نائم ذات ليلة اذرأى جماعة أتو الىٰ المشهد الشريف فسأل عنهم فقيل له هذا النبي صلى الله عليه وآله و الصحابة معه جاؤوا لزيارة السيد الحسين عليه السلام فدخل معهم ثم قال ما كان يقوله في اليقظة فالتفت السيد الحسين الىٰ جده صلى الله عليه وآله و ذكر له ذلك علىٰ سبيل الشفاعة عنده في الرجل فقال النبي صلى الله عليه وآله للامام علي عليه السلام « يا عليّ كَحِّلْهُ » فقال سمعا و طاعة و أبرز من يده مكحلة و مرودا و قال له تقدم حتىٰ أكحلك فتقدم فلوث المرود و وضعه في عينه اليمنى فاحس بحرقان عظيم فصرخ صرخة عظيمة فاستيقظ منها و هو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها الىٰ ان مات و هذا الذي كان يطلبه فاصطنع هذه البسط التي تفرش في مشهد الإمام الحسين عليه السلام و كتب عليها وقفا. (٢)

---

(١) الاتحاف ص٢٧. نور الابصار ص١٢٢.

(٢) الاتحاف ص٣٠ـ٢٩.

٢٨ـ و نقل الشبراوي كرامة اخرىٰ للحسين عليه السلام عن الشيخ ابي الفضل نقيب الخلو تية، ملخصها ان الله تعالىٰ عافاه ببركة التوسل و زيارة المشهد الحسينى من مرض عضال اعيىٰ الاطباء علاجه.(١)

٢٩ـ روىٰ ابو الفرج الاصفهاني عن القاسم بن الاصبغ بن نباته قال: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، و كنت أعرفه جميلاً، شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفتك، قال: إني قتلت شاباً أمرد مع الحسين، بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلتة إلاّ أتاني فيأخذ بتلابيبي حتىٰ يأتي جهنم فيدفعني فيها، فأصيح، فما يبقى أحد في الحي إلاّ سمع صياحي.

قال: و المقتول العباس بن علي عليه السلام.(٢)

و لا يخفىٰ علىٰ القارى العزيز ان كرامات و معجزات سيد الشهداء عليه السلام في كتب الفريقين كثيرة جداً، و من اراد المزيد عمّا ذكرناه فليراجع كتاب المناقب لابن شهر آشوب و البحار للمجلسي و العوالم للبحراني و كتب اخرىٰ.

الفَضْلُ ما شهِدَتْ به الاعداءُ

إنَّ في وجود كلِّ إنسان بصيصُ نورٍ من عالم الغيب و مصباحٌ يسُوقُهُ الىٰ الحقيقة و العدالة و الامانة.

و هذا النور يصل اليه من عالم الغيب و بالامداد الالهي، و يشتدُّ و يقوىٰ اثر

---

(١) الاتحاف ص٣٠.

(٢) مقاتل الطالبيين ص١١٨. و هذه المعجزة و ان كانت من كرامات ابى الفضل العباس عليه السلام ـلكن المؤلف لم يجد بدأ من تسطيرها و عدّها من معاجز الحسين عليه السلام بمناسبة الارتباط بين الاخوين و الاولوية.

الاعمال الصالحة و العلم و المعرفة و التربية المستقيمة، و تصل قوته احياناً الىٰ الاحاطة بتمام باطنه الوسيع و إضاءته الىٰ درجة انعدام كل الظلمة في نفسه.

كما أنَّ سوء التربية و الانغماس بالقبائح و الشهوات و الاقبال علىٰ الماديات و اهمال التعلم و الاطلاع علىٰ الحقائق و المعارف و المعقولات يوجب ازدياد سمك الحجب و الاغشية التي تمنع القلب عن البصيرة.

كما ان الاشتغال بالمناهي و الملاهي و حبِّ الدنيا و المال و الجاه و المقام و الشهوات يُنسي الانسانَ الحقائق و يُنسيه مصيره و ما يؤول اليه امرُه و مستقبله الذي ينتظرُهُ.

و لكن، و حتىٰ في هذه المرحلة المظلمة، و مهما هوىٰ الإنسان في السقوط و حتىٰ لو صار مصداقاً لقوله تعالىٰ: «أولئكِ كَالانعامِ بَل هُمْ أضَلّ» (١) يبقىٰ بصيص أمل لعودته و يبقىٰ بعض المنافذ و الشبابيك مفتوحة في وجوده تُرجعُه الىٰ عالم الغيب و الحقيقة، و يبقىٰ خلاصُه من متاهات السقوط و الانحدار و من ظلمات الشهوات الحيوانية، ممكناً غيرَ مستحيل.

و سواءٌ سميتم ذلك بالإدراك أو الوجدان الواقعي للانسان أو غريزة حب الحقيقة أو الفطرة أو اي اسم آخر فالمهم هو وجودها في الإنسان مهما انحدر، فهذا البصيص من النور و حتىٰ لو كان ضعيفاً و خفيفاً، يتجلىٰ في باطن الإنسان و يُشعره بمسئولية تجاه ربِّه و يُتمُّ الحجّة عليه الىٰ درجة ان الناس جميعاً يتوقعون منه القيام بتكاليفه و وظائفه و احترام شرف إنسانيته، و الّا كان مستحقاً للملامة و الذمِّ و التوبيخ، بل و مستحقاً للعقاب و التأديب في نظر العقلاء.

---

(١) سورة الاعراف، آية ١٧٩.

و نلاحظ أيضاً إنَّ اولئك الذين يخالفون الانبياء و المناهج السماوية الداعية الىٰ الحق و العدالة و الحرية، و في اشدِّ ساعات المواجهة بينهم، تصدر عنهم احيانا و بلا ارادة بعض عبائر المدح و الثناء للانبياء فتتصرف فيهم فطرتهم السليمة و توثر فيهم الحقيقة و المعنويات و الطهارة فتراهم أحيانا يبكون و يتالمون للانبياء، و لكنهم يعودون الىٰ ما يقترفون من ذنوب و معاصي و اضطهاد للاخيار و كأن هزّة باطنية تعتورهم و تبعدهم عن واقعهم المرير، ثم يلتفتوا الىٰ حالهم فيعودوا لما نُهوا عنه و يرجعون الىٰ الدرجة الاولىٰ في السُلَّم و الىٰ قلعة الانانية و الانكار و التمرد.

و تاريخ الإسلام مشحون باقرارات و اعترافات أشدِّ اعداء الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله و الائمة الطاهرين باحقيّة هؤلاء الاطهار و صحة منهجهم و سبيلهم.

نعم، إنَّ اعداء أهل البيت عليهم السلام، و الحاقدين و المتعصبين و عبدة الدنيا و المغرورين الذين اضطهدوا اهل البيت عليهم السلام، يشهدون في مواقع عديدة بفضيلة و حقانية أهل البيت و يقرّون ببطلان أنفسهم و يعترفون بان حبّ الدنيا أو العناد و اللجاجة هي التي دفعتهم الىٰ انكار حق اهل البيت عليهم السلام.

اقرأوا قصة أبي سفيان و الاخنس و ابي جهل في سيرة حياة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و كيف انهم كانوا يأتون في الليالي الظلماء و بعيداً عن الانظار و في الخفاء، لكي يستمعوا الىٰ آيات القرآن المجيد من لسان النبي صلى الله عليه وآله، و في النهار يعودون الىٰ محاربته و انكاره و ايذائه.

و إنَّ من عزل علياً عليه السلام عن ساحة الاحداث و اجلسه الدار، كان يعترف بفضائل و مقام علي عليه السلام و كان يعترف بان علياً هو الاكفأ و الاقدر و الأنسب من بين كل المسلمين بهذا الأمر و هذا معاوية و عمرو بن العاص و في حياة أمير المؤمنين علىٰ عليه السلام و بعد شهادته، و في مجالسهم الخاصة و العامة احياناً، يعترفون بفضائل و

مناقب علي عليه السلام و علمه و ورعه و تقواه، و تارة كان معاوية يبكي عندما يـذكر مناقب أمير المؤمنين و يترحم عليه!!

و هذا مروان بن الحكم يشترك في تشييع الإمام الحسن عليه السلام و عندما يُسأل: كنت تجرعه الغصص في حياته و اليوم تمشي في جنازته؟ فيقول: كنت افعل ذلك مع من كان حلمُه يوازي الجبال.

و هذا عبد الملك بن مروان، و عندما واجه مشكلة ضرب النقود العويصة ـكما يذكر ذلك البيهقي و الدميري ـ اضطر الىٰ التماس محمد بن علي الباقر عـليهم السلام و اخذ الحلِّ من علمه الجمِّ، و هكذا كان فقد علمهُ الإمام الباقر عليه السلام حلَّ تلك المعضلة.[1]

و ها هو المنصور الدوانيقي الذي قتل ذراري رسول الله السـادات بـافجع صور القتل و أبشعها، و طبقا لاوثـق النـقولات المـعتبرة أنـه دسَّ السُمَّ للإمـام الصادق و قتله، نفس هذا السفاح و طبقا لما يذكره اليعقوبي[2] عن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، ان المنصور بكىٰ علىٰ الإمام الصادق عليه السلام حتىٰ ابتلّت لحيته من دموع عينيه و كان يقول: انه كان سيد أهل بيته و بقية الاخيار منهم و انه ممّن نزل فيهم قوله تعالىٰ:

«ثُمَّ أورَثْنا الكتابَ الّذينَ إصْطَفَينا مِنْ عبادنا»[3]

و هذا هارون الرشيد يعترف و يُقرُّ بمقامات موسىٰ بن جعفر عليهما السلام و ما ذكره المأمون من قصة احترام هارون الرشيد للإمام موسىٰ بن جعفر و تبجيله، مشهورة

---

(١) المحاسن و المساوئ ج٢ ص٢٣٦ـ٢٣٢. حياة الحيوان ج١ ص٦٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١١٧.

(٣) سورة الفاطر، الآية ٣٢.

و معروفه.

و هكذا سائر الائمة عليهم السلام يحدثنا التاريخ أنَّ خلفاء زمانهم و اعدائهم قد اعترفوا بفضلهم و مقامهم و علمهم واهليتهم لحلِّ المعضلات من المسائل و انَّ اولئك الخلفاء كانوا يلوذون بهم ساعات الابتلاء و الشدائد.

و لا يخفىٰ إنَّ اكثر الاعترافات و الاقرار من هؤلاء الظلمة كان من باب السياسة و خداع الرأى العام و رعاية للمصالح الشخصية و النفاق و المراء لاستغفال الناس، و لكنها مع كل ذلك كانت شهادة الاعداء بحسن قبول الناس لاهل البيت و حُسن سيرة المعصومين و اتفاق الناس علىٰ اهليتهم و صلاحيتهم بل اسبقيّتهم علىٰ الاخرين في كل المجالات الىٰ درجة عجز اعدائهم عن اخفائه.

و الفَضْلُ ما شهدت به الاعداءُ.

و ما ذكرناه من اعتراف الاعداء، ينسحب الىٰ اعداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام بوضوح، يقول الاستاذ عباس محمود العقاد: و لكنَّ الجيش الذي أرسله عبيد الله بن زياد لحرب الحسين عليه السلام كان جيشاً يحارب قلبه لاجل بطنه و أو يحارب ربَّه لاجل واليه اذ لم يكن فيهم رجلٌ واحد يؤمن ببطلان دعوىٰ الحسين عليه السلام أو رجحان حقِّ يزيد، و لم يكن فيهم كافر ينفح عن عقيدة غير عقيدة الإسلام إلاّ من طوىٰ قلبه علىٰ كفر كمين هو مخفيه و لا نخالهم كثيرين...

و لو كانوا يحاربون عقيدة بعقيدة، لما لصقت بهم وصمة النفاق و مسبّة الاخلاق، فعداوتهم ما علموا أنّه الحق و شعروا أنَّهُ الواجب أقبح بها من عداوة المرء ما هو جاهله بعقله و معرض عنه بشعوره لأنهم يحاربون الحقَّ و هم يعلمون.

و من ثمَّ كانوا في موقفهم ذلك ظَلاماً مطبقا، ليس فيه من شعور الواجب بصيصٌ واحدٌ من عالم النور و الفداء، فكانوا حقّاً في يوم كربلاء قوة من عالم الظلام

تكافحُ قوّة من عالم النور. [١]

و روىٰ ابن أعثم أنّه لما ورد كتاب يزيد بن معاوية الىٰ الوليد بن عقبة و الذي يأمره فيه بقتل الحسين بن علي عليه السلام و يعده بالامارة و الجائزة، اغتمّ الوليد لذلك و قال: «لا حول و لا قوة إلاّ بالله»

و الله لو ان يزيدا اعطاني الدنيا بما فيها لما اشتركت بقتل الحسين ابن رسول الله. [٢]

يقول الدينوري: عندما اقترح مروان بن الحكم علىٰ الوليد، قتل الحسين قال:

«وَيْحكَ أتُشيرُ عليَّ بِقَتْلِ الحُسين بنِ فاطمةَ بنت رسول الله و الله ان الذي يُحاسَبُ بِدَمِ الحُسَينِ يَومَ القيامةِ لخفيفُ الميزانِ عند الله» [٣]

و هذا يدل علىٰ مدىٰ تعجب و استغراب الوليد من جرأة مروان و قلة حيائه، و لم يتوقع حتىٰ من مثل مروان المنافق الحاقد، التفكير في قتل مثل الحسين.

يقول السبط ابن الجوزي، قال الوليد لمروان:

«وَ الله ما أُحبُّ أنَّ ليَ ما طَلَعَتْ عَليهِ الشّمسُ و إنّي قَتَلتُ حُسيناً.» [٤]

و روىٰ ابن الاثير ان الوليد قال:

«و الله ما أحبّ انَّ لي ما طَلَعَتْ عليهِ الشمسُ و ما غَرُبَتْ عَنْهُ من مالِ الدنيا و مُلكِها و إنّي قَتَلتُ حُسيناً أنْ قال لا أُبايعُ و الله إنّي لأظنّ أنَّ إمْرَءً يُحاسَبُ بدَمِ

---

(١) ابو الشهداء ص ١٣٧.

(٢) تايخ ابن أعثم ص ٣٤٥.

(٣) الاخبار الطوال ص ٢٠٨.

(٤) تذكرة الخواص ص ٢٤٧.

الحُسَين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامَة . »[١]

و روىٰ الخوارزمي ان مروان حذّر الوليد من التمرد علىٰ امر يزيد بقتل الحسين عليه السلام فقال له الوليد :

« مَهلاً وَيْحَكَ دَعْني من كلامِكَ هذا ، و أحْسِنِ القولَ في ابن فاطِمَةَ فانَّهُ بقيَّةُ وُلدِ النَّبيّين . »[٢]

و نقل الخوارزمي أيضاً ان الوليد لمّا علم بخروج الحسين عليه السلام الىٰ العراق كتب الىٰ ابن زياد :

« أمّا بَعْدُ فَإنَّ الحُسينَ بنَ عليٍّ قَدْ تَوجَّهَ الىٰ العِراقِ و هو ابن فاطمةَ البتولِ و فاطمةُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وآله فاحْذَر يابنَ زياد أنْ تأتي إليهِ بسوءٍ فَتُهيِّجَ علىٰ نَفْسِكَ في هذه الدُنيا ما لا يَسُدُّه شيٌ و لا تَنساهُ الخاصَّة و العامَّة أبداً ما دامَتِ الدُنيا . »

ثمَّ يقول الخوارزمي بعد نقل ذلك : « فَلَمْ يَلْتَفِتْ عَدُوّ الله إلىٰ كتابِ الوَليد . »[٣]

و يقول ابن الاثير استمهل عمر بن سعدُ عبيد الله بن زياد يوماً حتىٰ ينظر في امره بقتل الحسين عليه السلام ، فانصرف عمر يستشير نُصَحاءَه ، فلم يكن يستشير احداً الاّ نهاهٰ و جاء حمزة بن المغيرة بن شعبة و هو ابن اخته فقال : انشدك الله يا خال ان تسير الىٰ الحسين عليه السلام فتأثم بربّك و تَقطَع رَحمَك! فو الله لان تخرج من دنياك و مالك و سلطان الارض كلِّها لو كان لك خيرٌ من ان تلقىٰ الله بدم الحُسين![٤]

---

(١) الكامل ج٣ ص٢٦٥ .

(٢) مقتل الخوارزمي ص١٨١ .

(٣) مقتل الخوارزمي ج١ ص٢٢١ ف١١ .

(٤) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٦١٠ . الكامل لابن الاثير ج٣ ص٢٨٣ .

قال ابو زهير العبسي: سمعت شبث ابن ربعي ايّام امارة مصعب يقول: لا جزا الله اهل الكوفة خيراً، و منعهم الرشاد،ألا تعجب اننا قاتلنا علياً و من بعده ابنه، و نصرنا آل ابي سفيان، ثم نصرنا آل معاوية و ابن سميّة علىٰ ابن عليّ و هو خير اهل الارض؟!«ضلال يا له من ضلال»

و روىٰ ابن سعد في الطبقات: ان مرجانة ام عبيد الله بن زياد قالت لابنها: يا خَبيث قَتَلْتَ ابن بنت رسول الله، و الله لا تَرىٰ الجَنَّةَ ابداً»[1]

قال حميد بن مسلم: كان لي صحبه مع عمر بن سعد فأتيته عند منصرفه من قتال الحسين عليه السلام فسألته عن حاله فقال لا تسئل عن حالي فانه ما رجع غائب إلىٰ منزله بشرّ مما رجعتُ به قطعتُ القرابة القريبة و ارتكبت الأمر العظيم.[2]

و لما قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله إلىٰ أهله و هو يقول في طريقه: «ما رجع أحد مثل ما رجعت أطعت الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر و عصيت الحاكم العدل و قطعت القرابة الشريفة».

و هجره الناس و كان كلما مرّ علىٰ ملأ من الناس أعرضوا عنه و كلما دخل المسجد خرج الناس منه و كل من رآه قد سبّه فلزم بيته الىٰ أن قُتل.[3]

و روىٰ ابن الاثير و الطبري:

دخلوا (القوم الذين جاؤوا برأس الحسين عليه السلام من الكوفة) علىٰ يزيد فوضعوا الرأس بين يديه و حدثوه الحديث قال: فسمعت دَوْرَ الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيزْ ـ و كانت تحت يزيد بن معاوية ـ فتقنعت بثوبها و خرجت فقالت:

(١) تذكرة الخواص ص٢٦٩.
(٢) الأخبار الطوال ص٢٣٢.
(٣) تذكرة الخواص ص٢٦٩.

ياأمير المؤمنين أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله قال: نعم، فأغْولي عليه و حُدّي علىٰ ابن بنت رسول الله و صريخة قريش عجّل عليه ابن زياد فَقَتَلَهُ قَـتَلَهُ الله.(١)

و حتىٰ ابن زياد لما رأىٰ اعتراضات النـاس و سـخطهم عـليه و انَّ نـفرة المسلمين و لعنتهم لحقت به، حاول التبري من دم الحسين عليه السلام عليه السلام، حتىٰ انه حاول اتلاف كل كتبه التي وجهها الىٰ ابن سعد و غيره فيما يرتبط بقتل سيد شباب اهل الجنة عليه السلام، قال هشام: عن عوانة قال: قال عبيد الله بن زياد لعُمر بن سعد بعد

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص٥٨. الكامل ج٣ ص٢٩٨.

لا يخفىٰ ان مثل هذه الاقوال انما تصدر من امثال هؤلاء الارجاس كيزيد و عمر بن سـعد و شبث و غيرهم، لا تدل بحال من الاحوال علىٰ توبتهم و ندمهم علىٰ قتل الحسين عليه السلام بل هي دليل علىٰ شدّة اعتراض المسلمين عليهم و تنفرهم من عملهم، فارادوا بذلك تهـدئة مشـاعر الناس ضدهم. ان يزيداً راىٰ ان قتل الحسـين عليه السلام قـد اثـر حـتىٰ في داخـل بـيته و نسـائه فاعترضن عليه، و أحسّ بخطر الانقلاب عليه من كل طبقات المجتمع حتىٰ المجـتمع الشـامي الحاقد علىٰ أهل البيت. و كيف نحكم بندم يزيد و هو الذي اكرم عبيد الله بن زياد بعد قـتل الحسين عليه السلام و كافأه و قرّبه بدلاً من توبيخه و عزله و معاقبته، فكيف يصح القول ان يـزيد بريئ من دم الحسين عليه السلام ؟! أبداً، و كما ورد في خطبة عقيلة الهاشميين التاريخية الشريفة حين ذكرت ان يزيد كان فرحاناً مسروراً شامتاً بقتل الحسين عليه السلام انتقاماً لاشـياخه المـشركين في بدر.

و هذا عمر بن سعد، فضافاً الىٰ انه صار معرض ذم المسلمين و انكارهم له، و لم يصل الىٰ ما كان يصبو اليه من حكومة الري، و لذا ندم علىٰ ما قام به بعد خسارته ما مـن اجـله قـتل الحسين عليه السلام، و لكنه لو كان قد حصل علىٰ ولاية الريّ و تمكن من قمع معارضيه و النـاقمين عليه لقتله سيد شباب اهل الجنّة، لما كان قال ما قال من مظاهر الندم، و لما توانا و تباطئَ عن القيام بامثال ما قام به في كربلاء، لو أمر به ثانياً و ثالثاً و رابعاً، و بكل ميل و رغبة.

إذن، ما ورد من هذه الاقوال و الخطب انما هي لاستغفال المسـلمين و امـتصاص نـقمتهم و التخفيف من وطأة الحدث المريع.

قتله الحسين عليه السلام: يا عمر اين الكتاب الذي كتبتُ به اليك في قتل الحسين؟

قال: مَضَيتُ لامرك و ضاع الكتاب! قال: لتجيئني به. قال: ضاع! قال: و الله لتجيئني به. قال: ترك و الله يُقرأ علىٰ عجائز قريش اعتذاراً اليهنَّ بالمدينة، أما و اللهِ لقد نصحتُك في الحسين نصيحةً لو نصحتُها أبي سعد بن ابي وقاص كُنتُ قد ادّيت حقه.

قال عثمان بن زياد اخو عبيد الله: صَدَقَ و الله، لوددتُ أنّه ليس من بني زياد رجُلٌ إلاّ و في أنفِهِ خِزامةُ الىٰ يوم القيامة و أنَّ حُسيناً لم يُقتل. قال: فو الله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله. (١)

روىٰ ابو مخنف: قال الناس لسنان بن أنس: قتلتَ الحسين عليه السلام بن علي و ابن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قتلت اعظمَ العرب خطراً، جاء الىٰ هؤلاء يريد ان يزيلهم عن ملكهم، فأت امراءَكَ فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً.

فاقبل علىٰ فرسه و كان شاعراً و كانت به لَوْثة(٢) فاقبل حتىٰ وقف علىٰ باب فسطاط عمر ابن سعد ثم نادىٰ باعلىٰ صوته:

أوْقِر ركابي فِضَّةً أو ذَهَبا أنا قَتَلتُ المَلِك المحَبَّبا
قَتَلْتُ خَيرَ الناسِ أُمّاً و أبَا و خيرَهم اذ يُنسبون نَسَباً

فقال عمر بن سعد: أشهَدُ إنَّكَ لمجنون ما صَحَحْتَ قَطْ، أدخلوه عليَّ فلما دخل حَذَفَهُ بالقضيب ثمَّ قال: يا مجنون أتتَكَلَّم بهذا الكلام! أما و الله لو سمعك ابن زياد

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٦٦٠.
(٢) مسٌ من الجنون.

لضرب عُنُقك.[١]

و مع هذا التنبيه من عمر ابن سعد بسنان، نجد ان خولىٰ بن يزيد حينما جاء الىٰ عبيد الله بن زياد برأس الحسين، أنشد نفس هذه الابيات[٢]

وروىٰ السبط بن الجوزي ان عمرو بن حريث وكان من خواص زياد وابنه عبيد الله قال لابن زياد:

قد بلغت حاجتك من هذا الرأس فهب لى ما القيت منه فقال: ما تصنع به؟ فقال اواريه. فقال: خذه. فجمعه في مطرف خز كان عليه و حمله إلىٰ داره فغسله و طيبه وكفنه و دفنه عنده في داره و هي بالكفوة تُعرف بدار الخز، دار عمر بن حريث المخزومي.[٣]

و لا تَعجَبْ لذلكَ حتىٰ لو كان عمرو بن حريث في عداد حزب بني أُميَّة و تحت إمرة عبيد الله بن زياد، لان أمثال هؤلاء كانوا يتقيدون بالدين ـ و لو ظاهراً ـ مادام لا يعارض مصالحهم الدنيوية، فاذا وقعت المعارضة باعوا دينهم بدنياهم بل حتىٰ بدنيا غيرهم، و امثال هؤلاء كثيرون حتىٰ في زماننا. ان عمرو بن حريث كان يُقدس لحم رأس الحسين، و لعله كان يعتقد ان في ذلك بركة لبيته، و لكنه مع ذلك

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٦٤٩.

(٢) اسد الغابة ج ٢ ص ٢١. يقول ابن حجر في الصواعق: ان قاتل الحسين جاء الىٰ ابن زياد و انشد:

إملأ ركابي فضةً أو ذهباً فقد قتلتُ الملك المحجّبا
و من يصلي القبلتين في الصّبا و خيرُهم اذ يذكُرون النَسَبا

فغضب ابن زياد و قال له: اذا كنت تعلم ذلك فلماذا قتلته؟

ثم امر به فضربت عنقه. خسر الدنيا و الآخرة.

(٣) تذكرة الخواص ص ٢٧٠.

كان يُعين قاتل الحسين عليه السلام !!

و في زماننا يوجد بعض الناس يقدسون اهل البيت عليهم السلام و يظهرون المودة و الحب لهم، لكنهم يحاربون مبادئ و اهداف اهل البيت عليهم السلام، يبكون لأسر زينب و اخوات زينب من بنات الرسالة، لكنهم لا يكترثون لستر نسائهم و حجابهنَّ، و يتبركون بالقرآن و يباركون اولادهم بحمل القرآن و تعليقه علىٰ صدورهم، و يتحرزون به عند سفرهم و لكنهم يخالفون احكام القرآن الكريم.

هذه هي الحقيقة المرّة و هي ان هؤلاء لو كانوا في زمن يزيد لكانوا من جنده و لم يتوانوا عن سلِّ سيوفهم في وجه الحسين عليه السلام و هؤلاء هم الذين وصفهم الحسين روحى فداه بقولهک

« الناس عبيدُ الدنيا و الدِّينُ لَعَقٌ علىٰ ألسِنَتِهِمْ فاذا محصّوا بالبَلاء قَلَّ الدّيّانون. »

« أُفٍّ لمثل هؤلاء المسلمين و أُفٍّ لمثل إسلامهم! »

انعكاسات مقتل الحسين عليه السلام

استقبل المسلمون في كل بلدانهم نبأ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بلوعةٍ و تأسف شديدين، فما من خبرٍ سمعَهُ المسلمون باكثَر أساً و حُزناً من خبر قتل السبط الوحيد لخاتم النبيين و سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله.

فصحيحٌ انَّ خبر هذه الواقعة الفجيعة لم يصل في البدء الىٰ اسماع كل المسلمين ـخاصة تلك المناطق التي كانت تصلها موجات الدعاية و الاعلام الاموي التي تبثها قنوات التضليل و وضع الاحاديث المختلقة مثل المناطق التي كانت السلطة الاموية تحكم السيطرة عليها و تضبط الاخبار الواصلة اليهاـ و لكن بعد ذلك بايّام و نظراً للدور الاعلامي المبرج الذي لعبته قافلة الاسارىٰ من كربلاء الىٰ الكوفة و الىٰ الشام ثم الىٰ المدينة، و الخطب التي سمعها الناس من بنات الرسالة و الإمام السجاد، و جركة انتقال المسافرين بين بلدان العالم الاسلامي آنذاك، بعد كل هذا وقف المسلمون علىٰ قبح الجريمة التي اقترفتها الايادي الامويّة، و عَمَّت موجَة الغضب و التذمر و السخط علىٰ يزيد و ولاته و عمّاله، اكثر المرافئ الإسلامية.

و لا نبالغ إذا ما قلنا إنَّ الظروف السياسية و الاجتماعية و الاخلاقية التي قتل فيها الحسين عليه السلام كانت الىٰ درجة من الارهاب و الاستبداد بحيث لو انَّ نبياً من الانبياء كان قد قتل فيها، لم يكن ليصل نبأ مقتله بسرعة الىٰ كل العالم الاسلامي و لم تكن له انعكاسات واسعة أكثر من انعكاس خبر قتل الحسين عليه السلام، فأمورا السلطة الجائرة و مرتزقتهم و جواسيسهم و وعاظ سلاطينهم و عملاؤهم كانوا قد ملأوا

الافاق، يرفعون التقارير بكل صغيرة و كبيرة و جلاوزة الحكومة يُلقون القبض علىٰ من يُظنُّ بانه مخالف لهم و يزجّون به في غياهب السجون و المطامير تحت اشدّ انواع التعذيب و التنكيل، و في مثل هذه الظروف كيف نتوقع انتشار نبأ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في الآفاق بسرعة اكبر مما كانت عليه؟

لقد عضَّ الصديق و العدو، العالم و الجاهل، الرجل و المرأة، علىٰ أصابعهم دهشة و حيرة من هذه الجسارة علىٰ الله و رسوله و هتك حرمته و تعجبوا من تلك القسوة و الوحشية التي مورست بحق ابن بنت رسول الله من قبل اتباع بني أُمية في كربلاء.

فبعض الناس، مثل عبد الله بن عمر، لم يُصدِّق خبر إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام و جسارة هؤلاء الاشرار بساحة رسول الله صلى الله عليه وآله مع انه كان قد سمع بخبر إستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في محرابه.

و الحق، أنَّ قتل الحسين عليه السلام بتلك الطريقة و ذلك الاسلوب الوحشي و بتلك الخسّة التي تصرّف بها قاتلوه، لازال الىٰ اليوم مثاراً للاستغراب و الدهشة، إذْ كيف يعقل مثل ذلك و لم يمض علىٰ رحيل النبي محمد صلى الله عليه وآله الىٰ الملأ الاعلىٰ اكثر من خمسين سنة فقط إلاّ و قد انتشرت مبادؤه و تعاليمه و رسالته بسرعة عجيبةً الىٰ اسماع كل العالم يومذاك، و إنَّ الفتوحات الإسلامية كانت قد اتّسعت لتقضَّ مضاجع المشركين و عبدة الاوثان و السلاطين و الملوك و الاكاسرة، حتىٰ وصل الإسلام الىٰ آسيا الوسطىٰ و افريقيا، و اعتنق سكان الكثير من بلدان العالم الإسلام و ازدادت يوماً بعد يوم محبّة النبي في القلوب بسيرته الحسنة الشريفة و نبيل اخلاقه و صفاته.

ذلك النبي الذي فتح أمام قومه بل لكل البشرية أبواب الهداية و الرحمة و العزّة و السعادة و الغنىٰ و الثروة و خير الدنيا و الآخرة، أنقدهم من الجهالة و

الفجور، و أخرجهم من الظلمات الىٰ النور و من الموت الىٰ الحياة و من الذلة و المهانة الىٰ الشرف و الرفعة، لم يمض علىٰ وفاته اكثر من خمسين سنة فقط، و اجتمع نفرٌ من الاشرار و المنافقين من أُمّتِهِ، و من الذين يشهدون بلسانهم بنبوته خمس مرات باليوم، من الذين اصبح الإسلام و منهج النبي السماوي، راسُمال عزَّتهم و مجدهم و قدرتهم، اجتمعوا لارتكاب اكبر جناية في التاريخ الانساني، فقاموا بقتل ابن ذلك النبيّ و عزيزه و من يمثل الامتداد الطبيعي له في حياة المسلمين و عزَّتهم و افتخارهم، و الذي كان مَظهَراً لكل الكمالات الإنسانية، و الذي كان مجاهداً في سبيل نجاة الامة، قتلوه في جملة من أهل بيته و أطفاله و عدة من اصحابه و هم خيرة أوتاد الارض و قرّاء القرآن، العبّاد و الزّهاد، معلموا الاخلاق الإنسانية الفاضلة العظام، و أدلة المجتمع في طريق السعادة، و نماذج صفاء و نقاء و طهارة ملائكة الرحمن في الارض، بعد أنْ حاصروهم في صحراءَ قاحلة، و منعوهم الماء المباح حتىٰ للحيوانات، ثم قتلوهم بافجع طريقة عرفها التاريخ.

ألا يحق لنا و للجميع ان يستغربوا ذلك؟

اذ لم يكن من المتوقع أن تصل الخيانة و الوحشية و نكران الجميل و الطعن من الخلف الىٰ هذه الدرجة من اللؤم و الخسَّة.

و لم يكن متوقعاً أن تسقط البشرية الىٰ اسفل درجات الانحطاط الاخلاقي.

لقد كان الأمر مذهلاً للعقول و مُحيِّراً للافكار، خاصة و إنَّ الكثير من قتلة الحسين عليه السلام كانوا قد كاتبوه و دَعَوْه و بايعوه، و كانوا علىٰ يقين من علو قدره و مقامه و فضله بل كانوا يعرفون انّه الاكثر فضلاً و إستحقاقاً من سائر البشر أجمع.

كان الأمر مذهلاً و محيّراً، و قد إنكشف اولئك الأشرار، المقنّعين بقناع الدين و الشرف و ظهروا علىٰ حقيقتهم و كيف إنَّهم باعوا دينهم و باعوا شرفهم و باعوا

ضمائرهم بثمن بَخْس، و قد أقرّوا بأنفسهم بجنايتهم و خسَّتهم، فبقيت وصمة عارٍ في جبينهم الىٰ يوم القيامة. لما سمع أبو عثمان عبد الرحمن الهندي، الذي اسلم زمن النبي و اشترك معه في عدة حروب، و صاحب سلمان الفارسي مدة اثني عشرة سنة وكان معروفاً بالعبادة و قراءة القرآن، عندها علم بذلك هجر الكوفة و قال:

لا أسكنُ بَلَداً قُتِلَ فيهِ ابنُ بنت رسول الله صلى الله عليه وآله(١)

و روىٰ ابن سعد إنَّ امَّ سلمة ـو التي كانت بعد خديجة عليها السلام نموذجاً للمرأة المسلمة لمّا بلغها قتل الحسين عليه السلام قالت متعجبةً:

«أو قد فعلوها؟ ملأ الله بيوتهم و قبورهم ناراً ثم بكت حتىٰ غشي عليها.(٢)

و كان الحسن البصري يقول:

لو كنتُ مع قتلة الحسين عليه السلام أو مع من رضي بقتله، ما دخلتُ الجنّة حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله و خوفاً من نظره اليّ بعين الغضب»(٣)

و حكىٰ الزهري:

«لما بلغ الربيع بن خيثم قتل الحسين عليه السلام بكىٰ و قال: لقد قتلوا فتية لو رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأحبّهم و أطعمهم بيده و أجلسهم علىٰ فخذه.»(٤)

و قال يحيىٰ بن الحكم(٥) لمّا اقبل وفدُ أهل الكوفة برأس الحسين و دخلوا مسجد دمشق قال لهم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا

---

(١) اسد الغابة ج٣ ص٣٢٥.

(٢) تذكرة الخواص ص٢٧٧.

(٣) نور الابصار ص١٠٦. الاتحاف ص٢٤. و نقل مثل هذا الكلام عن ابراهيم النخمي.

(٤) تذكرة الخواص ص٢٧٨.

(٥) و هو اخو مروان بن الحكم، و مروان هو الذي رغّب الوليد بقتل الحسين عليه السلام.

و الله علىٰ اخرهم و هذه الرؤوس و السبايا. فقال:

«حُجِبْتُمْ عن محمد يَوْمَ القيامَة، لَنْ اجامِعَكُمْ علىٰ أمرٍ ابداً»

ثمَّ قام فانصرف. (١)

و يحيىٰ هذا هو الذي انشد تلك الابيات المعروفة في مجلس يزيد.

قال ابو مخنف: حدثني ابو جعفر العبسيّ عن ابي عمارة العبسيّ قال: فقال يحيىٰ بن الحكم اخو مروان بن الحكم:

لهامٌ بجنب الطفِّ أدنىٰ قرابةً
مِنِ ابن زياد العَبْد ذي الحَسَبِ الوَغْلِ (٢)
سُمَيَّةُ أمسىٰ نَسلُها عَدَدَ الحصىٰ
و بنتُ رسول اللهِ لَيْسَ لها نسْلِ

فقال: فضرب يزيدُ بن معاوية في صدر يحيىٰ بن الحكم و قال: إسكُتْ. (٣)

و أمثال يحيىٰ بن الحكم كثيرون في حاشية بني اميّة و مقربيهم، و قد هزّتْهُم فاجعة كربلاء و لم يكفّوا السنتهم عن ذم قتلة الحسين عليه السلام و لم يسكتوا علىٰ العار الذي لحق بهم جرّاء ارتكاب بني اميّة و اعوانهم، بل حتىٰ حريم القصر و نساء يزيد، عَلَتْ صيحاتهنَّ و صراخهن و بكائهن علىٰ الحسين عليه السلام كما اشرنا سابقاً، و لا عجب في ذلك، فان من حَمَل ذرّة من الإسلام، و شمَّ قليلاً من رائحة الدين، لا يتحمل السكوت عن مثل هذه الجريمة البشعة بقتل أولاد النبيين و أسر نسائهم، دون أنْ يصبَّ جامَ لعنته علىٰ مقترفيها.

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص٦٥٨.

(٢) الوَغل: الخسيس.

(٣) الطبري ج ٤ ص ٦٥٤ـ٦٥٥، طبعة بيروت.

قال عبد الله بن الزبير:

«لقد اختار الحسين الميتة الكريمة علىٰ الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً، و أخزىٰ قاتلَ الحُسين، فلعمري لقد كان من خلافهم إيّاه و عصيناهم ما كان في مثله واعظ و ناهٍ عنهم، و لكنه ما هُمَّ نازل، و اذا اراد الله أمراً لن يُدفع. أفبعد الحسين عليه السلام نطمئن الىٰ هؤلاء القوم و نصدق قولهم و نقبل لهم عهداً؟ لا، و لا نَراهُم لذلك أهلاً، أما و الله لقد قتلو طويلاً بالليل قيامُه، كثيراً في النهار صيامُه، احقَّ بما هم فيه منهم و أولىٰ به في الدين و الفضل، أما و الله ما كان يُبدِّل بالقران الغناء، و لا بالبكاء من خشية الله الحُداء، و لا بالصيام شرب الحرام، و لا بالمجالس في حَلَق الذكر الركض في تطلاب الصيد ـ يعرض بيزيد ـ فسوف يلقون غَيّا» (١)

و قال ابنُ عباس: رأيت النبيّ فيما يرىٰ النائم نِصْفَ النهار و هو قائمٌ أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، قلت: بابي و أمّي أنت يا رسول الله ما هذا؟ قال: «هذا دَمُ الحُسَين لم أزَلْ التقطهُ» فلما استيقظت وجدتُه قد قُتل في ذلك النهار. (٢)

و قال الزهري:

لمابلغ الحسن البصري قتل الحسين عليه السلام بكىٰ حتىٰ اختلج صدغاه، ثم قال:

واذلّ امّة قَتل ابنَ بنتِ نبيّها ابنُ دعيّها، و الله ليَرِدنَّ رأسُ الحسين الىٰ جسده ثمّ لينتقمنّ له جدُّه و أبوهُ مِن إبنِ مرجانة. (٣)

و روي أنَّ زوجة كعب بن جابر الذي قَتل برير عليه السلام قالت له: نصرت قتلة الحسين إبنَ فاطمة و قتلت بُرير سيد القراء! و الله لا اكملك من راسي كلمة بعد

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص٦٦٨ـ٦٦٧.

(٢) الاصابة ج١ ص٣٣٥ ـ ١٧٢٤. الاستيعاب ج١ ص٣٨١. الاتحاف ص١٢.

(٣) تذكرة الخواص ص٢٧٨.

اليوم. (١)

لقد كان قتل الحسين عليه السلام ثقيلاً جداً علىٰ وجدان الناس و نفوسهم الىٰ درجة إنَّ نفس قتلة الحسين الذين حضروا كربلاء من أجل الغنائم و طمعاً بالمناصب و الدراهم، و علىٰ الرغم من تعلقهم الكبير بحفظ مناصبهم في اجهزة الدولة و مؤسسات الحكم الاموي، لم يتمكنوا من إخفاء عظم الجرم الذي ارتكبوه، فكانوا يستشعرون خسّتهم و قبح ما ارتكبوه و من هنا نجد الواحد منهم يحاول جاهداً القاء اللوم علىٰ الاخرين و التبرئ من فداحة الجريمة التي اقترفوها.

يقول الشبراوي:

و لمّا ضعف جسم الإمام الحسين عن النهضة بالجراحات حمد الله تعالىٰ و أثنىٰ عليه ثم قال: «اللهم اني اشكو اليك ما يُصنع بابن بنت نبيك اللهم احصهم عددا و اقتلهم مددا و لا تبق منهم أحداً». و اقبل شمر في نحو عشرة الىٰ منزل السيد الحسين و حالوا بينه و بين رحله و قدموا عليه و هو يحمل عليهم و قد بقي في ثلاث نفر من أصحابه و مكث طويلا من النهار و لو شاؤوا أنْ يقتلوه لقتلوه و لكنّهم كان يتّقي بعضهم ببعض و يحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء فنادىٰ شمر في الناس و يحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك التميمي بكفه اليسرىٰ فصار يقوم و يكبو بقوّة جاش و ثبات جنان و فضل شجاعة و عدم مبالاة بما فيه من الجراح بشهامة قرشية و عزة هاشمية غير مكترث ذلك الاسد الوثاب بنهش تلك الكلاب غير أنَّ الاقدار الازلية و الحكمة الالهية اقتضت اظهار هذا الخطب الجسيم و الصدع العظيم تنبيها علىٰ حقارة هذه

(١) الكامل لابن اثير ج٣ ص ٢٩٠.

الدار و أنها إنما خلقت مطبوعة علىٰ الاكدار و ليتأسى بهذه المصيبة المصابون و ينال هذا الإمام مقام الشهادة الذي يتنافس فيه المتنافسون و الا فمن أكرم علىٰ الله سبحانه من بضعة حبيبة المجتبى و سبط الرسول المصطفىٰ صلى الله عليه وآله و من المعلوم قدرته سبحانه علىٰ نصره علىٰ أعدائه و كف أسلحتهم عنه و دفع ضررهم و شرهم

«لكنَّهُ يَفعلُ ما يَشاءُ و لا يُسئَلُ عمّا يَفْعَل»[1]*

لقد كان وقع المأساة عظيماً الىٰ درجةٍ لفَّ الحزن بها كل العالم الاسلامي، اذ أنَّ موتَ عالمٍ روحاني مُتحرق الىٰ هداية المجتمع، مجاهدٍ في تربية النفوس و تهذيب الارواح و تكميلها و تعليم الاخلاق الفاضلة، لمقرحٌ للجنون و مسبلٌ للعيون.

و إنَّ فقدان مرجع ديني و زعيم روحي لمحرقٌ للقلوب أساً و حزناً، فكيف بفقدان الحسين عليه السلام ؟!

وكلنا شاهدنا كيف إنَّ ارتحال الزعيم الكبير و المجاهد، استاذنا المعظم آية الله السيد البروجردي قرس سره، قد هزَّ العالم الإسلامي و عمَّ الحزن و المآتم انحاء البلاد، فكيف بقتل ابن فاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وآله؟!

فللوقوف علىٰ عظم ماساة و مصيبة الحسين عليه السلام و ما تركته من أثر و حزن و انعكاس في اعماق الناس و أنفسهم، لابد من التوسل بالمقايسة بفقد هؤلاء العلماء، و الاستعانة بهذا الميزان مع الاحتفاظ بالفارق الكبير و البون الشاسع بين القضيتين.

فاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام و أولاده و إخوته و ابناء اخوته و أبناء أخواته، وكلهم من أبناء بيت النبوة، و جواهر بحر الهداية و التُقىٰ، لا يقاس أبداً

---

(١) الاتحاف ص١٧ـ١٦.

(*) اقتباس من قوله تعالىٰ «لا يُسئل عمّا يَفعل و هم يُسئلون» سورة الانبياء الآية ٢٣.

بموت عالم عاش حياته علىٰ بركات مائدة آل محمد، خاصة إنَّ قتل الحسين عليه السلام لم يكن قتلاً مماثلاً لما عليه القتل في الحروب، و أنّما قُتل الحسين و اطفاله عُطاشىٰ مُنعوا حتىٰ من الماء المباح للحيوانات.

و إستشهاد الحسين عليه السلام كان مقترناً بقتل و ذبح الاطفال الرضّع بابشع و أخسِّ اساليب القتل!!

و إستشهاد الحسين عليه السلام كان مقترناً بجريان خيل الضلال علىٰ صدره الشريف!!

و إستشهاد الحسين عليه السلام التوأم مع سلب ملابسه و ثيابه و قطع رأسه و اصبعه!!!

و إستشهاد الحسين عليه السلام تبعه الغارة علىٰ أخبية بنات محمد و علي و فاطمة و سلب النساء و البنات حليّهن و أقراطهن بقسوة و وحشية!!

و إستشهاد الحسين عليه السلام المتعقب باسر مخدرات الوحي و عقائل النبوة، و هتك ستور حرم العصمة و الجلالة.

أجل، لا يمكن قياس ايَّ واحدة من هذه المصائب بالمقياس العادي كفقد عالم كبير أو مرجعٍ، بل تعجز كل المقاييس عن بيان فداحة هذا المصاب الجلل، و تبقىٰ كل الموازين صغيرة محدودة تضيق عن كشف ثقل هذه الحادثة الاليمة بابعادها الكاملة.

فمن الواضح إنَّ انعكاسات مثل هذه المصائب تهيج طوفاناً من الاسىٰ و الحزن يعتصر القلوب و الارواح، و لا يهدأ أبداً بمرور السنين و الدهور و الاعصار.

و من ثمَّ حاول يزيد و اكثر المشتركين بهذه الجريمة جاهدين من أجل إثبات براءتهم في المحاكمة الكبيرة التي اقيمت في محكمة وجدان المسلمين بل عموم الناس

التي حكمت علىٰ كلّ قتلة الحسين عليه السلام و الذين ظلموا اهل البيت عليهم السلام بالعار و الشنار و الارتداد و الخروج عن ربقة الإسلام بل الإنسانية.

ان يزيد الذي كان منتشياً بنشوة النصر الظاهري، و الذي أمر بنفسه باحضار عقائل النبوة اسارىٰ الىٰ دمشق، و الذي لم يلو جهداً في إيذائهم و إذلالهم في مجلسه و ترنّم بتلك الاشعار الكافرة علناً، وكشف عن اساريرة الخبيثة الجاهلية، يزيدُ هذا و عندما احسّ بانقلاب السحر علىٰ الساحر و شعر بانعكاس الجريمة الخطيرة و التي ظهرت حتىٰ في غرف حريمه و مخادعه، و عندما صكت مسامعه خطبة العقيلة زينب و خطبة الإمام السجاد عليه السلام في مسجد الشام، و رأى بامِّ عينيه اعتراضات اقرب الناس اليه و اشدهم عناداً لآل محمد، أراد أن يستدرك الموقف، فلجأ الىٰ النعمان بن بشير و اليه الذي عزلهُ عن الكوفة لرفقه بدُعاة الحسين عليه السلام، و أمرهُ ان يسير بآل الحسين الىٰ المدينة و يجهزهم بما يُصلحهم و قيل انه ودّعَ زين العابدين و قال له:

«لَعَنَ الله ابن مرجانَة... أما و الله لو أنّي صاحب أبيك ما سألني خصلةً أبداً إلاّ اعطيتُهُ إيّاها و لدفعتُ الحتفَ عنهُ بكلِّ ما إستطعت و لو بهلاك بعض وُلدي و لكنَّ الله قضىٰ ما رأيت يا بُني!! كاتبني من المدينة و انهِ اليَّ كل حاجة تكونُ لك»(١)

و لم يكن بتقديرنا يزيد نادماً أبداً من قتل الإمام الحسين عليه السلام، اذ لم يكن يزيدُ يُعيرُ ايَّ اهتمامٍ للفضائل و القيم و لا يقيم لها وزناً في قبال الملك و السلطة، بل كان مسرور جذلان بالانتقام من رسول الله محمد بما فعله يوم بدر و الاحزاب، و لولا انه خاف الفتنة لأمر بقتل البقية الباقية من آل محمد صلى الله عليه وآله و ان كانوا نساءاً و اطفالاً،

---

(١) ابو الشهداء ـ العقّاد ص ١٧٢.

كما فعل باهل المدينة في واقعة الحرّة.

و الثابت الذي لا جدال فيه، انَّ يزيداً لم يعاقب احداً من ولاته كبر او صغر علىٰ شي مما اقترفوه في فاجعة كربلاء، بل انّه و كما قلنا سابقا و كما سيتضح لنا اكثر فاكثر لاحقاً، حَبىٰ ابنَ زيادٍ و كرّمه و جازاه و قرَّبهُ، و لكن يزيد قال ما قال لزين العابدين، مكراً و رياءاً و خوفاً من نقمة الناس عليه، و لانه احسّ بخطأ خُطَطِه و فشلها.

لقد ظنَّ يزيد و ابنُ زياد انّه بعد أن يقتل الحسين عليه السلام و يُوطئ الخيل صدره يستطيع أن يخدع الناس باضفاء صبغة شرعية قانونية علىٰ عمله بادّعاء خروج الحسين عليه السلام علىٰ خليفة وقته و شقَّ عصا المسلمين، أو انَّ بامكانه كمِّ الاخواه التي يُحتمل إعتراضها، بالمال و الرُشا، أو إحكام قبضة الحديد و النار علىٰ من لا تنفع معهم تلك الاساليب باجمعها، و انه سيتوسل بقطع الايدي و جذع الانوف و الآذان، كما فعل معاوية ابن ابي سفيان مع شيعة علي عليه السلام حيث تتبعهم تحت كل حجر و مدرٍ، و اعلن البراءة ممَّن تولىٰ ابا تراب، و أمر خطباء جمعته بسبِّ علي عليه السلام علىٰ المنابر، هكذا كان يظن يزيد، و لكن كل الحسابات كانت مغلوطة و لم تؤتِ ثمارها حتىٰ لفترة قصيرة، لان اعتراض الناس بدأ منذ اليوم الاول من قضية كربلاء، و لم تستطع مجزرته بالمدنية من تلافي سلبيات ما اقترفته يداه الاثيمتان في كربلاء و محو آثارها في قلوب المسلمين.

إنَّ مظلومية الحسين عليه السلام قد تجلَّت الىٰ درجة ان قتلته أنفسهم كانوا يشعرون بالخزي و العار بقية حياتهم.

يقول الدكتور العقاد:

و ركب اناساً منهم الفَزَع الدائم بقية حياته لانهم عرفوا الاثمَ فيما اقترفوه

عرفاناً لا تسعهم المغالطة فيه، و من هؤلاء رجل من بني أبان بن دارم كان يقول:

قتلت شابا أمرد مع الحسين عليه السلام بين عينيه أثر السجود. فما نمتُ ليلة منذ قتلته إلاّ أتاني فيأخذ بتلابيبي حتىٰ ياتي جهنم فيدفعني فيها، فأصيح فما يبقىٰ احدٌ في الحيَّ الاّ سمع صياحي.

و رأىٰ هذا الرجلَ صاحبٌ له بعد حين و قد تغيَّر وجهه و اسود لونُه فقال له: «ما كدت اعرفك» و كان يعرفه جميلاٍ شديد البياض[1]

(١) ابو الشهداء ص١٣٨.

مكانة الحسين عليه السلام عند الصحابة و التابعين

من بالغ حبِّ الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله و عطفه الكبير علىٰ الحسين عليه السلام و من كثرة الاحاديث الوادرة عنه صلوات الله عليه في خصوص مناقب و فضائل الحسين عليه السلام و التي اصبحت ورد لسان المسلمين و زينة محافلهم و مجالسهم و اجتماعاتهم، و من اقربية الحسن و الحسين عليهما السلام الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، و من كل الخصال الحميدة في الحسين عليه السلام و التي جعلته محبباً للجميع، من كل ذلك، يعلم مدىٰ تجليل و احترام الحسين من قبل عامة المسلمين.

و مما ساعد المسلمين علىٰ الصبر علىٰ فقدان النبي الاكرم، وجود عليٍّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و من هنا كان هؤلاء الاربعة و هم تذكار النبي صلى الله عليه وآله، مورد احترام و تبجيل المسلمين و محور تمركز أحاسيسهم و عواطفهم، فكانوا عليهم السلام المرهم الشافي لجروح القلوب المفجوعة بفراق رسول الله صلى الله عليه وآله المخفِّف عن احزانهم و آلامهم.

و لكن كما نعلم ان فاطمة عليها السلام لم تمكث بعد رسول الله الاّ فترة قصيرة و التحقت بأبيها و ارتاحت من امواج الغم و الحزن و المصائب العاتية.

و بقي عليٌّ و الحسنان عليهم السلام مركز تجلّي احاسيس المسلمين و عواطفهم الجيّاشة في رسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن كان محبّا لمحمد، كان ملؤ قلبه الحبَّ للحسنين، فهما تذكار رسول الله و احترامهما إحترام النبي صلى الله عليه وآله، و كان الناس يتذكرون رسول الله كلما نظروا الىٰ الحسن و الحسين عليهما السلام.

و لا نبالغ اذا ما قلنا بان هاذين الطفلين كانا اعظم مالكٍ لقلوب رجال و نساء المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله و أنَّ المدينة كانت تحتفظ بثقلها الروحي الذي كانت عليه ايام رسول الله صلى الله عليه وآله.

فاذا جاء الحسنان الىٰ المسجد،كأن رسول الله قد جاء، و اذ حضرا محفلاً ذكّر وجودهما الناس بالنبي محمد، و كانت تظهر علىٰ وجوه الناس ملامح البشر و السرور والطمأنينة بوجودهما الحاكي عن وجود المصطفىٰ صلى الله عليه وآله.

و من لم يَنَلْ من الناس إفتخار صحبته النبي، كان يُعزّي نفسه بصحبته للحسنين و هما ذكرىٰ النبي صلى الله عليه وآله، فكان الجميع يجلسون اليهما و يسمعون منهما و يتبركون ببركتهما و كانت كل القلوب ـالاّ قلوب المنافقين ـ شرق و غرب العالم الإسلامي مفعمة بحب وَلَديّ رسول الإنسانية، بل إنَّ بعض أهل النفاق و مبغضي اهل البيت، و لكي يخدعوا العوام و من اجل الحفاظ علىٰ مصالحهم السياسية،كانوا يظهرون الودَّ للحسنين عليهما السلام.

و كان ودُّ المسلمين للحسنين كبيراً الىٰ درجة انَّ البعض ظن بانَّ المسلمين كانوا يحبونهما اكثر من ابيهما علي ابن ابي طالب عليه السلام

و ها هو الاحنف ابن قيس يقف أمام معاوية في المجلس الذي أقامه معاوية لأخذ البيعة لابنه يزيد، و لم يتجرأ أحد علىٰ الاعتراض عليه، فقال له الأحنف: أنت أعلمنا بليله و نهاره و بسرّه و علانيته فان كنت تعلم انه شرٌ لك فلا تزوّده الدنيا و انت صائر الىٰ الآخرة فانه ليس لك من الآخرة الاّ ما طاب و اعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدّمت يزيد علىٰ الحسن و الحسين و أنت تعلم من هما و الىٰ ما هما و إنما علينا ان نقول سمعنا و أطعنا ربنا و اليك المصير.[١]

(١) الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص ٥٠ـ٤٩.

و قد يكون الأمر كذلك، فخواص الصحابة امثال عمّار و قيس بن سعد الانصاري و امثالهم ممن ادرك عهد النبي و عرف ايثار و فداء و مقام علي ابن ابي طالب، كانوا اكثر تعلقاً بعلي عليه السلام، لكنَّ محبة الحسن و الحسين و بملاحظة انهما ريحانتا رسول الله و ثمرة فؤاد فاطمة الزهراء، كانت قد ملأت القلوب و النفوس، و كانوا يعتبرونهما منبع الكرامات و البركات، فهما تذكارا رسول الله و لا شك في ان كل مسلم يُحبُّ تذكار النبي صلى الله عليه وآله.

يقول الاستاذ العقاد:

و قد عاش الحسين سبعاً و خمسين سنة بالحساب الهجري و له من الاعداء، من يصدقون و من يكذبون، فلم يَعِبْهُ احد منهم بمعابةٍ و لم يملك احد منهم ان ينكر ما ذاع من فضله، حتىٰ حار معاوية بعيبه حين استعظم جلساؤه خطاب الحسين له، و اقترحوا عليه أن يكتب اليه بما يصغرهُ في نفسه، فقال: إنهُ كان يجد ما يقوله في عليّ و لكن لا يجد ما يقوله في حسين»[١].

و بعد استهشاد الإمام الحسن عليه السلام ازدادت محبة الحسين عليه السلام في القلوب، و كبُر اشتياق الناس الىٰ رؤيته و زيارته، و لا مبالغة في قول: انَّ كل محبتهم للرسول و علي و فاطمة و الحسن قد اضيفت الىٰ حبِّهم للحسين عليه السلام.

و يمكن تقريب هذا المعنىٰ بضرب مثل رجلٍ له خمسِ اولاد مميزين، نوابغ و ابتلي بفراق موت اربعة منهم واحداً بعد الآخر، فمثل هذا الشخص سيتركز حبُّه

---

(١) ابو الشهداء ص ٣٤.

و كان معاوية يقصد انه كان يملك حيلة في إضلال الناس بالافتراء علىٰ امير المؤمنين بدم عثمان لمشاركته أو سكوته عن قتلته مع ان معاوية كان يعلم ببراءة علي من ذلك، الاّ انه اراد ان يشعل نار الفتنة، مثله مثل طلحة و الزبير و عائشة الذين كانوا المحرك الاصلي لقتل عثمان.

للخامس و يتأكد حفاظاً عليه و اعتزازا به و فَرقاً من فراقه، فتراه دائم الانشغال به مهتماً برعايته ساهراً علىٰ خدمته، فاذا ما قُدِّر ان ابتلي بفراقه هو الآخر، كانت مصيبته أعظم المصائب عنده.

يقول العقاد:

و لقد كان الحسين بن علي بهذه المزيّة (النسب الشريف) أحبَّ انسانٍ الىٰ قلوب السلمين و أجدَر انسانٍ أنْ تنعطف اليه القلوب.(١)

و كان مجلس الحسين من أفضل مجالس العلم و التفسر في مسجد النبي صلى الله عليه وآله و كان الكل يفتخرون بالحضور عنده، و كما اعترف معاوية بذلك.

و قد نقل ابن كثير أنّه لما ورد الحسين عليه السلام و ابن الزبير الىٰ مكة و اقاما فيها، لازم الناس الحسين بن علىٰ و لم يفارقوه و كانوا يَردون عليه افواجاً افواجاً و يجلسون حوله و يستمعون اليه.(٢)

و قد نقل الواقدي و الذهبي في تاريخ الإسلام في اخبار مقتل الحسين عليه السلام، حديثا عن ابي عون ـ و رُوي نظيره في تاريخ النبي الاعظم صلى الله عليه وآله ـ يدل علىٰ ايمان الناس و اعتقادهم الكبير بمقام الإمام الحسين الروحي و انه مظهر كمالات جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

و الحديث هو: خرج الحسين عليه السلام من المدينة فمرَّ بابن مطيع و هو يحفر بئره، فقال أين فداك أبي و أمي؟ متعنا بنفسك و لا تَسِرْ، فأبىٰ حسين عليه السلام فقال إن بئري هذه رشحتها، و هذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو، فلو دعوت لنا فيها بالبركة، قال هات من مائها، فأتىٰ به في الدلو فشرب منه ثم مضمض ثم رده في البئر.(٣)

(١) ابو الشهداء ص٥٢.

(٢) سمو المعنىٰ في سمو الذات ص١٣٩.

(٣) سمو المعنىٰ في سمو الذات ص١٤٠. تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص٣٢٣.

يقول الاستاذ العلايلي: و ممّا لا اختلاف فيه بين الرواة أن الحسين عليه السلام كان محببا الىٰ كل نفس، مصطفىً بين كل قبيل. و زادت به جاذبيته إلىٰ الناس، أنهم غدوا يقدسونه تقديسا و ينظرون إليه بالنظر الذي هو فوق اعتبارات الناس. (١)

و من جملة ملامح خضوع الناس لشخصية الإمام الحسين عليه السلام هو تواضع عبد الله بن عباس له، فابن عباس من بني هاشم و هو ابن عمَّ النبي و من رجالات الإسلام و هو اكبر سنّا من الحسين عليه السلام و مشهور بالعلم و المعرفة بين الناس و من الرواة المعروفين و حملة حديث النبي صلى الله عليه وآله و كان ابو بكر و عمر يقيمان له وزناً ابّان خلافتهما، و كان عمر يشاوره في كثير من الامور، و في زمن خلافة امير المؤمنين عليه السلام كان من كبار صحابة علي و تلامذته، و مع كل ذلك، و كما يقول ابن سعد في الطبقات: إنَّ ابن عباس كان يُمسك بزمام راحلة الحسن و الحسين عليهما السلام ليركبا و كان يقول:

«هُما إبْنا رَسولِ اللهِ»(٢)

و كان عمر ابن الخطاب يلتزم باظهار الاحترام و تعظيم مقام الحسين عليه السلام و كان يقول له:

«إنَّما أنْبَتَ في ما تَرىٰ في رؤوسنا اللّهُ ثُمَّ أنتُم»(٣)

اي إنَّ كلَّ ما لدينا من عزَّة و فخر و دين و دنيا هو ببركة الله و بركتكُم.

و كان عبد الله بن عُمر جالساً في ظل الكعبة فقدم ابو عبد الله الحسين عليه السلام فقال ابن عمر:

---

(١) سمو المعنى، ص١٣٩.

(٢) تذكرة الخواص ص٢٤٥.

(٣) الاصابة ج١ ص٣٣٣ ـ ١٧٢٤. اسعاف الراغبين ص١٨٣.

«هٰذا أحبُّ أهلِ الأرض إلىٰ أهلِ السماءِ اليوم»[١]

و كان أبوبكر يحاول التشبه برسول الله صلى الله عليه وآله فكان يُركب الحسن و الحسين علىٰ كتفيه.[٢]

و كان ابو هريرة يطلب من الحسين عليه السلام ان يسمح له بتقبيل سُرّته.[٣]

و كان الحسن البصري يقول: الحسين سيّد زاهدٌ صالحٌ يحب الخير للمسلمين حَسن الخُلق»[٤]

و خطب عبدالله بن الزبير في المسجد الحرام بعد مقتل الحسين عليه السلام فقال:

لقد اختار الحسُين الميتة الكريمة علىٰ الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً، و اخزىٰ قاتلَ الحُسين، فلعمري لقد كان من خلافهم إيّاه و عصيناهم ما كان في مثله واعظ و ناهٍ عنهم، و لكنه ما هُمَّ نازل، و اذا اراد الله أمراً لن يُدفع. أفبعد الحسين عليه السلام نطمئن الىٰ هؤلاء القوم و نصدق قولهم و نقبل لهم عهداً؟ لا، و لا نَراهُم لذلك أهلاً، أما و الله لقد قتلو طويلاً بالليل قيامُه، كثيراً في النهار صيامُه، احقَّ بما هم فيه منهم و أولىٰ به في الدين و الفضل، أما و الله ما كان يُبدِّل بالقران الغناء، و لا بالبكاء من خشية الله الحُداء، و لا بالصيام شرب الحرام، و لا بالمجالس في حَلَق الذكر الركض في تطلاب الصيد ـ يعرض بيزيد ـ «فَسَوفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً» ألا لعنة الله علىٰ الظالمين».[٥]

---

(١) الاصابة ج١ ص٣٣٣ ـ ١٧٢٤.

(٢) مقتل الخوارزمي، ص٩٣ ف٦.

(٣) مقتل الخوارزمي، ص٩٣ ف٧.

(٤) مقتل الخوارزمي ص١٥٣.

(٥) تاريخ الطبري ج٤ ص٦٦٨ـ٦٦٧. تذكرة الخواص ص٢٨٨.

اخلاقية الإمام الحسين عليه السلام

لا شكَّ في أنَّ قيمة المرء، في علمه و كماله و فضائله و كريم خلقه. فافراد البشر مهما تفاوتت أوصافهم الجسمية و العرقية و تمايزوا ببلدانهم و ملابسهم و مالهم و مقامهم و سائر العوارض الاخرىٰ الاّ ان كلَّ ذلك لا يفضل بعضهم علىٰ بعض، و الأمر الوحيد الذي يمايزهم هو الكمالات الروحية و الاخلاق الحميدة و المآثر الجميلة. و بعبارة، ان فضيلة الإنسان ليست في الاستمتاع باللذائذ الحيوانية و الاتصاف بما يشترك به مع سائر الحيوانات و البهائم، و انما كمال الإنسان بالاتصاف بما يميزه عن الحيوانات، و كلما تعمّق اتصافه بهذه الفوارق، ازداد تمايزاً و ابتعاداً عن عالم البهائم و اقترب الىٰ الإنسانية و تجلّت فيه صفات البشر.

فكثيرٌ من الناس صورهم صور البشر، لكنهم لازالوا يراوحون في الحيوانية، و البعض يطوي الفاصلة بين الحيوانية المحضة و الإنسانية الكاملة و يتوقف في نقطة في منتصف الطريق، و بعضهم الآخر يطوي تلك الفاصلة كاملة فيصل الىٰ حدِّ الكمال التام.

و العلوم و المعارف و الاخلاقيات الحميدة، هي كواشف عن مقدار المسافة التي اجتازها هذا الفرد او ذاك في هذا الطريق، و تجلٍّ للمرحلة التي توقف عندها أو وصلها.

فالانسان بفطرته يمتاز بحب الاخلاق الحميدة، و يُحبُّ ذوي المكارم و الفضل و يتأثر بالمشاهد الاخلاقية و صور القيم الرائعة.

و علىٰ مرّ العصور، كانت العدالة و طهارة النفس، الامانة، الصدق، الاستقامة، الثبات، الشجاعة، الصراحة، الصبر، الحلمْ الوفاء بالعهد، التواضع، الرحمة، الاحسان، الايثار، الفداء، و الرغبة في التحرر من الظلم، و خدمة البشرية من الامور المحبّبة و الممدوحة عند الإنسان و مهما تغيرت الظروف الحياتية و تبدل شكل الحياة و تنوعت ظواهر العيش، الاّ ان احساس البشر و تفاعلهم مع هذه الاخلاقيات، بقي ثابتاً صامداً لا يعتريه التغيير،لانه امرٌ فطري و في المقابل، تنفر الطبائع البشرية عن رذائل الصفات كالحسد، التكبر،النفاق، الكذب، الظلم، الخيانة، الحقد، الغرور و الخيلاء.

و علمُ الاخلاق و التربية أُنشأ علىٰ اساس هذا الافراز الفطري و الادراك الباطني.

و مطالعة التحقيقات العلمية لعلماء الاخلاق و معرفة النفس، ضرورية للسائرين في طريق تهذيب النفوس و تربيتها للتعرف علىٰ فوائد و مضار الاخلاق الحميدة و اضدادها.

و قد عنىٰ الإسلام و هو آخر الاديان السماوية الالهية، بهذه الجهة فكانت برامجه التربوية و الاخلاقية، اكمل و اتمّ البرامج المعروفة منذ بدء الخليقة و الىٰ يوم الناس هذا. فمضافاً الىٰ تضمُّن قسم كبير من الاحكام التكليفية و الوضعية، للمفاهيم الاخلاقية التي تساهم في تربية و تهذيب النفوس، كما في باب العبادات و المعاملات و التكاليف اليومية، كذلك وضع القرآن و المنهج الإسلامي برنامجاً تربوياً مستقلا لاصلاح الارواح و تزكيتها، لايصالها الىٰ الكمال.

و قد كتب العلماء و الفلاسفة المسلمون، اقتباساً من التعاليم الاخلاقية للاسلام، أفضل الكتب في علم الاخلاق، و القاء نظرة خاطفة علىٰ أدبيات العرب و

العجم ، يكشف لنا بوضوح صحة هذه الدعوىٰ.

وكلمات نبي الإسلام العظيم الجامعة ، و خطب امير المؤمنين وكلماته القصار ، و ما نُقل عن ائمة اهل البيت عليهم السلام و محامد اخلاقهم و كرائم صفاتهم و جميل سيرتهم ، كلها أسناد فخر للمسلمين و ادلة حيّة علىٰ كمال المنهج التربوي للاسلام.

كما إنَّ ميزان اهتمام الدين الاسلامي الحنيف بنشر الاخلاق و المكارم يتجلىٰ اكثر فاكثر من خلال التشويق و الترغيب بالثواب و الأجر الجزيل لكل واحدة من تلك الصفات الكريمة الانفة الذكر.

و في سورة آل عمران ، الآية ١٦٤ ، و سورة الجمعة الآية ٢ ، لخصت برامج عمل النبي صلى الله عليه وآله التربوية في ثلاث امور هي:

١ـ تلاوة الايات القرآنية.

٢ـ تزكية و تربية النفوس.

٣ـ تعليم الكتاب و الحكمة.

و قول النبي صلى الله عليه وآله معروف و مشهور:

«إنَّما بُعثتُ لأُتَمِّمَ مكارِمَ الأخلاق»[1]

---

(١) و مما يؤسف له ، ان المسلمين اليوم يتخبطون في المفاسد الاخلاقية و الانحرافات الروحية مع امتلاكهم لهذه الثروة العظيمة الغنية من المعارف الاخلاقية و البرامج التربوية السماوية ، فتراهم يُقلدون الغرب المسيحي الكافر ، الفاقد لكل القيم المعنوية ، و يتجرَّدون عن كرائم الاداب و الخلق الايماني الرفيع الذي كان فخراً للامم الإسلامية ، و يتقمصون ثوب الابتذال و الميوعة والتبرج و التحلل و الاختلاط الجنسي و الشذوذ و السكر و المجون و القمار و اللهو ، و يعملون علىٰ ترويج هذه الصفات و الاخلاقيات الرذيلة في مجلاتهم و صحفهم و مطبوعاتهم ، و ينشرون الصور الخليعة و يخرجون الافلام الماجنة المفسدة التي تأباها النفس الكريمة بل و ←

→ حتىٰ بعض الحيوانات و البهائم التي تتستر في مثل تلك الحالات عن الناظرين. مع ان استقلال و كرامة و عزّة كلّ امّة من الامم انما هو في الاحتفاظ بعاداتها و تقاليدها و اخلاقياتها و آدابها، فاذا ماذابت عاداتها و تقاليدها و مكارم اخلاقها في الثقافات الاخرىٰ، لم يَعُدْ لهذه الامة ايَّ مقدار و لا رصيد و صارت امّة هشّة رخيصة تتقاذفها امواج الثقافات الاخرىٰ و تلعب بها رياح المناهج التربوية الفاسدة، فتذوب هويتُها و شخصيتُها و عنوانها في العناوين الاخرىٰ، فلم يَعُد لها وجود مستقل كسائر الامم الاخرىٰ.

و كما يقول العلماء و المفكرون و المختصون في علم الاجتماع، فان ضعف الامة الإسلامية اليوم و خمولها و تطفلها علىٰ المجتمعات الاخرىٰ ليس ناشئاً عن ضعف و ندرة البرامج التربوية الإسلامية، اذ لا توجد تعاليم و مناهج اكثر دقة و ثباتاً و واقعية من المناهج التربوية للاسلام، و انما السبب كل السبب هو عدم الالتزام بتلك المناهج و التمرد عليها و عدم الامتثال للاحكام الشرعية الإسلامية، و الجهل بالمعارف و البرامج التربوية، و الكسل في طلب العلوم حتىٰ الاكاديمية و الطبيعية منها، و عدم الجدّ في كسب الخبرات التجريبية و الصناعية.

فعلىٰ المسلمين ان يشمرّوا عن سواعدهم لتطوير صناعاتهم و الاستفادة من العلوم الحديثة و النهضة التكنلوجية للوصول الىٰ الاكتفاء الذاتي و التخلص من سيطرة و هيمنة الاجانب، و الاستفادة من الاموال الطائلة التي تصرف في تقليد الاجانب و عاداتهم القبيحة و صرف تلك الاموال في المشاريع الانمائية و الاعمار و الصناعة و التطور، لكي يخطو العالم الإسلامي خطوات سريعة في عالم الرقيّ و التطور من جهة، و حفظ هويته الإسلامية و المحافظة علىٰ شبابه من الانحراف الاخلاقي و آفات المدنية الكاذبة من جهة اخرىٰ.

و ليت هؤلاء المتأثرين بالثقافة الغربية البرّاقة الكاذبة، رجعوا الىٰ مطالعة و قراءة الكتب التربوية الإسلامية، بل ليتهم قرأوا كتب علماء الغرب أنفسهم بدقة و استفادوا من المفيد منها، لا أن يُقلّدوا الغرب تقليداً أعمىً عجولاً، و ان لا ينخدعوا باساليب الغربيين البراقة الخدّاعة التي لا تجرَّ الإنسان الاّ الىٰ الفساد و الانحراف و الهلاك. و اليوم تـئنُّ الدنيا من النكبات الاخلاقية و المفاسد الغربية، و يحترق العالم في لهيب الاضطراب الفكري و الروحي و يكتوي مليارات البشر بحرارة الرغبة الطائشة لطغيان و حرص و طمع اصحاب الاسلحة المدمّرة، و في كل يوم نسمع جديداً عن برامجهم الانحرافية و سوء اخلاقهم و ظلمهم و ←

لقد كان النبي الاكرم صلى الله عليه وآله المثل الأعلىٰ لكل الاخلاق الفاضلة و الصفات الحميدة و الكمالات الروحية و النفسية، و باعتراف العدو و الصديق.

فاخلاق النبي صلى الله عليه وآله و سيرته الحسنة و معاشرته الحميدة، مذكورة في كتبٍ أُلّفت في هذا المجال بالخصوص، مضافاً الىٰ ما ورد في كتب السيرة و التاريخ، و مطالعة مثل هذه المصنفات لكبار المتخصصين في التربية، كافٍ لتوجيه الإنسان و هدايته لمكارم الاخلاق.

كما إنَّ اهل بيت النبي، الائمة الاطهار عليهم السلام و هم الامتداد الطبيعي للرسول الاكرم، يمثّلون النموذج الجميل للكمال، و باتفاق الموافق و المخالف، كانوا نوابغ عصورهم و المصاديق الاكمل للاخلاق النبوية الإسلامية الحسنة.

و لقد كان عليٌّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام ممثلوا التكامل و الرقي الإنساني، و كانت اشعة نور اخلاق رسول الله بادية الانتشار في وجوداتهم الكريمة.

← طغيانهم و خلاعتهم مما لا يليق ذكره.

نعم، علىٰ المسلمين ان يكون انموذجاً يُحتذىٰ به في الاخلاق و الفضائل، و ان يحافظوا علىٰ وحدتهم و عزتهم و كرامتهم بالتمسك بتوحيد الكلمة و كلمة التوحيد، و ان يبرهنوا للعالم انهم أقوىٰ الامم و أشرفها، لا ان يتشبهوا بالمجتمعات المسيحية الخاوية الهزيلة التي كانت عالةً علىٰ المجتمع الإسلامي في مناهجه و قيمه و علومه.

مكارم اخلاق سيد الشهداء عليه السلام

لقد كان لتضحية الحسين عليه السلام و استقامته و طلبه الحقَ و توكله و ارادته القوية و تخلّيه عن الدنيا، من أبرز تجليات شخصيته المقدسة في عاشوراء و التي جذبت الانظار الىٰ درجة أنها غطّت علىٰ سائر صفاته و عظمة سجاياه الاخرىٰ. و كأن العقل البشري و الفكر الاجتماعي اذا وجد الشخص مبالغاً في الفداء و الايثار في طريق الحق، اعتبره مالكاً لكل السجايا الحميدة الاخرىٰ، و كلما ارتقىٰ في درجات التضحية و الفداء،و اخلص في الصمود و الايثار، ازدادت عظمته و شموخه في القلوب.

إنَّ فداء الحسين المنقطع النظير، رفعه و رفعه الىٰ درجة امكان قياس كل صفاته الحميدة الاخرىٰ بمقياس هذه الصفة، و وزنها بهذا الميزان، و إنَّ ذلك جعله السّباق لكل الكرام و المتفوق علىٰ كل الأفاضل.

و هذه هي الحقيقة، فان صدور مثل تلك التضحيات و الاستقامة و الفداء و الشجاعة و الثبات و المناعة، لا يتيسر الاّ لمن تحققت فيه كلّ الكمالات الاخرىٰ باتمِّ صورها و أروعها.

و تحقق ذلك الصمود و الفداء، محالٌ إلاّ بوفرة الايمان و اليقين و المعرفة و البصيرة و التوكل و الاعتماد علىٰ الله و الزهد و الصبر باعلىٰ مستوياتها، و بغير ذلك لا تتجلىٰ تلك الآيات العظيمة المحكمة في الصبر و الاستقامة العاشوراءئية.

يقول العلايلي:

«و نحن فيما اتّسق لدينا من الأخبار عن الحسين عليه السلام و صفته، نراه كيف كان يتحزَّم علىٰ نفسه بكل مظاهر القدوة الصالحة، بحيث لا يَعدُو أن يكون مثالاً نبوياً في حدوده و من شتىٰ أقطاره.

و لقد انصرف بكل نفسه عن الدنيا و ما إليها، حتىٰ قال زين العابدين عليه السلام لمن قال له: ما كان أقل ولد أبيك! قال عليه السلام: العجب كيف ولدت له، كان لا يفتر عن الصلاة في ليل أو نهار فمتى كان يتفرغ للنساء؟

فهذا المَتحنَّث المُتألِّه في تأمله و إطراقه، و تحركه و سكونه. هو الذي سنراه مجاهداً مكافحاً و مغامراً مستَميتاً حتىٰ كأنه الأسد لا تُنال تلابيبه. فلم يكن يشغله أمر عن أمر، و لا حاجة لله عن حاجة للناس.»[1]

و يضيف قائلاً:

«أرأيتم إلىٰ الرجل يقوم علىٰ اسم الله و يمضي علىٰ اسم الله و يموت علىٰ اسم الله، كيف تسمو به الغاية و يعلو به الهدف. هو هدفٌ و لكن ليس من شهوات النفوس، و غايةٌ و لكن ليس كمثلها الغايات، غاية تحقِر كل ما في الحياة من أشيائها، و لا ترىٰ سِوَى الملكوت الأعلىٰ هدفاً و سوىٰ السماء مستقراً، لأنه مَهدُها فلا بدع أن حنّشت إليه و طلبت اللّحاق به فللناس أوطانهم، و للناس حَنينهُم، و لمثل هذه الشخصيَّة وطنُها و لها حنينها، فهي تشُقُّ طريقها بين الجلامد و الصُّخور، راضيةً مرضيةً و ماضيةً مطمئنَةً، لانها تناجي الأمنيَّة السامية و تَنشُد المثل الأعلىٰ، و هل وراء الله مَطلب؟ و هل إلىٰ غير الله مصير؟ و هل بعد الله حقيقة؟

هذه مبادئُ الرجل المصطفىٰ، و الرجل المختار. فلا عَجَب أن راح يطلبها في

(١) سموّ المعنىٰ ص ١٠٢.

كل شيءٍ، و لو حال الموت دونها فهو يَستعذ به، لأنه الطَّفرة التي تصل به الىٰ أعذب الأماني، و هل مع الأماني العذاب، شعور بمريرات العذاب.

و قديماً ارتفع صوت المسلم في إقدام و مضاء، بالكلمة الرهيبة عند الناس و الأُغنية عنده.

و لَستُ أُبالي حين أُقتَلُ مُسلِماً   علىٰ ايِّ جِنب كان في الله مَصرعي

الشخصية الكبيرة من الناس، و لكن بما فيها من المعنىٰ الإلٰهي و السر القدسي و القبس العلوي، تنير السبيل للانسانية في حالة الظلم و في الليل الأليل الادكن «الله نور السمٰواتِ و الأرضِ مَثَلُ نورِهِ كمشكاةٍ فيها مصباحٌ، المِصباحُ في زجاجَةٍ، الزُّجاجَةُ كأنَّها كوكبٌ درِّيٌ». و كذلك تكون في حياتها دليلا أميناً، و بعد مماتها أُمثُولةً رائعةً فيها من كل عناصر الخلود و السُّمُوّ.

و تاريخ كل أُمة إنما هو في الحقيقة تاريخ عظمائها، فأُمة لا عظيم فيها لا تاريخ فيها أو ليست جديرةً بالتاريخ.

و نحن اذا قدمنا حسيناً بين العظماء، فإنا لا نقدم فيه عظيماً فحسب، و انما نقدم فيه عظيماً دونه كلُ عظيم، و شخصية أسمىٰ من كل شخصية، و رجلا فوق الرجال مجتمعين.

و لا بِدع فكلُّ مَن عرفهم التاريخ و عرفناهم قَضَوا دون غاية من أمجاد الأرض، فكان مَن قضى دون مجد من أمجاد السماء أسمىٰ.

و الآن سأخوض في بيان نواحي العظمة التي امتاز بها الحسين عليه السلام في كل ميدان، حتىٰ يبدو أمة بين العظماء. فقد عرفنا العظيم في ثوب الشجاع، و عرفنا العظيم في ثوب البطل، و عرفنا العظيم في ثوب الضحيَّة الشَّهيد، و عرفنا العظيم في ثوب الزاهد، و عرفنا العظيم في ثوب العالم، و أما العظمةُ في كل ثوب، و العظمة في

كل مَظهر، حتىٰ كأنها تَآزَحَت من أقطارها فكانت شخصاً ماثلاً للناس يقرَأُونه و يعتبرون به. فهذا ما نراه في الحسين عليه السلام وَحدَه، و هذا ما نَلمَسُه فيه فقط، حيث هو من نفسه و حيث هو من نسبه، فلقد يكون أبوه مِثله و لكن لا يجد له أباً كمثل نفسه.

فرجل كيفما سَموت به من أيِّ جهاته انتهىٰ بك الىٰ عظيم، فهو مُلتَقىٰ عظمات و مجمع أفذاذ. فإن من يَنبثِق من عظمة النبوة «محمد صلى الله عليه وآله»، و عظمة الرُّجولة «على عليه السلام» و عظمة الفضيلة «فاطمة عليها السلام» يكون أُمثولة عظمة الانسان، و آية الآيات البينات.

فلم تكن ذكراه ذكرىٰ رجل بل ذِكرىٰ الإنسانيّة الخالدة، و لم تكن أخباره أخبار بطل بل خبر البطولة الفذَّة.

فالحسين عليه السلام رجل و لكن فيه آيةُ الرجال، و عظيم و لكن فيه حقيقة العظمة. فَرَعياً لذكراه، و رَعياً للعِظَة به.

و من ثَمّ كان جديراً بنا أن نستوحيه علىٰ الدوام، كمصدر إلهامي انبثق وهاجاً قوياً، و امتد بأنواره أجيالاً و أجيالا، و لا يزال يسطع كذلك حتىٰ ينتظم اللانهايات و ينفذ إلىٰ ماوراء الأرض و السمٰوات، و هل لنور الله حد يقف عنده أو مَعلَم ينتهي اليه؟ «و يَأبىٰ اللهُ إلاّ أن يُتِمَّ نورَهُ»(١)

و يقول العقّاد:

«و قد لبث بنو أميّة بعد مصرعه (الحسين عليه السلام) ستّين سنة يسبّونه و يسبّون أباه علىٰ المنابر، و لم يجسر أحدُ منهم قط علىٰ المساس بورعه و تقواه و رعايته لاحكام الدين في اصغر صغيرة يباشرها المرء سرّاً أوعلانية، و حاولوا ان يعيبوه

---

(١) سموّ المعنىٰ ص١٠٦ـ١٠٤.

بشيءٍ غير خروجه علىٰ دولتهم فقصرت ألسنتهم و ألسنة الصنائع و الأجراء دون ذلك.» (١)

و قال أيضاً: «فهي (كربلاء) اليوم حرمٌ يزوره المسلمون للعبرة و الذكرىٰ، و يزوره غير المسلمين للنظر و المشاهدة، و لكنها لو اعطيت حقّها من التنويه و التخليد، لحقَّ لها ان تصبح مزاراً لكلِّ ادمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة و حظاً من الفضيلة، لاننا لا نذكر بقعة من بقاع الارض يقترن إسمها بجملة من الفضائل و المناقب اسمىٰ و ألزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء، بعد مصرع الحسين عليه السلام فيها.»

فكلُّ صفة من تلك الصفات العلوية التي بها الإنسانُ انسانٌ و بغيرها لا يحسب غير ضربٍ من الحيوان السائم، فهي مقرونة في الذاكرة بايام الحسين عليه السلام في تلك البقعة الجرداء.

و ليس في نوع الإنسان صفات علويات أنبل و لا ألزم له من الايمان و الفداء و الايثار و يقظة الضمير و تعظيم الحق و رعاية الواجب و الجدِّ في المحنة و الانفة من الضيم و الشجاعة في وجه الموت المحتوم ـ و هي و مثيلات لها من طرازها ـ هي التي تجلَّت في حوادث كربلاء منذ نزل بها ركب الحسين عليه السلام.

ثم يقول بعد ذلك: «و حسبك من تقويم الاخلاق في تلك النفوس، انه ما من أحدٍ قتل في كربلاء الّا كان في وسعه ان يتجنب القتل بكلمة أو بخطوة و لكنهم جميعا آثروا الموت عطاشاً جياعاً مناضلين علىٰ ان يقولوا تلك الكلمة و أو يخطوا تلك الخطوة لانّهم آثروا جمال الاخلاق علىٰ متاع الحياة.»

---

(١) ابو الشهداء ص ١١٥، طبع الشريف الرضى.

و بعد ان يُفصل العقاد بذكر جملة من فضائل الحسين و اصحابه و مناقبهم في كربلاء، يقول:

«و قد تناهت هذه المناقب الىٰ مداها الاعلىٰ في نفس قائدهم الكريم و يُخيل الىٰ الناظر في أعماله بكربلاء ان خلائقه الشريفة كانت في سباق بينها، ايّها يظفر بفخار اليوم، فلا يدرىٰ أكان في شجاعته أشجع، ام في صبره أصبر، ام في كرمه اكرم، ام في ايمانه و أَنَفَتِهِ و غيرته علىٰ الحق بالغاً من تلك المناقب المثلىٰ أقصىٰ مداه.»(١)

و مع اننا نقرُّ بعجزنا عن وصف عظام سجايا الحسين عليه السلام و من حقنا ان نعجز عن بيان كل تلك المناقب، و لكننا مع ذلك سنذكر بعض جوانب كمالات الحسين الاخلاقية والعلمية بنحو الاختصار، ليُعلم ان وجوده عليه السلام هو التجلّي الاتمّ للعظمة و الاستقامة و الصبر و الفداء و الاباء في طريق تعظيم الحق، و انه عليه السلام محور كل كرائم المزايا والصفات.

١ـ علمُ الإمام الحسين عليه السلام

إنَّ ما نعرفه و يشهد له تاريخ و سيرة النبي الاعظم و الائمة الاطهار عليهم السلام، هو أنَّ علمهم و معارفهم هي مواهب الهية و لم يتتلمذوا علىٰ يد احد و لم يدخلوا في ايِّ مكتبة ومدرسة.

فالنبي الاكرم كان يتلقىٰ العلم من المصدر الالهي و صار مصدراً لكل هذه المعارف و العلوم و الشرائع المحكمة.

(١) ابو الشهداء ص١٣١ـ١٣٠ و ص١٣٤ـ١٣٣. طبعة الشريف الرضى.

لقد فتح النبي صلى الله عليه وآله مدرسة بقيت لاربعة عشر قرناً يفتخر الفلاسفة و العلماء الكبار بتلقي دروسها، و ينتقون من معارفها و ينهلون من فيوضاتها و يجرعون من كاسات علومها الحقّة.

و كذلك معارف و علوم علي عليه السلام و سائر الائمة، فهي افاضات ربّانية و هبات الهية و علوم محمّدية استقوها من النبي المصطفىٰ صلى الله عليه وآله.

فايُّ مدرسة في تلك الفترات المظلمة يمكنها ان تخرِّج مثل هؤلاء الافذاذ، ليكونوا اساتذة العالمين في كل فنون العلم حتىٰ في زمن صباهم و طفولتهم، و يكونوا مراجعَ لكبار المراجع في المسائل العلمية الدقيقة، و حلاّلي عويصات المشكلات الفلسفية و الفقهية عند كبار العلماء والفلاسفة؟

انها المدرسة السماوية فقط، التي من شأنها تخريج هؤلاء الاساتذة.

إنَّ الاحاديث المعتبرة تدلّ علىٰ انَّ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله قد علَّم علياً و ابناءه عليهم السلام علوماً خاصة، و انه أملىٰ علىٰ عليٍّ عليه السلام كتاباً كتبه عليٌ بيمينه، كان و لازال محفوظا في هذا البيت، كمرجع و مستندٍ يرجعون اليه، و في الحقيقة انَّ برامج و تعليمات الائمة عليهم السلام و سيرتهم و اسلوبهم هو اكمال و تتميم اهداف النبي في تربية المجتمع البشري و هدايته.

و من مثل حديث الثقلين المتواتر و المشهور، و الذي ارجع النبيُّ فيه الامّة الىٰ هؤلاء الاطهار، تتجلىٰ لنا صلاحيتهم العلمية التامّة و تظهر و تتضح لياقتهم و اهليتهم لهذا المقام.

اضف الىٰ ذلك الروايات الكثيرة الواردة بطرق اهل السنَّة و الدّالة علىٰ تميُّز علي عليه السلام من بين سائر اصحاب النبي صلى الله عليه وآله في اهتمام الرسول به، و تلقّيه المعارف و العلوم و الفيوضات النبوية، فحقَّ له ان يكون المرجع العام للمسلمين في المسائل

العلمية و العلوم الشرعية، و كان الكلَّ منتهياً اليه في معرفته.

لقد كان عليٌّ عليه السلام أعلم الصحابة، و كان علم الصحابة مجتمعين لا يساوي شيئاً في قبال علم علي عليه السلام، و كان الكل محتاجاً لعليٍّ و كان عليٌّ مستغنٍ عن الجميع.

فعليٌّ عليه السلام، و مضافاً الىٰ استعداداته الخاصة و مواهبه الالهية التي لم يُشاركه فيها احدٌ من الصحابة، حتىٰ صار حلاّل المشكلات في عهود الخلفاء الثلاثة، و الممتاز في فهم و درك الاحكام و المعارف و العلوم الغامضة و المسائل المشكلة و حقائق الوحي و كليّات القواعد الدينية، كان اختصاص النبي و تفرّده به، له الاثر الكبير في تربية عليّ و صياغته علمياً و روحياً، فطالما كان علي ينهل العلم من محمد صلى الله عليه وآله، و قد شرح الله صدره الىٰ درجة انه تمكن من فتح الف باب من العلم من باب واحد تعلّمه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

لقد كان تتلمُذُ عليٍّ عليه السلام علىٰ يد النبي صلى الله عليه وآله تتلمذاً خاصاً لا نظير له، فصار علي نسخة مطابقة للأصل.

و لذا، فصورة النظام الإسلامي، كلها واضحة و متجلّيةٌ في سلوك عليٍّ و سيرته و متجسمةٌ في فعاله و اقواله.

و من بعد عليٍّ عليه السلام اختص ولداه الحسن والحسين عليهما السلام بهذا المنصب الالهي و القيادة العلمية و الدينية، فكانا الملاذ و الملجأ للناس في المسائل الإسلامية و علوم التفسير و الاحكام الشرعية، فكان خطابهم هو الفيصل المقبول عند الناس، و كانت سيرتهم و سلوكهم هما الميزان و النموذج الذي يُحتذىٰ به.

فاذا ما أمعنت النظر في حالات الإمام الحسين عليه السلام وجدته مقتفياً لأثر بصيرة نافذةٍ و منهجٍ غيبي، فعلمه و احتجاجاته مع خصوم اهل البيت، خاصة معاوية و مروان، و الكتب التي تبادلها مع معاوية، و خطبه التي القاها بمناسبات مختلفة، و

دعاؤه يوم عرفة و ادعيته الاخرىٰ المنقولة في كتب المسلمين عامة، خير دليلٍ علىٰ هذا المدّعىٰ.

و ما أثر عنه في توديعه للصحابي الجليل ابي ذر ـ الذي كان من أجلّة صحابة النبي و من السابقين، حيث ذكر ابن الاثير و في أسد الغابة إنَّ اباذر كان خامسَ من إعتَنق الإسلام و عدَّ الكثير من مناقبه ـ عندما نفاه عثمان الىٰ الربذة بعد ان طرده معاوية من الشام، و كان الحسين عليه السلام في جملة من شيَّعه و ودعه و هم الإمام علي و الحسن و عمّار و عقيل، قال الحسين عليه السلام لابي ذر:

«يا عمّاهُ إنَّ اللّهَ قادرٌ علىٰ أنْ يُغيِّر ما قَدْ ترىٰ، و اللّه كلَّ يومٍ في شأنٍ، و قد مَنَعَكَ القومُ دُنْياهُمْ وَ مَنَعْتَهُم دينَك، و ما أغناك عمّا منعوكَ، و أحْوَجَهُم الىٰ ما مَنَعْتَهُمْ. فاسْأَلْ اللّهَ الصَبْرَ و النّصْرَ و استعِذ بِهِ مِنَ الجَشَع و الجَزَعِ فانَّ الصَّبرَ مِن الدِّين و الكَرَمِ، و انَّ الجَشَعَ لا يُقدِّمُ رزقاً و لا يُؤَخِّرُ أجَلاً»(١)

و هذه الكلمات قالها الإمام الحسين عليه السلام مرتجلاً و كان يومئذٍ في نحو الثلاثين من عمره، يخاطب بها رجلاً مسنّاً فاضلاً جليلاً من الصحابة، فكانما أودع هذه الكلمات شعارَ حياته كاملةً منذ ادرك الدنيا الىٰ ان فارقها في مصرعه بكربلاء، و هي تعبِّر عن قدس مقام و روحانية الحسين العالية و علمه و معرفته و غناه و كمال بصيرته.

و روىٰ ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج ٤ ص٣٢٣ عن نافع بن الازرق رئيس فرقة الازارقة الخوارج حينما قال نافع للامام الحسين عليه السلام:

صِفْ لي ربّكَ الذي تعبُدْ!

---

(١) ابو الشهداء ص٥٥.

فقال الحسين عليه السلام:

« يا نافِعْ مَنْ وَضَع دينَهُ عَلىٰ القِياس لم يَزَلْ الدّهْرَ في الالتباس مائلاً ناكباً عَنِ المناهج، ظاعناً بالاعْوجاج، ضالاًّ عن السَبيل قائِلاً غَيرَ الجميل، يـابْنَ الازرق، اصفُ إلهي بما وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ، لا يُدرَكَ بالحواسُ و لا يُقاسُ بالنّاسِ قريبٌ غـيرَ مُلتَصِقْ و بَعيدٌ غَيْرَ مستقصي يُـوَحَّدُ و لا يُـبَعَّضْ، مـعروفٌ بـالآيات مـوصوفٌ بالعَلامات لا إلهَ إلاّ هو الكبير المتعال »

فبكىٰ ابن الازرق و قال:

« ما أحسَنَ كلامك »

فقال له الحسين عليه السلام: بلغني انك تشهد بكفري و كفر أبي و أخي!

فقال ابن الازرق:

« أمَا و الله يا حُسـين لئن كـانَ ذلك، لَـقَدْ كُـنْتُم مـنارَ الإسـلام و نُجـومُ الاحكام »(١)

ثم استشهد الحسين عليه السلام بقوله تعالىٰ:

« و أمّا الجدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتيمَيْنِ »(٢)

و أتمّ الحجّة عليه.

و كان معاوية اذا اراد ان يبين لجلسائه علم الحسين عليه السلام و فضله، يقول:

« إذا دَخَلتَ مَسْجِدُ رسولِ الله فرأيت حَلَقَةً فيها قومٌ كأنَّ عـلىٰ رؤوسهـم الطَيْرُ، فَتِلكَ حَلَقَةُ أبي عبد اللّهِ، مؤتزراً الىٰ انصاف ساقَيْه »(٣)

---

(١) سمو المعنىٰ ص١٤٨.

(٢) سورة الكهف، الآية ٨٢.

(٣) سموّ المعنىٰ ص٩٨، نقلاً عن تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص٣٢٢.

و يقول العلايلي:

«كذلك يظهر المعنىٰ الحي في محل القداسة علىٰ المؤمنين الذين ينشرون أشعَّةً من سيمائهم تورث الناظر خَشيةً في اطمئنان، و سكوناً في دعَة، كأنما زَوَت الىٰ قواعدهم. فما أنت بناظرٍ جماعةً في مواضع من المعبد في معالم من الأرض، بل يتداركك حين تنظر كأن الملأ الأعلىٰ تجسَّم و انتشر في أشخاص استعلى بهم أو اعتلوا به فوق دنيا الناس (**ما اجتمعَ قومٌ علىٰ ذكر الله إلاّ حفّت بهم الملائكة و غَشِيَهُم الروح و ذكرهم الله فيمن عنده**) و في رواية (في ملأ عنده).

قد تكون كلمةً ساذجةً طَفَحَ بشعورها قلب ساذج، لَو صدرت من غير معاوية الملك، الذي كان يَجمع أسباب السيطرة و الرهبة و القِنْفَخريَّة علىٰ نفسه جمعاً ليظهر بكل ذلك غير تارك منها إلاّ ما يزيده في مظهر الجبروت قوة.

و أما هي معاوية نفسه فإنها ذات وجه آخر بمعان أخرىٰ. فقد نظر الىٰ الحسين عليه السلام من جانبه الذي انزَوَت إليه الدنيا بعظائمها، و توافرت لديه أشياؤها حتىٰ بدا كأنما انجمعت الدنيا في ناحية مكانه، و هذا ما يجعل للكلمة قيمة أخرىٰ. فان معاوية لم تحُل به أُبَّهات الملك عن أن يرىٰ المعنىٰ الالٰهي في الحسين عليه السلام بما له من رَهَبات، تَزَعُ النفس الإنسانيّة الجامحة و تردها رداً عنيفاً الىٰ حدود عُبُوديتها، حتىٰ تُبصِر ما تلبَّس به بُطُلاً من الباطل و آلا من الآل، فتظل مَشدوهةً مأخوذة كالذي يكون مع خاطرة أو فكرة. ثم تنقب قوتها التي اشتقت من طبيعة المبالغة، ضعفاً فيه طبيعة المبالغة.

فكان معاوية ينظر الىٰ نفسه بما أحاطها به من أشياء الدنيا، و الىٰ الحسين عليه السلام بما أحاطته به الحقيقة العظمىٰ من أشيائها، فيرىٰ نسبةً كما بين العدم و الوجود، ثم ينظر فيرىٰ في الوجهة المقابلة منبَعَث النور الذي يُعشي فَيبهرَ، و في الوجهة الأخرىٰ

متراكم الظلال و مختلط الأشباح و الأوهام.

و هذه ساعة تستيقظ فيها النفس الىٰ حقيقتها، فترىٰ كل شيء علىٰ حقيقته، و نِعِمَّا هي كلمة معاوية في جلوة سماها علىٰ دنياه بما جمعت.

و كان الحسين عليه السلام اذا برز للناس يتحلَّقون بين يديه صفاً بعد صف حتىٰ يذهب فيهم البصر، و يقعون عليه وقوع الطير في اليوم الحرور علىٰ ثمد يتبرَّد به و يَتَصابُّه، و كأنهم بذلك يهربون و لو ساعة من اسر الشهوات و عبودية أنفسهم، ليقولوا كلمة الايمان خالصة بها قلوبهم، كما كان يعبر الصحابة حينما يعرجون الىٰ النبي صلى الله عليه وآله «هيّاً بنا لنُؤمِنَ بِربّنا ساعةً»[(١)]

و المؤمن مُؤمنٌ في كل الحالات، و لكن الحضور في محضر رسول الله صلى الله عليه وآله و حلقة افادة ولده العزيز الحسين، و التذوق من حلاوة الايمان و الاستزادة من العلم و المعرفة، و استشعار عوالم الغيب و جداناً، لا تتيسر دائماً و في كل المحافل و المجامع، يقول ابن كثير:

«انَّ الحُسينَ خَرَجَ و ابنُ الزُبير من المدينة الىٰ مكة و أقاما بها عَكَفَ الناسُ علىٰ الحُسين يفدونَ الَيْه و يُقدمون عليه و يَجلسونَ حواليهِ و يَستمعون كلامَه و يَنتَفِعونَ بما يُسمَعُ منهُ و يضبطون ما يَرْوُونَ عَنْهَ.»[(٢)]

و يقول العلايلي:

«و الذي ينبغي أن لا يفوتنا في هذا الخبر، التعبير بكلمة (عكف) و هي تفيد في كل مشتقاتها معنىٰ التعلق و الانقطاع. فما كانت بواحد إلاّ الحسين عليه السلام رجلاً عُلِّقَه

(١) سمو المعنىٰ ص٩٩.

(٢) سمو المعنىٰ ص١٣٩.

كل الناس عَرَضاً، كأنما هم من ناحية الدنيا يشهدون فيه حقيقة أخرىٰ من عالم الابداع الالٰهي. فهو إذا نطق كأنما انطلق لسان الغيب يعبر عن رموزه و يكشف عن خفاياه، و إذا صمت كأنما راح الغيب يعبر عن معناه بطريقة أُخرىٰ بلحن آخر، فإن من الحقائق ما لا يعبر عنه إلاّ الصمت العميق ،كالنقطة في ثنايا السطور، فإنها تعطى معنىٰ لا يقوم إلاّ بها، و لا يتم إلاّ اذا كانت، و هي بعدُ إشارة سلبية و لكنها تدل علىٰ غرض إيجابي؟، أو كقرار النغمة الصامت فإنه جزء من تمام اللحن الناطق.

و في الخبر صورة كاملة لمقام الحسين عليه السلام، في زمن لم ينتف من طغيان السلطة و تحامل المتغلب، و لكن أَنَّىٰ للقوة أن تحول بين الإنسان و قلبه، أو بينه و بين ما هو من ضميره، فإن القوة لا تعمل إلا في حدودها، و لا تجد مضاءها إلاّ في ملابساتها، و هي كيفما امتدت بأسباب فإنها لا تحيك في مواطن الشعور. و الخبر بعد ذلك يعرفنا بأن الحسين عليه السلام كان مكثراً من الحديث و الرواية، و لم يكن كما تشاء بعض كتب الأخبار تصويره بانه كان مقلاً نزر الآثار.»

ثم ينقل العلايلي بعد ذلك، ما رُوي عن الحسين عليه السلام. (١)

و يقول ايضاً:

«الأخبار عن الحسين عليه السلام في هذا الباب أكثر من أن تحصىٰ، و لقد كان يجيئ بالمدهشات في الفُتيا و ما إليها من العلم، حتىٰ قال فيه ابن عمر: «إنَّه يُغَرُّ العلم غرّاً». (٢)

---

(١) سمو المعنى ص٩٧.

(٢) سمو المعنى، ص١٤٨. و نظير هذه الكلمات وردت عن لسان يزيد في شأن الإمام زين العابدين، عندما اقترح الإمام علىٰ يزيد ان يرتقىٰ المنبر فلم يقبل يزيد و قال: اذا صعد فانه ←

فكما ان الطيور تزقّ الطعام زقّاً، فكذلك الحُسين عليه السلام زُقَّ العلم زقّاً في بيت النبوة و الولاية، و اغتذىٰ من اصابع علم رسول الله صلى الله عليه وآله، و ارتضع من ثدي معارف الإسلام، فنمىٰ و تربّىٰ علىٰ ذلك.

٢ـ عبادة سيد الشهداء عليه السلام.

روىٰ ابن عبد البر و ابن الاثير عن مصعب بن الزبير انه قال:

«كانَ الحُسَينُ فاضِلاً دَيِّناً كثير الصَلوٰةِ و الصَومِ و الحَجّ.»[١]

و قال عبد الله ابن الزبير في وصف عبادة الحسين عليه السلام:

«لَقَدْ كانَ قَوّاماً بالليلِ صَوّاماً بالنّهار»

و يقول العقّاد:

«و كانَتْ لَهُ صَلوات يؤدّيها غير الصلوات الخَمْس، و ايّام من الشهرِ يَصومُ نَهارها و يقوم ليلها، و لم يفته الحَجّ».[٢]

و كان عليه السلام يصلّي في اليوم و اللّيلة الفَ ركعة، و حجَّ البيت ماشياً خمس و عشرين حجّةً تقادُ معه نجائبه.[٣]

و هذا دليل كمال عبادته و خضوعه لله عزوجل.

← لا ينزل الا بفضيحتي و فضيحة آل ابي سفيان! فقيل له و ما قدر ما يُحسن هذا الغلام؟ فقال: هذا من اهل بيت قد زقّوا العلم زقّا» نفس المهموم ص٢٤٢.

(١) اسد الغابة ج٢ ص٢٠. الاستيعاب ج١ ص ٣٧٨.

(٢) ابو الشهداء ص٦٣.

(٣) الاستيعاب ج١ ص٣٨٢. اسد الغابة ج٢ ص٢٠. تذكرة الخواص ص٢٤٤. تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢١٩. تاريخ ابي الفداء ج٢ ص١٠٧.

و ذات يوم شوهد في احد اركان الكعبة داعياً متوسلاً:

« إلهي نعَّمتَني فَلَمْ تجدني شاكراً، و إبتليتني فَلَمْ تجدني صابراً، فَلا أنتَ سَلَبّتَ النعمةَ بترك الشكر، و لا أدَمْتَ الشِدَّة بترك الصَبْر، إلهي ما يكونُ مِنَ الكريمِ إلاّ الكَرَمْ »(١)

و من اراد الوقوف علىٰ احوال سيد الشهداء في دعائه و مناجاته و طلبه و مسكنته بين يدي الله عزوجل فليراجع دعاءه يوم عرفه فإنه كافٍ في توضيح المطلب.

فقد روىٰ بشر و بشير ابنا غالب الاسدي، قالا: كنّا مع الحسين بن علي عليهما السلام عشيّة عرفه فخرج عليه السلام من فسطاطه متذللاً خاشعاً فجعل يمشي هوناً هَوناً حتّىٰ وقف هو و جماعة من اهل بيته و ولده و مواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين ثم قال:

« الحمدُ لله الّذي لَيسَ لقضائه دافعٌ و لا لعطائه مانعٌ و لا كصُنعِهِ صُنعُ صانع و هو الجوادالواسع . . . »

و هو الدعاء المعروف بدعاء الحسين يوم العرفه و المذكور في كتب الادعية و الزيارة. فقرأ الدعاء حتىٰ وصل الىٰ هذه الجملة:

« و صلىٰ الله علىٰ خيرته مُحمّدٍ خاتم النبيّين و آله الطيّبين الطاهرين المخلّصينَ و سَلَّمْ». ثم اندفع في المسألة و اجتهد في الدعاء و عيناه سالتا دموعاً حتىٰ وصل الىٰ قوله: « و ادْرَء عنّي شرَّ فَسَقَةِ الجنِّ و الإنْسْ» ثم رفع رأسه و بصره الىٰ السماء و عيناه ماطرتان كأنَّهُما مزادّتان و قال بصوت عال:

(١) اسعاف الراغبين ص١٨٣.

« يا أسْمَعَ السَامعينَ » الىٰ ان وصل الىٰ فقرة : « و أنت علىٰ كلِّ شيٍ قَديرٌ يا رَبِّ » و كان يُكرر قوله « يا رب » و شَغل من حَضَر ممن كان من حوله عن الدعاء لأنفسهم و اقبلوا علىٰ الاستماع لَهُ و التأمين علىٰ دعائه ثمَّ عَلَتْ اصواتُهم بالبكاء معه و غربَت الشمس و افاض الناس مَعَهُ الىٰ مزدلفة .

٣ـ سخاء الحسين عليه السلام

عُرف اهلُ البيت عليهم السلام بالجود و الكرم فصاروا مضرب المثل بذلك ، و قد نزلت آيات كثيرة في امير المؤمنين عليه السلام و أهل بيته ، ثناءً من الباري عزوجل لجوده و انفاقه في رضا الله فملأ ذكرُ عليٍّ الآفاق حين تصدق بدرهمه الوحيد و قرص خبزه و خبز اولاده و امهم فاطمة للفقراء و المساكين و ابناء السبيل مؤثرين علىٰ انفسهم علىٰ خصاصة كانت بهم .

فكم من ليلة بات علي و أهل بيته جياعاً لاجل اطعام و اشباع غيرهم من الفقراء في سبيل الله ، و كم من رداءٍ و هبة عليٌّ لفقير كان عليٌّ احوجَ منه لذلك الرداء .

روىٰ ابن عساكر في تاريخه عن ابن هشام القنّاد انه كان يحمل الىٰ الحسين عليه السلام بالمتاع من البصرة و لعلَّهُ لا يقومُ حتىٰ يهب عامَّتَه .(١)

و روىٰ أيضا : أنَّ سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتىٰ أتىٰ باب الحسين عليه السلام فقرع الباب و أنشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجاك و من حرك من خلف بابك الحلقة

(١) سمّو المعنىٰ ص١٥١ـ١٥٠.

أنت ذو الجود أنت معدنه   أبوك قد كان قاتل الفسقة

و كان الحسين عليه السلام واقفاً يصلىٰ فخفف من صلاته و خرج الىٰ الاعرابي فرأىٰ عليه أثر ضرٍّ و فاقة، فرجع و نادىٰ بقنبر فأجابه لبيك يا ابن رسول الله قال ما تبقّىٰ معك من نفقتنا. قال مائتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك، فقال هاتها فقد أتىٰ من هو أحق بها منهم، فأخذها و خرج يدفعها الىٰ الاعرابي و أنشأ يقول:

خذها فإني إليك معتذر   و اعلم بأني عليك ذو شفقه

لو كان في سيرنا عصا تمد اذن   كانت سمانا عليك مندفقه

لكنّ ريبَ الزّمان ذو غِيَر   و الكفُّ منّا قليلةُ النفقة

فأخذها الاعرابي و ولّى و هو يقول:

«اللّهُ أعلَمْ حيث يجعل رسالَتَهُ[1]»[2]

و رُوي أنَّ الحسين عليه السلام دخل علىٰ اسامة بن زيد، و هو مريض و هو يقول واغماه، فقال له الحسين عليه السلام و ما غمك يا أخي. قال: ديني و هو ستون الف درهم، فقال الحسين عليه السلام هو عليّ قال إني أخشىٰ أن أموت. فقال: لن تموت حتىٰ أقضيها عنك فقضاها قبل موته.[3]

و روىٰ البحراني ان الحسين عليه السلام كان جالساً في مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد و عتبة

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٤.

(٢) سموّ المعنىٰ ص١٥١ عن عيون الاخبار ج٣ ص١٤٠.

(٣) سمو المعنىٰ ص١٥٢ـ١٥١. و ذكر البيهقي في المحاسن و المساوى ج١ ص١٨٩ هذه الحكاية عن الإمام الحسن، و في نفس الصفحة روىٰ حكاية عن الحسنين عليهما السلام و ان كل واحد منهما اعطىٰ ١٥٠ درهماً لفقير سألهما.

بن أبي سفيان في ناحية أُخرى، فجاء أعرابي علىٰ ناقة فعقلها بباب المسجد و دخل فوقف علىٰ عتبة بن أبي سفيان فسلم عليه فرد عليه السلاٰم، فقال الاعرابي اني قتلت ابن عم لي و طولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً، فرفع رأسه إلىٰ غلامه و قال ادفع إليه مائة درهم، فقال الاعرابي ما أريد إلاّ الدية تماماً ثم تركه و أتىٰ عبد الله بن الزبير و قال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبد الله لغلامه ادفع اليه مائتي درهم، فقال الاعرابي ما أريد إلاّ الدية تماماً، ثم تركه و أتىٰ الحسين عليه السلام فسلم عليه و قال يا ابن رسول الله اني قتلت ابن عمٍّ لي و قد طولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم وقال هذه لقضاء ديونك و عشرة آلاف درهم اخرىٰ و قال هذه تلم بها شعثك و تحسن بها حالك و تنفق منها علىٰ عيالك. فأنشأ الاعرابي يقول:

طربتُ و ما هاجَ لي مَعبَقُ ... و لا لي مقامٌ و لا مَعشَق
و لكن طربت لآل الرسول ... فلذَّ لي الشعرُ و المنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون ... نجومُ السماء بهم تُشرقُ
سبقتَ الأنام إلىٰ المُكرمات ... و أنت الجواد فلا تُلحقُ
أبوك الذي سادَ بالمُكرمات ... فقصّر عن سبقه السُبَّق
به فتح اللّهُ بابَ الرشاد ... و بابُ الفسادِ بكُمْ مغلق (١)

٤ـ أدبُ الحُسين عليه السلام و رأفته:

لقد كان الحسين عليه السلام في الذروة، في حُسن معاشرته للناس و أدبه و شفقته

(١) سموّ المعنىٰ ص١٥٣ـ١٥٢ نقلاً عن «عقد اللآل في مناقب الآل».

وعفوه.

روىٰ جمال الدين محمد الزرندى الحنفي المدني عن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه الحسين بن علي عليهما السلام قال:

«سمعت الحسين يقول: لو شتمني رجل في هذه الاذن و أومى الىٰ اليمنى و اعتذر لي في الاخرىٰ لقبلت ذلك منه، و ذلك أن أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام حدثني أنه سمع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يرد الحوض من لم يقبل العذر من محق أو مبطل.»(١)

و لقد كان الحسين عليه السلام في قمّة الأدب و المحبّة و الرأفة و العطف و المودة في اهله و اولاده و نسائه.

روىٰ ابن قتيبة أن رجلاً أتىٰ الحسن بن علي عليهما السلام يسأله. فقال الحسن إن المسألة لا تصح إلا في غُرم فادح أو فقر مدقع أو حَمالة مُفظِعَة، فقال الرجل ما جئت إلاّ في إحدٰهن، فأمر له بمائة دينار ثم أتىٰ الرجل الحسين بن علي عليهما السلام فسأله فقال له مثل مقالة أخيه فردَّ عليه كما رد علىٰ الحسن فقال كم أعطاك؟ قال مائة دينار فنقصه ديناراً. كره أن يساوى أخاه، ثم أتىٰ الرّجل عبد الله بن عمر فسأله فأعطاه سبعة دنانير و لم يسأله عن شيء، فقال له الرجل إني أتيت الحسن و الحسين و اقتص كلامهما عليه و فعلهما به فقال عبد الله: وَيحك و أنّى تجعلني مثلهما إنهما غُرَّا العلم غُرَّا المال.(٢)

روىٰ ياقوت المستعصمي عن أنس قال: كنت عند الحسين بن علي عليهما السلام

(١) نظم درر السمطين ص٢٠٩.

(٢) سموّ المعنىٰ ص١٥٢.

فدخلت عليه جارية بيدها طاقة من ريحان، فحيّته بها، فقال لها:

«أنتِ حُرَّةٌ لِوَجهِ الله تعالىٰ»

قال: فقلت له: «جاريةٌ تجيئك بطاقةِ رَيْحان فتَعتقُها؟»

قال عليه السلام: كذا أدّبنا الله... قال تبارك و تعالىٰ: «و إذا حُيّيتُم بتَحيَّةٍ فحيّوا بأحسَنَ مُنْها أوْ ردُّوها[1]» و كان أحسَنَ مُنْها عِتْقُها»[2]

يقول العقّاد بعد ذكره لهاذين البيتين عن الحسين عليه السلام

لَعَمرُكَ إنَّني لأُحبُّ داراً   تكونُ بها سُكَينَة و الربابُ
أُحبُّهُما و أبذلُ كُلَّ مالي   و ليسَ لعاتبٍ عِنْدي عِتابُ

و هُما ـ البيتان ـ معبران عن خُلُقِهِ في بيته و بين أهله فقد كان من أشدِّ الآباء حَدباً علىٰ الأبناء و اشدِّ الازواج عطفاً علىٰ النساء، و من وفاء زوجاته بعد مماته ان الرّباب هذه التي ذكرت في البيتين السابقين خَطَبَها أشرافُ قُريش بعد مقتله فقالت: «ماكنْتُ لا تخذَ حَماً بعد رسول الله» و بقيت سنةً لا يظلُّها سقف حتىٰ فَنِيَتْ. و ماتت و هي لا تفتر عن بكائه و الحزن عليه.[3]

٥ـ طلبُ الحق:

لا تجد نظيراً لآل عليٍّ في العالم، في طلب العدل و حماية المظلوم و مقارعة الظالم.

فحكومتهم، حكومةُ الحق و العدل، و سيرتهم وسلوكهم و دينهم إقامة العدل

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٦.

(٢) سموّ المعنىٰ ص١٥٩. أبو الشهداء ص٦٢.

(٣) ابو الشهداء ص٥٧ـ٥٦.

و أخذ حقِ المظلومين، فلا يقرُّ لهم قرار اذا ما سمعوا بظليمةً حتىٰ يأخذوا الحق للمظلوم من الظالم.

و ما ذكر في كتب التاريخ عن عدل عليّ عليه السلام يُدلّكَ علىٰ عشق عليّ للحق، و فنائه في العدالة، و قد اوصىٰ عليّ ولديه الحسنين بقوله: «**كُونا للظّالم خَصْماً و للمَظلومِ عَوْناً**»

و الحُسين عليه السلام، ابنُ عليٍّ و وارثُه، فلم يكن ليصبر علىٰ ظلم بني أميّة و عمّالهم، فكانت ثورتُه ثورة الحق ضد الظلم و الاضطهاد و الجور، و كانت نهضتُه نهضة نجاة المظلومين و المقهورين.

فلم يكن عند الحسين عليه السلام كما عند جدّه و أبيه و أخيه شيءٌ الذَّ و احلىٰ من صور عبادة الله و العدالة و القسط، و لا أمرَّ من مناظر و صور الظلم و الجور و الفساد، فكان، بقدر إمكانه مدافعاً عن شرف و كرامة و ناموس و ارواح و اموال المسلمين.

و من جملة ما نقل عن الحسين عليه السلام و الذي يكشف عن مدىٰ حرص الحسين علىٰ كرامة المسلمين و شرفهم، هو قصة أرينب (أو زينب) بنت إسحاق، زوجة عبد الله بن سلام.

فهذه القصة المعروفة تكشف النقاب عن انحطاط و سقوط و فساد بني امية و عن رَذالة معاوية و يزيد و تجردهم عن كلِّ القيم الاخلاقية حتىٰ أبسطها، و تدلك علىٰ ضحالة هموم المتسلطين علىٰ رقاب المسلمين.

و قد نقل هذه الحكاية ابن قتيبة، الشبراوي، العلايلي، النويري، و ابن بدرون، العقاد و آخرون[١] مضافاً الىٰ ذكرها في كتاب مستقل باسم «أُرينبْ»[٢]

(١) الامامة و السياسة ص٢١٢ـ٢٠٣. الاتحاف ص٨٣ـ٧٩. سموّ المعنىٰ ص١٥٩ـ١٥٦. أبو الشهداء ص٣٩ـ٣٧.

و لما كانت هذه القصة طويلة، طوينا كشحاً عن سردها باكملها، و لكن نذكر مجملها كشاهدٍ علىٰ مدّعانا:

طمع يزيد، الذي كان يعيش حياة المجون و الخلاعة و اللعب و معاقرة الخمرة و الغناء و الرقص، طمع في إمراة سمع بجمالها و دلالها و هي أرَينب زوجه عبد الله بن سلام، و التي كان من وظائف يزيد و ابيه حماية و صون عرضها و شرفها، و كانت أرينب أو زينب هذه علىٰ ما قيل اشهر فتيات زمانها بالجمال و كانت زوجة والي معاوية علىٰ العراق عبد الله بن سلام القرشي. فمرض يزيد في حبّها و اخفىٰ سرَّه عن أهله حتىٰ استخرجه منه بعض خصيان القصر الذين يعينونه علىٰ شهواته... فلما علم أبوه سرَّ مرضه ارسل في طلب عبد الله ابن سلام و استدعىٰ اليه أبا هريرة و أباالدرداء، فقال لهما ان له ابنة يريد زواجها و لم يرض لها خليلاً غير ابن سلام، لدينه و فضله و شرفه و رغبة معاوية في تكريمه و تقريبه. فخدع ابن سلام بما بلغه و فاتح معاوية في خطبة ابنته، فوكَّل معاوية الأمر إلىٰ أبي هريرة ليبلّغها و يستمع جوابها. فكان جوابها المتفق عليه بينها و بين أبيها أنها لا تكره ما اختاروه، و لكنها تخشىٰ الضرَّة و تشفق أن يسوقها إلىٰ ما يغضب الله. فطلق ابن سلام زوجته و استنجز معاوية وعده.. فإذا هو يلويه به و يقول بلسان ابنته انها توجس من رجل يطلق زوجته و هي ابنة عمه و أجمل نساء عصره..

و قيل إنَّ الحسين عليه السلام سمع بهذه المكيدة، فسأل أبا هريرة أن يذكره عند زينب خاطبا.. فصدع أبو هريرة بأمره و قال لزينب: «**إنك لا تعدمين طلاباً خيراً من عبد الله بن سلام.**»

(٢) كتاب «أرينب، قصة تاريخية» عبد الله حسون العلي.

قالت: « من »؟ قال: « يزيد بن معاوية و الحسين بن علي، و هما معروفان لديك بأحسن ما تبتغينه في الرجال. »

و استشارته في اختيار أيهما، فقال: « لا أختار فم أحد علىٰ فم قبّله رسول الله، تضعين شفتيك في موضع شفتيه »

فقالت: « لا أختار علىٰ الحسين بن علي أحداً و هو ريحانة النبي و سيد شباب اهل الجنة »

فقال معاوية متغيظاً:

أنـــعِمي أُمَّ خـــالدٍ　　رُبَّ ســـاعٍ لِـــقاعِدٍ

و لم يلبث الحسين عليه السلام أن ردها إلىٰ زوجها قائلا:

« ما أدخلتها في بيتي و تحت نكاحي رغبة في مالها و لا جمالها، و لكن أردت إحلالها لبعلها » (١)

٦ـ زهد الإمام الحسين عليه السلام:

لعلَّ من ابرز شواخص زهد الإمام الحسين عليه السلام و رغبته عن الدنيا هو فداؤه و بذله روحَه و ارواح اولاده و اخوته و اصحابه طلباً للحق، و تحمل كل تلك البليات و المصائب في كربلاء.

فمن لم يستحقر الدنيا بأموالها و نعيمها و زينتها و مغرياتها، لا يقوىٰ علىٰ مثل تلك التضحيات في سبيل الله و الحق و القيم، حتىٰ انه شاهد أجساد فلذات كبده يقطعون إرباً إرباً، و سمع أنين عطش أطفاله و لوعتهم، و عاين دموع نسائه و بناته

(١) ابو الشهداء. عباس محمود العقاد ص ٣٩ـ٣٧.

المهراقة، فكل ذلك أوجع قلبه المفحم بالحب و العاطفة و الشفقة و الرأفة، مضافاً الىٰ عشرات الجراحات التي لا يسعها الاّ جسمُ الحسين عليه السلام الصارخ لنصرة دين الله، الثابت عن الخنوع و الاستسلام للباطل، ثبات الجبل الاشمّ قبال الاعاصير.

نعم لقد اقترحوا عليه التنازل و لو بالقليل ليزيد و ابداء المرونة في موفقه الصُلب، بما لا يُقلل من شأنه و مقامه مقابل السماح له و لاهله بالعيش الرغيد و عدم التعرض له.

و لكن، لم يكن الحسين عليه السلام بالذي يبيع مصالح المسلمين و عزتهم من اجل حياة ذليلة، و لم يكن الحسين عليه السلام ليغضَّ الطرف عن تجاوزات بني اميّة علىٰ الاحكام الشرعية الإسلامية، و لم يكن الحسين عليه السلام ليقبل بمتاع زائف في قبال إمضاء خروقات الحكم الفاسد الظالم لتعاليم السماء و اضفاء الشرعية عليها، و لم يكن من المتسامحين في الحق و في اداء الدور الذي كُلِّفَ به من قبل الله تعالىٰ.

ان حُسيناً هو ابن الذي قال:

« و الله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في شمالي علىٰ أنْ أترك هَذا الأمر ما تَركتُه حتّىٰ أهْلَكَ دُونَهُ أو يُظهره الله »

ان الحسين عليه السلام هو ابن القائل:

« إنَّ دنياكم هذِهِ أهْوَنُ عليَّ مِنْ عَفطَةِ عَنْزٍ »

يقول العلايلي:

« هذا الجانب عظيم و غريب عند الإمام الشهيد، فقد كان مستهيناً بالحياة و مستهيناً بالموت، غير ناظر إلىٰ شيء إلا برهان ربه، الذي امتزجت به نفسه فهو يفتديه بكل شيء هان أو عزَّ، و من ثم كان جديراً بأن يسمىٰ «البنّاء الثاني في الإسلام» بعد جده المصطفىٰ صلى الله عليه وآله، و بأنه المجدد لبناية التوحيد كما يقول الشاعر

الهندى «معين الدين اجميري» رحمه الله» [١]

و يقول ايضاً:

«لقد انصرف «الحسين عليه‌السلام» بكل نفسه عن الدنيا و ما إليها». [٢]

فالحسينُ اذن، كأبيه امام الزاهدين الذي قال:

« و الله إنَّ إبْنَ أبيطالب آنَسُ بالمَوتِ من الطِفل بثدي أُمِّه »

« و ما أنا إلاّ كقاربٍ وَرَدْ أو كطالِبٍ وَجَدْ »

و قال الوَلَد:

« إنّي لا أرىٰ الموت إلاّ سَعادَةً و لا الحياةَ مع الظالِمينَ إلاّ بَرَماً »

قال ابن شهر آشوب في معرض حديثه عن زهد الحسين عليه‌السلام: قيل للحسين:

« ما أعْظَمَ خَوفِكَ مِنْ رَبِّك »

فقال عليه‌السلام:

« لا يأمنُ القيامَةَ إلاّ من خافَ اللهَ في الدُّنيا » [٣]

٧ـ تواضع الحسين عليه‌السلام:

كلما ازداد الإنسان معرفةً بربّه و توحيده، و كثر عِلمُه و حكمته، كلما ازداد خضوعاً و تواضعاً، فالكبر ينشأ من الجهل و قلّة المعرفة و الغفلة و الغرور.

و قد ذمَّت الآيات القرآنية الكريمة، و الاحاديث النبوية الشريفة، الكبر، و مدحت التواضع.

---

(١) سموّ المعنىٰ ص ١١٩.

(٢) سموّ المعنىٰ ص ١٠٢.

(٣) المناقب ج ٤ ص ٦٩.

و اذا كان التواضع مطلوباً، فهو من القادة و الزعماء اكثر مطلوبيةً و ينبغي عليهم الابتعاد و التخلص من الكبر و الغرور الخيلاء، فان تكبرهم يُبعدهم عن قلوب افراد المجتمع و يُنَفّرُ الناس عنهم، و يُفردهم عن الامّة و يعزلهم.

و الجهلاء، و بمجرد أنْ ينالوا يسيرا من حُطام الدنيا، يدخلهم الخيلاء و التكبر، فيستحقرون الناس، و يحاولون فرض آرائهم مهما كانت سخيفة.

إنَّ من أبرز ملامح الحكم الاسلامي، كما كان في زمن امير المؤمنين عليه السلام، هو تواضع ولاة الأمر و القضاء و الغاء الفوارق الطبقية و القومية التي كانت سائدة في الانظمة الحاكمة قبل الإسلام.

لقد كان عليٌّ عليه السلام يعيش مع المسلمين كأحدهم، يسعىٰ في قضاء حوائجهم، و يهتم بنفسه بحوائجه، فكان يتسوّق بنفسه لنفسه، و يحمل متاعه بردائه أو عباءته و ياتي به الىٰ داره، و في نفس الوقت كان يستمع الىٰ شكاوىٰ الناس و ينظر فيها، و كان يلبس الخشن من اللباس و هو مع ذلك يُرقِعَه و يتقشف، و كان يصلح نعليه بنفسه و امام الناس، و طعامُه الجشب، فطالما كان يأكل الخبز و الملح أو اللبن، و لكنه لم يكن مع ذلك يأمر الاخرين بمثل ذلك، فهو الخليفة و عليه ان يواسي أضعف الرعية حالاً، و من هنا صار عليٌّ مظهرَ العدالة الإنسانية و الزهد الفريد.

كان و هو الخليفة يحضر مجلس الترافع و القضاء، اذا ما اشتكىٰ عليه شاكٍ، فيجلس كما يجلس المدعي، و كم من مرّة لم يُحكم لصالحه و لم يُقلل ذلك من شأن الخلافة و الخليفة.

لقد روّض عليٌّ نفسَهُ بالزهد و التواضع و بساطة العيش و عوّدها علىٰ القناعة، كيلا تطغىٰ غريزة الطمع فتجرَّهُ الىٰ الحيف و اختلاس بيت المال و صرفه في التجملات و القصور الفارهة.

و قد ورد في الرواية : « مَنْ أرادَ ان يتَمثَّلَ لَهُ الرِجالُ فليتبوَّء مَقْعَدَهُ مِنَ النّار »

فمن الفاسد في مقياس الحق و العدل الاسلامي ، أنْ يلبس الخليفة و يركب و يسكن ، أفضل ما يلبس و يركب و يسكن عُمالُه ، و ان يحيط نفسه بجهاز حاكم مبذر مسرف ليتميز عن سائر المسلمين ، متخلّقاً باخلاق الجاهلية .

إنَّ هذه العادات القبيحة ، هي ما اعتادت عليه حكومة بني أميّة حيث جددت اعراف الجاهلية ، و هذا الانحراف ارجع خلافة الممالك الإسلامية الىٰ طرز الجاهلية في الحكم .

و سنتطرق في الصفحات اللاحقة انشاء الله الىٰ تفصيل هذا الأمر و نكتفي هنا بالحديث عن تواضع الإمام الحسين عليه السلام .

لقد كان الحسين عليه السلام علىٰ تواضعه ، مُهاباً مبجلاً من قبل الناس ، و عندما كان يسير هو و اخوه الحسن المجتبىٰ الىٰ الحجِّ ، كان كبار الصحابة ، يترجلون احتراماً لهما ، و لم يكن هذا الاحترام للحسين عليه السلام من أجل قصر مُجلَّل يسكنه الحسين أو مركب و دابة غالية الثمن ، او لكثرة غلمانه و جنوده و خدمه و حشمهِ ، فلقد كان الحسين عليه السلام يعيش بين الناس و معهم ، متواضعاًبسيطاً في عيشه ، و كان يذهب الىٰ الحجِّ في كل سنة و يجلس مع الناس ، و يجالس الفقراء و يحضر الجماعات و يعود المرضىٰ و يشترك في تشييع الجنائز و يجلس في مسجد النبي صلى الله عليه وآله مع اصحابه ، و يجيب دعوة الفقراء الىٰ طعامهم و يدعوهم الىٰ طعامه ، و كان يحمل الخبز و الطعام بنفسه الىٰ الفقراء و المعوزين و الأيتام و الارامل .

و عندما جرّده اهل الكوفة الظالمين عن ملابسه يوم عشاوراء ، وجدوا آثار حمل الجراب علىٰ كتفه الشريف ، فسألوا عن ذلك فاجابهم الإمام السجاد ، بان ذلك آثار حمل الطعام الىٰ فقراء المدينة و ايتامهم .

٨ـ خلوص الايمان و الثبات

يُعتبر الايمان بالهدف من اهم عوامل الاستقامة و الثبات و الاستمرارية عند ارباب و زعماء النهضات الاصلاحية الدينية و الاجتماعية، فاذا كان القائد علىٰ يقين من حقانية اهدافه، سار بخطىً راسحة نحو تلك الاهداف و لم تنهه عقبات الطريق مهما بدت كأداء، فهو يستلهم قوته و عزمه من ايمانه و يقينه ذاك.

و اذا ما استقرأنا تاريخ الانبياء، و خاصة خاتمهم محمد المصطفىٰ صلى الله عليه و آله و امعنّا النظر في سيرته، لوجدنا إنَّ عمدة اسباب نجاحه هو ايمانه القاطع و الثابت، و يقينه الجازم بنبوته و وحي السماء له، و مع مثل ذلك الايمان، دعا النبيُّ صلى الله عليه و آله الىٰ التوحيد أشدَّ الناس وحشية و جهلاً و عناداً من بين عبدة الاوثان، و حمل راية الدعوة الىٰ كل الملل، و مع انَّ العقبات التي كانت تعترض طريقة، كانت كثيرة و كبيرة، لكنّه نادىٰ باعلىٰ صوته و بكل قوة قلب و اطمئنان خاطر:

«قُولوا لا إله إلاّ الله تُفْلِحُوا»

و هذا الايمان الراسخ و العزم الذي لايلين كان بيّناً و ملازماً له صلوات الله عليه طيلة حياته المثخنة بجراح الاحداث و البليات. ففي حروبه و غزواته، و ابّان الفتح و ايام الانكسار الظاهري و في بداية الدعوة و قلة الناصر و تسلّط الكفار و الضغوط المادية و الروحية، في كل تلك الحالات، كان النبي صلى الله عليه و آله يُنفذ براجحه بكل إطمئنان و يتقدم نحو الهدف بخطوات ثابتة هادئة مستقرة.

و كان الحسين عليه السلام كجدّه الاكرم في ارتقاء الرتبة الاعلىٰ في الايمان بالهدف و الاطمئنان و اليقين بصحة السبيل.

كان يعتقد حقانية هدفه، و بطلان نهج الامويين، و إنَّ ما يقوم به انما هـو

لصلاح الامة الإسلامية و انقاذها، و كـان يـعرف انَّ السـبيل الوحـيد لافشـال مخططات بني امية هو بالامتناع عن بيعة يزيد و الثورة ضدَّه.

كان الحسين عليه السلام متيقّناً إنَّ الطريق الذي سَلَكَهُ موافق لرضا الربِّ عزوجل و الرسول صلى الله عليه وآله و انه ينتهي به الىٰ الشهادة و السعادة. و من ثمَّ، اعلن صراحةً مخالفته لاستخلاف يزيد مع علمه المسبق بان ذلك سيكلّفَهُ غالياً، و استقبل كل المصائب و البليّات ليقينه بانها بعين الله و رضاه.

فكما التاجر الذي يتيقن الربح الكبير في معاملة تجارية، لا يتراجع عنها أبداً فكذلك الحسين عليه السلام الذي تعامل مع ربّه معاملة يعلم بكل ارباحها و منافعها الدينية الاخروية، و من حَمَل مثل هذا اليقين بالله و بثوابه الجزيل، لا يقبل بالبديل، فمهما كانت التضحيات، كان النفع أعظم.

لقد كان ابو عبد الله الحسين عليه السلام متيقناً وجوب دفع الاخطار المحدقة بالاسلام و المسلمين، و يعلم أيضاً ان ذلك متوقف حصراً علىٰ استشهاده و تسليمه للبلاء بعد البلاء.

إقرأوا تاريخ واقعة كربلاء من البدء الىٰ الانتهاء، و ستجدون الايمان الراسخ بالقضية و الهدف و المصير و المسير، جلّياً واضح التجسّد في الحسـين و ابـنائه و اصحابه و نسائه و اخواته و بناته.

لقد كانت كلمات الحسين عليه السلام في المدينة و في مكة و في الطريق و في كربلاء، بمضمون واحد و ان اختلفت العبارات، ففي المدينة و عندما طلب مـنه الوليـد ان يبايع يزيداً، قال الإمام الحسين عليه السلام:

«إنّا أهلُ بَيتِ النّبوَة و مَعْدنُ الرّسالة و مختلَف الملائكة و مهبط الرحمةِ، بنا فَتَحَ الله و بنا خَتَمَ و يزيدُ رَجُلٌ فاسقٌ شاربُ خمرٍ قاتل نفسٍ معلنٍ بالفسق، فمثلي لا

ينابيعُ مِثلَه »[١]

و لما قال له مروان بن الحكم ان صلاحه في مبايعة يزيد قال عليه السلام :

« إنا لله و انا اليهِ راجعون و علىٰ الإسلام السلام اذ إبْتُلِيَتْ الامّة براعٍ مثل يزيد »[٢]

فالحسين عليه السلام يرىٰ ان بيعة يزيد خيانةٌ للاسلام ، و أنها تعني نهاية الإسلام و اضمحلاله ، و الموافقة علىٰ مبايعته يعني إمضاء تدمير الإسلام و انقراضه .

و ورد هذا المعنىٰ ايضاً عنه عليه السلام عند قبر جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله و مواضع اخرىٰ .

و في مكة ، و في ضمن خطبته المعروفة « خُطَّ الموتُ علىٰ وُلدِ آدم » اعلن الحسين عليه السلام صراحةً برامجه ، و بَيَّن نهاية المطاف بوضوح .

و ذكر ابن الاثير عن عتبة بن سمعان الكلبي قال :

لما ارتحلنا من قصر ابن مقاتل ، و سرنا ساعة خَفَق رأسُ الحسين عليه السلام خفقة ثم انتبه فاقبل يقول : « إنّا لله و إنّا إليهِ راجِعُون » و « الحمدُ لله ربِّ العالمين » مرتين .

فاقبل اليه علي بن الحسين عليهما السلام و هو علىٰ فرس فقال له : يا أبي جُعلتُ فداك مِـمَّ استرجعت؟ و علامَ حمدت الله؟

قال الحسين عليه السلام : يا بني انه عَرَض لي فارس علىٰ فرس ، فقال : القوم يسيرون و المنايا تسيرُ اليهم ، فعلمت أنها أنفُسُنا نُعيتْ الينا .

فقال : يا أبتاه لا اراك الله سوءاً ابداً ، السنا علىٰ الحق؟

قال : بلىٰ و الذي يرجع اليه العباد .

---

(١) مقتل الخوارزمي ص ١٨٤ ف ٩ .

(٢) مقتل الخوارزمي ص ١٨٤ ف ٩ .

فقال: « يا ابت، فاذاً لا نُبالي أنْ نموتَ محقّين. »

فقال له الحسين عليه السلام: « جزاكَ الله مِن وَلَدٍ خَيرَ ما جزىٰ وَلَداً عَنْ والدِهِ. »[١]

و في احد المنازل خطب خطبةً باصحابه و اصحاب الحُرِّ، و بعد ان حمد الله و اثنىٰ عليه، قال:

« ايّها الناسُ إنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله قال: مَن رأىٰ سلطاناً جائِراً مستحلاً لحُـرُم اللّهِ ناكثاً لِعهدِ اللّهِ مخالفاً لِسنةِ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله يَعملُ في عبادِ اللّه بِالإثمِ و العُدوانِ فلم يُغيِّر عليه بفعلٍ و لا قولٍ كان حقّاً علىٰ الله أن يُدخِلهُ مَدخلَهُ ألا و انَّ هؤلاء قد لَزِمُوا طاعةَ الشَيطانِ و تركوا طاعَةَ الرَّحمٰن و أظهروا الفَسادَ و عطَّلُوا الحـدودَ و استأثَروا الفَيئ و أحلُّوا حرامَ اللهِ و حرّموا حلالَه و أنا أحقُّ مَن غَيَّرَ » .[٢]

و قال عليه السلام للفرزدق:

« أنا أوْلىٰ مَنْ قامَ بنُصرة دين الله و إعْزازِ شَرْعِهِ و الجهاد في سبيله لتكونَ كَلِمَةُ اللّهِ هيَ العُليا »[٣]

و اصرح كلام صدر عنه في هذا المعنىٰ، هو خطبته يوم عاشوراء في جيش عمر بن سعد، و التي تدل علىٰ ثباته علىٰ نفس المبادئ و القيم التي اعلن عـنها في المدينة و في مجلس الوليد، و انه لم يعدل عنها و لم يتغير ابداً، فقد جاء في خـطبته البليغة تلك:

« ألا و انَّ الدَعيَ ابنَ الدَعيّ قَد رَكزَ بَيْنَ إثنتين، بَـيْنَ السـلَّةِ و الذلّـة، و هيهات منّا الذّلّة يأبىٰ الله تعالىٰ ذلك لنا و رسولُه و المؤمنون و حُـجورٌ طـابت و

---

(١) الكامل ج٣ ص٢٧٢. مقاتل الطالبين ص١١١.

(٢) الكامل ج٣ ص ٢٨٠. تاريخ الطبري ج ٤ ص٣٠٤.

(٣) تذكرة الخواص ص٢٥٢.

طَهُرَتْ و أنوفُ حَمِيَّة مِنْ أنْ نُؤثر طاعَةَ اللئامِ علىٰ مصارعَ الكِرام »[١]

٩ـ شجاعة الحسين عليه السلام

قد يظنُّ البعض، إنَّ شجاعة الحسين عليه السلام هي تلك القوة العضلية الجسدية، و علمه بفنون القتال و الحرب، و قتل الابطال و الفرسان،و إنَّ أروع صور شجاعته هي حملاته و صولاته منفرداً علىٰ جيش الاعداء و تفريق جموعهم و فرارهم بين يديه كفرار الاغنام بين يدي الذئب، و عندما يئسوا من منازلته و جبنوا، اخذوا يرشقونه بالحجارة و السهام، و هؤلاء و ان استطاعوا ان يقتلوا الحسين عليه السلام و يطعوا و يقطعوا رأسه و يرفعوه علىٰ راس الرمح،و لكن لم يدع ايٌّ منهم إنّه استطاع ان يناجزه و يقتله، و انما اجتمع عليه نفرٌ بعد ان اثخن بالجراح و اضرَّ به العطش حتىٰ اسودّت السماء بعينه، و اعياه النزف و أضعفه، فاستبسل الجبناء بالاجهاز عليه بطريقة وحشية حاقدة باجمعهم حتىٰ اختلفوا في تعيين قاتله.

يقول ابن حجر في شرح الهمزية: «وكان أكثر مقاتليه المكاتبين له و المبايعين له فلما جاءهم فرّوا عنه الىٰ عدوه و كان الجيش الذي ارسله ابن زياد لمحاربته عشرين ألف مقاتل فحارب ذلك الجيش الكثير و معه من أهله نيف و ثمانون فقُتل أكثرهم و ثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً و لولا انهم حالوا بينه و بين الماء ما قدروا عليه اذ هو الشجاع القرم الذي لا يحول و لا يزول».[٢]

اذن، لقد كانت حملات الحسين عليه السلام و صولاته مظهراً من مظاهر شجاعته و

---

(١) كتب المقاتل. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص٣٠٢.
(٢) الاتحاف ص١٦.

ليست كل شجاعته، فالشجاعة التي نحن بصددها، و التي تعدُّ من جملة سجايا الحسين عليه السلام البارزة، هي تلك الحالة النفسانية و الروحية الوسط بين التهور و الجُبن، و التي تمنع صاحبها من الخوف و الجبن و الضعف و الفتور، و تردعه عن التهور و التجبّر و الظلم و الاسراف.

و هذه الملكة النفسانية، تقود القوة الجسمية العضلانية و توجهها نحو الاعتدال و الاستقامة، و حينئذٍ تعدُّ من الشجاعة، و الاّ كانت وَبالاً علىٰ صاحبها و صارت سبباً لملامة الناس له و ذمِّهم اياه.

و هذه الصفة، من اشرف صفات الكمال و الفضيلة، و ان تجليات الكمالات البشرية مرتبطة.

فالامّة التي تنعدم في افرادها تلك الشجاعة الروحية الاخلاقية، يكون مصيرها الىٰ العدم و الفناء، و تصير أسيرة سلطة الاجانب و الطامعين. فبقاء الأمم و عزَّتها و كرامتها، رهنُ ترجمتها للشجاعة.

فالتقيُّدات الزائدة، و الاحتياط بلا دليل، و خداع عوام الناس، و عدم قبول الرأي الآخر و النقد، و منع الحريّات، وكتم الانفاس و الفكر، و التهور في العمل، و التجاسر المجنون، و الضعف الروحي و عدم الصبر، و الظلم و العمالة للاجنبي، و خيانة الامّة، و السريّة و التستر في الامور، و الخنوع و الذلّ، كلها اموركاشفة عن فقدان الشجاعة. كما ان ضبط النفس و الثبات و الاستقامة، و الصراحة و مقاومة الصعاب و العقبات، و مواجهة منعطفات الحياة، و قبول النقد و الحوار البنّاء، و احترام حريات الآخرين، كلها امور تفرزها الشجاعة.

و كل مظاهر هذه الشجاعة قد تجسدت في الحسين عليه السلام، و كانت روحه مكانُ جسمُهُ، مركز عرض اسمىٰ مراتب الشجاعة حتىٰ صارت «الشجاعة الحسينية»

مضرب المثل.

ينقل الشيخ الشبراوي عن بعض اهل العلم إنَّ آل البيت حازوا الفضائل كلها علما و حلما و فصاحة و صباحة و ذكاءً و بديهة وجوداً و شجاعة، فعلومهم لا تتوقف علىٰ تكرار درس و لا يزيد يومهم فيها علىٰ ما كان بالأمس بل هي مواهب من مولاهم من أنكرها و أراد سترها كان كمن أراد ستر وجه الشمس فما سألهم في العلوم مستفيد و وقفوا، و لا جرى معهم في مضمار الفضل قوم الاّ عجزوا و تخلفوا و كم عاينوا في الجلاد و الجدال أمورا فتلقوها بالصبر الجميل و ما استكانوا و ما ضعفوا تفرّ الشقاشق اذا هدرت شقاشقهم و تصغىٰ الاسماع اذا قال قائلهم و نطق ناطقهم سجايا خصهم بها خالقهم.

ثم يضيف الشبراوي:

«و قد حل الإمام الحسين عليه السلام من هذا البيت الشريف في اوج ذراه و علافيه علوا تطامنت الثريا عن أن تصل الىٰ معناه، و لما انقسمت غنائم المجد كان له منها السهم الاوفر و الحظ الاكبر، و قد انحصرت جرثومة عزٍّ هذا البيت فيه و في أخيه فكان لهما من خلال المجد و الفضل ما لا خلاف فيه، كيف لا و هم إبنا فاطمة البتول الملحظان بعين الودِّ و الرأفة و القبول من أشرف نبي و أكرم رسول:

هُما شَمَّرا للمَجْدِ يَبْتَنِيانِهِ كأنْ لم يُؤَسِّسْ والِدٌ لَهُما مَجْدا
و لو لَمْ يُجِدّا ،و استراحا و أقلَعا لما نَظَرا مِثلاً و لا وَجَدا نِدّا

ثم يقول:

«و الحسين عليه السلام أقدم بقوة الجنان الىٰ مقارعة الابطال الشجعان و منازلة السيف و السنان فكان عليه السلام في حرب أعدائه كرارا صبّارا يرى الفرار دناءةً و عاراً فلم يزل خائضا غمرات الاهوال بنفس مطمئنة و عزيمة مرحجنةٍ يرىٰ مصافحة

الصفاح غنيمة و مراوحة الرماح فائدة جسيمة و بذل المهج و الارواح في نيل العزّ ثمناً قليلاً و يأبى الدنية و إنْ تركته قتيلاً:

يرىٰ الموت احلىٰ من ركـوبِ دَنـيَّةٍ   و لَيْسَ بِعَيْشٍ عَيشُ مَنْ ركَبَ الذُّلا

ثم يقول:

عندما قصد الحسين عليه‌السلام الكوفة سمع ابن زياد بهذا الخبر و أرسل اليه عشرين الف مقاتل و أمرهم أن يأخذوا البيعة منه ليزيد و إن أبىٰ قتلوه. و عندما عرضوا عليه البيعة لم يقبل و تأسّىٰ بجدّه و أبيه و لم يرض بالعار و الذلّ و تجلّت فيه الشجاعة و النّجدة الهاشميّة مع أنه كان قد حوصر هو و أهل بيته و أعزّته و أصحابه و صار مرماً للرّماح و النّبال و أثر أن يبقىٰ ثابت القدم في الجهاد و صمد بشهامة عالية و بقوّة قلب لا نظير لها في مثل هذا الموقع الخطير و ناداهم قائلاً:

« يا أهلَ الكُوفة ما رَأيتُ أَغدَرَ منكم قُبحاً لكم، و تَـعساً لكـم الوَيـلُ ثمَّ الوَيلُ، إستَصرَختُمونا فأتيناكم، و أسرعتُم إلىٰ بيعتنا سُرعة الذُّباب و لمّا أتيناكم تَهافَتُّمْ تَهافُت الفراشُ، و سلَلتم علينا سُيوفَ أعدائِنا مِن غيرِ عدلٍ أفشَوهُ فيكم، و لا ذَنبٍ منّا كان إليكم، ألا لعنةُ اللّهِ علىٰ الظّالمين. »

ثمَّ حَملَ عليهِم، و سَيفُهُ مصلَّتٌ في يدِهِ و هو يُنشِدُ:

أنـا ابـنُ عـليّ الحِـبْرِ مِـن آلِ هـاشمٍ   كَفاني بهـذا مَـفخَراً حـينَ أفْـخُرُ[1]*

---

(١) و حريّ بمحبّي أهلِ البيتِ أن يحفظوا بقيّة أبيات هذه القصيدة و هي:

وَ جدّي رسولُ اللّهِ أكرمُ مَن مضىٰ   و نحنُ سراجُ اللهِ في الخـلقِ نـزهرُ
وَ فـاطِمُ أُمّـي مِـن سُـلالةِ أحمـدٍ   وَ عَمّي يُدعىٰ ذوالجَـناحينِ جـعفرُ
و فـينا كـتابُ اللّـهِ أُنـزِلَ صـادِقاً   و فينا الهُدىٰ و الوَحي بالخير يُذكَرُ

←

و يقول الشبراوي أيضاً: ثم لم يزل يقاتلهم الىٰ ان اثخنوه بـالجراح فـطعن إحدى و ثلاثين طعنة و ضرب أربعاً و ثلاثين ضربة و غلب عليه العطش الىٰ أن سقط الىٰ الارض و مكث طويلاً من النهار كلما انتهىٰ اليه رجل من أعدائه رجـع عنه و كره أنْ يتولى قتله فقدم عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه علىٰ رأسه بالسيف قطع البرنس و أدماه. و مكث طويلاً من النهار و لو شاؤوا أن يقتلوه لقتلوه و لكنهم كان يتقىٰ بعضهم ببعض و يحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء فـنادى شمـر في الناس و يحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحملوا عليه من كـل جانب فضربه زرعة بن شريك التميمي بكفه اليسرىٰ فصار يقوم و يكبو بقوّة جاش و ثبات جنان و فضل شجاعة و عدم مبالاة بما فيه من الجـراح و تمسك بـشهامةٍ قرشية و هاشميّة غير مكترث ذلك الاسد الوثاب بنهش تلك الكلاب». (٢)

و روىٰ الطبري و ابن الاثير عن عبد الله بن عمار: «فشدّ عليه رجّالة ممّن عن يمينه و شماله، فحمل علىٰ مَن عن يمينه حتىٰ ابتعدوا، و علىٰ مَن عن شماله حتىٰ ابتعدوا، و عليه قميص له من خزّ و هو معتمٌّ؛ قال: فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قتل ولده و أهل بيته و أصحابه، أربط جأشاً، و لا امضىٰ جَناناً و لا أجرأ مقدماً منه، و الله ما رأيتُ قبلَه و لا بعدَه، مِثلَه؛ أن كانت الرّجالة لتنكشف من عن يمينه و شماله انكشافَ المعزىٰ إذا شدّ فيها الذئب، قال: فو الله إنه لكذلك إذ خرجتْ زينبُ ابنة

← و نَحـنُ أمانُ اللهِ للنّاسِ كَـلِّهم | نَـسِرُّ بِهـذا في الأنـامِ و نَجـهرُ
و نحنُ وُلاةُ الحوضِ نُسـقي وُلاتَـنا | بِكأس رسول اللّهِ مـا ليسَ يُـنكرُ
و شـيعتُنا فِي النّـاسِ أكـرمُ شـيعَةٍ | و مُـبغضُنا يـومَ القـيامَة يخـسرُ

(*) الاتحاف ص١٦ـ١٥.

(٢) الاتحاف ص١٧ـ١٦.

فاطمة أُخته، و هي تقول:

«لَيْتَ السماء تطابقت علىٰ الأرضْ»!

و قد دنا عمر بن سعد من حسين؛ فقالت:

«يا عُمَر بن سَعْدٍ أيُقْتَلُ أبو عَبْد اللّهِ و أنْتَ تَنْظر اليهِ»!

قال: فكأني أنظر الىٰ دموع عمر و هي تسيل علىٰ خديه و لحيته؛ قال: و صرف بوجهه عنها.(١)

و يقول ابن ابي الحديد:

و من كالحسين عليه السلام في شجاعته حيث نقل من حضر كربلاء أننا لم نجد مكثوراً قط قتل أهله و ولده و أصحابه أشجع منه حيث كان يحمل علىٰ الاعداء فينهزمون من بين يديه كفرار المعزىٰ و كيف ظنّك برجل لا يرضىٰ بالذّل و لم يضع يده في يدهم حتىٰ قتل.(٢)

و يقول العقّاد:

«و شَجاعةُ الحُسَين صِفَةٌ لاتُستَغْرَبْ مِنْهُ «الشيّ مِنْ مَعْدَنِهِ» كما قيل، و هي فضيلة ورثها عن الآباء و أوْرثَها الأبناء بعده»

الىٰ ان يقول:

«و لَيْسَ في بَني الإنْسانِ مَنْ هو أشْجَعُ قَلباً ممّن أقدَمَ عَلىٰ ما أقْدَمَ عَلَيهِ الحُسين في يَومِ كربلاء».

و يقول في موضع آخر:

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٥. الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٢٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٨٢.

فانّه كان يقاسي جهد العطش و الجوع و السَهَر و نزف الجراح و متابعة القتال، و يلقي باله إلىٰ حركات القوم و مكائدهم، و يدبر لرهطه ما يحبطون به تلك الحركات و يتقون به تلك المكائد، ثم هو يحمل بلاءه وبلاءهم... و يتكاثر عليه وقر الأسى لحظة بعد لحظة كلما فجع بشهيد من شهدائهم. و لا يزال كلما اصيب عزيز من اولئك الأعزاء حمله الىٰ جانب اخوانه و فيهم رمق ينازعهم و ينازعونه و ينسون فى حشرجة الصدور ما هم فيه... فيطلبون الماء و يحز طلبهم في قلبه كلما أعياه الجواب، و يرجع الىٰ ذخيرة بأسه فيستمد من هذه الآلام الكاوية عزماً يناهض به الموت و يعرض به عن الحياة... و يقول فى أثر كل صريع: «لا خير فى العيش من بعدك» و يهدف صدره لكل ما يلقاه...[١]

و يقول أيضاً:

«و ظَلَّ (الحسين عليه السلام) علىٰ حُضور ذِهنِه و ثبات جأشه في تلكَ المِحْنَةِ المتراكبة التي تعصف بالصَبْر و تطيش بالألباب، و هو جهد عظيم لا تحتويه طاقة اللحم و الدَم، و لا ينهضُ به إلاّ أولوا العزم من أندر ما يلد آدم و حوّاء.»

و لكنَّ حسين عليه السلام الشهامة و الاستقامة و الايمان، تحمَّل كل هذه المصائب و دافع تلك البليات التي تكفي واحدة منها لهدّ عزم اشجع الشجعان، كما يدفع الشجاعُ عن نفسه الابطال في الوغىٰ.

بوركت حقيقة الإنسانية التي اذا تجلَّت غطَّت كل مناظر الجمال في عالم الخلقة، و منحت لحم و دم و عظام و شحم الإنسان قدْراً عالياً و تسامت حتىٰ ساوت كل الممكنات وزناً و قدراً و اعتباراً، و اهتزّت رايتها في السماوات العُلىٰ!

(١) ابو الشهداء ص١٣٦ـ١٣٣.

و بورك طلب الحق و رضا الرب، الذي يرتفع بروح الإنسان و يُعظمها الىٰ درجة الارتقاء الىٰ مصاف الانوار القدسية.

و بورك آل محمد، اهل بيت الرسالة، و قربىٰ النبوة، الذين علّموا البشرية دروس الشرف و الاستقامة و الصبر و الفداء و رباطة الجأش و العزيمة!

و بوركت الامة الإسلامية، و الفخر و العزُّ للطائفة الشيعية الحقة و الفرقة المحقة، التي تحيي الذكرىٰ السنوية لهذه التضحيات و الفداء الفريد، و التجلّي العظيم للروح الإنسانية مستفيدة ومفيدة من هذه المراسم و الشعائر، دروس الاباء للمجتمع البشري!

١٠ـ تجلّيات عظمة الحسين عليه السلام

يتحدث العلايلي ضمن تعداده لمظاهر عظمة الحسين عليه السلام، عن عظمة صراحة لهجة الحسين و صدقه، و عن عظمة تصميمه، و عن عظمة إباء نفسه و علو همّته و رجولته.

و لان هذه المزايا الّتي ذكرها مستقاة من روح الحسين عليه السلام الفيّاضة الشجاعة الظافرة، لذا فسنقتصر علىٰ نقل مقاطع من كلام العلايلي:

عظمة المضاء

و هذا جانب أكثر عَمليَّةً من الصراحة إذ هو التصميم و العزم النافذ و توطين النَّفس الىٰ النهاية على أية أشكالها. و هذا شئ يشعر به أرباب المشاعر المُرهَفَة حتىٰ أنهم يحسون في دمائهم غلياناً، كأن بركاناً انفجر و ثار في شرايينهم فهو يقذف بالحمم و يندفع كالسيل الناري حين ينصب من علو بين الشرر المتصاعد و القوة

المتدافعة، و بين النَّفس اللافح و الانهمار القوي، فلا براح من أن يمضي بدون تراخٍ تحت شعوره الجيّاش و احساسه الملتهب. و اسمعوا اسمعوا إلىٰ كلمات الحسين عليه السلام كيف تخرج مع هذا الشعور الخطير قال: « **الحمد لله، و ما شاء الله و لا قوة إلا بالله و صلى الله علىٰ رسوله خُط الموت علىٰ ولد آدم مخط القلادة علىٰ جيد الفتاة، و ما أولهني إلىٰ أسلافي اشتياق يعقوب إلىٰ يوسف، و خيِّر لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشاً جُوَّفاً و أجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضىٰ الله رضانا أهل البيت، نَصبر علىٰ بلائه و يوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تَقُرُّ بهم عينه و ينجز بهم وعده، إلاّ فمن كان باذلاً فينا مهجته و موطناً علىٰ لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فانني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالىٰ** » .

هذه الكلمات الثائرة كانت منطق الحسين عليه السلام لأولئك الذين أرادوا أن يحملوه علىٰ غير رأيه، و هؤلاء عذرهم فانهم لا يحملون نفسه و لا يشعرون بشعوره، و لا تتوقَّد في نفوسهم ما يتوقَّد في نفسه.

و لندركِ عظمة هذا الموقف الذي يقفه إلاّ أن يمضى الىٰ غايته، نذكر الرجالات الذين نهوه عن الخروج، منهم أبوبكر عمر بن عبد الرحمن المخزومي، و عبد الله بن عباس، و عبد الله بن عمر، و محمد بن الحنفية، و كلهم من خُلَّص الرجال، و لكنهم في مواجهة الرجولة الحقة فقدوا جلد الرجولة و بدوا كدقاق الحصىٰ في سفح الجبل الأشم حين تعصف العاصفة، تُسمِع أصواتاً مع انحدارها و ربما كانت ضجة من الأصوات، و الجبل في موقفه ساخر في صموت، و ساكن في غير مبالاة. و ربما كان جواباً خالداً في التصميم، و العزيمة، قول الحسين عليه السلام لابن عمر لما أشار عليه بصلح أهل الضلال، و حذره من القتل و القتال فقال: « **يا أبا عبد الرحمٰن**

أماعلمت أن من هوان الدنيا علىٰ الله ، أن رأس يحيىٰ بن زكريا ، أهدي الىٰ بغيٍّ من بغايا بني اسرائيل »

هذه فقرة نبيلة من جواب الإمام ، تجعلنا نلمس مقدار قوة التصميم عنده ، و مقدار مضاء العزيمة لديه ، لتحقيق هدفه الذي لا يحيد عنه قيد أنملة .

و كذلك مضىٰ و هو لا يرىٰ إلاّ مبدأه الذي يأتلف من كلمات ثلاث ، ثم لا يسمع سوىٰ صوت هذه الكلمات عميق الصدىٰ سحرياً . . .

اللهُ رَسوله القُرآن

عظمة الإباء

و هذا جانب آخر من عظمة الإمام الشهيد ، و لكنه أنبلها جميعاً و ذلك إذا رأينا كيف يَفقد المبدأ و الصراحة و المضاء ما فيها من معاني إذا أرضت صاحبه شهوة أو أقنعه مُنفَس ، أو أجاب الىٰ دنيا . و ليست تفقد معناه فحسب بل ينقلب النبل فيها عاباً ، و الشرف حطة فكان الإباء حجر الأساس و ركن الزاوية و كذلك أبىٰ الامام عليه السلام إلاّ الاباء و نطق بهاكلمة تفرق منها نفس العاتي و تضؤل معها كبرياء الظالم « **لا و الله لاأعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، و لاأفر فرار العبيد ، يا عباد الله إني عذت بربي و ربكم أن ترجمون ، أعوذ بربي و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب** »[١]

ثم قال عليه السلام :

« ثمّ ايمُ الله لا تَلبثونَ بَعدَها إلاّ كَرَيثِ ما يُركَبُ الفرسُ حتّىٰ تدورَ بِكُم دَورَ

---

(١) سموّ المعنىٰ ص١١٧ .

الرَّحىٰ ، و تقلُقَ بكم قَلَقَ المحوَرِ عهدٌ عهدَهُ اليَّ أبي عن جدّي فأجمِعوا أمركُم ، و شركائكم ثمَّ لا يكُنْ أمرُكم عليكُم غُمَّة ثمَّ اقضُوا اليَّ و لا تُنظِرون إنِّي توكَّلتُ علىٰ اللّهِ ربّي و ربّكم ما مِن دابّةٍ إلاّ هو آخذٌ بناصيتِها إنَّ ربّي علىٰ صِراطٍ مستقيمٍ »(١)

ثم أناخ راحلته ، و ركب فرسه ، و تهيأ للقتال . . .

أعظم بِهِ بَطلاً لَم يَعطِ متَّضِعاً يدَ الصغارِ و أعطىٰ دونَها الرأسا
كذلك الحرُّ يستعدِي المَماتِ علىٰ عيشِ الدَّنيَّةِ إدلالاً و اركاساً
أكْرِمْ بها خلَّةً كانت لنا نَهجاً ثمَّ استمرَّت علىٰ الأيَّام نِبراساً

أجل ، ان الحسين عليه السلام و بما ورثه من عزَّةٍ عن جدِّه و بإباءِ شخصيّته لم يَهِن و لم يَنكُل أبداً ، و عَجَزَ التاريخ أن يجد له نظيراً في شموخه و إبائه و عزّته . فلقد كان الحسين عليه السلام و لازال معلم الأجيالِ معلّمَ العزّةِ و الشّموخ .

و يقول ابن أبي الحديد :

« سيِّد أهْلِ الإباء الّذي علَّمَ الناسَ الحميَّةَ و الموتَ تَحتَ ظلال السّيوفِ إختياراً لَهُ علىٰ الدنيَّة ، أبو عبد الله الحُسين بنُ علي بن أبي طالبٍ عليهما السلام الّذي عُرِضَ عليه الأمان و أصحابُه فأنفَ مِنَ الذّل . . . »(٢)

عظمة البطولة:

هذا جانب من العظمة أشد ما يكون وضوحاً عند الحسين عليه السلام ، و ربما لم يظهر عند غيره بالروعة التي نراها عنده ، و لعل أبرع مواقف بطولة الحسين عليه السلام ، هذا

---

(١) مقطع من خطبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشواراء .

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠٢ .

الموقف الذي يقول فيه :

« قوموا رحمكم الله إلىٰ الموت الذي لابد منه ، فإن هذه السهام رُسُلُ القوم إليكم » ، فاقتتلوا ساعة من النهار حملةً و حملةً ، حتىٰ قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة . فعندئذ ضرب الحسين عليه السلام يده إلىٰ لحيته و جعل يقول :

« اشتد غضب الله علىٰ اليهود إذ جعلوا له ولداً ، و اشتد غضبه علىٰ النصارىٰ إذ جعلوه ثالث ثلاثة ، و اشتد غضبه علىٰ المجوس إذ عبدوا الشمس و القمر دونه ، و اشتد غضبه علىٰ قوم اتفقت كلمتهم علىٰ قتل ابن بنت نبيهم ، أما و الله لا أجيبهم إلىٰ شيء مما يريدون حتىٰ ألقىٰ الله و أنا مخضب بدمي » (١)

محل الروعة البالغة أو بلاغة الروعة في قوله « قوموا إلىٰ الموت رحمكم الله » و في قوله « أما و الله لا أجيبهم إلىٰ شئ مما يريدون حتىٰ ألقىٰ الله تعالىٰ و أنا مخضب بدمي »

هاتان الفقرتان اللتان ترسمان بكل وضوح نفسية الحسين عليه السلام غير هياب و لا وجل و لا شكس و لا وكل . يدعو أصحابه إلىٰ الموت كأنما هو يدعوهم إلىٰ مأدبة لذيذة ، و لقد كانت لذيذة عنده حقاً ، لأنه و هو ينازل الباطل يرتسم له برهان ربّه الذي هو مبدؤه ، و يسمع صوت الله الذي هو صوت ضميره ، ثم يشد علىٰ القوم ، و هو لا يرى بناظريه إلاّ هذه الكلمات الثلاث . . .

اللهُ رسُوله القُرآن

و اذا ما اردنا ان نواصل الحديث في شجاعة الحسين عليه السلام و ثباته الروحي و الجسدي ، لن نكمل كتابة هذا الكتاب قريباً ، و لذا نحاول ان نطوي هذه الصفحة

---

(١) سمو المعنىٰ ص١١٨ .

المشرقة من حياة أبي الشهداء، و نقنع بهذا القليل، محيلين القارئ العزيز الىٰ كتب المقاتل، للتأمل في تاريخ حياة و سيرة الإمام الحسين عليه السلام.

١١ـ صبر الحسين عليه السلام

تُعدُّ هذه الصفة من اصول الاخلاق الحميدة و الملكات المحمودة، و قد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم وصلت الىٰ السبعين آية في خصوص الصبر، من جملتها:

«انَّما يُوفَّى الصابرونَ أجرهم بغَير حسابٍ»(١)

«ولَنَجزيَنَّ الَّذينَ صَبَروا أجرَهُم بِأحسَنِ ماكانوا يَعملوُنَ»(٢)

«و اصبِرُوا إنَّ اللّهَ معَ الصابِرينَ»(٣)

«وجَعَلنا مِنهُم أئِمَّةً يَهدُونَ بأمرِنا لمَّا صَبَرُوا»(٤)

«إصبِروا وصابِروا»(٥)

«و اصطَبِر لِعِبادَتِهِ»(٦)

«يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا استَعينُوا بالصَّبرِ و الصَّلاةِ إنَّ اللّهَ معَ الصابِرينَ»(٧)

و من الروايات المعروفة في هذا المجال:

---

(١) سورة الزمر، الآية ١٠.

(٢) سورة النحل، الآية ٩٦.

(٣) سورة الانفال، الآية ٤٦.

(٤) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٦) سورة مريم، الآية ٦٥.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

« الصبرُ من الايمانِ كالرأسِ منَ الجَسَدْ لا خيرَ في جَسَدٍ لا رأسَ مَعَهُ و لا في ايمانٍ لا صبرَ مَعَهْ »

و عن امير المؤمنين عليه السلام :

« إطرَحْ عَنكَ وارداتِ الهُموم بِعزائِمِ الصَّبْرِ و حُسنُ اليَقينِ »(١)

و للوقوف علىٰ فضيلة الصبر و تعريفه و مراتبه و درجاته و اقسامه ، راجع كتب الحديث و الاخلاق ،كبحار المجلسي و المحجّة البيضاء و جامع السعادة و معراج السعادة .

يقول الراغب في « مفردات القرآن » :

« الصبرُ حَبسُ النفسِ علىٰ ما يقتضيهِ العقلُ و الشَرعُ أو عمّا يقتضيانِ حَبسَهما عَنهُ . »

و المستفاد من الآيات و الروايات ، مضافاً الىٰ علو مقام و مرتبة الصابرين ، ان الصبر مفتاح البركات ، و انه مقدمة لنيل كل المقامات المعنوية ، و انه شرط الموفقية و النجاح في كل عمل و كسب كل فضيلة .

و لقد نجح الإمام الحسين عليه السلام في الامتحان في مقام الصبر نجاحاً أبهَرَ اعداءَهُ قبل محبّيه ، بل ان صبْرَه مما تعجبت منه الملائكة ، و كما ورد في الزيارة المنسوبة الىٰ الناحية المقدسة :

« لَقَدعَجَبتْ مِن صَبرِكَ ملائكَةُ السماء »(٢)

و وصل صبره الىٰ درجة انه صار من اوضح الواضحات و المسلّمات ، و لكن

---

(١) شرح نهج البلاغة . ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) الزيارة الناحية ـ ضياء الصالحين .

و مع ذلك و لتتميم الفائدة الاخلاقية و السلوكية، نعرض لبيان عدة تجلّيات من صبره عليه السلام:

الصبر علىٰ الجهاد:

و أحَدِ معاني هذا الصبر، هو عدم ضعف المجاهد في سبيل الله، اذا ما اثخن بالجراح، و عدم الادبار في المواجهة، و عدم التزلزل في العزم و الصمود، و المحافظة علىٰ الاقدام عند مواجهة الحشود الهاجمة.

إنَّ من جملة اسباب فتوحات المسلمين في صدر الإسلام، هو حالة الصبر التي كانوا يتدرعون بها في الجهاد لكسب الثواب و الفوز بالقرب الالهي في ساحات الوغىٰ، و القرآن يمتدح هؤلاء بقوله:

«و الصابرينَ في البأساء و الضَرَّاء و حين البأسْ»(١)

و قال تعالىٰ:

«كَمْ مِن فِئَةٍ قليلَةٍ غَلَبَتْ فئةً كثيرَةً بإذنِ الله و الله مع الصابرينَ»(٢)

و هذا السبق في سوح الجهاد، كان و بالدرجة الاولىٰ نصيبَ علي عليه السلام و آل عليّ، حيث لم نعهد لهم هزيمةً و إدباراً أبداً. فلقد كان امير المؤمنين عليه السلام في بدر و أحد و الاحزاب و حنين و غيرها من الحروب و الغزوات، ثابت القدم و في غاية الصبر و التحمل، حتىٰ انه اصيب في «أُحُد» بتسعين جراحة و ضربة، و لم يكفَّ عن القتال دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله و عن الإسلام.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

و لقد اصيب اخوه جعفر ابن ابي طالب في «مؤته» باكثر من سبعين جراحة سيف و رمح و سهم، و مع ذلك بقي رافعاً راية الإسلام عالية حتىٰ قُطعت يداه الكريمتان، و طبقا لبعض الاخبار انه بقي مرابطاً حتىٰ قُدَّ جَسَدُه نصفين.

يقول عباس محمود العقّاد واصفاً صبر الحسين عليه السلام:

فانفرد وَحده يُقاتل الزحوف المطبقة عليه، و كان يحمل علىٰ الذين عن يمينه فيتفرقون، و يشدُّ علىٰ الخيل راجلاً و يشقّ الصفوف وحيداً و يهابُه القريبون فيبتعدون، و يهمُّ المتقدمون بالاجهاز عليه ثمَّ ينكصون...»

ثم يقول:

«و وجدَت بعد موته عليه السلام ثلاث و ثلاثون طعنة، و اربع و ثلاثون ضربة غير اصابة النبل و السهام و احصاها بعضهم في ثيابه فاذا هي مائة و عشرين»[(١)]

بل، ان المستفاد من بعض الروايات أنَّ مجموع الجراحات الواردة علىٰ جسده الشريف بلغت (٣١٠) جراحة سيف و طعنة رمح و إصابة سهم و جرح حجارة، و الملفت للنظر هو إنَّ كل تلك الجراحات كان في مقدم جسده و وجهه و صدره الشريف.[(٢)]

و مع كل هذه الجراحات الدامية، ظلَّ يجاهد و ينازل الجموع و يرتجز و يحمل علىٰ الرجال راجلاً، حتىٰ انه و عندما خرَّ علىٰ وجهه جعل يقوم و يكبو و هم يطعنونه برماحهم و يضربونه بسيوفهم حتىٰ سكن حراكُه، فتنادىٰ القوم بمصرع الحسين عليه السلام فبلغت صيحتهم مسمعه الذي اثقله النزع، فلم يخطر له انه ضعيف

---

(١) ابو الشهداء ص١٥٥.

(٢) القمقام الزخّار ص٤٦٨. مروج الذهب ج٣ ص١١.

منزوف فالتمس سيفه فاذا هم قد سلبوه، فلم يجد الا مُدية صغيرة قنع بها و غالب الوهن و الموت ثم وثب علىٰ قدميه من بين الموتىٰ وثبة المستيئس الذي لا يفرُّ من شيءٍ، فتولاهم الذعر، و شُلَّت أيديهم من الخوف، فانطلق يُثخن فيهم قتلاً و جرحاً و لم يقووا عليه، فكان عليه السلام الصابر حقّاً و المجاهد صدقاً.

الصبر علىٰ فقدان الأحبّة

و هذا القسم من الصبر، اشدُّ من الصبر علىٰ الجراح و السيوف و الأسرع في اضعاف العزيمة، و لكنّ الحسين الذي يعدل صبره و ثباته صبر الجبال الرواسي، صبر علىٰ تلك المصائب المفجعة من مصرع الاولاد و الاخوة و الاحبَّة و هم خير الأهل و خير الصُحب الذين كانوا يتلظون عطشاً امام عيني الحسين عليه السلام، لكنه صبر. صَبَرَ الحسينُ صبراً لم يشهد عالم الخلقة الإنسانية نظيراً له، صبر عندما رُميَ طفلُه الرضيع في حجره بسهم حقود مسموم، و صبر عندما ضرب ابنُ اخٍ له لم يتجاوز العاشرة من عمره، جاء مدافعاً عن عمه الحسين عليه السلام فضربه لئيم من اللئام بضربة اتقاها الغلام بيده فقطعت يدُه و هو في حجر عمّه الذي كان ملقىً علىٰ الرمضاء، وحيداً لا ناصر له و لا معيناً، و صبر الحسين عليه السلام عندما رأىٰ طفلاً له فرَّ من الخيمة طلباً لجرعةٍ من الماء يطفيءُ بها لهيب قلبه الذي اضرَّ به العطش فاذهله عن مخاطر تلك الساعة، فضربه القوم بعامود خيمة لا يتحملها كبار الرجال، فقضىٰ الغلام عطشاناً مظلوماً.

و صبر الحسين عليه السلام و أمر ابن اخيه الصغير الذي قطعت يده في المعركة و بقيت معلقة بجلدة عضده، أمره بالصبر كما يأمرُ الفرسانَ بذلك، و قال:

« يا إبْنَ أخي إصبِرْ علىٰ ما نَزَلَ بك، و إحتسب في ذلك الخَير. »

و صبر الحسين عليه السلام و هو يرىٰ بوادر أسرِ بناته و اخواته و نسائه و هنَّ عقائل النبوة و مخدرات الامامة، و كان وقْع ذلك علىٰ قلبه، أكبر من وقع السيوف و الرماح، لكنه صَبَرَ و أوصاهم بالصبر و الوقار و التحمل و بشَّرهم برحمة الله و لطفه و حمايته لهم، فقال:

«و رَحمَةُ اللّهِ لا تُفارِقُكُم في الدنيا و الآخرة.»

ضبط النفس

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله انَّ القوي من ملك نفسه عند الغضب، و لم يُعهد عن الحسين عليه السلام انه تبع غضبه يوما ما، بل كان مالكاً لنفسه حين غضبه، و مهما اجتمعت عليه مناشئ الغضب لم تؤثر في سلوكه و لو لطرفة عين، و لم تخرجه عن حلمه و سكينته، يقول العلايلي:

إنَّ غلاماً وقف يصبُّ الماء علىٰ يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطست، فطار الرشاش في وجهه فقال الغلام يا مولاي: «و الكاظمين الغيظ»

قال عليه السلام: **كظمت غيظي**، قال: «**و العافين عن الناس**» قال عليه السلام: «**قد عفوت عنك**»، قال: «**و الله يحب المحسنين**». قال الحسين عليه السلام: «**اذهب فانت حرٌّ لوجه الله الكريم**»[1]

و من جملة تجلّيات حلم الحسين عليه السلام و ملكه لنفسه ساعة الغضب، ما قام به في كربلاء عندما التقاه جيش الحرّ بن يزيد و هم عطاشا في تلك الصحراء القاحله فسقاهم الحسين عليه السلام الماءَ عن آخرهم و سقىٰ خيولهم و رشَّفها.

---

(١) سموّ المعنىٰ ص ١٦١.

يقول علي بن الطعّان المحاربي: كنت مع الحرِّ بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من اصحابه، فلمّا رأىٰ الحسين مابي و بفرسي من العطش قال: « يـا ابـنَ أخ أنِخْ الراويَة » فانَخْتَهُ، فقال: إشرب، فجعلتُ كلّما شربت سال الماء من السقاء، فـقام الحسين عليه السلام: « إخنث السِقاء » اي اعطفه. قال: فجعلت لا ادري كيف أفعل، فقام الحسين عليه السلام فَخَنَثَهُ، فشربت و سَقَيتُ فرسي.»[١]

و من نماذج صبر الحسين عليه السلام إباؤه البدء بالحرب، علىٰ معرفته بان هـؤلاء الكفار لن يرحموه و لن يرحموا اعزّته، فرموه بالنبال و صبر و اقام الحجّة عليهم و لم يمدَّ ولا أحدٍ من صحبه يداً علىٰ سلاح.

لما وصل كتاب ابن زياد الىٰ الحرّ بن يزيد بمحاصرة الحسين عليه السلام و الجعجعة به علىٰ غير ماء وكلاء، قال زهير بن القين: يابن رسول الله انَّ قتال هؤلاء اهون علينا من قتال من يجئ من بعدهم، فقال له الحسين عليه السلام:

« إنّي اكرَهُ أنْ أبدأهم بقتال »

و حتىٰ عندما منعوا الماء عن الحسين عليه السلام و صحبه، فلم يبق في مخيم الحسين ذو روح من الرجال و النساء و الاطفال و حتىٰ الجياد، الا و هو يعاني من العطش، و تعالت الصرخات بالعطش، مع ذلك لم يبدأهم الحسين عليه السلام بقتال.

و رأىٰ شمرَ ابن ذي الجوشن، ـمن أبغض مبغضيه المؤلبين عليهـ يدنو مـن بيوته و يجول حولها ليعرف منفذ الهجوم عليها، فابىٰ علىٰ صاحبه مسلم بن عوسجة ان يرميه بسهم و قد امكنه ان يصميه و هو اسدَّ الرماة، لانه (اي الحسـين عـليه السلام) كره ان يبدأهم بعداء[٢]، و كانه اراد ان تكون حربه دفاعية محضة.

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص٣٠٦. منشورات مؤسسة الاعلمي.

(٢) ابو الشهداء ص ١٤٤ـ١٤٣.

و من جملة مظاهر عفوه و صبره، و عملاً بالآية الشريفة: «و لِمَنْ صبرَ و غَفَرَ إنَّ ذلك لَمِنْ عَزْمِ الأُمور»(١)

هو قبوله توبة الحر بن يزيد، و ملاطفته له و محبته اليه، و هو لا يصدر الاّ من معدن الصبر و الحلم و العفو و المغفرة.

الصبر علىٰ العطش

و لعمري انّهُ لمن اقوىٰ انواع الصبر، و خاصة عندما يشتدُّ العطشُ بالمرء. فالثبات و الصمود عند اشتداد العطش و عدم الخضوع و التسليم للباطل، لهو من علامات العزم الراسخ الكبير و لعلّنا لا نجد في التاريخ من صَبَرَ علىٰ العطش كالحسين عليه السلام.

و بحسب النقولات التاريخية، فان الماء قد مُنع عن خيام الحسين عليه السلام من اليوم السابع من المحرم، و ان كان بعض اصحاب الحسين عليه السلام و خاصة ابو الفضل العباس قد تمكنوا من الاستقاء لبعض الماء ما بين اليوم السابع و العاشر،فان هذا الماء كان يخصص للاطفال و النساء و لم يكن للكبار نصيب فيه، و علىٰ هذا فالحسين و أصحابه لم يشربوا الماء ليومين أو ثلاثة أيام، و يكون صبرُهم علىٰ العطش، خاصة يوم القتال، صبراً لا نظير له. و من عاش حرارة الطقس في العراق، يعرف جيداً ان تحمل العطش لعدة ساعات امرٌ بعيد المنال، خاصة في زحمة الجهاد و المبارزة و الجراح و حرارة الشمس و نزف الدم و الهيجاء و الغُبار،كل ذلك باعث علىٰ اشتداد إضرار العطش، و لكن الإمام العطشان صبر علىٰ ذلك و لم يستسلم لاولئك

(١) سورة الشورىٰ، الآية ٤٣.

الاوغاد.

صلّى الله عليك يا أبا عبد الله

الصبر على الطاعة

لا شكّ في أنّ كل تجليات صبر الحسين عليه السلام انما كانت طاعة لله و أمره، و لامتثال تكاليفه، فاستقبال الحسين عليه السلام لتلك البليّات و المصائب، و رفضه لكل الدعوات التي صدرت من محبّيه و من اعدائه، للتنازل و الاستسلام و البيعة ليزيد، انما كانت امتثالاً للاوامر و النواهي الالهية و تطبيقاً لاحكام الشريعة و تجسيداً للصبر على الطاعة.

عزيزي القارئ، إنّ شخصية الإمام الحسين العظيمة، و مناقبه و فضائله و كرائم اخلاقه، قد بلغت و في كل الجهات، حدّاً من العظمة الى درجة استحالة الالمام بها بعدة مقالات، بل و حتى المؤلفات المستقلة المختصة بذلك عاجزة عن الاحاطة ببعضها، و لذا نجد أنفسنا عاجزين الاّ عمّا قدمناه من مختصر وجيز لبعض تجليات تلك الصفات، و نقول بنحو جامع و ملخص: إنّ الحسين عليه السلام هو اكملُ الناس علماً و معرفةً و حلماً و فصاحةً و بلاغةً.(١)

---

(١) ان الكلمات الاعجازية للحسين عليه السلام و خطبة الفصيحة البليغة و مواعظه و نصائحه الجامعة و الادعية التي أثرت عنه و ضبطت في كتب العامة و الخاصة، لخيرُ دليل و برهان على ان الحسين عليه السلام كأبيه امير المؤمنين عليه السلام، مالكِ مُلك الفصاحة و حاكم اقاليم البلاغة.

يقول معاوية بن ابي سفيان في معرض وصفه لمنطق الحسين عليه السلام و جميل بيانه:

«لكنّها ألسنَةُ بني هاشمٍ الحِداد الّتي تفلِقُ الصَخرَ و تغرِفُ من البحر.»



البحث الثاني

بني هاشم و بني أُميَّة

بَني أُمَيَّة و بني هاشم

لا نبالغ اذا ما قلنا باننا لم نجد صراعاً بين الحق و الباطل، و لا مواجهة بين اولياء الله و المصلحين مع المفسدين و الظالمين،كالمواجهة و الصراع الذي كان بين بني هاشم و بني اميّة، حيث تشخّصتْ الفرقتان و امتاز صفُّ اصحاب الفضيلة، اصحاب الخير و الشرف عن صفِّ عناصر الشرِّ و الباطل.

كما لا مبالغة في القول: انَّهُ لم تنكشف حقيقةُ صراعٍ بين أهل الحق و اهل الباطل،كانكشافها في صراع الحسين عليه‌السلام مع بني اميّة في قدسية اهداف الحسين عليه‌السلام و رذالة اهداف يزيد.

و ما تجلّىٰ من الحق في جبين الحسين يومَ كربلاء، و انتشار جمال حقيقته في آفاق العالم، و تمزيق ستائر الخداع و الفساد، لم يتجلَّ في مظلوميّة و استشهاد ايِّ واحدٍ من شهداء طريق الحق و قادة الاديان.

أجل، إنَّ المثل الأعلىٰ و النموذج الاكمل لخصال الايمان و طلب الحق، و حُبّ الخير و العدالة و الفضيلة، هو خاتم الأنبياء محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله، و من بعده أمير المؤمنين عليه‌السلام الذي اقترب و اقترب من الحق، و لازمه الىٰ درجة تصديق و تصريح لسان الوحي بهذه الملازمة، فقال: «علي مع الحق و الحق مع علي» و كما كانت جنود الحق و التوحيد في حروب النبي و علي مع الكفار و الباطل متميّزة كل التميّز عن جنود الشرك و الكفر، فكذلك في هذه المعركة التي تجسد الحق في شخص الحسين عليه‌السلام و

تجسد الباطل في شخص يزيد، تميزت قوىٰ الحق عن قوىٰ الباطل بلا ادنىٰ شبهة.

لقد كان بنو هاشم في الجاهلية و في الإسلام، الدَّ خصوم الظلم و الجـور، و حماة المظلومين و حرسة الحق و العدالة، فهم الذين لعبوا الدور المشرف في حلف الفضول في الجاهلية و وقفوا النصرة المظلومين يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و البغي، و بذلوا الاموال من اجل رفع الحيف عن الفقراء، كما ذكر ذلك مفصلاً في كتب التاريخ و كان موقفهم ذاك نابعاً عن حسّهم الانساني بحبّ النوع البشري و دليلاً علىٰ نقاء نيّاتهم و سرائرهم وكاشفاً عن طيب عنصرهم و طهارة نفوسهم و كمال سجاياهم، و لو انّ العالم المعاصر المتمدن اليوم تعاقدوا علىٰ مثل ذلك الحلف، لكان ذلك فخرهم الوحيد، و إنجازهم الاهم.

لقد كان حلف الفضول من أشرف العهود التي ابرمت قبل الإسلام و نموذجاً عن قدس الروح و طهارة الباطن و نزاهة الأخلاق و عدالة و شرف بني هـاشم الرفيع، اذ أنَّ اولَّ من سعىٰ جاهداً لتاسيس هذا الاتحاد الطاهر و المقدس، و العامل علىٰ تطبيقه و ترجمته عملياً، هو الزبير بن عبد الملك، عمُّ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و اشترك فيه عموم بني هاشم، و قد حضره النبي الاكرم صلى الله عليه وآله حين انعقاده في دار عبد الله بن جذعان وكان من شيوخ قريش، وكان عمر النبي يومذاك خمساً و عشرين عاماً، و كان النبي بعد البعثة يقول:

« لَقَدْ شهدتُ في دار عبد الله بن جِذعانَ حِلفاً لو دُعيتُ الىٰ مِثْلُهُ في الإسلامِ لأجَبْتُ »

و في نقل آخر:

« لَقَدْ شهدتُ في دار عبد الله بن جِذعانَ حِلفاً ما أُحبُّ أنَّ لي بِهِ حُمْرَالنَّعَمِ و لَوْ أُدعىٰ بِهِ في الإسلام لأجَبْت »

و في آخر:

لَقَدْ... ما أُحِبُّ أنَّ لی بِهِ حُمْرَ النِعَمْ، و لو دُعيتُ به اليوم لأجبتُ لا يـزيدُه الإسلامُ إلاّ شدَّةً»

و كان سبب هذا الحلف أنَّ قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة علىٰ الحميَّة و المنعة، فتحالف المطيِّبون و هم بنو عبد مناف و بنو أسد و بنو زهرة و بنو تيم و بنو الحارث بن فهر علىٰ أن لا يُسلموا الكعبة ما أقام حراء و ثبير و ما بلّ بحر صدفه. و صنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه.

و قيل إن الطيب كان لأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، و هي توأم عبد الله أبي رسول الله، و تحالفت اللَّعقة و هم بنو عبد الدار و بنو مخزوم و بنو جُمَح و بنو سهم و بنو عديّ علىٰ ان يمنع بعضهم بعضاً و يعقل بعضهم عن بعض و ذبحوا بقرة فغمسوا أيديهم في دمها؛ فكانت قريش تظلم في الحرم الغريب و من لا عشيرة له حتىٰ أتى رجل من بني أسد بن خزيمة بتجارة فاشتراها رجل من بني سَهم فأخذها السهميّ و أبىٰ ان يعطيه الثمن، فكلّم قريشاً و استجار بها و سألها إعانته علىٰ أخذ حقّه فلم يأخذ له احدٌ بحقّه فصعد الأسدي أبا قُبَيس فنادىٰ بأعلىٰ صوته:

يا أهلَ فِهر لمظموم بـضاعَتَهُ ... ببَطْن مكَّة نائي الأهلِ و النَّفرِ

إنّ الحَرامَ لمـنْ تمّت حَـرامَـتُه ... و لا حَرامَ لثَوبي لابِسِ الغَدر

و قد قيل لم يكن رجل من بني أسد و لكنه قيس بن شيبة باع متاعاً من أبي خلف الجمحي و ذهب بحقه، فقال هذا الشعر، و قيل بل قال:

يـــالَ قُــصَيّ كـيفَ هــذا في الحَــرَم

و حُــرمَة البـيْتِ و أخـلاقِ الكَـرَم

أظـــلَمُ لا يُمْــنَعُ مــنّي مَــنْ ظَــلَم

فتذمّمت قريش فقاموا فتحالفوا ألاّ يُظلم غريب و لا غيره و أن يؤخذ للمظلوم من الظالم، و اجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيميّ. و كانت الأحلاف هاشم و أسد و زهرة و تيم و الحارث بن فهر فقالت قريش: هذا فضول من الحلف، فسمّي حلف الفضول. و قال بعضهم: حضر ثلاثة نفر يقال لهم الفضل بن قضاعة و الفضل بن حشاعة و الفضل بن بضاعة فسمّي بهذا الاسم. و قد قيل إنَّ هؤلاء النّفر حضروا حلفاً لجُرْهم فسمّي حلف الفضول بهم و شُبّه بالحلف في تلك السنة.

و من حلف الفضول و غيره، يتضح لنا ان كرائم الأخلاق و الشرف و الفضيلة و الغيرة و الصدق و العدالة و الامانة و الشجاعة و صراحة اللهجة و التقوىٰ و الفداء و الايمان، كانت مقدسة في قاموس بني هاشم.

و لمزيد الإطلاع علىٰ المكانة الروحية و الملكوتية لبني هاشم، راجِع تاريخ آباء النبي الاكرم محمد صلى الله عليه وآله.

و كان من جملة صفات بني هاشم البارزة، طهارة النسب، العفاف، السخاء، قرىٰ الضيف، اشاعة العدل، الاحسان الىٰ الفقراء، و سقاية الحاج و اطعامهم، و التي تتفق التواريخ علىٰ اثباتها لهم.

و مهما سودنا الصفحات في بيان فضيلة بني هاشم فهو قليل و انه من توضيح الواضحات، و بعيد عن الأدب و العقل ان يُقارِنَ الانسان بينهم و بين بني اميّة، و لا يليق بكاتب مسلم بل و كل كاتب مطلّع علىٰ التاريخ، منصفٍ للقيَم، إذْ إنَّ تلك القبيلة التي كان لها فخر انتساب فخر الكائنات و المصطفىٰ من العالمين و التجلّي الاكمل للحقيقة الإنسانيّه لها، هي قبيلة راجحةٌ في كفة ميزان كل المقاييس و المثل العليا، فكيف بقبيلة رذيلة كبني اميّة التي يضرب المثل بلؤمهم و كفرهم و فسقهم و فجورهم علىٰ مرِّ تاريخهم؟

إنَّ التقابل و المواجهة التي تحققت بين ابراهيم خليل الله و نمرود، و بين موسىٰ كليم الله و فرعون، و بين محمد حبيب الله و ابي جهل و ابي سفيان، و بين علي ولي الله و معاوية، و بين الحسين سيد الشهداء و يزيد، هذه المواجهة و إن وقعت بين شخصين أظهر كلٌّ منهما ماهيته و حقيقته، لكنها في الواقع معارضة و مقابلة بين النور و الظلمة و بين الحق و الباطل، و بين الخير و الشرّ، و بين العدل و الظلم، و بين القسط و الجور، و بين العلم و الجهل.

و في مثل هكذا مواجهة، يُعاب القياس و الترجيح، اذ أنْ كل الكمال قد تحقق في طرفٍ، و كل السقوط و الإنحدار قد تحقق في الطرف الثاني، فلا وجه للقياس البتة، و من الواضح ان إثبات تقدم الحق علىٰ الباطل، و الخير علىٰ الشرّ، و العلم علىٰ الجهل، لا يحتاج الىٰ دليل و برهان.

فلو أننا اخذنا بنظر الاعتبار قداسة شخصية الحسين عليه السلام و محبوبيته عند عامة المسلمين، و أخذنا بالمقابل سيئ سمعة يزيد، و نفرة الناس عنه، لكان ذلك كافياً للتدليل علىٰ ان المواجهة كانت بين الحق و الباطل.

لقد كان الحسين عليه السلام قد بلغ رتبة من الصلاح الاخلاقي و قدس المقام الىٰ درجة أن احداً من بني اميّة أنفسهم لا يشكّ في ذلك، و ذلك، حتىٰ اولئك الذين قتلوه طمعاً بالحُطام، لو رجعوا الىٰ ضمائرهم لما استطاعوا انكار فضل الحسين عليه السلام و انكار أحقيّته بالخلافة و زعامة المسلمين.

لقد كان الحسين عليه السلام اقرب للناس الىٰ قلوب المسلمين، حتىٰ صاراً رمزاً و عنواناً لحبهم لنبيِّهم، كيف لا و هم عاشوا حنان رسول الله لولده الحسين و اخيه الحسن، و لمسوا شفقته عليهما و حنوّه لهما.

فهم، شاهدوا النبي يخرج من دار عائشة يوماً فيمرُّ علىٰ بيت ابنته و حبيبته

فاطمة فيسمع الحُسين يبكي. فيقول:

«ألَمَ تَعلمي أنّ بكاءَهُ يُؤذيني»

و سمعوه و هو يقول لفاطمة: أدعِ إلَيَّ ابنَيّ» فيشمهما و يضمّهما اليه و لا يبرح حتىٰ يُضحكهما و يتركهما ضاحكين.» و هذا ما لم يكن يفعله احدٌ من الناس في ذلك الزمان.

و قد اوضحت الروايات شدّة تعلّق النبي صلى الله عليه وآله بالحسين عليه السلام حتىٰ لم يبق شكٌّ عند أحدٍ بان النبي كان يرىٰ في الحسين عليه السلام مصدراً للآيات، و انه صاحب كرامات و مقامات عاليات و ان له شأناً من الشأن، و من هنا كان الحسين عليه السلام أحبّ الناس الىٰ قلب النبي صلى الله عليه وآله و في بعض الروايات انَّ فاطمة الزهراء عليها السلام مرضت لما ولدت الحسين عليه السلام و جفَّ لبنها، فطلب رسول الله في مرضعةً فلم يُجْدِ، وكان يأتيه فيلقَمهُ ابهامَهُ،فيمُصّه و يجعل الله في ابهام رسول الله صلى الله عليه وآله رزقاً يُغذيه ،فيفعل ذلك أربعين يوماً و ليلة، فانبت الله سبحانه و تعالىٰ لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله.[١]

و لقد عاش الحسين عليه السلام سبعاً و خمسين سناً بين الناس و كان له من الاعداء من لا يأبَه بالافتراء علىٰ غيره، و لكن و حتىٰ هؤلاء لم يتجرأ أحدٌ منهم ان يعيب علىٰ الحسين عليه السلام بمعابة او ان ينكر احدهم ما ذاع من فضل الحسين عليه السلام و حسن طبايعه، حتىٰ حار معاوية بعيبه حين استعظم جلساؤه خطاب الحسين عليه السلام له و تحقيره ايّاه، فاقترحوا علىٰ معاوية ان يكتب اليه بما يصغّره في نفسه فقال معاوية علىٰ مكره و شدَّة افترائه و حيَلة:

«وَ ما عَسَيْتُ أن اعيبَ حُسيناً، و الله ما أرىٰ للعَيْبِ فيهَ مَوْضعاً»

---

(١) ابو الشهداء ص ٥٤.

اجل، لقد كان معاوية واقفاً علىٰ زوايا خفايا سيرة الحسين عليه السلام البيضاء و كان يتجسَّسُ علىٰ حالاته، و كان اكثر الناس طلباً لثغرةٍ في الحسين عليه السلام ينفذُ منها للنيل منه و اعابته، و مع ذلك قال:

«و الله ما أرىٰ لِلعَيّب فيهِ مَوضِعاً»

و كان صادقاً في ذلك، فهو يعلم انه لو عاب الحسين عليه السلام، للحقت به هو لعنة الناس و تكذيبهم ايّاه، لعلمهم ان لا موضع للعيب و النقص في الحسين عليه افضل الصلوٰة و السلام.

و لو دققت النظر، لما وجدت في قتلة الحسين عليه السلام أحداً يُحسن الظنَّ بيزيد و ابن زياد و جهاز الحكم الاموي، او يُسيئ الظنَّ بالحسين عليه السلام، بل كان اغلب مَن اشترك في قتله، او الذين سكتوا و حايدوا، كان همُّهم الطمع بالمال و المقام، أو الخوف من العزل و مصادرة الأموال.

اذن، فملاحظة قدس مقام الحسين عليه السلام و من اي زاوية و ناحية كانت، و ملاحظة رذالة يزيد في اي زاوية و ناحية، يكفي لمعرفة الحقَّ من الباطل فهي اوضح من الشمس في رابعة النهار.

بل، لو القيت نظرةً علىٰ اصحاب الحسين عليه السلام و القيت مثلها علىٰ عسكر يزيد، لوقفت علىٰ حقيقة المعركة التاريخية بينهما.

فاصحاب الحسين عليه السلام أمثال سيد القراء حبيب ابن مظاهر، و مسلم بن عوسجة، زهير بن القين، الحر بن يزيد، برير، عابس، و شباب بني هاشم الاطهار أمثال مسلم بن عقيل و ابي الفضل العباس و علي الاكبر عليهم السلام و اتباع يزيد: ابن زياد، عمر بن سعد، شمر، مسلم بن عقبه، مروان، الحصين بن النمير، و امثالهم من الاشقياء المعروفين و الجلاّدين و القتلة الماجورين و حثالة التاريخ،

الذين اشتركوا بقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله او اشتركوا في مجزرة المدينة و هدم الكعبة المعظمة و الجرائم المماثلة.

و لكي نقف علىٰ عظمة ثورة الحسين عليه السلام و ضرورة نهضته المقدسة، نفهرس هوية بني اميّة و عدة نفرٍ من كبار هذه الشجرة الملعونة، و ننقل باختصار جوانب من ملامح كفر و شرك و دناءة هذا النسب، وفضائحهم، ظانّين أنَّ هذا المجمل يُرشد القارئ العزيز الىٰ قراءة المفَصَّلْ.

بني اميّة

بني اميّة اسمٌ يُطلق علىٰ عدَّة بُطون من العرب، أحدها هم بني اميّة المعروفين و هم بطنٌ من قريش بانتسابهم الىٰ اميّة بن عبد شمس بن عبد مناف.

بني اميّة في ميزان الخُلق

يُعدُّ بنو اميّة في المقياس الأخلاقي، في المرتبة الدُنيا، فلم يسجّل لهم فضل و لا كمال، في الجاهلية و الإسلام معاً، وُصفوا بحبّ الدنيا و الشهوات و الملذات الجنسية، و الافراط في المجون و اللهو، و الإسراف في الطمع و العصبيّة و الدنيّة.

و ذكر العقاد في كتابه: «معاوية بن ابي سفيان في الميزان» في فصل «خليقة أموية»!؟ شواهد تاريخية اثبت بها هذه الاوصاف لهم و لم يستثن حتىٰ عثمان بن عفان و عمر بن عبد العزيز من الاتصاف بها.

نسب بني اميّة

الكلام في نَسَب بعض كبار بني اميّة المشهورين، طويل و عريض، و ما قيل

في ردِّ انتسابهم الىٰ قريش هو: إنَّ اميّة كان عبداً رومياً اشتراه عبد شمس واستلحقه به كما كانت العادة الجاهلية قائمةً علىٰ ذلك.

و يستشهد القائلون بهذا القول بكلام أمير المؤمنين عليه السلام في احدىٰ رسائله الىٰ معاوية حيث يقول:

« لَيسَ أُميّةُ كهاشم ،و لا حربُ كعبد المطَّلِبْ و لا ابو سفيان كابي طالبٍ و لا المهاجرُ كالطليقِ و لا الصَّريح كاللصِيق »

و يصرِّحُ العلماء ـكمحمد عبده المصري في شرح نهج البلاغةـ ان الصريح هو الشخص الصحيح النسب، و اللصيق لفظ يطلق علىٰ البعيد الذي يستلحق بالعائلة و القبيلة.

و كان اميّة سيّئ السُمعة، منبوذاً، يعترض النساء، مشهوراً بالزنا، و قد عُوقب بالنفي عشر سنين عن مكة فتركها الىٰ الشام، و في الشام زنى بامراة يهودية ذات بعل، فولدت اليهودية علىٰ فراش زوجها الذي كان يهودياً، ولداً استلحقه أُمية و سمّاه ذكوان و كنّاه بابي عمرو. ثم زوّجه زوجته و هو علىٰ قيد الحياة، و ذكوانُ هذا هو أبو «معيط» و جدُّ عقبة ابو الوليد بن عقبة اخو عثمان بن عفان. (١)

و لمّا تنافر عبد المطلب و حرب بن اميّة جدُّ معاوية، الىٰ نفيل بن عبد العزى، قال نفيل لحرب:

أبوكَ معاهِرٌ و أبوه عفٌّ　　و ذاد الفِيلَ عن بَلَدٍ حرامِ(٢)

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٣ ص٤٥٦ وص٤٦٧. النصائح الكافية ص١١٥. و قد ذكر العقّاد في كتابه «أبو الشهداء» شبهة نسب ذكوان و استشهد بقصة و و غفل النسّابة الذي صرَّح في مجلس معاوية بنفي ذكوان عن قريش، و عليه يكون ذكوان إمّا ابن زنىٰ أو عبدٌ استلحقه اميّة.

(٢) النزاع و التخاصُم ص٢١.

بني اميّة في القرآن و الحديث

رُوي في كتب الحديث و التفسير و بطرق الفريقين روايات عديدة عن الإمام الحسن و الحسين عليهما السلام و يعلىٰ بن مرّة و ابن عمر و سعيد بن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه و آله رأىٰ في منامه بني اميّة ينزون علىٰ منبره كالقردة فاغتمّ النبي لذلك و لم يُرَ بعدها ضاحكاً. فانزل الله تعالىٰ في ذلك:

« وَ ماجَعَلنا الرُؤيا الّتي أرَيناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاس و الشَّجرة للَعونَة في القرآنِ و نُخَوِّفهُمْ فَما يزيدهم إلاّ طَغياناً كبيراً »[١]

و نزلت ايضاً:

« إنّا أعطَيناكَ الكَوثر . . . »

و نزلت سورة القدر ايضاً[٢]

و روىٰ ابن عساكر عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه و آله قال:

« اذا بلغ بنو اميّة اربعين رجلاً اتخذوا عباد الله خِوَلا و ماله دِوَلا و كتاب الله حولاً » .[٣]

و روىٰ ابن منده و ابو نعيم عن عمران بن جابر اليماني، و ابنُ قامع عن سالم الحضرمي ان النبي صلى الله عليه و آله قال:

---

(١) سورة الاسراء الآية ٦٠.

(٢) الدرر المنثور ج٤ ص١٩١. شرح نهج البلاغة ج٣ ص٤٤٤ و ج٤ ص٦. تاريخ الخلفاء ص٩. تفسير النيشابوري، تفسير سورة القدر. مجمع البيان ج٦ ص٤٢٤.

(٣) النصائح الكافية ص١١٠.

« وَيْلٌ لِبَني أُميَّةَ وَيلٌ لبني اميّة »[١]

و روىٰ ابن مردويه عن علي عليه السلام انّه في سورة محمد آيةٌ فينا و آيةٌ في بني اميّة، « إقرأ السورة من أوَّلها إلىٰ آخرها »[٢]

و امّا الروايات في ذمِّ بني اميّة و انهم آفة الدين و آفة هذه الامة، و انهم اعداء رسول الله صلى الله عليه وآله و انهم الشجرة الملعونة، فهي كثيرة.[٣]

بني الحَكَمْ

روىٰ جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فمرَّ بنا الحكم بن ابي العاص، فقال النبي صلى الله عليه وآله: « وَيْلٌ لأُمَّتي ممّا في صُلبِ هذا »[٤]

بني الحكم، شعبة من بني اميّة، و الحَكَم عمُّ عثمان و ابن عمِّ ابي سفيان، و كان الحكم في الجاهلية خصّاءاً[٥]

و الحَكَمُ هذا هو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه و في ابيه: « أنتما الشجرة الملعونة »[٦] و كان الحكم جاراً لرسول الله صلى الله عليه وآله و كان يؤذيه كثيراً.[٧]

و روىٰ ابن حجر و السيد احمد الزيني و ابن الاثير أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قد لعن الحكم

---

(١) النصائح الكافية ص١١٠. السيرة الحلبية ج١ ص٣٥٥.

(٢) النصائح الكافية ص١١٠.

(٣) راجع كتاب النصائح الكافية ص١١١. و كتاب الغدير ج٨.

(٤) النزاع و التخاصم ص٢٤. و في السيرة الحلبيّة نقله عن جبير عن النبي بلا واسطة و الظاهر انه الأصحّ إلاّ اذا كان راوي الحديث هو ابن مطعم بن عبيدة و الله العالم.

(٥) حياة الحيوان ج١ ص١٩٤. لفظ جزور.

(٦) الغدير ج٨ ص٢٤٨. السيرة الحلبية ج١ ص٣٥٣.

(٧) سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٥.

و اولاده. (١)

و روىٰ في كنز العمّال أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لَعَنَ الحكم و اخبر أنّه سيخالف كتاب الله و سنة نبيّه و ان دخاناً سيخرج من صلبه يصل الىٰ عنان السماء، فقال بعض الناس للنبي صلى الله عليه وآله: إنَّ الحكم اقلّ شأناً من ذلك فأخبرهم النبي صلى الله عليه وآله بان بعضهم سيكون من اتباعه. (٢)

بعد ان جاء الحكم الىٰ المدينة و اعلن اسلامه، اختار النفاق ثوباً له. و لم يزل يترصد بالمسلمين الدوائر و يتحين الفرص لايذاء رسول الله، فكان يقف خلف رسول الله في الصلوة و يغمز بعينيه و حاجبيه و يحرك شفتيه و اصابعه و يتجاسر علىٰ النبي صلى الله عليه وآله و غير ذلك من الحركات و الغمز و اللمز، و قد ذكرت كتب السيرة و التاريخ ذلك. فدعا النبي صلى الله عليه وآله عليه و ابتلي بالرعشة، ولكنه لم ينتهي عن سوء فعاله، و كان النبي صلى الله عليه وآله يعامله بلطف اخلاقه و يحلم معه كعادته مع سائر المنافقين نظراً لتظاهرهم بالإسلام، و لمّا لما ينفع مع الحكم ذلك، اضطر النبي صلى الله عليه وآله الىٰ طرده و ولده الىٰ الطائف. و بعد التحاق النبي بالرفيق الاعلىٰ، تشفع عثمان بن عفان للحكم عند ابي بكر ليرجعه الىٰ المدينة، فلم يقبل ابوبكر بذلك، و تشفع له عند عمر بن الخطاب، فلم يقبل، و لما تولىٰ عثمان الحُكمَ خالف امر النبي صلى الله عليه وآله و اعاد الحكم و ولده الىٰ المدينة متحديا مشاعر و احاسيس المسلمين جميعاً، و قرّب الحكم و ابنه مروان و خلع عليهم و اعطاه مائة الف دينار و منحة ثلاثمئة الف درهم من صدقات قضاعة، العائدة لبيت مال المسلمين، و جَعل مروان بن الحكم مستشاره و هو الذي وصفه

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٤. اسد الغابة ص ٣٤. مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٨١.

(٢) كنز العمال ج ١ ص ٣٩ حديث ٩٠.

رسول الله ﷺ بقوله:

«الوَزَغ ابنُ الوَزَغْ و الملعون بنُ الملعون»(١)

و زوجه عثمان ابنته و اعطاه خمسمائة الف دينار من خمس افريقيا، و كان كلّ ذلك من جملة اسباب ثورة المسلمين علىٰ عثمان، حيث تعالت صيحات الاعتراض عليه و انتهىٰ الأمر الىٰ قتله.

و الروايات في لعن الحَكَم و اولاده كثيرة(٢) و من اراد الوقوف علىٰ شرح قبائح فعال و مظالم و جنايات الحكم و مروان ضد المسلمين، و قتل الابرياء و تولية الظالمين امثال الحجّاج، و هدم الكعبة و ترويج الفحشاء و المنكر في مدينة طيبة، و اهانة القرآن الكريم و تنصيب الجواري الجُنُب أئمة للجماعة، فليراجع كتب التاريخ و سيرىٰ عَجَبا!!

فهذه العائلة و بهذه الصفات، كانت شعبة من بني اميّة و امُّ الحكم الذي ينسب اليه بني مروان، كانت زرقاء، و قد عدَّها ابن الاثير و آخرون من ذوات الرايات الفواحش. (٣)

و من بني اميّة أيضاً: معاوية بن المغيرة بن العاص، و قد طرده الرسول الاكرم ﷺ من المدينة هو الآخر، و امهله ثلاثة ايام ليخرج منها، فلم يخرج، فقتله علي عليه السلام و عمّار بأمر النبي ﷺ.

و من بني اميّة: عبيدة بن سعيد بن العاص، الذي قتله الزبير في بدر.

---

(١) حياة الحيوان ج١ ص٦٢ و ج٢ ص٣٩٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ج٣ ص٤٤٤. اسد الغابة ج٢ ص٣٤. سيرة ابن هشام ج١ ص٣٥٤. السيرة الحلبية ج١ ص٣٥٤ـ٣٥٣. حياة الحيوان ج١ ص٣٣٩.

(٣) النصائح الكافية ص١١٤.

و منهم: العاص بن سعيد، الذي قتله الإمام علي عليه السلام.

و ممن استُلحقَ ببني اميّة: عقبة بن ابي معيط، و الذي كان يهزأ بالنبي صلى الله عليه و آله و من الدِّ معاديه، و كان مجاوراً للنبي صلى الله عليه وآله و يكثر ايذاءه، و طبقا لما ذكره ابن هشام، فان الإمام علي عليه السلام هو الذي قتله(١).

و ابنُ عقبة و هو الوليد الذي نزل فيه قوله تعالىٰ:

«إنْ جائكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا ان تصيبوا قوماً بجهالة ...»(٢)

و لمّا كان الوليد اخاً لعثمان من أمّه، عزل عثمانُ سعدَ بن أبي الوقـاص عـن ولاية الكوفة و ولىٰ الوليد عليها، و لما جاء الوليد الىٰ الكوفة قال له سعد:

و الله ما ادري أكِستَ بعدنا أم حمقنا بعدك. فقال له لا تجزعن أبا اسحاق فانما هو الملك يتغداه قوم و يتعشاه أخرون.

فقال له سعد: أراكم ستجعلونها ملكاً. (٣)

و من بني اميّة: امُّ جَميل (حمالة الحطبْ) اخت ابي سفيان و زوجة ابي لهب، التي صرّح القرآن بذمّها، و كانت هي التي تحرض ابالهب من بين بني هاشم علىٰ مخالفة النبي صلى الله عليه وآله و ايذائه.

و من اولاد عبد شمس: عتبة بن ربيعة ابن أخِ أميّة و كان في جيش المشركين يوم بدر، و قُتل و ابنُهُ الوليد، بيد اسد الله الغالب علي ابن ابي طالب عليه السلام (٤) و عتبة هذا هو جدُّ معاوية لامّه و قتل اخوه شيبة في بدر بيد حمزة عليه السلام.

---

(١) السيرة الحلبية ج١ ص٣٥٣. سيرة ابن هشام ج٢ ص٣٥٦. الكامل ج٢ ص٥٠.

(٢) سورة الحجرات الآية ٩، و لمزيد الإطلاع تراجع كتب التفسير.

(٣) اسد الغابة ج٥ ص٩١.

(٤) شرح نهج البلاغة ج٣ ص٤١١.

آل ابي سفيان

لقد كان عنادُ و فسادُ أبي سفيان اكبر من عناد كلِّ الذين خالفوا دعوة الإسلام و الحق الىٰ التوحيد و الايمان بالله، و لقد بقي ابو سفيان علىٰ غيِّه و طغيانه و عدائه الىٰ آخر لحظة قبل ظفر المسلمين الكامل و القاطع، و كان يتزعم كلَّ حملة لاطفاء انوار شمس الإسلام، و قاد الجموع لمحاربة للنبي ﷺ في أحد و الخندق، و أحد قادة الكفر و الشرك حتىٰ عام الفتح.

و لم يدّخر أبوسفيان و زوجته و ولده جهداً لم يصرفوه في إيذاء النبي ﷺ و استماتوا في الدفاع عن الكفر و الشرك، و قد اشترك ثلاثة من أولاده في بدر و هم معاوية و حنظلة و عمرو، فقتل عليٌّ حنظلة و أسر عمرو، و فرَّ معاوية الىٰ مكة فراراً أدمىٰ قدميه و نفخ ساقيه حين وصلها، و بقي يعالجهما لشهرين متتاليين.(١)

و في عام الفتح اسلم ابو سفيان و زوجته هند و من تبقىٰ من ولده، مكرَهين و خوفاً من القتل، و لكنهم بقوا علىٰ كفرهم الباطني، و عاش مع المسلمين منافقاً حتىٰ هلك.

و الروايات الواردة في ذمِّ ابي سفيان كثيرة، فقد رُوي ان النبي ﷺ رأىٰ ذات يوم أباسفيان راكباً علىٰ حمار، و كان ابنه معاوية ماسكا بزمامه و ابنه الآخر يزيد يسوق الدابة، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٣ ص٤١٢. سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٩٤. و طبقا لما اورده العلامة الكراجكي في كتابه «التعجب» فان معاوية كان في اليمن عام الفتح، و لمّا سمع باسلام ابيه، لأمَهُ و وَبَّخَه، و اضطرّ معاوية الذي كان قد هُدِرَ دمُه ان يُسلم و كان ذلك قبل وفاة النبي بخمس أو ستة اشهر.

« لَعَنَ الله الراكبَ و القائِد و السائِق »(١)

و قد سطر المورخون حكايات كثيرة عن نفاق ابي سفيان و عدائه للإسلام و المسلمين.

و من جملة ما استشهر و عُرف عنه، انه كان يقول بعد بيعة عثمان و بداية حكم بني اميّة:

« تَلقَفّوها يا بني عَبْدَ شمسٍ تَلقُّف الكُرةِ، فو اللّهِ ما مِنْ جَنَّةٍ و لا نارٍ »(٢)

و في نقل آخر انه قال:

« فو الذي يَحلَفُ به أبوسفيان ما من جَنَّةٍ و لا نارٍ »

و روىٰ ابن عبد البر عن الحسن البصري أنَّ أباسفيان دخل علىٰ عثمان بعدما بويع و قال له:

« قَد صارت اليْكُم بَعدَ تَيم و عَدِيٍّ فأدُرْهاكالكُرَة و اجْعَلْ أوتادَها بَني أُميّة فانّما هُو المُلك و لا أدري ما جنَّة و لا نارْ» . (٣)

و ذات يوم، كان ابوسفيان في المسجد ينظر الىٰ النبي صلى الله عليه وآله و يفكر في نفسه و يقول: بماذا غلبني محمد؟

« فَضَربَ النبي صلى الله عليه وآله و قال: باللّه نغْلبُكَ »(٤)

و وقف يوماً علىٰ ثنية أُحُدٍ و كان قد فقد بصره، فقال لسائقة:

(١) شرح نهج البلاغة ج٣ ص٤٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ج٣ ص٤٤٣.

(٣) الاستيعاب ج٤ ص٨٧. و لعمري لقد عمل عثمان بوصيّة ابن عمّه، فولّىٰ من كان من بني اميّة علىٰ البلدان الإسلامية و سلّطهم علىٰ رقاب المسلمين فعاثوا الفساد.

(٤) الإصابة ج٢ ص١٧٩ حديث ٤٠٤٦.

« هاهُنا رَمَيْنا مُحمَّداً و قتَلنا أصحابَهُ »(١)

و من علائم نفاقه، انه قال ذات يوم للعباس ابن عبد المطلب:

« لَقَد عَظُمَ مُلك ابنِ أخيك »

فقال له العباس:

« وَيحَك يا أبا سفيان إنَّها النبوَّة »

و عندما كان بلال يؤذن و يقول: أشهدُ أنَّ مُحمداً رسولُ الله، كان أبوسفيان يقول: « سَعُدَ عُتبَة و لم يَرَ هذا اليوم »(٢)

و في حنين و لما انهزم المسلمون و ثبَت رسول الله ﷺ و عليٌّ و عدَة قليلة، صدع ابوسفيان بنفاقه و حقده الدفين و قال:

« لا تَنتهي هَزيمَتهُم دونَ البَحْر »(٣)

و كان ابو سفيان في الشام يحرّض الروم علىٰ المسلمين، و يتأسف لهزائم الروم. (٤)

و مضافاً الىٰ نفاق و عناد ابيسفيان للحق، فقد كان زنيماً فاجراً و قد اعترف معاوية بزناه حينما استلحق زياداً به.

ذكر الزمخشري في ربيع الابرار أنَّ اربعة نفر وطئوا النابغة امَّ عمروبن العاص و كانت مشهورة بالزنا، منهم: أبوسفيان، فوُلد عمروبن العاص و ادّعاه الاربعة جميعاً لكن النابغة نسبته الى العاص، لتكفُّله مخارجها، و كان أبوسفيان بن الحارث

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٣ ص٣٣٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ج٣ ص٤٤٤.

(٣) سيرة ابن هشام ج٤ ص٧٢. المختصر ج٢ ص٥١.

(٤) ابو الشهداء ص٢٤.

بن عبد المطلب يقول لعمرو بن العاص:

«أبوك أبو سفيان لا شكَّ قد بَدَت...»(١)

و عندما رَحل النبي صلى الله عليه وآله الىٰ جوار ربِّه، كان ابوسفيان في مكـة مـنهمكاً في اثارة الفتنة علىٰ الإسلام سعياً منه في اعادة الجاهلية فإنبرىٰ سهيل بن عمر في تلك الحال الىٰ افشال مخططات أبي سفيان و خطب خطبة في الناس و أقسم بالله أنه علىٰ يقين من أنّ هذا الدين سينتشر في شرق و غرب العالم. و أن أبا سفيان يـريد أن يظلهم و أن أبا سفيان يعلم بهذه الحقيقة و لكنّ حسده لبني هاشم عظيم.(٢)

و جاء ابوسفيان من مكة الىٰ المدينة، و حاول اللّعب بورقة السقيفة و بيعة ابي بكر و غصب الخلافة، محاولاً ايقاد نار الحرب الداخلية بين المسلمين، فجاء الىٰ أمير المؤمنين علي عليه السلام و قال:

«مُدَّ يدك لابايعك فو الله لو شئت لأملأنّها عليهم خيلاً و رجلا.»(٣)

هند آكلة الأكباد

زوج أبي سفيان و أُمُّ معاوية، جدَّة يزيد، أشهـر مـنْ أن يَخـفىٰ حـقدُها و عداؤها للنبي و آل النبوة، فلقد كانت كحمّالة الحطب في تأليبها ضد النبي صلى الله عليه وآله بل لقد فاقتها هندٌ في ذلك.

لقد كانت تُحمِّس الرجال علىٰ حرب النبي و قتال المسـلمين و تشـترك في تعذيب المسلمين الاوائل المستضعفين، و لو لم يكن غير قتلها حمزة عمِّ النـبي صلى الله عليه وآله

(١) تذكرة الخواص ـ الحاشية ص٢٠٩. الغدير ج١٠ ص٢١٩.

(٢) الإستيعاب ج٢ ص١١٠.

(٣) الكامل لابن الاثير ج٢ ص٢٢٠.

لكفىٰ في إثبات وحشيتها و لؤمها و خسّة عنصرها و طبائعها.

فهندٌ هذه هي التي أغرَت «وحشيّ» بالمال و الجمال ليغتال سيد شهداء أُحد، و وهبت له حُلّيها و منّته باموزٍ اخرىٰ كي يفتك بجسد حمزة، فمثّلت بجسده الشريف و اخذت اذنيه و أنفه و... و جعلتها خلخالاً لها، و مزّقت أحشاءَه و استخرجت كبده و لاكتّهُ بلسانها، و ارادت ان تبتلِعَهُ فلم تقدر.[1]

و قد تناولت خطبة العقيلة زينب اخت الحسين عليه السلام في مجلس يزيد هذه الجناية و القسوة و الغلظة، حيث قالت عليها السلام:

«وَكَيفَ يُرتَجىٰ مُراقبةِ مَن لَفَظَ فَوهُ اكبادَ الأزكياء و نَبَتَ لَحمُهُ بدماء الشهداء»

أضف الىٰ ذلك تاريخ هند في الجاهلية الحافل بالخزي و العار و الشنار فَلقد كانت معروفة بالزنا و الفجر، و قد تَرجم ذلك حسّان بن ثابت فقال:

يا هندُ وَيْحَكِ سَبَّةَ الدَّهرِ ... وَ نسيتِ فاحِشَةً أتَيْتِ بها

إبناً صغيراً كانَ من عِهرِ ... زَعَمَ القوابِلُ أنّها وَلَدَت[2]

معاوية أبو يزيد

و معاوية هو صاحب تلك الصفحة السوداء، ذلك المنافق الذي لم تتجسد علامة النفاق (بغض علي بن أبي طالب) في أحدٍ من الناس كما تجسدت في معاوية، و ما تجرَّعه المسلمون من ظلم و اضطهادٍ و جنايات معاوية لم يتجرّعوه من احدٍ

---

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص٣٤١.

(٢) النصائح الكافية ص١١٥. و للمزيد يراجع الكتاب المذكور و الغدير ج١٠ ص١٧٠ و شرح نهج البلاغة ج١ ص١١١ طبع مصر القديم و المجالس الحسينية ص١٣٤.

غيره.

فموبقات و كبائر و مجازر و بِدَع معاوية فاقت حدَّ الاحصاء و الوصف. و ما لم يطالع المرء دورة كاملةً في تاريخ هذا العنصر المشئوم، لن يقف علىٰ خبث و لؤم ماهيته و قبيح فعاله، و التي سطرها المؤرخون في صفحات التاريخ. و كما قال ذلك العالم الالماني الجنسية للشيخ محمد عبده بان معاوية هو الذي سدَّ طريق الفتوحات الإسلامية للغرب.

و لقد أشعل معاوية بن ابي سفيان، و طمعاً بالملك و الحكم مستغلاً مقتل عثمان رافعاً شعار الطلب بدمه، حرباً حصدت اكثر من مائة و عشرة آلاف إنسان، و استشهد فيها ثلاثمائة و ستون صحابياً حَضَرَ بيعة الرضوان(١) و لم يكن معاوية بريئا من التحريض في حربي الجمل و النهروان، و انتهىٰ به الامر الىٰ الخروج علىٰ خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

و من الواضحات فسق معاوية و عدم ايمانه بالدين و القرآن، و لا مبالاته بالشرف و الوجدان في حياته.

و لا شكَّ و لا شبهة في انَّ معاوية كان يحاول حرف الإسلام بل القضاء عليه و اعادة الجاهلية السفيانية و حكم آل حرب و طريقة بني امية في الادارة، و ما كلُّ تلك الحروب و العداء لبني هاشم و خاصة لامير المؤمنين علي عليه السلام، الاَّ حرباً للنبي صلى الله عليه وآله و استمرارية لحرب أبيه أبي سفيان و جدِّه لأمّه و عشيرته مع الإسلام.

و لو اردت ان تعرف من لا نظير له و لا مثيل، في النفاق و الطغيان و انكار الحق و الحيلة و المكر و الغدر و الخيانة و نكث العهود، فعليك بمعاوية.

---

(١) الاصابة ج ٢ ص ٣٨٩.

فكما إنَّ عدّة معدودة من الناس، تصل الىٰ مصافِّ الأخلاق الكريمة و الفاضلة، فكذلك تميّزت عدة من الناس في الرذائل و اثارة الفتن و حبّ الجاه و معاداة اهل الحق، و من جملة هؤلاء: معاوية، عمرو بن العاص، يزيد، مروان بن الحكم، زياد ابن أبيه، مسلم بن عقبة، عبد الملك بن مروان، الحجاج، بسر بن ارطاة، عبيد الله بن زياد، و شمر بن ذي الجوشن، و الذين حازوا المرتبة العليا في خبث السريرة و اللؤم و الخسّة من بين افراد طبقتهم من الكفّار.

نسب معاوية

المشهور أنَّ معاوية هو ابنُ ابي سفيان، لكنَّ هذا النسب غير مصدَّقٍ من قبل جميع علماء النسب، فان جمعاً من محققي علم الانساب يشككون في صحة هذا الانتساب، و اهم دليل على قوّة هذا التشكيك هو التحلل الخلقي لبيت معاوية، فالزنا و الفجور و الفسق كاد مستشرياً في بيته و عائلته، و لم يكن هؤلاء يعيرون اي اهمية للشرف و الغيرة، و لقد هجاهم شعراء الجاهلية و الإسلام بهذه الاوصاف القبيحة، و يكفي للتدليل على هذه القبائح من الصفات استلحاق معاوية لزياد ابن أبيه و نسبة الزنا الىٰ أبي سفيان و عدم تحرُّجه من ذلك، خلافاً لحكم رسول الله ﷺ:

«الوَلَدُ للفراشُ وللعاهِرِ الحَجَرْ»

يقول الزمخشري في ربيع الابرار: وكان معاوية يعزىٰ الىٰ اربعة الىٰ مسافر بن عمرو و الىٰ عمارة بن الوليد و الىٰ العباس بن عبد المطلب و الىٰ الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً و سيماً فدعته هند الىٰ نفسها و قالوا ان عتبة بن ابي سفيان من الصباح أيضاً[١] و نقل السبط ابن الجوزي عن الاصمعي و الكلبي في كتابه المسمىٰ

(١) النصائح الكافية ص١١٥، الغدير ج١٠ ص١٧٠. شرح نهج البلاغة ج١ ص١١١، المجالس الحسينية ص١٣٤.

بالمثالب قد وقفت على معنىٰ قول (الإمام) الحسن لمعاوية: «قد علمت الفراش الذي ولدت عليه» ان معاوية كان يُقال انه من أربعة من قريش عمارة بن الوليد بن المغيرة و مسافر بن ابي عمرو.. و امّا عماره بن الوليد كان من أجمل رجالات قريش. قال الكلبي: عامة الناس على إنَّ معاوية منه (مسافر) لانه كان اشدّ الناس حبا لهند فلما حملت هند بمعاوية خاف مسافر ان يظهر انه منه فهرب الىٰ ملك الحيرة. و مات هناك من عشقه لهند. [١] و قال الكلبي: جرىٰ بين يزيد بن معاوية و بين اسحاق بن طابة كلام بين يدي معاوية و هو خليفة، فاقرَّ معاوية ان بعض قريش يزعمون انه ليس لابي سفيان. [٢]

هذا و قد انفرد العلامة الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء برأي في نسب معاوية و ان بعض الشواهد التاريخية تؤيد ذلك.

أقول: و إنْ كان الشيخ الجليل كاشف الغطاء لم يذكر تلك الشواهد، و لكننا و ضمن مطالعتنا و تفحصنا، اطلعنا علىٰ بعض تلك الشواهد علىٰ رأيه، لا نريد التعرض لها هنا و نكتفي بآراء القدماء من أهل الخبرة في الانساب.

معاوية في ميزان السنَّة و الحديث

تواتَر لعنُ معاوية في الروايات، و شُحِنَتْ كتب الحديث المعتبرةُ بذمّه نكتفي بذكر بعضها:

١ـ روىٰ ابن ابي الحديد عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال:

---

(١) الغدير ج١ ص١٦٩. تذكرة الخواص ص٢١٢ـ٢١١.
(٢) تذكرة الخواص ص٢١٢ـ٢١٣.

« يَطلَعُ مِن هذا الفجِّ رَجلٌ من أُمَّتي يُحشَرُ علىٰ غيرُ ملَّتي » فطلع معاوية. (١)

٢ـ عن البراء بن عازب قال: مرَّ أبو سفيان و ابنه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: « اللهم الْعَن التابِع و المتبوعَ اللهم عليك بالأقعِيس » فقاله ابنُ البراء لابيه: من الاقيعِس؟ قال: معاوية. (٢)

٣ـ و في حديث مشهورٍ مرفوع أنَّ النبي ﷺ قال: إنَّ معاوية في تابوتٍ من نار في أسفل درك من جَحيم ينادي يا حنّان يا منّان فيقال له: ألان و قد عصيتَ قبْلُ و كنتَ من المفسدين. »(٣)

٤ـ و روي عن رسول الله ﷺ: « إذا رأيتم معاويةَ على منبَري فاقتلوه ». قال الحسن البصري و هو من رواة هذا الحديث: « فتركوا أمره فلم يفلحوا و لم يتجحدوا. (٤)

٥ـ و في الرواية ان النبي ﷺ ارسل ذات يوم خلف معاوية، فتباطأو اعتذر بانه مشغول بالاكل، فقال النبي ﷺ: « لا أشبع الله بطنه »

و كان معاوية بعد ذلك يأكل فلا يشبع و يقول: تعبت و ما شبعت. (٥)

هذا و من أراد زيادة اطلاع على رذائل معاوية في الروايات و كلمات كبار الصحابة و التابعين فليراجع « الغدير » ج ١٠ للعلامة الاميني.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤٤. الغدير ج ١٠ ص ١٤١.
(٢) الغدير ج ١٠ ص ١٣٩.
(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤٤. الغدير ج ١ ص ١٤٢.
(٤) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤٤. الغدير ج ١٠ ص ١٤٢. كنز الحقائق ج ١ ص ١٩.
(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٤٤٤.

معاوية و الخمرة

قد يتصور البعض أنّ يزيد بن معاوية هو أوّلُ بني اميّة في معاقرة الخمرة و حفلات السكر و العربدة و لم يسبقه احدُ من بني اميّة في ارتكاب هذا الذنب الذي حرّمه الشرع و ذمّه العقل و العلم، غافلين عن ان يزيداً قد ورث ذلك عن ابيه و جدِّه.

فقصَّة شرب ابي سفيان الخمرة في بيت ابي مريم الخمار في الطائف، و زناه بسميّه، معروفة و مشهورة.

و مخازي الوليد بن عقبة و هو من بني اميّة، معروفة، و قد نقلنا فيما سبق انه صلىٰ الصبح سكراناً في مسجد الكوفة فجاء باربع ركعات بدلاً عن الركعتين،و تقيأ في المحراب، و امتنع عثمان عن اقامة الحدّ عليه علىٰ الرغم من اقامة البيِّنة عليه، لانه كان أخوه بالرضاعة، فقامُ علي عليه السلام بجلدِهِ حدَّ الشرب.

و امّا معاوية، فقد ذكرت التواريخ المعتبرة حفلات سكره و معاقرته للخمر و ان الخمور كانت تحمل اليه علانيةً الىٰ دمشق. فبدلاً من أن يتولى معاوية اقامة حدود الله، كان هو يخرق تلك الحدود و يُجرِّئ الناس علىٰ هتك الحرمات و النواهي الشرعية، و اذا صادف ان زجره احدُ عن ذلك، صبَّ معاوية ويلات غضبه عليه. و قد روىٰ ابن عساكر و ابن حجر و ابن عبد البر و ابن الاثير و ابن سفيان في مسنده و ابن قانع و ابن منده من طريق محمد بن كعب القرظي قال: غزىٰ عبد الرحمن بن سهل الانصاري في زمن عثمان و معاوية أمير علىٰ الشام فمرّت به روايا خمر لمعاوية فقام اليها برمحه فبقر كلّ راوية منها فناوشه الغلمان حتىٰ بلغ شأنه معاويه فقال دعوه فانه شيخ قد ذهب عقله فقال: كلا و الله ما ذهب عقلي و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله نهانا

أن ندخل بطوننا و أسقيتنا خمراً و أحلف بالله لإن بقيت حتىٰ أرىٰ في معاوية ما سمعت من رسول الله لأبقرنّ بطنه أو لأموتنّ دونه.[١]

نفاق معاوية

ورد في كثير من الروايات التي رواها علماء العامّة ان «بغض علي بن ابي طالب» من اوضح علامات النفاق، و كما اسلفنا و كما هو واضح للجميع، ان معاوية بن ابي سفيان له السبق في هذه الصفة، فلقد صبَّ معاوية جام غضبه و حقده لرسول الله ﷺ على أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام و حقق انتقامَه و انتقامَ أبيه من النبي الاكرم ﷺ، في عدائه و انتقامِهِ من علي عليه السلام لقد كان معاوية عدوا للنبي و لعلي و للقرآن و الإسلام، و لمّا يئس من عداوته للنبي، ركّز حقده علىٰ آل النبي ﷺ و لم يكن في آل النبي ابرز و لا اقرب من عليٍّ اليه، و مَن أولىٰ من عليٍّ عليه السلام في استقبال سهام الكفار و المنافقين، فعلي نفس النبي بصريح القرآن، و عليٌّ اول المدافعين عن النبي طيلة حياته، و علي و النبي ﷺ هما من أرسا قواعد الإسلام و غرس شجرته العظيمة و سقاها، بفارق ان محمداً هو النبي و عليٌ هو الولي و الوصي.

و لذا، ما كانت عداوة معاوية لعليٍّ عليه السلام من علىٰ منابره، الاّ لعنِ و شتمِ و سبِ النبي الاعظم ﷺ، و قد نقل السيوطي أنَّ بني اميّة لعنوا و سبّوا علياً من علىٰ سبعين الفَ منبرْ. و في كتاب «العتب الجميل» لمحمد بن عقيل: لما رفع عمر بن عبد العزيز لعنَ علي علىٰ المنابر، خطب خطيب المسجد الجامع في حرّان خطبته مجرّدةً عن لعن

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج٧ ص٢١١. الاصابة ج٢ ص٤٠١-٤٠٢. الاستيعاب ج٢ ص٤٤. اسد الغابة ج٣ ص٢٩٩. الغدير ج١٠ ص١٨٠-١٨١. النصائح الكافية ص٩٦.

و سبِّ أمير المؤمنين عليه السلام، و لما نزل من علىٰ المنبر اعترض عليه همج الناس و رعاعهم و صاحوا به:

«وَيحَكَ وَيحَكَ.. السُنَّة السُنَّة، تركتَ السُنَّة...»

فهؤلاء الجهّال كانوا يظنّون ان سبَّ و لعن عليّ عليه السلام من اجزاء الخطبة المسنونة.(١)

إنَّ إعلام معاوية في الشام التي كانت بعيدة عن مركز الخلافة، قد أثَّر في الناس، و صار سبباً في اضلالهم.

لقد استغل معاوية أموال بيت المال، و وظَّف الخطباء و الشعراء و المتملِّقين و وعاظ السلاطين و وضاع الحديث، لتشويه الإسلام و حرف الدين، و اجبرهم علىٰ الطعن بامير المؤمنين عليه السلام و كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله و اتهامِهم و الافتراء عليهم، ظنا منه أنَّ ذلك سيحطُّ من قدر بني هاشم بين الناس، و رغبة منه في اثارة الفتن و الجهالة و اطفاء نور الإسلام و اعادة ظلمات الجاهلية الاموية.

نقل إبن الاثير أنَّ شاباً من اصحاب معاوية خرج في حرب صفين و أخذ يرتجز و يضرب بسيفه و يلعن أصحاب عليّ فقام له هاشم المرقال و كان من قادة جيش علي عليه السلام و وعظه و خوفه الله الذي هو مسائله يوم القيامة عن قتاله المؤمنين فقال ذلك الشاب سأقول لله إني قاتلتكم لان صاحبكم لا يصلي و انكم لا تصلون!! و أن صاحبكم قتل خليفتنا عثمان و أنكم أعنتموه علىٰ ذلك. فقال له هاشم المرقال: و ما انت و عثمان إنَّ عثمان قتله اصحاب رسول الله و أبناء الصحابة و قرّاء القرآن الذين لم يعصوا الله طرفة عين. و أما ما قلت من أن صاحبنا لا يصلي فاعلم

(١) الإسلام بين السنة و الشيعة. ص ٢٥.

إن صاحبنا هو اول من صلىٰ بعد رسول الله و أنه أعلم الخلق بدين الله و أقربهم الىٰ رسول الله و أن هذا الجيش الذي تراه هو من القرّاء المحيين الليل بالعبادة و التهجّد و اعلم ان هؤلاء الاشقياء (معاوية و حزبه) قد أضلوك.

فقال له الشاب: فهل لي من توبة؟ قال هاشم: نعم، تب يتوب الله عليك و يغفر لك ذنوبك. فرجع الشاب.(١)

و ذكر الجاحظ أنَّ قوماً من بني اميّة قالوا لمعاوية: لقد وصلت الىٰ ما تريد، فاترك سبَّ و لعن عليٍّ!

فقال: لا و الله حتىٰ يشبُّ عليه الصغير و يهرم الكبير، و لا يبقىٰ احدٌ يذكر له فضلاً.

و من علامات نفاق معاوية، عداؤه للانصار، لانهم نصروا النبي ﷺ فكان معاوية يُعنِّفُهُم و يهزأ بهم، و وصل به الأمر الىٰ حجب جابر بن عبد الله الانصاري. فقد روىٰ المسعودي أنَّ جابر بن عبد الله الانصاري قدم الىٰ معاوية بدمشق فلم يأذن له أياماً، فلما اذن له قال: يا معاوية اما سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حجب ذا فاقة و حاجة حجبه الله يوم فاقته و حاجته. فغضب معاوية و قال له: لقد سمعته يقول: انكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتىٰ تردوا عليّ الحوض. أفلا صبرت؟ قال: ذكرتني ما نسيت و خرج فاستوىٰ علىٰ راحلته و مضىٰ، فوجه اليه معاوية بستمائة دينار، فردّها و قال لرسوله: قل له و الله يابن آكلة الاكباد لا وجد فى صحيفتك حسنة أنا سببها أبداً.(٢)

---

(١) الكامل ج٣ ص١٥٩.

(٢) مروج الذهب ج٣ ص٥٨.

وَصمَةُ عارٍ علىٰ جبين التاريخ

و من جملة مخازي معاوية و ذنوبه التي لا تغتفر و غير المسبوقة بمثلها، هو أنَّه عندما اراد الخروج الىٰ صفين و حرب خليفة زمانه و اثارة الحرب اللعينة بين الاخوة، خاف من هجوم الروم علىٰ مواني الشام فعقد معاهدة مع قسطنطين ملك الروم، يدفع بموجبها معاوية جزيةً من بيت مال المسلمين للروم كل سنة. و كان ذلك وصمة عارٍ لطخت جبين كل تلك الفتوحات الرائعة اللامعة في تاريخ الإسلام و مجاهديه و من اطلع علىٰ تاريخ الإسلام جيداً يعلم أنَّ مثل هذا العمل يعدُّ خيانة عظمىٰ، و لا يمكن قبوله بحال من الاحوال و منذ صدر الإسلام.

لقد قدم الجيش الاسلامي التضحيات و التضحيات و مئات آلاف الشهداء و لم يقبل بذلّةٍ كهذه، فمثل هذه المعاهدات مع الكفار و اعداء الله، تؤدي الىٰ سيطرتهم و سلطتهم علىٰ المسلمين و «**ما جعل الله للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلاً**».»

و قد اراد معاوية بذلك اسقاط الحكومة المركزية للاسلام، و خالف دستور القرآن «**أشدّاء علىٰ الكفارِ رُحماءَ بينَهُمْ**» و وقع معاهدة الذُل و الهوان و الجزية و الخراج و التبعية للكفار مُعلناً بذلك اتحادَه مع الكفار و حربه ضد المسلمين.

و ليته قد اكتفىٰ بذلك، لكنه و بعد هلاك قسطنطين (سنة ٦٦٨م ـ ٤٧ هـ. ق) جدّد معاهدة الجزية السنوية مع قسطنطين المعروف ببوكونات، و كان ذلك سنة (٦٠ هـ. ق) المصادف (٦٧٩م) قبل هلاك معاوية بعدّة اشهر.

بعد أن كسر معاوية حوالي القسطنطنية انكساراً مُرّاً، عرف أنَّ معنويات جيشه لم تعد قوية كما كانت عليه سابقاً. فقد كانت سياسة الحكم و فساده و ترفه قد أثّرت في روحية المقاتلين سلباً، و أضعفت معنويّاتهم كما انّ المسلمين لم يكونوا

مستبشرين بتلك الفتوحات و قلّت رغبتهم في الجهاد اذ أنَّ أتعابهم كانت تصبُّ في مصلحة فئةٍ محصورة من آل أبي سفيان و إشباع أطماعهم و رغباتهم و تقوية شوكتهم و هم الذين رفعوا راية العداء لآل النبوّة و قتلوا الصفوة من الصحابة في مكة و المدينة و الكوفة و البصرة، تاركين الأمر بالمعروف و العمل بالأحكام الشرعيّة.

و من جهة أخرىٰ كان معاوية قد أعدَّ العُدة لتولية يزيد الحكم عن طريق الترغيب و الترهيب و القوة و الرشاوىٰ و كان يعلم أنَّ الاضطرابات ستعُمُّ البلدان الاسلامية بسبب هذا الإستخلاف و إنَّ يزيد و الحزب الاموي لن يقوىٰ علىٰ فتح جبهتين داخلية و خارجية في آنٍ واحد، و لذا فقد استسلم ثانيةً للرّوم و بعث بعثاً مع بعض النصارىٰ العرب مع هدايا و تُحف الىٰ ملك الروم، يستميلُه لعقد معاهدةٍ تستمرُّ لثلاثين عاماً، يدفع المسلمون الجزية للنّصارىٰ علىٰ أساسها!! و تعهَّد معاوية بدفع ثلاثين ألف سكّة ذهبيّة، و إطلاق صراح ثمانمائة أسير رومي و أن يبعث إليهم بثمانمائة رأس جواد عربي أصيل.

و قد جاء في الفقرة الرابعة من المعاهدة أنَّ هذه الأموال تُدفع بعنوان الخراج الىٰ الدّولة الروميَّة!!

هذا و قد تعهَّد يزيد بعد معاوية لزيادة تلك الاموال و دفعها الىٰ النصارىٰ.[1]

و بهذا يكون معاوية و ابنه يزيد الذين ارادا ان يحافظا علىٰ ملكهما باي ثمن كان و لكي يتسلط بنو اميّة علىٰ رقاب المسلمين قهراً، و ان يمحوا آثار الإسلام و

---

(١) حجة السعادة ج٢ ص٧٠ـ٧١.

يهدموا قواعده، قد اذلاّ الامّة الاسلاميّة بهذا العار، بقبولهم تلك المعاهدات المهينة.

المستشارون المسيحيون

و من مآثم معاوية التي لا تغتفر تسليط الكفار على المسلمين و أموالهم باستخدامه مستشارين كفّارَ أجانب مخالفاً بذلك صريح القرآن المجيد.

فلقد اعتمد علىٰ بعض المسيحيين في ادارة الامور المالية و العسكرية و الادارية، فكان يستشيرهم في برامجه و خططه، و اعتبرهم امناء سرّه، منهم سرجون النصراني و ابنه منصور، و الذي أوكل معاوية اليه امر خزينة بيت المال و حسابات الجند، و لذا كان هذا الكافر بمقتضىٰ وظيفته الحساسة، ينفذ الىٰ كل اجهزة الحكم و خاصة قوّاد الجند و المؤسسة العسكرية المهمة و الخطيرة.(١)

و الظنُّ، انَّ سرجون و رفاقه الذين كانوا علىٰ إتصال دائم بالروم، كان لهم الدور الكبير في هزيمة المسلمين في القسطنطنية، و التي قُتل فيها ثلاثون الفاً من المسلمين. (٢)

و لقد كان سرجون و ابنه منصور ـ كما عن حجة السعادة ـ وزيراً في زمن يزيد ايضاً، و طبقا لبعض المصادر التاريخية كان لسرجون هذا دور خبيث في قضية

---

(١) يقول «فردينال نوئيل» المسيحي في «أعلام الشرق» ان منصور بن سرجون كان مديراً للمالية و حسابات الجيش في زمن معاوية.

و يقول العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» ص١٦٨: لقد اوكل معاوية الامور المالية الىٰ سرجون و من بعده الىٰ ابنه منصور. و اصل كلمه مرجون: سرزيوس، كما عن كتاب حجة السعادة ج٢ ص٧٢.

(٢) حجة السعادة ج٢ ص٧٢.

استشهاد الحسين عليه السلام و فاجعة كربلاء، حيث ان يزيداً قد عيَّن عبيد الله بن زياد والياً علىٰ الكوفة باشارة من سرجون النصراني هذا.[١]

و اذا ما تأملنا في الحوادث التاريخية، و ماسنبيِّنه في الصفحات اللاحقة حول نشأة يزيد و ظروف تربيته، فاننا سنقف علىٰ ان النصارىٰ كان لهم اليد الطولىٰ في رسم سياسة الدولة الاسلامية في زمن معاوية و يزيد، و ان عملاءهم و جواسيسهم كانوا يشغلون مناصب حساسة في اجهزة حكم بني اميّة، و أنَّ حكومة الشام كانت متكية و عميلة للامبراطورية الرومية، بل، و كما يقول العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» فصل «تمهيدات الحوادث»؛ يستنتج من الادلة التاريخية أنَّ بني اميّة كانوا علىٰ ارتباط بالبلاط الرومي منذ الجاهلية، وكان بعضهم كعثمان و أبي سفيان آلة بيد الروم لتحقيق مآربهم السياسية، و عملاء تجسس للحكومة البيزنطية.

فلا عجب حينئذٍ من استماتة بعض المستشرقين المسيحيين مثل «لانس» البلجيكي، في الدفاع عن معاوية و يزيد، اذ انَّ حكومة بني اميّة كانت تحت نفوذ المسيحيين و انها الحاجز و المانع من انتشار الإسلام في اوربا، و مثل هذه الحكومة لابدَّ ان تحظىٰ بتاييد الحكومات الاستعمارية المسيحية.

تجاهر معاوية بالفسق

لم يكن معاوية متستراً بالمحرّمات و مخالفة السُنَّة، كالربا و شرب الخمرة و الاكل و الشرب في آنية الذهب و الفضة و لبس الذهب و الحرير. و لقد كان يأنسُ

---

(١) مقتل الخوارزمي ص١٩٨. الكامل لابن الاثير ج٣ ص٢٦٨. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص٨٤ـ٨٥.

بالاستماع الىٰ الطرب و الغناء، و يرغب في لذائذ الاطعمة و الاشربة، و يلبس أفخر الملابس.

و في الجملة كان سلوكه و لبسه و مأكله و مسكنه في القصور الفخمة[١] و امتلاك الجواري و الغلمان و الحرس و الحشم و الخدم و ملوكية العيش، مخالفاً لطريقة رسول الله صلى الله عليه وآله و كرام الصحابة، و علىٰ غير نهج الإسلام.

كان معاوية يبذل بيت مال المسلمين و يبذّره علىٰ حاشيته و خواصّه و أن سياسته المالية الخاطئة و السيّئة أدّت الىٰ فراغ بيت المال فاضطرّ الىٰ أخذ الضرّائب الثقيلة من الناس، كما أنّه خالف الشريعة في قضيّة أخذ الجزية من المشركين و غيّر القوانين المالية الاسلامية كما أنّه سنّ لعن أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ المنابر و استلحق زياد بن أبيه و استخلف ولده يزيد و استخفَّ بمقام النبوّة المقدَّس حيث كان لا يردع الذين يتجاسرون علىٰ مقام النبوّة و يسلّمون علىٰ معاوية بالرّسالة.[٢]

و قد تجرَّد معاوية عن فضائل الأخلاق كالشجاعة و العدالة و الانصاف و الغيرة و التقوىٰ و الامانة و البطولة، و لم يكن له سهم و نصيب حتىٰ في الحلم و السياسة. و بعض السطحيين و ان كانوا و بمطالعة بعض الحكايات الاسطورية المنقولة عنه، يتصورون انه حليم مدبّر، و لكن و بالتدقيق فى مضامين تلك النقولات يظهر أنه كان يتظاهر بالحُلم مكراً و خداعاً، و الوقائع التاريخية تثبت ذلك و

(١) فلما بني (معاوية) قصر الخضراء بلغ من اعجابه بالبناء ان سأل اباذر داعية الزهد و الكفاف من الرزق: كيف ترىٰ هذا؟ فسمع منه جواباً كان خليقا ان يترقبه لو لم يكن لزهوه بما ابتناه لا يصدق ان احداً يراه بغير فارآه، قال ابوذر: ان كنت بنيته من مال اليه فانت من الخائنين و ان كنت بنيته من مالك فائت في المسرفين.

(٢) النصائح الكافية ص٩٩ـ٩٤. معاوية في الميزان ص٢٧و٣٧و١٨٩ـ١٨٧.

تفضحه كقضية قتل حجر بن عدي.

و قد أوضح العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» فصل «الحلم» مفصلاً ان تظاهر معاوية لا يمت الىٰ الحلم بصلةٍ، كما انه ليس كما يتصوره الكثيرون ذو باعٍ في المكر و الدهاء و الخديعة، و هذا ما نستنتجه من كلام العقاد في فصل «الدهاء». فسياسة معاوية لم تكن مستندة الىٰ قوة عقلية، كما انه لم يكن في الخدعة و المكر نظيراً لعمرو بن العاص و المغيرة و زياد ابن أبيه.

إنَّ ما ساعد معاوية علىٰ تحقيق طموحاته، هو الظروف المواتية له، و عدم تورعة عن اي جناية، و هذا ما يجعل من كل سياسي و إن كان في مرتبة متدنية، قادراً علىٰ تحقيق طموحاته و الوصول الىٰ مآربه السياسية، و الحق ان سياسة معاوية في الامور المالية و الاجتماعية و الامنية، كانت فاشلةً تماماً. (١)

اهداف معاوية

يتضح من مطالعة تاريخ معاوية، أنَّ هدفه من الفتن التي أثارها و الحروب التي أشعلها هو الوصول الىٰ السلطة و الحكم، و انه كان يحلم بذلك منذ ايام خلافة عثمان. و مع ان معاوية كان يعلم تماماً انه لا يستحق ذلك و ان رصيده التاريخي معدومٌ تماماً، مع ذلك، اشعل حرباً شعواء علىٰ ولي الله الذي اتفق الصحابة كلّهم علىٰ أحقّيّته بالخلافة.

---

(١) معاوية في الميزان ص٤١ـ٧٥. لقد بيّن العقاد في هذا الكتاب معالم طريقي علي عليه السلام و معاوية بكل وضوح. و ذكر ان علياً عليه السلام لا يمكنه الانحراف عن طريقه لانه طريق الحق و العدل، و اما طريق معاوية فلا يمت الىٰ الحق و العدالة و مصلحة المسلمين باية صلة، و نوصي القراء الكرام لمطالعة هذا الكتاب و ننبّههم الىٰ ان الكتاب لا يخلو من الاشتباه.

لقد كان معاوية قد اطلق العنان لنفسه و لم يتقيد بحفظ مصالح الإسلام و المسلمين، كما انه لم يبال لاحكام الشرع و رعايتها، فكان يستهين بكل شيئ من اجل تحقيق هدفه.

و لم يكن معاوية صادقاً في الطلب بدم عثمان(١) و انما كانت تلك حجّة واهية يتذرع بها لتحقق مآربه الماكرة، و لذا نراه قد اعرض تماماً عن الطلب بدم عثمان بعد ان تحقق له ما اراد من الحُكم، و لم يتتبع احداً من المتّهمين بدم عثمان.

و بعد ان صالح معاوية الإمام الحسن عليه السلام الذي خذله اصحابه الذين انخدعوا بحيل معاوية و ابن العاص و غرَّتهم امواله، جاء الىٰ الكوفة و خطب في الناس و كشف عن نواياه الحقيقية قائلاً: « **يا أهل الكوفة ... اني ما قاتلتكم لتصلوا و لا لتحجّوا و لا لتزكوا فاني اعلم انكم تفعلون ذلك، و لكن قاتلتكم لأتأمّر عليكم و قد أعطاني الله ذلك. ألا و اني كنت قد مَنَّيت الحسن بن علي بامور، و اني لن أفِ بشيئ منها و هي تحت قدمي** »(٢)

فمعاوية الذي تعهد في بنود الصلح بامور كثيرة، لم يعمل بايٍّ منها(٣)، فلقد قتل حجر بن عدي و اصحابه البررة و عمرو بن الحمق الخزاعي، و لم يترك سبَّ عليٍّ عليه السلام، و اخذ البيعة ليزيد من الناس قهراً، و دسَّ السمَّ للامام الحسن عليه السلام فقتله،

---

(١) عقد الاستاذ العقاد في كتابه « معاوية في الميزان » فصلاً مستقلاً بعنوان « موقف معاوية من قضية عثمان » و هذا الفصل و ان كان مختصراً و لكن القارئ و بتامل بسيط سيقف علىٰ خبث مخططات معاوية في تلك القضية، و ما ابتليت به الخلافة الاسلامية من انحرافات بسبب الألاعيب و الخدع السياسية التي عقبت غصب الخلافة من أهل البيت عليهم السلام و مجيئ بني اميّة للحكم.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص٦.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص٧.

و لم يرعَ حرمة الشعائر الاسلامية.

فكان لا يُخفي حقده الدفين علىٰ النبي ﷺ عندما كان يسمع اسمه ينادىٰ به في الاذان خمس مرات في اليوم و الليلة، و يتوعد بمحوه حتىٰ لا يَبق أثراًللاسلام.

يقول المسعودي نقلاً عن كتاب «الموفقيات» لابن بكار، ان المطرف بن مغيرة بن شعبة: وفدت مع ابي المغيرة الىٰ معاوية فكان ابي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف اليّ فيذكر معاوية و يذكر عقله و يعجب مما يرىٰ منه اذ جاء ذات ليلة فامسك عن العشاء فرأيته مغتماً فانتظرته ساعة و ظننت أنه شيء حدث فينا أو في عملنا فقلت له: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة. قال يا بني: جئتك من عند أخبث الناس فقلت له و ما ذاك. قال: قلت له و قد خلوت به إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً و بسطت خيراً فانك قد كبرت و لو نظرت الىٰ اخوانك من بني هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لي هيهات هيهات ملك أخو تيم فعدل و فعل ما فعل فوالله ما غدى أن هلك فهلك ذكره الاّ أن يقول قائل أبوبكر. ثم ملك أخو عدي فاجتهد و شمّر عشر سنين فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره الا أن يقول قائل عمر ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعمل به فوالله ما عدىٰ أن هلك فهلك ذكره و ذكر ما فعل به و ان أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله فأي عمل يبقىٰ مع هذا لا امّ لك لا و الله الا دفناً دفنا.(١)

و هذه الحكاية تؤيد ما نقول، فان معاوية كان يهدف مضافاً الىٰ تحقيق اغراضه السياسية، محوَ كلِّ ما يمتُّ الىٰ السماء بصلة من ملامح الإسلام حتىٰ اسم

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٣٦٢.

«محمد رسول الله» و ارجاع الناس الىٰ حكم الجاهلية.

و لو اردنا ان نطلق العنان لاقلامنا لكتابة جرائم و جنايات معاوية فاننا سنتعبُ انفسنا و قراءنا الكرام بكتابة و قراءة كتاب كبير، و نكون بعدها ملزمين بالاعتذار لعدم اداء حق الموضوع كما يجب. و لذا فاننا سنحيل القارئ العزيز الىٰ مطالعة شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد و كتب التاريخ و كتاب الغدير للعلامة الاميني الجزء العاشر، و كتاب «النصائح الكافية» و حينئذٍ سيتضح للقارئ ان كل ما قلناه و ما سنقوله في مطاعن هذا العنصر الخبيث، ليس الاّ قطرة من بحر لؤمِه و خسَّته و وحشيته. (١)

و نقل عن كتاب «التعجب» للكراچكي، أنَّ معاوية لم يسلم و أنه كان باقيا علىٰ شركه، و مكذباً الوحي، مستهزءاً بالشرع، و انه كان عام الفتح في اليمن و عندما سمع باسلام أبيه ـنفاقا و خوفاً ـكتب اليه شعراً و نثراً يذمّهُ فيه، و انه بقي علىٰ شركه و هرب الىٰ مكة فاضطر لخوفه من هدر دمه ان يذهب الىٰ النبي و شفَّع العباس عمَّ النبي اليه فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله و كان اسلامه ـالكاذب ـقبل رحلة النبي الىٰ جوارِ ربّه بخمس أو ستة أشهر فقط، و كان مع النبي صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت اربعة عشر كاتباً و لم يُعهد ان معاوية هذا قد كتب شيئاً للنبي صلى الله عليه وآله من كتبه و رسائله، و حتىٰ لو فرضنا انه كتب كتاباً، فان ذلك لا يعدُّ فضيلةً لمثل معاوية الاّ إنَّه من «المؤلفة قلوبُهُم».

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١ ص١٢. ابو الشهداء ص٧٥. معاوية بن ابي سفيان ص١٦٣.

من هو يزيد؟

انَّ مِن هَوانُ الدنيا و عِبَرها، ان يكون يزيد بن معاوية حاكماً علىٰ المسلمين و علىٰ كبار الصحابة و التابعين!

فانَّ اشدَّ صفحات التاريخ البشري ظلمةً و سوادا، هي تلك الصفحات التي تناولت حياة يزيد. ففضائح بني اميّة و جناياتهم المشهورة من بين جناة التاريخ قد جعلتهم في مصاف الفاسدين لكنَّ يزيد بن معاوية يعدُّ وصمة عارٍ حتىٰ في جبين بني اميّة أنفسهم حتىٰ كادت فضائحه ان تُنسي الناس فضائح سائر بني اميّة، و تجعل يزيداً بطل الشرِّ و الكفر و الطغيان و السخف و الدناءة و العداء لاهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

فيزيد هو النقطة الاشدَّ سواداً في صفحة تاريخ بني اميّة الحالكة الظلمة، و مصداقُ « ظلماتٌ بعضُها فوق بعض. »

نشأة يزيد

يقول العلايلي: لنفهم مصرع الحسين عليه السلام يلزمنا ان نعرف من يزيد؟

و لكي نعرف يزيد لابد من مطالعة تربيته الأُسريّة، اذ من الواضح ان للبيئة و المحيط أثرهما في بناء شخصية الانسان سلباً أو ايجاباً. فالحجر و اللبن و الأُم و سلوك الاب و العادات العائلية كلها تؤثر في أخلاق الانسان و هذا ما يؤيده علماء الأخلاق و النفس، و قد اكدت الشريعة عليه تأكيداً كبيراً.

فكم من فرق بين من تربّىٰ في بيئة سليمة ملؤها الصدق و العفّة و الصلاح و

بين من تربّىٰ في بيئة سيّئة ملؤها الظلم و الفجور و الفساد و الكفر و الإجرام.(١)

و علىٰ هذا تكون مطالعة ظروف التربية العائلية لرجالات التاريخ، و قراءة العوامل المحيطية المؤثرة في رشد افكارهم و سلوكهم و نفسياتهم، ضرورية و لازمة، و لقد كان يزيد من جملة الذين ترتبط أعمالهم وسلوكهم بالمحيط الذي تربوا فيه ارتباطاً مؤكداً، و لقد كان نسخةً طبق الأصل.

و لقد تناولنا فيما مضىٰ بعض أفراد اسرة يزيد كابيه معاوية و اجداده و جدَّته و بعض بني عمومته، و قد نفصِّل فيما ياتى عنهم قليلاً و لكننا لم نتعرض لحدِّ الآن الىٰ هويّة أُمِّ يزيد، فمن هي امُّ يزيد؟

مَيسون:

مَيسون امُّ يزيد بنت بجدل الكلبي، و طبقا لنقل كتاب «تجارب السلف» و «الزام النواصب» و «ربيع الابرار للزمخشري» و اشعار النسابة الكلبي، فان يزيداً مطعون في نسبه، مردودٌ انتسابه الىٰ معاوية، فان ميسون لما جئ بها الىٰ معاوية كانت حبلىٰ بيزيد من غلامٍ لأبيها.(٢)

---

(١) ان هذه القاعدة يمكن ان تتخلف، و بعبارة اخرى، فان المحيط و البيئة التي يعيش فيها الانسان ليست هي العلّة التامة لصياغة شخصيته، فكم من مؤمن صالح نشأ في بيئة فاسدة و من ابوين فاسدين، و كذلك العكس و صدق تعالىٰ حينما قال: «يخرج الحيَّ من الميّت و يخرج الميت من الحي» و لكن يبقىٰ للبيئة أثرها علىٰ نحو الموجبة الجزئية، فيمكن ان يعترك الانسان مع المحيط الفاسد و يتغلب عليه فلا يكون المحيط فاسداً ابداً عُذراً للفساد و الأخلاق القبيحة.

(٢) راجع القمقام الزخّار ص٢٢٩. المجالس الحسينية ص١٣٤.

يزيد في أحضان بني كلب

يقول العلايلي: و إنَّ اهم ما يلزمنا أن نعرف هنا من أمر يزيد ناحيتان: نشأته المسيحية أو بالأحرىٰ التي كانت أقرب إلىٰ المسيحية، و عقليته التي كانت في نظري غَيبيَّة جداً، و تبعد كثيراً عن العقلية الواقعية العملية التي امتاز بها أبوه.

يبدو مستغرباً باديءَ ذي بدء، أن نعرف أن يزيد نشأ نشأة مسيحية تبعد كثيراً عن عرف الإسلام، و تزيد القاريءَ دهشةً الىٰ حد الانكار، و لكن لا يبقىٰ في الأمر ما يدعو الىٰ الدهشة، إذا علمنا أن يزيد يرجع بالأمومة إلىٰ بني كلب، هذه القبيلة التي كانت تدين بالمسيحية قبل الإسلام، و من بديهيات علم الاجتماع أن انسلاخ شعب كبير من عقائده يستغرق زمناً طويلاً، بين معاوَدات نفسية و رَجعات ضميرية و ذِكريات وجدانية. و بالأخص إذا كانت عقيدة سيطرت علىٰ الافكار و العادات و العُرف العام.

و التاريخ يحدثنا أن يزيد نشأ فيها الىٰ طور الشباب أو حتىٰ جاوز طور الطفولة، و معنىٰ هذا أنه أمضىٰ الدور الذي هو محطُّ أنظار المُرَبِّين و عنايتهم، و بذلك ثبت علىٰ لون من التربية النابية تمازجها خشونة البادية، و جفاء الطبع.

علىٰ أن طائفة من المؤرخين ترجِّح و لا يبعد أن يكون صحيحاً، أن من أساتذة يزيد بعض نساطرة الشام من شمارقة النصارىٰ، و ربما شهد لهذا التقدير ما جاء في تاريخ الشام لابن عساكر من أن يزيد كان يعرف طرفاً من الهندسة هذا الفن الذي كان مجهولاً من العرب، مما يضعنا أمام الأمر الواقع الذي يتسق تفسيره علىٰ هذا الوجه. و لا يخفىٰ ما يكون لهذه التربية من أثر سيئ فيمن سيكون ولي أمر المسلمين.

و هذه التربية تصحح الرواية الأدبية القائلة بأن يزيد أراد كعب بن جُعَيل علىٰ هجاء الأنصار، فاستأبىٰ عليه تأثُّماً لمقامهم الديني و دله علىٰ الأخطل التغلبي الشاعر النصراني، و من ثم اطَّردت الصداقة بينهما. و نحن نشك في صحة هذه الرواية و نعزو الاتصال بينهما الىٰ مكان التربية عند يزيد، فقد كان يتزيَّد في تقريب المسيحيين و يستكثر منهم في بطانته الخاصة، لمّا أنّه يقع بينهم علىٰ من يمتزج به و ينسجم معه (علىٰ ما يقولون). و لقد اطمأن إليهم حتىٰ عهد بتربية ابنه الىٰ مسيحي علىٰ ما لا اختلاف فيه بين المؤرخين. و لا يمكن أن نعلل هذه الصلة الوثيقة و التعلق الشديد بالأخطل و غيره إلا إلىٰ مكان التربية ذات الصبغة الخاصة و اللون النابي.

إذا كان يقيناً أوما يشبه اليقين، أن تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة و بعبارة اخرىٰ كانت مسيحية خالصة، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفّاً بما عليه الجماعة الاسلامية، لا يحسب لتقاليدها و اعتقادها أي حساب و لا يقيم لها وزناً، بل الذي يستغرب أن يكون علىٰ غير ذلك. (١)

و من ثمَّ وجدنا يزيداً يشاور المسيحيين و الاجانب امثال سرجون الرومي و يعمل بما يملوه عليه و كما قلنا سابقاً فانه جعل عبيد الله بن زياد والياً علىٰ الكوفة باشارة من سرجون المسيحي (٢)

و مضافاً الىٰ ذلك، فان يزيد قد ترعرع و نشأ في البادية عند اخواله بني كلب، و لم يكن تأثره بعادات البداوة بأقلَّ من تاثره بالمسيحية في رذائل الأخلاق و وحشية الطباع، اذ أنَّ معاوية ترك ميسون امَّ يزيد و ارسلها الىٰ البادية، فكانت

---

(١) سمو المعنىٰ ص٦٧ـ٦٦. مروج الذهب ج٣ ص٣.

(٢) الكامل في التاريخ ج٣ ص٢٦٨. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص٨٤ـ٨٥. حجة السعادة ج٢ ص٦.

ولادة يزيد فيها، و متاركة ميسون لمعاوية و ان فسَّرها البعض بكراهة ميسون حياة القصور و الحضارة، و منادمة الجواري الحسان و القيان و آنية و الذهب و الفضة و السجّاد، و لكن الحق انَّ دواعي الفراق الحقيقية هي الحنينُ الىٰ ذلك الغلام و ثورة العشق المتأجحة في قلب ميسون له، فطالما سمع معاوية أشعار ميسون الغزلية لعشيقها و هي في قصره، و طالما احسَّ معاوية بسهرها و لوعتها علىٰ فراقه، فاضطر الىٰ إرسالها الىٰ عشيقها و هجرها.

أخلاق يزيد

يقول العقاد: فتىٰ عربيد يقضي ليله و نهاره بين الخمور و الطنابير، و لا يفرغ من مجالس النساء و الندمان إلا ليهرع إلى صيد فيقضي فيه الأسبوع بعد الأسبوع بين الأديرة و البواري و الآجام، لا يبالي خلال ذلك تمهيداً للملك و لا تدريباً علىٰ حكم و لا استطلاعاً لأحوال الرعية الذين سيتولاهم بعد أبيه، ثقة بما صار اليه من التمهيد و التوطيد و ما سوف يصير. (١)

و يقول ايضاً فكان كلفه بالشعر الفصيح مغرياً له بمعاشرة الشعراء و الندماء في مجالس الشراب، و كان ولعه بالصيد شاغلاً يحجبه عن شواغل الملك والسياسة، و كانت رياضته للحيوانات مهزلة تلحقه بأصحاب البطالة من القرادين و الفهادين، فكان له قرد يدعوه «أبا قيس» يلبسه الحرير و يطرز لباسه بالذهب و الفضة و يحضره مجالس الشراب، و يركبه أتاناً في السباق و يحرص علىٰ أن يراه سابقاً مجلياً

---

(١) ابو الشهداء ص١٧.

علىٰ الجياد. (١)

و لم ينتهِ يزيد عن معاقرة الخمرة و المآثم حتىٰ في مدينة النبي صلى الله عليه وآله.

قال الحسين عليه السلام في يزيد لمعاوية: و قد دل يزيد من نفسه علىٰ موقع رأيه فخذ ليزيد في ما اخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش و الحمام السبق لاترابهن و القينات ذوات المعازف و ضروب الملاهي تجده ناصراً. (٢)

و يقول محمد رضا رشيد هذه نشأة أولاد الطبقة الارستقراطية عادة، فهم لا يعبأون بالتعاليم الدينية و لا يعرفون الحلال من الحرام و إنما همهم التعلق بأنواع المسليات و الملاهي و الصيد و القنص و الرقص و الغناء و شرب الخمور. فتربية يزيد كانت خلاف تربية أولاد الصحابة إذ كانت تربيتهم دينية محضة. و قد استطاع معاوية بسلطته أن يأخذ البيعة لانه من أهل الشام لكنه لم يستطع أن يؤثر في أهل المدينة، فلما مات جنح يزيد إلىٰ استعمال القوة في حملهم علىٰ مبايعته و قال: «و الله لأطأنهم وطأة آتى منها علىٰ انفسهم». (٣)

و يقول المسعودي: كان يزيد صاحب طرب و جوارح و كلاب و قرود و فهود و منادمة علىٰ الشراب و جلس ذات يوم علىٰ شرابه و عن يمينه ابن زياد و ذلك بعد قتل الحسين عليه السلام فأقبل علىٰ ساقيه و قال:

أسقني شربة تروّي فؤادي ... ثمَّ مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السرِّ و الامانة عندي ... ولتسديد مغنمي و جهادي
قاتل الخار جيٍّ أعني حسينا ... و مبيد الاعداء و الحسّاد

---

(١) ابو الشهداء ص٧٧.

(٢) الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص٦٠.

(٣) الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص٦٠.

ثم أمر المغنّين فغنّوا[١]

و غلب علىٰ أصحاب يزيد و عماله ما كان يفعله من الفسوق و في ايامه ظهر الغناء في مكة و المدينة و استعملت الملاهي و أظهر الناس شرب الشراب و كان له قرد يكنىٰ أبا قيس، يحضره مجلس منادمته و يطرح له متكأ ... الىٰ أخره.

و كان عمّال يزيد و حاشيته يشاركونه في مجونه و فسقه، و انتشر ايام حكومته الغناء و الطرب في مكة و مدينة، و استعملت آلات الموسيقىٰ و القمار، و ابيحت حانات الخمر و الميسر.

ثم يذكر المسعودي قصة قرد يزيد المسمىٰ «ابو قبيس» و حضوره مجالس الشراب و اللهو.[٢]

يقول الكيا الهراسي الشافعي: و كيف لا يكون كذلك و هو المتصيد بالفهد و اللاعب بالنرد و مدمن الخمر و من شعره في الخمر قوله:

أقول لصحبٍ ضمَّت الكأس شملَهم و داعي صباباتِ الهَوىٰ يترنَّمُ
خذوا بنَصيبٍ من نَعيمٍ و لذَّةٍ فكلٌّ و ان طال المدىٰ يتصرَّمُ

و كتب فصلا طويلاً في مذمَّة يزيد و قال:

«و لو مُددتُ ببَياضٍ لأطلَقتُ العنان و بسَطتُ الكلام في مخازي هذا الرجل»[٣]

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص١٥. تذكرة الخواص ص٢٩٠.

(٢) مروج الذهب ج٣ ص١٦ـ١٥. ابو الشهداء ص٧٥.

(٣) حياة الحيوان ج٢ ص٢٢٤.

جنايات يزيد

١ـ إنَّ اعظم جناية ارتكبها يزيد هي قتله للامام الحسين عليه السلام و شباب بني هاشم و خيار و افاضل قرابة الرسالة و اصحابه الابرار، و أسْر بنات النبوّة.

فعبيد الله ابن زياد قتل الحسين عليه السلام بأمرِ يزيد، و أسَرَ أهله و نسائه و بناته اسرَ الكفار، و ارسلهم مع رأس الحسين عليه السلام الىٰ الشام بطلب يزيد نفسه، و بامر من يزيد، و أوقفهم بباب مسجد دمشق يتفرج عليهم الناس كما يتفرجون علىٰ اسرىٰ الديلم و الكابل.

و يزيد، ليس فقط لم يتبرأ من فعل ابن زياد، و انما كافأه و حباه و قرَّبه و ادناه بدلاً عن أن يلومه علىٰ منع اطفال محمد صلى الله عليه وآله من شرب الماء، و قتله الرضّع و العجائز. و لمّا قدم ابن زياد الىٰ دمشق اجلسه في مجلسه و احتفل بجريمته و نادمه و أشعر فيه و تغنّىٰ بوحشيته في كربلاء حتىٰ قال فيه:

قاتِل الخارجيّ أعني حُسيناً   و مُبيد الأعداء و الحُسّاد!

كتب ابن عباس رداً علىٰ كتاب يزيد اليه: بلغني كتابك تذكر فيه اني تركت بيعة ابن الزبير وفاءاً مني لك و لعمري ما أردت حمدك و لا ودّك تراني كنت ناسياً قتلك حسيناً و فتيان بني المطّلب مضرّجين بالدماء، مسلوبين بالعراء تسفي عليهم الرياح و تنتابهم الضباع حتىٰ أتاح الله لهم قوماً واروهم فما أنس ما أنس طردك حسيناً من حرم الله و حرم رسوله و كتابك الىٰ ابن مرجانة تأمره بقتله و اني لارجو من الله أن يأخذك عاجلاً حيث قتلت عترة نبيه محمد صلى الله عليه وآله و رضيت بذلك و أما قولك انك غير ناس برّي فاحبس ايها الانسان برّك عني و صلتك فاني حابس عنك ودّي و لعمري انك ما تؤتينا مما لنا من قبلك الا اليسير و انك لتحبس عنّا منه

العرض الطويل. ثم انك سألتني أن أحثّ الناس علىٰ طاعتك و أن أخذهم عن ابن الزبير فلا مرحباً و لا كرامة تسئلني نصرتك و مودّتك و قد قتلت ابن عمي و أهل رسول الله مصابيح الهدىٰ و نجوم الدجىٰ غادرتهم جنودك بأمرك صرعا في صعيد واحد قتلىٰ أنسيت إنفاذ اعوانك الىٰ حرم الله لتقتل الحسين فما زلت ورائه تخيفه حتىٰ أشخصته الىٰ العراق عداوةً منك لله و رسوله و لأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيرا فنحن اولئك لآبائك الجفات الطغاة الكفرة الفجرة اكباد الإبل و الحمير الاجلاف أعداء الله و أعداء رسوله الذين قاتلوا رسول الله في كل موطن و جدّك و أبوك هم الذين ظاهروا علىٰ الله و رسوله و لكن إن سبقتني قبل أن أخذ منك ثأري في الدنيا و قد قتل النبيون قبلي و كفىٰ بالله ناصراً.(١)

٢ـ و بعد فاجعة الطف الاليمة، و قبل ان تجفَّ دموع اهل المدينة علىٰ مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام، حدثت واقعة الحرَّة في المدينة المنورة و التي فجعت أهلها بافضع الجرائم التي يندىٰ لها جبين البشرية جمعاً، و التي كشفت القناع عن كفر يزيد و أبيه، و اشعرت الناس جميعاً بالخطر الذي يتهدد اساس و مقدسات الإسلام من جهة بني اميّة.

فبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام و انتشار الخبر، احسَّ المسلمون عموماً بخطر يزيد علىٰ الإسلام، و تيقّنوا ان من جملة غاياته، هتك المحرمات و الغاء احكام الشرع و اهانة مقام الرسالة، و ان جرائمه و شنائع افعاله لن تتوقف عند حدٍّ معين.

و كان يزيد قد منع العطاء عن اهل المدينة، فتهيأت اسباب مقدمات ثورة

---

(١) تذكرة الخواص ص٢٧٥ـ٢٧٦. القمقام الزخّار ص٥٨٤. تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢١ـ٢٢٢.

عارمة عليه فيها.

و عزل يزيد والي المدينة الوليد بن عقبة و بعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان و كان فتىً غرّاً لم يجرّب الامور و لم يحنكه السن، و لم تضرّسه التجارب، و بعث الىٰ يزيد وفداً من اهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، و عبد الله بن ابي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي و المنذر بن المنذر رجالاً كثيراً من اشراف اهل المدينة، فاجتمعوا بيزيد و وهب لهم هدايا و الجوائز[١]. و بعد ان شاهدوا باعينهم فساد يزيد في قصره و مجونه و طربه و معاقرته الخمرة، شتموا يزيداً و عتبة و قالوا: انا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر و يَعزف بالطنابير و يُضرب عنده القيان[٢] و يلعب بالكلاب و يسامر الخُرَّاب و الفتيان، و إنا نشهدكم انا قد خلعناه»

و في بعض التواريخ المعتبرة ان اهل المدينة ثاروا علىٰ عامل يزيد و اخرجوه بعد ان ثبت عندهم فسقه و اسرافه في المعاصي، و جوره و ظلمه و ظلم ولاته.

فارسل لهم يزيد جيشاً بامرة مسلم بن عقبة المعروف بقساوته و ظلمه و تعديه علىٰ المقدسات الدينية و كان من تربية معاوية و معتمديه، فامره يزيد ان يستحل المدينة لثلاثة أيام، و كان النبي الاكرم صلى الله عليه وآله يقول:

«من أخاف أهلَ المدنية أخافَهُ الله و عليه لعنة الله و الملائكة و الناسِ اجمعين.»

---

(١) و خصَّ زعماء الوفد برعايته و اكبر مبلغ من المال و هو واثق من ان الوفد سيرجع بغير الروح التي كان يحملها عندما خرج من المدنية و لكن سهامه قد طاشت و ظنونه قد خابت فلم يحصل منهم غير الهجاء و السباب بعد رجوعهم من عنده الىٰ المدينة.

(٢) جمع قينة و هي المغنية.

و سار ابن عقبة بالجيش الشاميّ و كان اهل المدينة قد حفروا خندقاً لاتّقاء الجيش و حتىٰ لا تكون المعركة في شوارعها كما فعل رسول الله ﷺ في وقعة الاحزاب حينما جمع جدُّ يزيد المشركين لغزوها. و لكن ذلك لم يمنع غزاة يزيد من اقتحام المدينة و انتهت المعركة بهزيمة اهل المدينة لعدم تكافؤ القوتين فقد بلغ جيش الغزاة نحواً من ثلاثين الفاً و عدد المقاتلين في المدينة لم يتجاوز الالفين، و لمساعدة مروان بن الحكم و خيانة رجل من بني حارثة ،فاستباحوا المدينة ثلاثة ايام بلياليها و دخلت خيلهم مسجد النبي ﷺ و بقروا بطون الحوامل و استباحوا الاعراض، و استثني من ذلك الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام و ال رسول الله ﷺ لعدم اشتراكه في الاحداث التي تسببت في ذلك.

هذا و قد قُتل في هذه الواقعة الفجيعة ثمانون صحابياً من اصحاب رسول الله ﷺ و سبعمائة من اولاد المهاجرين و الانصار و اكثر من عشرة آلاف من سائر الناس.

دخل أحد جنود مسلم ابن عقبة الىٰ دار امرأة انصارية كانت ترضع طفلها فأراد أن ينهب أثاث المنزل فقالت له: و الله لم يبق لنا رفاقك شيئا. قال: لابد أن تعطيني شيئا أو قتلت طفلك. قالت المرأة: ويلك إنه ولد ابن أبي كبشة الانصاري من أصحاب رسول الله ﷺ و إني من النساء اللاتي اشتركن في بيعة الشجرة و قد بايعت علي أن لا أزني و لا أسرق و لا أقتل ولداً و قد وفيت ببيعتي ،فخف الله ربك. ثم نظرت الىٰ طفلها و قالت: بني لو كان عندي ما أفتديك به لفعلت.

لكنّ الرجل لم يرحمها و لم يرحم طفلها فأخذ الرضيع من علىٰ صدرها و ضرب رأسه بالجدار فتناثر مخّ الصبي أمام عيني امه.

و طبقاً لبعض النقولات التأريخية فان هذا الرجل لم يخرج من تلك الدار الا و

قد اسودّ نصف وجهه.[١]

و الحاصل، إنَّ استهتار يزيد و امير جيشه مسرف ابن عقبة (كما يسميه البعض) بلغ حداً أنْ وطئت خيولهم مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و بالَتْ و راثَتْ بالقرب من قبر النبي صلى الله عليه و آله و منبره الشريف،و قتلوا كل من لاذ بقبر النبي صلى الله عليه و آله فسالت الدماء في المسجد النبوي و شوارع المدينة.

و كل هذه الجرائم كانت بامر ابن ميسون، و لما انتهت الواقعة اكرم يزيد مروان الذي اعان مسرف بن عقبة علىٰ تنفيذ اوامر سيده يزيد.

٣ـ و من جملة شنائع افعال يزيد انه أجبر اهل المدينة علىٰ بيعته علىٰ انهم عبيد قنٌّ له، و ختم اعناقهم بختم العبيد!!

و لما انقضت الايام الثلاثة أمر اللعين مسرف بن عقبة باحضار الاسرىٰ مكبلين بالاصفاد، و احضر سائر الناس و من نجىٰ من القتل و أخذ منهم البيعة ليزيد قسراً علىٰ ان تكون اموالهم و ارواحهم ملكاً ليزيد يفعل بها ما يشاء!! و من رفض او اعتذر قتل فوراً.

و اول من جيئ به لاخذ البيعة هو عبيد الله بن ربيعة ابن امِّ سلمة زوجة النبي صلى الله عليه و آله و عندما طُلب منه البيعة قال: ابايع علىٰ كتاب الله و سنّة رسول الله صلى الله عليه و آله. فقال له مسرف: تبايع علىٰ انك مملوك ليزيد يفعل بمالك و اولادك ما يشاء! فامتنع عبد الله من ذلك فامر اللعين مسرف بضرب عنقه.

و هكذا اخذ مسرف البيعة من كبار الصحابة و التابعين و سائر الناس الاّ علي بن الحسين عليهما السلام، علىٰ انهم عبيد قَنّ و ختم اعناقهم كما يختم علىٰ الجياد بعلامة

---

(١) البداية و النهاية لابن الاثير. تاريخ الطبري ج ٤ و ج ٥. مروج الذهب ج ٢.

الملكية، و كذلك ختم علىٰ راحة أيديهم كما يُفعل بالعبيد.

و بهذا يكون اهل المدينة قد دفعوا لبني اميّة ضريبة خدماتهم للاسلام و التوحيد و النبوة و المسلمين زمن هجرة النبي ﷺ اليهم، فانتقم يزيد منهم لوقوفهم الىٰ جنب النبي معرباً عن حقده و حقد آبائه الدفين تجاه الانصار.

٤ـ و الفاجعة الرابعة هي تعرُّض يزيد و هجوم جيشه علىٰ بيت الله الحرام و هتك حرمة الكعبة الشريفة و ضربها بالمنجنيق و احراق ستائرها و هدمها و هي قبلة المسلمين و ملاذهم و امنهم(١)

كفر يزيد

مما تقدم في ذكر قبائح أفعال يزيد، يزول الشكُّ في كفره عند المنصف المتجرد عن العناد و التعصب. حيث تبيَّن ان يزيد بن معاوية لا يرىٰ ايَّ قدسيةٍ و احترام لمسجد و روضة النبي ﷺ و الكعبة المشرفة، و لم يكن مؤمناً أبداً برسالة و نبوة محمد بن عبد الله ﷺ و لولا ذلك لما تجاسر بتلك الوحشية و الاسراف و هتك حرمة تلك المقدسات الاسلامية. و بالتدقيق في تصرفاته و تصرفات ابيه، يتضح جلياً انه لم يكن ليستحي من ارتكاب ما ارتكب حتىٰ لو كان النبي صلى الله عليه و آله علىٰ قيد الحياة اذا تمكن و قدر علىٰ ذلك، و لم يتوانىٰ عن قتل رسول الله ﷺ سائراً علىٰ درب

---

(١) لمزيد الإطلاع علىٰ واقعة الحرّة و ختم اعناق المسلمين و تلك البيعة الخبيثة و هدم الكعبة، راجع: الامامة و السياسة ج٢ ص٢٢٠ـ٢٣٢ و ج٢ ص١١. تاريخ الخلفاء ص١٤٠ـ١٣٩. السيرة الحلبية ج١ ص١٩٩ـ١٩٥. الاخبار الطوال ج١ ص٢٢٠ـ٢٣٧. تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢٣ـ٢٢٤. مروج الذهب ج٣ ص١٩ـ١٧. تذكرة الخواص ص٢٩٩ـ٢٨٩. شرح نهج البلاغة ج٣ ص٤٧٠. تاريخ الطبري ج٤ ص٣٧٠. الكامل لابن الاثير ج٣ ص٣١٠.

اسلافه من بني اميّة في حرب بدر و احد و خندق.

و مضافاً الىٰ تجسيد يزيد الكفر عملياً، فقد كان يصرح بلسانه و اشعاره بكفره و عدم ايمانه، و قد ورد انه لمّا وضع رأس الحسين بن علي عليهما السلام بين يديه، أخذ يضرب الراس الشريف بعود خيزران و انشد يقول:

يا غُرابَ البَين ما شِئتَ فقُل   إنَّما تَندُبُ أمراً قَد حَصل
لَيتَ أشياخي بِبَدرٍ شَهِدوا   جَزَعَ الخَزرَج من وقَع الأَسل
فأهلُّوا، و استَهلُّوا فَرَحاً   و لَقالوا يا يَزيدُ لا تَشلْ
قَد قتَلنا القَرنَ مِن ساداتِهِم   و عَدَلنا قَتلَ بَدرٍ فاعتَدِل
لَعبَت هاشمُ بالمُلكِ فلا   خَبَرٌ جاء و لا وحيٌ نزَل
لَستُ من خَندفُ إن لَم انتَقِم   من بني احمدَ ما كانَ فَعَل [(١)]

يقول ابن عقيل: و من الادلة علىٰ كفر و زندقة يزيد اشعاره المتضمنة لمعاني الكفر و خبث السريرة و لؤم العنصر، و من جملتها:

عُليّةُ هاتي و اعْلني و تَرنَّمي   بِذلكَ اِنِّي لا احبُّ التَناجِيا
حَديثُ أبي سفيانَ قَدماً سُمي بِها   اِلىٰ أحدٍ حتىٰ أقام البواكيا
ألا هاتِ فاسقيني علىٰ ذاك قَهوَةً   تُخبرها العنسى كرماً شآمياً
إذا ما نَظَرَنا في أُمورِ قَديمَةٍ   وَجَدنا حلالاً شُربَها مُتواليا
و إن مِتُّ يا أُمَ الأُحيمر فانكحي   و لا تأملي بَعدَ الفِراقِ تلاقيا
فإن الَّذي حدثَته عن بَعثنا   أحاديثُ طَسم تَجعلُ القلبَ ساهيا

---

(١) البداية و النهاية ص٩٢ و ص ١٩٧ و ص٢٠٤. تذكرة الخواص ص٢٧١ و ص٣٠٠. مقاتل الطالبين ص١٢٠. الاتحاف ص١٨. السيدة زينب ص١٨-١٧. البدء و التاريخ ج٦ ص١٢. حفيدة الرسول ص٥٨.

و لا بُـــدَّ لي مــن أن أزورَ مُحــمَّداً بَمشمولةٍ صـفراءَ تـروي عـظامِيا

و من جملة أشعاره ايضاً:

مَـــعشَر النـــدمانِ قُـــومُوا و اسمَــعُوا صوتَ الأغـاني

و اشرَبـــوا كأسَ مُـــدامٍ و اتـــركُوا ذكـــرَ المَــعاني

أشــغَلَتني نَــغمَةُ العــيدانِ عَـــــن صـــوتِ الاأذن

و تَــعوضتُ عَــن الحُــور عَـــجوزاً في الدنـــانِ [1]

و من اشعاره الدالة علىٰ كفره:

لّمــا بَـدَت تـلكَ الحُـمول و أشرَقَتْ تــلكَ الشـموس عـلىٰ رُبىٰ جـيرونِ

نَــعِبَ الغــراب فَـقُلتُ نح أولا تَـنُحْ فَـلَقَد قَـضَيتُ مـن الغـريمِ دُيـوني [2]

الحالة الاجتماعية في عصر يزيد

يعتقد محققوا علم التاريخ و الاجتماع إنَّ الانحطاط الاجـتماعي و الاخـلاقي للمسلمين تسارع منذ عهد عثمان بن عفّان و تسلط بني اميّة علىٰ رقاب المسلمين.

و في عصر معاوية و بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام كـان إنحـدار المجـتمع الاسلامي سريعاً جدا. فظهر التفاوت العجيب بين حالة المجتمع و قتذاك و حالته زمن النبي صلى الله عليه وآله و خلافة أمير المؤمنين فـالمبادئ الفكـرية انحـرفت، و الأخـلاق تغيرت، و العادات و السلوك الاجتماعي تبدَّل، و دبَّ الفساد الاداري في مـرافئ الدولة، و عادت مظاهر حكومات ايران و الروم التي كسحتها المفاهيم الاسلامية و

(١) تذكرة الخواص ص٢٩١.

(٢) تذكرة الخواص ص٢٦١.

القيم السماوية، و بدأ تأويل الشريعة و القران و الاحكام، بما ينسجم مع الميول و الرغبات الشخصية، و بدأ التفتيش في عقائد الناس و التجسس علىٰ معتقداتهم و محاربة المعتقدات التي تخالف منهج بني اميّة في الحكم، و ابتدأ تطبيق منهج جديد في تربية الناس علىٰ الخنوع و الخضوع و الاستسلام للظلم و السكوت عن الحق و التملق و التزلف للولاة و الجباة و الظلمة، و اشاعة فكرة أحقيَّة معاوية و استخلافه و سعة صلاحياته.

و امّا في الامور التي ينبغي الرجوع فيها الىٰ آراء عامة الناس (كالبيعة) فلم يكن غير رأى الحاكم و ارادته محترماً، و كانت الآراء تؤخذ تحت بريق السيف و لمعان رأس السنان و صليل الحراب، و بما يتناسب مع ميول بني اميّة، و كانت الاستفتاءات التي يعبَّر عنها في ذلك الوقت بالشورىٰ!! مجرَّد مسرحيات سافرة.

فلقد كان معاوية يرتقي المنبر في مجمع كبير مثل مسجد النبي صلى الله عليه وآله حيث يجتمع المخالفون لولاية عهد يزيد، و يعلن بكل وقاحة و صلافة، انَّ المسلمين اجمعوا علىٰ انتخاب يزيد و بيعته و أنَّ اهل الحلِّ و العقد هم الذين رشَّحوا يزيداً لولاية العهد!! و الحال، إنَّ الجلادين و القتلة يصطّفون تحت منبره لقمع و كتم انفاس ايِّ معترض مهما علا شأنُه.

فرجال الإسلام الذين جاهدوا لمرضاةِ الله و استقبلوا الموت في سبيله بافتخار، و قطعوا طمعهم عن الدنيا و ملذاتها و قنعوا ببساطة العيش الكريم و ذابوا في حبِّ العدالة الاجتماعية، و لم تأخذهم في الله لومة حاكم او جائر و ظالم و كانوا كابي ذر الغفاري رضوان الله تعالىٰ عليه جادّين من اجلّ تعاليم القران و المطالبة بتطبيق احكام الشرع المبين، هؤلاء تخلّوا عن مواقعهم لا ناسٍ انكبّوا علىٰ الدنيا و زينتها و أموالها، و اعمت بصائرها الشهوات و الملذات و طيب العيش و القصور و

الموائد اللذيذة، و اضعف قواهم الاخلاقية حبُّ الدنيا، فقبلوا الذلّة و الاستكانة و الخنوع طمعاً في الدراهم المعدودة التي يستلمونها من بيت المال، و اطاعوا الفرامين الجائرة وسكتوا عن الحق و تخلوا عن الغيرة و الرجولة و العزِّ و الشرف و الكرامة و الإنسانيّة.

و لم يعُد هناك من يأتمر باوامر رئيسه اذا ما دعاه الىٰ العمل بالقانون، و لم يَعُد هناك من يتمرد علىٰ اوامر رئيسه اذا ما دعاه الىٰ مخالفة القانون، فلقد باع الجميع انفسهم بالجوائز و الهبات الحقيرة، فصاروا عبيداً لمعاوية و يزيد و زياد و شمر و الاخرين من نظائرهم المتردية و النطيحة، فلم يَعُد للقوانين معنىٰ إلاّ تلك التي تصدر عن بني اميّة.

و ان وُجد من يتمنع من اجراء القوانين الظالمة ـكوالي خراسان ـ فانهم يتعرضون للتصفية الجسدية و يُبعدون عن ساحة الاحداث.

و لم يَعُد مهماًللمسلمين ايُّهما يحكم، يزيد و معاوية ام الحسين و علي عليهما السلام، فان المهم عندهم هو مصالحهم الشخصية التي تتحقق لهم في حكومة بني اميّة فوالَوْا حكومة بني اميّة.

كان الخمول و الركود و الخنوع و السكوت و الخوف قد عمَّ كل نواحي الحياة الاجتماعية، و تُرك الامرُ بالمعروف و النهي عن المنكر، و كانت اجهزة السلطة الاموية تمنع منهما.

و لم يعد للخطباء دور إلاّ التمجيد و الدعاء و الثناء للولاة و لمعاوية و يزيد، و لعن و ذمِّ الاخيار و الصلحاء و اولياء الله. و قد أخذ الفقر و الفاقة مأخذهما من الناس، و صرفت اموال بيت المال في البذخ و الحفلات الماجنة و الجوائز و الهبات و العطايا و الصلات لغير مستحقيها، بدلاً من صرفها في مصالح المسلمين و التوسعة

عليهم و تطوير اقتصاد الدولة الاسلامية و اعمارها، فاستشرت تجارة الغلمان و الجواري و مجالس اللهو و الطرب و الخمر و القمار و الرقص.

و قد انحدر مستوىٰ الثقافة و العلم و الفكر و التديُّن و الايمان حتىٰ وصل الىٰ ادنىٰ مستوياته و ضعُفت الارادة الاجتماعية و العزم الوطني الاسلامي الىٰ درجة ان احداً لا يمكنُه الاعتراض علىٰ موظفٍ صغير في جهاز الحكم علىٰ مخالفاته القانونية.

و وصل القمع الفكري و الديني الىٰ حدّ لم يبق معه من الإسلام الاّ اسمه و من القران الاّ رسمه، و تفشّىٰ التلاعب بالاحكام و القوانين الاسلامية، و انحصرت الملاكات و موازين الامور في ارادة الحاكم و مزاج جهاز الحكم.

و سقطت اسلامية القوانين عن الاعتبار، و عمّ القمع الىٰ درجة ان معاوية نفسه يمنع عبد الله بن عباس و هو من كبار الصحابة و المعروف بحبر الامّة، من تفسير القرآن و بيان الحقائق، و مُنع تداول احاديث اهل البيت و نقلها، و كان البحث العلمي و التفسير و الحديث، و بيان احكام الحلال و الحرام، تحت مراقبة اجهزة السلطة الاموية و عيون بني اميّة.

و الحاصل، وكما قال الإمام الحسين عليه السلام: **«لقد أماتوا السنة و احيَوْا البدعة، و الحق لا يُعمل به و الباطل لا يتناهىٰ عنه»**.

و اوضح دليل علىٰ ما قلناه هو تخاذل الناس عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام، أولئك الذين كانوا يتمتعون بالقدرة القتالية و التسليحية و الرغبة في الخلاص من حكم بني اميّة في وجدانهم، و الذين كتبوا الىٰ الإمام الحسين عليه السلام ان اقدم الينا فقد اينعت الثمار و اخضرَّ الجناب... الخ و بايعوا سفيره مسلم بن عقيل علىٰ اقامة العدل و محاربة الظلم و الجور و الكفر، و احياء الدين و الشرع الحنيف، و لكن و بمجرد ان جاء عبيد الله بن زياد و خوَّفهم بجيش وهمي و رغَّبهم بالمناصب و طمعهم بالاموال

و المنال، باعوا دينهم بدنيا غيرهم و نكثوا بيعتهم، بل و انضمّوا الىٰ صفوف المحاربين لامامهم و تركوه لدىٰ الهياج وحيداً حتىٰ قُتِلَ هو و اهلُ بيته و اصحابه البررة و أُسِرَتْ نساؤه و اطفاله و جيئ بهم الىٰ الكوفة امام أعين اولئك الذين كاتبوه و بايعوه و عاهدوه علىٰ التضحية من اجله و اجل اهل بيت الرسالة!! فايُّ دليل علىٰ انحطاط المجتمع فكرياً و عقائدياً و اخلاقياً اوضح من هذا التخاذل؟؟

و لقد ذكّرنا سابقاً بهذا التدني الاخلاقي و قلنا أنَّ جيش الكوفة كان جيشاً حاربت يداه و رجلاه و لسانُه، و جدانَهُ و فكرَه و روحَه، و كما وصفهم الفرزدق:

قلوبهم معك و سيوفهم عليك!

إنَّ الذي جاء بعمر بن سعد و شبث بن ربعي و عمرو بن الحجاج و حجّار بن ابجر و الاخرين الىٰ كربلاء، لم يكن الاّ حبُّ الدنيا و الخوف من خسارة المال و المنصب، لا عدم القناعة بالواقع المرّ.

تأملوا في اجوبة عمر بن سعد للامام الحسين عليه‌السلام فيما طلب منه أنْ يلتحق به و يترك بني اميّة، لم يقل عمر بن سعد: إنَّ الحق مع بني اميّة، و لم يقل إنَّ الحسين علىٰ باطل او إنَّ حركته ليست اصلاحية، لكنه قال: **اخاف أنْ يخرب داري!**

فقال له الإمام عليه‌السلام: اعوضك بخير منها.

فقال: اخاف ان يصادر ضيعتي.

قال الحسين عليه‌السلام: انا اعوضك بضيعة لي في الحجاز.

قال: اخاف علىٰ اهلي يقتلهم ابن زياد.

فانت ترىٰ ان كل اعذار عمر بن سعد ناجمة عن خوفه و عن طمعه بالدنيا و المال، و كان دافعه الأول و الأهم هو ملك الريّ و هكذا حال الاكثر من اولئك الذين حاربوا الحسين عليه‌السلام فلقد كانت روح اليأس و الخوف و الانحطاط الفكري و

التدني الخُلق و الطمع في الدنيا و زينتها الزائلة، فكانت الامّة في سُبات و خمول و خنوع و جُبن، و فقدان ارادة و عزيمة.

و كيف يرتجىٰ غير ذلك من امّةٍ يتسلط عليها امثال معاوية و يزيد و مسلم بن عقبة و زياد و المغيرة و عمرو بن العاص و الحصين بن نمير و عبيد الله بن زياد؟

كيف يرتجىٰ منهم غير الدناءة و الرذالة و الخسّة و الفساد و دنو الهمّة و الضعة و السفالة؟

و مثل هذه الامة، لا يُتوقع منها ان تقف الىٰ جنب المصلحين و الرساليين و اولياء الله، و لا يرتجىٰ منها الفداء و التضحية من أجل المبادئ و المثل السامية، و ان مثل هذه الامة الميتة تحتاج الىٰ حركة اصلاحية قوية كحركة الإمام الحسين عليه السلام تهزّ ضميرها و توقظها من سبات الخنوع و الذلّ.



البحث الثالث

دواعي ثورة الحسين عليه السلام

دواعي الثورة[1]

١ـ امتثال التكليف الالهي

قد يكون المحرك و الدافع لثورة و نهضةٍ ما هو المنافع المادية و الامور الدنيوية و الاغراض الشخصية و بعبارة، هوىٰ النفس و طلب الشهرة و المقام.

و قد يكون الدافع مقدساً كحبِّ الخير و الفضيلة و الاصلاح و امتثال التكليف الالهي و الوظيفة الشرعية.

---

(١) لا يخفىٰ عدم وجوب معرفة علل و اسرر افعال النبي و الأئمة عليهم السلام و لا معرفة الحكمة و المصالح الكامنة في ما يقوم به، و ذلك لا يوجب خللاً في مقام النبوة و الامامة، بعد ان ثبت عصمتهم و وجود الملاكات في ما يقولون او يفعلون او يتركون و يحرّمون، نظير مجهولية كثير من مصالح الخلقة في عالم التكوين لدىٰ البشر، و لا يجيز ذلك إنكارها و انكار حكمة خالق الكون، و يعود ذلك الىٰ محدودية تعقلات الكائن البشرىٰ و ضيق قطر دائرة ادراكه لاسرار عالم التكوين. و كذا الحال في عالم الشريع و منهج الانبياء و الاولياء، فاذا لم يبيِّنْ نفسُ الأنبياء و الأولياء المصالح و الملاكات في افعالهم، فانهىٰ ستبقىٰ خافية علىٰ الذهن البشرىٰ العام، و مثال ذلك ما ورد في قصة النبي موسىٰ عليه السلام و الخضر عليه السلام. فنحن عاجزون عن ادراك علل افعال الإمام الحسين عليه السلام و بحثها و التحقيق فيها. و عليه فما سنقوله في هذا القسم من الكتاب في دواعي نهضة الحسين عليه السلام لا يُعدُّ توجيهاً و تصويباً لثورته الشريفة، اذ اننا نعتقد ان كل ما يقوم به الإمام عليه السلام و من جملة ذلك حركته في كربلاء، هي عين الصواب و الحق، كما اننا لا ندعي الاحاطة بكل حِكَم و مصالح هذه الثورة المقدسة، اذ يسع مياة البحر الاّ البحر نفسُه، و انما غرضنا من هذه البحث هو توضيح بعض الافكار و تقوية مباني الأخلاق و الايمان عند طبقة الشباب من المجتمع.

و من الضروري، أنَّ الدوافع المادية الشخصية تجرّد العمل عن قدسيته و ممدوحيته و سُموِّه، و يكون اقرب للغرائز و الميول الحيوانية، بحثاً عن العلف و الطعام، و اكثر الناس لا تسمو أهدافهم و أغراضهم عن الرغبات الحيوانية.

اجل، إنَّ هؤلاء الناس، اذا ما سعوا للحصول علىٰ المنافع المشروعة حتىٰ المادية منها، و لم يخونوا الاخرين و لم يظلموا حقوقهم و لم يعمهم الطمع و الجشع، و كانوا مراعين للآداب الشرعية و الاخلاقية، حينئذٍ لا يمكن ملامتهم و ذمِّهم، بل يقال عن مثل هؤلاء انهم اجتازوا عالم الحيوانية و وضعوا اول قدم في عالم الإنسانيّة المقدس، و سوف يثابون علىٰ أعمالهم، فهم مصداق قوله تعالىٰ:

«وَ مِنهُمْ مَنْ يقولُ ربَّنا آتِنا في الدُنيا حَسَنَةً و في الآخِرَةِ حَسَنَةً»(١)

و أمّا اذا حاولوا الوصول الىٰ مرادهم و اغراضهم عن طريق هضم حقوق الآخرين و بالطرق اللامشروعة، استحقوا الذمَّ و الملامة، بل و المحاسبة و المعاقبة و صاروا في عداد الطغاة و الظالمين و السارقين و المرابين و القتلة و الفساق و... نظائرهم.

و لذا، فان اكثر أخيار المجتمع هم اولئك الذين يتوسلون بالطرق المشروعة لتحصيل اغراضهم المادية الشخصية، كما إنَّ اكثر روّاد الطرق الملتوية المنحرفة عن الشرع، هم اولئك الذين يحاولون اشباع حاجاتهم باي وسيلة حتىٰ لو كانت محرمة، فالحرام و الحلال مترادفان في قاموسهم، و ليس للطمع و الجشع عندهم حدٌّ ادنىٰ أو أقصىٰ.

و متىٰ ما كان المحرّك، حبُّ الخير و امتثال التكليف الالهي، و الخلوص لله، و

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠١.

خدمة الإنسانيّة، كان العمل منتسباً الىٰ الإنسانيّة و الكمال، و تبعاً لذلك يستحق فاعله المدح و الثناء و التشويق، و المحبوبية عند الناس لحسن ذلك العمل عقلاً و بالذات.

و لعلَّ من ابرز ما اكَّد عليه الانبياء في منهجهم التربوي، هو ايصال الناس الىٰ الكمال بحبِّ الخير و اشاعة المحبّة و العلم و العدالة و هداية المجتمع و سوقه نحو هذا المحور المقدس، لتتمركز المصالح و الاغراض في نقطة واحدة و مركز متوحد فيكون سير البشرية اجمع نحو ذلك المركز و يتحقق الكمال الاجتماعي البشري العام.

و ما ذكر، ليس الاّ اشارة الىٰ هذا البحث العميق، و تفصيل الكلام فيه يوجب الاطالة و يُبعدنا عن المقصد من هذا الكتاب.

و هناك صنفٌ من البشر، يسمو محركهم و تترقّىٰ دواعي افعالهم علىٰ كل هذه العوامل و تتفاضل علىٰ كل تلك المقاصد فهؤلاء هم عباد الله الحقيقيين، و الخواصّ من اوليائه، فلا يعنيهم ما سوىٰ العبودية لله و الطاعة لاوامره و الامتثال لاحكامه. فلا تستند حركاتهم و سكناتهم إلاّ الىٰ معرفتهم باستحقاق الله لهم، فليست مصلحة المأمور به و لا مفسدة المنهي عنه، يعبدون، و لا للفائدة و الملاكات يمتثلون. فان ذلك في قاموسهم تجاوز علىٰ الحدود و فضولية و جرأة علىٰ المولىٰ، بل لانهم وجدوا الله أهلاً للامتثال فامتثلوه، فالموثر الوحيد و المحرك الفريد لهم و المتصرف الكامل بهم و باموراتهم هو الله و الداعي الىٰ نهضتهم و ثورتهم و سكوتهم هو الأمر الالهي، اولئك الذين صدق في حقهم:

«عبادٌ مُكرَمونَ لا يَسْبِقونَهُ بالقَوْلِ وَ هُم بِأمرِهِ يَعلَمون»(١)

---

(١) سورة الانبياء، الآية ٢٧.

و كلّما علت و خلُصت مرتبة توحيدهم، كلماكمل تسليمهم و نيّاتهم من جهة الامتثال، حتىٰ يصلوا الىٰ مرحلة فناء مقاصدهم و مطالبهم و رغباتهم في المطلوب الحقيقي و المقصود بالذات و منتهىٰ الآمال، و تمحىٰ من صفحة وجودهم إنيّاتهم و آمالهم الشخصية. فالتوحيد و ايمانهم الخالص و المنزه من الشوائب، يسوقهم نحو الله لا غير، و كما ورد في كلمات ابي عبد الله الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة:

« أنتَ الَّذي أزَلتَ الأغيار عَنْ قلوبِ أحبّائِكَ حتّىٰ لم يُحبُّوا سِواكَ وَ لَم يلجَئُوا الىٰ غَيرِكَ »

اذن، فعلل و دواعي حركتهم ليست الاّ الأمر الالهي و حبِّ الله و رضاه، و لذا يقولون:

« اللهم إرزُقني حُبَّكَ و حبَّ كلِّ عَمَلٍ يُوصِلُني الىٰ قُربكَ »

و شعارُهم و ذكرهم:

« لا إله الاّ الله و لا حَوْلَ و لا قُوَّةَ إلاّ بالله و أُفَوِّضُ أمري الىٰ اللهِ و حَسبُنا اللّهُ و نِعمَ الوَكيلُ و الله أكبَر. »

طاعتهم اسمىٰ من طاعة الطمع بالحور و قصور الجنّة و الثواب و اعلىٰ من طاعة الخوف من النار و العذاب و العقاب يوم النشور، و انما طاعتهم ممحضة و خالصة من كل نفع الاّ القرب من الله بامتثال امره، وكل ما سوىٰ ذلك ذنبٌ عندهم.

و لقد كان الانبياء و الائمة الطاهرين و هم الادلة علىٰ التوحيد الخالص و السابقون في قافلة الموحدين و عباد الله المخلصين، هم خيرة هؤلاء المكرمين و سادة الخلق اجمعين.

فمطالعة تاريخ سيرة هؤلاء هي اسمىٰ درس تتعلمه الإنسانيّة.

يقول ابراهيم الخليل:

«إِنِّي ذاهِبٌ الىٰ رَبِّي سَيَهدينِ»[١]

و يقول:

«إِنّي وَجَّهتُ وَجهيَ للَّذي فَطَرَ السماواتِ و الأرضِ حَنيفاً مسلماً و ما أنا مِنَ المُشرِكينَ»[٢]

و كان خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله يقول:

«إنَّ صَلٰوتي و نُسُكي و مَحيايَ و مَماتي لله ربِّ العالَمين لا شَريكَ لَهُ»[٣]

و لقد كان أمير المؤمنين و اولاده المعصومين من بعد النبي النموذج الاعلىٰ للتوجه الخالص للمبدأ و في التوحيد.

فعليٌّ هو الذي وصفه النبي صلى الله عليه وآله بان السماوات و الارض لو وضعت في كفَّة ميزان، و وضع ايمان عليٍّ في الكفة الاخرىٰ لرجح ايمان علي عليه السلام.

فطلب الحق و العدل و العبودية لله و الزهد و التقوىٰ و الشجاعة و الصراحة و كل الصفات الإنسانيّة السامية، قد تجسدت في علي و آله عليهم السلام و لقد كان عليه السلام ثمرة شجرة التوحيد و عبادة الله و التسليم الخالص للمبدأ عزوجل، و كان اذا خُيِّرَ بين أمرين اختار اشدّهما عليه و ارضاهما لربِّه.

و من أوضح مظاهر الخلوص و الطهارة، و تجلّيات الحقيقة و طلب الحق و اهل هذا البيت، ثورة الحسين عليه السلام ضد يزيد و حكومة بني اميّة، فكانت ثورة الهية خالصة و نهضة دينية صادقة.

---

(١) سورة الصافات، الآية ٩٩.

(٢) سورة الانعام، الآية ٧٩.

(٣) مستلهم من الآيات ١٦٢ـ١٦١ من سورة الانعام. «قُل ان صلاتي و نسكي و محيایَ و مماتي لله رب العالمين لا شريك له...».

فالحسين عليه السلام في ثورته لم يكن طالبَ حكمٍ و سلطان و مقام دنـيوي، و لا طامعاً في نفوذ و مالٍ و ثروة، و انما امتنع عن بيعة يزيد، طاعة لله تعالىٰ، و تـرك الحرمين الشريفين مهاجراً الىٰ العراق امتثالاً لامر الله عزوجل، و جاهد في الله لله، و لم يدْعُهُ الىٰ تلك الحركة الاّ امر الله و أداء التكليف.

و لذا، فان افضل ما يمكن التعبير به عن علل ثورته عليه السلام، هو الأمر الالهي، و هذه حقيقة يؤيدها التاريخ و الدين و سيرة الحسين عليه السلام.

فالتاريخ شاهدٌ علىٰ ان أوضح دليل علىٰ خالص نية الحسين عليه السلام، و عـظيم إثرته و محض تسليمه لامر الله، هو تضحيةُ الحسين عليه السلام و فداؤه.

و ايُّ دليل و شاهد علىٰ طهارة النيّة و صفائها، و شفافية الباطن، و التوحيد الخالص، أفضل من عزم الانسان علىٰ ملاقات الحتوف في سبيل الله، و استقبال المصائب و البلايا في رضا الله، و افتجاعه بفقد اعزِّ اولاده و إخوته و اصحابه، و أسرِ أطفاله و نسائه، و آهات و أنّات العطاشىٰ و الثكالىٰ؟

و من ثمَّ، فمشتبهٌ تماماً من يتخيل أنَّ المـصالح السـياسية و المـنافع المـادية الشخصية او الصراعات القبلية العشائرية و العائلية، كان لها ادنىٰ مدخلية في ثورة الحسين عليه السلام، فضلاً عن تصور كونها العلل الاهم في ذلك، فان الحسين عليه السلام هو ولي الله الكامل، و العبد الذي عرف معنىٰ العبودية الخالصة لله، و اندكَّ مرادُه في ارادة الله فلم يَعُد لما تريدُه نفسه اي معنىٰ في قبال ارادة ربِّه.

لقد كان الحسين عليه السلام علىٰ يقين علمي و عملي بان الله رقيبُه و حافظُه، و كان الحسين عليه السلام يرى الله بعين المعرفة و بصيرة الايمان، و لذا كان كلامه و خطابه:

«عَمِيَتْ عَينٌ لا تَراكَ عَليها رَقيباً، و خَسرَت صَفَقَةُ عَبدٍ لم تَجْعَلْ لَه مِن حُبِّكَ نَصِيباً»

و ادعية الحسين عليه السلام يوم عرفة و يوم عاشوراء و غيرها ترشدنا الىٰ رفيع أحاسيسه الروحانية، و ذوقه و دركه الوجداني اللطيف، و الىٰ تجلّي عميق ارتباطه بالله، و من حمل مثل هذه المعرفة بالله، و هذه المرتبة العالية من الاخلاص، محالٌ ان يخطو خطوة في غير رضا الله تعالىٰ و امتثال أمره.

كما ان كل الروايات و الاحاديث الواردة في سيرة الحسين عليه السلام و سماته و صفاته و اخلاقه، تدل علىٰ محض الامتثال، كما انها واضحة في ان النصر العسكري الظاهري، لم يكن منظوراً ابداً للحسين عليه السلام، و لم يكن في حسبانه تحقيق المكاسب السياسية و الزعامة و السلطة، بل كانت حركته اصلاحيةً محضة، كما كانت حركة جدِّه رسول الله صلى الله عليه و آله و دعوته، دعوة و نهضة الهيّة سماويّة لهداية البشرية، و لم تهدف يوماً مّا تحقيق مآرب سلطوية فئوية، و نيل مكاسب دنيوية عابرة، فالملاك كل المِلاك في الحركتين هو امتثال امر الله، و من هنا كانت حركة الحسين عليه السلام امتداداً لدعوة النبي صلى الله عليه و آله و مكملةً لها:

« إنْ كانَ دين محمّدٍ لا يَستَقِمْ إلاّ بقَتلي يا سيوفُ خُذيني »

فمهما قيل في تفسير ثورة الحسين عليه السلام، و اي تعبير استعمل لترجمتها و سواءٌ قيل انها امتحان و ابتلاء الهي، أو انها حركة لتحقيق اهداف الانبياء و الاولياء، أو أنَّها محاولة لتاسيس أو تجديد الحكومة الاسلامية العادلة، أو انها مامورية و تعهدٌ التزمه الحسين عليه السلام علىٰ نفسه من عوالم الغيب، أو انها مشاهد لتجلّي اعلىٰ مراتب الخلوص لله عند البشر، و الدفاع عن الحق و العدل و الدين، أو أنها أبرز تجلّيات الصبر و الصمود و العزّة و الاباء و الفداء و كمال الروح و النفس، و مهما فسَّرَ العارف و الفيلسوف و المورخ و المحدث و الشاعر، و مهما قيل في عظمة هذه الثورة المقدسة، فالكل ينتهي الىٰ معنىً واحد و هو إنَّ ما قام به الحسين عليه السلام ليس إلاّ

مامورية إلهية متميِّزةً، و رمزاً غيبياً و سرّاً سماوياً، و إنّ الذي دعىٰ الحسين عليه السلام الىٰ تحمل كل تلك الرزايا و البلايا هو الأمر الالهي و حسب.

و قد جرت العادة في الثورات و الحركات السياسية أنْ يتشبث قادتها بشتىٰ الوسائل و الطرق ـ حتىٰ المحرمة و القبيحة ـ لتحقيق مآربهم و تحشيد القوىٰ و الطاقات و تجميع الاسلحة و المعدات الضرورية لحركاتهم.

و حتىٰ قادة الحركات النزيهة و الشريفة فان لهم بعض الثوابت التي تعدُّ ضرورية و لازمة لنجاح حركاتهم و كسب الأنصار و المؤيدين، من قبيل إشاعة روح النصر فيهم و عدم إخبارهم باحتمال الهزيمة و الانكسار أو القتل و الشهادة أو الأسر فضلاً عن أسر النساء و قتل الاطفال و نزول البلايا و المصائب بهم.

كما ان هؤلاء يختارون الاماكن الآمنة لهم و لاتباعهم و خاصة تلك الاماكن المقدسة المحترمة عند الجميع و التي يضطر العدو الىٰ عدم مهاجمتها لعلمه المسبق بالعواقب الوخيمة لهذا العمل.

و اما لو كان العكس، فاخبر القائد قواته بالمصير المأساوي الذي ينتظرهم و انهم مقتولون لامحالة، و أن عوائلهم ستسبىٰ و أن اموالهم ستنهب و أن اطفالهم ستقتل و ان رؤوسهم ستقطع، و خيَّرهم بالانصراف و اذن لهم بالرحيل عنه، و ترك المكان الآمن و اختار صحراء قاحلةً بعيدة عن الاعلام و دعاهم الىٰ استقبال الموت و الشهادة و كان هو في مقدمة الفدائيين المستميتين و المضحين بكل غالٍ و نفيس حتىٰ الرضَّع من اولاده، فمثل هذا القائد لا يمكن اتهامه بطلب الرئاسة و الزعامة و المال و النفوذ بل سينظر الناس اليه علىٰ ان ثورته ثورة صادقة مبدئية، و مثل هذا القائد لا يجتمع اليه اهل الطمع و المرتزقة و طلاّب الدنيا و المال و المقام الذين ينخرطون مع كل حركة و ثورة من اجل المكاسب و الغنائم.

و الآن تعالوا معنا لقراءة ثورة الحسين عليه السلام من هذا المنظار:

ألف: التنبوء بالقتل

لقد جاء في روايات متواترة لفظاً و معنىً ان الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه و آله أخبر باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام و هذه الروايات ضبطت في أصح كتب التاريخ و الحديث، و قد نقل هذه الاخبار صحابة النبي صلى الله عليه وآله و زوجاته مباشرةً أو بوسائط.

و عندما عزم الحسين عليه السلام علىٰ ترك المدنية الىٰ مكة، و كذلك عندما ارد الخروج من مكة الىٰ العراق، جاءه كثير من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله و كبار رجالات الإسلام و الشخصيات المعروفة عند عامة المسلمين و حاولوا اقناعه بعدم الخروج و حذَّروه من القتل في العراق، مندفعين من أمرين:

الأول: علمُهم و يقينهم باستشهاد الحسين عليه السلام في هذا الخروج لما بلغهم من كلام الرسول صلى الله عليه وآله و ما سمعوه عنه مباشرة و اخباراته المتكررة بقتله عليه السلام.

الثاني: بملاحظة الاوضاع السياسية القائمة آنذاك و استيلاء بني أمية ببطشهم و طغيانهم، و ظلمهم الذي عمَّ كل انحاء البلاد الاسلامية و خنوع الامة الاسلامية و سكوتها عن الحق. فقد عاش هؤلاء فشل اهل الكوفة زمن أمير المؤمنين و الإمام الحسن عليه السلام في الدفاع عن الامامة و الحق، فكان مصير الحسين عليه السلام واضحاً و انه يسير نحو الشهادة و القتل، و ان احتمال نجاح حركته ضعيف جداً.

فلو كان احتمال انتصار الإمام الحسين عليه السلام عسكرياً قائماً بنسبة ٥٠٪ أو ٢٠٪ لتبعه كثيرٌ من الناس المؤمنين به و المحبين لآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و لما تخلىٰ عنه امثال عبيد الله بن الحر الجعفي، و لكن ولأن امثال هؤلاء كانوا من طلّاب

الزعامة و السياسيين الذين يعتمدون علىٰ الحسابات السياسية، فكانوا يعرفون بنتيجة هذه الثورة، و لم يكونوا كزهير بن القين الذي تخلّىٰ عن كل امواله و حياته في سبيل الله و نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ، كما أن هؤلاء لم يسمح لهم وجدانهم و ضمائرهم التي كانت لا تزال تذكر صوراً رائعة من حياة ال بيت الرسول ﷺ الىٰ الاصطفاف في صف بني اميّة لقتال ابن فاطمة الزهراء، فبقوا علىٰ الحياد و حُرموا سعادة الشهادة و نصرة إمامهم.

فلم يعدُ المسلمون، مسلمو زمن النبي ﷺ، فلقد أثّرت فيهم و غيّرتهم المظاهر الدنيوية الخلاّبة، و خدعتهم حلاوة الملك و السلطة و الزعامة، و ذاقوا طعم الثروة الطائلة و الاملاك و الغلاّت و الغلمان و الجواري، فازداد تعلّقهم بالدنيا و قلَّ نصيبهم من الايمان.

فلا معروف يؤمر به، و لا منكر يُنهىٰ عنه، و لا زهد و لا تقوىٰ فضلاً عن الفداء و التضحية في طريق الحق، و لقد اعمىٰ حبُّ الدنيا أبصارهم، و اصمَّ آذانهم، و سوّد قلوبهم.

و امّا اولئك الذين كانوا علىٰ سدَّة الحكم، فامرهم واضحُ جلِّي، فلقد مضوا اعمارهم باللعب بالقردة و الكلاب و القمار و الشراب و الرقص و المجون و الطرب و اللهو، و تقسيم أموال بيت مال المسلمين الىٰ حاشيتهم و اقربائهم، و اشتروا ضمائر قادة المؤسسات الحكومية بالاموال و اشباع الشهوات، و مسخوا شخصياتهم فلم يَعُد للغيرة و الشرف و الدين وجودٌ في قاموسهم.

و من لم يكن مع بني اميّة، فاقلَّ ما يتحمله من عقاب هو قطع عطائه و حرمانه من أبسط حقوقه الاجتماعية.

و في مثل هذه التركيبة الاجتماعية و السياسية المضطربة، لا يمكن توقع احتمال

اندلاع ثورة علىٰ الحكم الاموي، و لا يمكن توقع اجتماع الناس حول قائد ديني و زعيم وطني يحاول الاصلاح.

و من هنا، وجدنا هؤلاء الناس كيف اداروا ظهورهم لنهضة الحسين عليه السلام و لم يلتحقوا بركب الشهادة و السعادة و رضوا بالدنيٍّ من الدنيا و تركوا الحسين عليه السلام وحيداً في مواجهة الباطل(١).

و كما اسلفنا فان الناس كانوا يهوون الحسين عليه السلام و يحبونه و مقتنعين بافكاره و حركته بل إنَّ بعضهم هو الذي طلب منه القيام، و لكن كانت تنقصهم الشجاعة و الاقدام و الرشد الفكري و الروحي و الايماني، فلم يصلوا الىٰ مستوىٰ حبيب بن مظاهر و مسلم و الحر و زهير و عابس الذين ضحوا بالمناصب و الميزات الاجتماعية و المالية من اجل الدين و نصرته و الانتصار للحق و المظلومين.

---

(١) الانصاف ان اهل اكوفة لم يكونوا الوحيدين في الاقبال علىٰ الدنيا و الادبار عن الحق، فلا ينبغي ان نحصر اللوم و التوبيخ بهم، فقد كان لهم نظائر علىٰ مرِّ العصور كاولئك الذين تخلّوا عن نصرة قادة الاديان و زعماء الحركات الاصلاحية التغييرية المحقة، مع فارق ان هؤلاء الزعماء لم يكن لهم ما كان للامام الحسين عليه السلام من مقام و عظمة و سابقة، و لكن كان منهم من ثار علىٰ منهج الحسين عليه السلام و داعيا الىٰ مبادئه و مأساة المسلمين اليوم هو ابتلاؤهم بضعف الارادة و سبات الضمير و تفرقهم و اختلافاتهم و حبهم للدنيا و خوفهم من الموت. و كما ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «كيف بكم إذا تَداعىٰ عليكم الأمَم كما تداعىٰ الأكَلَةُ علىٰ القصاع؟ قالوا: أمِنْ قلَّةٍ يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: بل من كثرةٍ و لكنكم غُثاء كغُثاء السَّبيل قَد أوهَن قلوبُكم حبُّ الدنيا و كراهيةِ الموت»

و لا يخفىٰ ان هذا الخبر ورد بلفظ آخر و هو: «كيف بكم اذا تداعىٰ عليكم بنو الأصفَر» و علىٰ هذا التقدير يكون المراد من بني الاصفر هو بني اميّة و بني مروان لان اصل بني اميّة من الروم أو علىٰ الاقل ان بني مروان من الروم كما ذكر ذلك العقاد و آخرون، فهؤلاء يسعون الىٰ الهيمنة علىٰ المجتمع الاسلامي كلِّه، مع ان عدد المسلمين كبير، إلاّ ان حبَّ الدنيا و الخوف من التضحية و الاقدام، منعهم من الدفاع عن الإسلام، فخسروا حقوقهم المشروعة.

و ما اروع ما عبَّر به الفرزدق عن حالتهم تلك، عندما قال للحسين عليه السلام:
« قُلوبُهُم مَعَكَ و سُيُوفُهُم عَلَيكَ »(١)

فهذه الجملة تبين حقيقة محبّة الحسين عليه السلام في قلوب عامة المسلمين كما انها تبيِّن الهزال الروحي و الفقر الفكري و ضعف الأقدام و المسكنة الاخلاقية عندهم.

و قال له مجمع بن عبيد العامري: أمّا اشراف الناس فقد اعظمت رشوتهم و ملئت غرائرهم فهم ألبٌ و احدٌ عليك، و اما سائر الناس بعدهم « فان قلوبهم تهوىٰ اليك و سيوفهم غداً مشهورة عليك »(٢)

و الحاصل إنَّ الصحابة و سائر الناس و بعض بني هاشم كانوا في خضمّ الحسابات السياسية، و أمّا اصحاب الحسين عليه السلام فكانوا سائرين الىٰ الشهادة عن علم و يقين و اصرار.

و قد نقل عن ابن عباس انه كان يقول ان اهل البيت كانوا يعلمون بان الحسين عليه السلام سيُقتل بالطف. (٣)

و هاهم عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، محمد بن حنظلة و عبد الله ابن جعفر الطيار و غيرهم من كبار الصحابة يقترحون علىٰ الحسين عليه السلام ان لا يخرج لعلمهم بما سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله باستشهاد هذا الإمام المظلوم في كربلاء و انه نورُ الله في الارض و الهادي للناس و الأمل للمؤمنين. (٤)

و الاكثر من هذا و ذاك فان الإمام نفسه كان علىٰ بصيرة تامة من أمره، لما

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٠. تذكرة الخواص ص ٢٥١.
(٢) ابصار العين ص٨٦. ابو الشهداء ص٧٣ (طبع الشريف الرضي). بطلة كربلاء ص١٠٨.
(٣) مقتل الخوارزمي ف٨ ص ١٦٠.
(٤) مقتل الخوارزمي ف ١٠ ص٢١٨.

عرفه عن مصيره من جدِّه و أبيه، و لعلمه باحوال الناس و اخلاقهم، فهو الاعرف بهم من سائر الناس و لذا كان عليه السلام يقول: «**النَّاسُ عبيدُ الدُّنيا و الدِّينُ لَعقٌ علىٰ ألسِنَتِهِم فاذا محصوا بالبلاء قلَّ الديّانون**»

و لذا نراه يقول لرجل من بني عكرمة عندما التقاه و حذّره المسير الىٰ الكوفة و انه لن يرد إلاّ علىٰ سيوف و رماح:

«**يا عبد الله إنَّهُ ليس بَخَفِّي عَلَيَّ الرأي و لكن الله لا يُغلَب علىٰ أمرِهِ**»(١)

باء: الاخبار باستشهاده

إنَّ من ضروريات حنكة القائد الذي يسعىٰ لتغيير نظام حكمٍ ما و السيطرة علىٰ زمام الدولة، ان يبث روح النصر في جنوده و يحارب العدو إعلاميا و نفسياً، و يشيع قوة احتمال انتصاره و كسر عدوه، و يرتجز الاشعار الحماسية ليقوي عزائم انصاره، و يبثَّ الرعب في قلوب اعدائه.

أمّا ان تجد قائداً يتحدث لجيشه عن استشهاده و قتله و قتل انصاره، و يصرّح أو يلمح بالمصير القاسي الذي ينتظرهم، و هو الذي يُضعف عزيمة الجيش إلاّ من تحلّى منهم بالايمان القوي و روح الفداء من اجل المبادئ، فان ذلك يدلُّ علىٰ ان مثل هذا القائد لم يتحرك او يُقاتل بدافع الملك و الحكم و الزعامة، فانه مضافاً الىٰ عدم استعداده المسبق للقتال، فهو لا يُبقي علىٰ الاستعدادات الموجودة ايضاً، و هذا المنطق لا يتلائم مع رجاء تحقيق الاغراض السياسية و الملك و لابد ان يكون مثل هذا القائد يبحث عن اهداف اخرىٰ و تحركه دواعٍ وراء تلك الدواعي الدنيوية

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣١. الكامل ج ٣ ص ٢٧٨.

الضيقة.

و لقد كان الإمام الحسين عليه السلام من الصنف الثاني، و كان يكرر القول علىٰ الاسماع بانه مقتول، و لم يؤثر عنه انه وعد بخلع يزيدٍ أو تغيير حكم بني اميّة أو التمكن من السلطان و حكومة البلاد الاسلامية، مع انه القىٰ الحجة علىٰ الجميع بضرورة الاشتراك معه في نهضته و نهاهم عن بيعة يزيد و حرّضهم علىٰ الثورة ضدَّه، و لكنه كان يعلم ان ذلك لن يتم، و انه سيبقىٰ وحده مع تلك القلَّة المؤمنة من آله و صحبه و انهم سيُقتلون بأجمعهم، و لذا فقد اعلن مراراً عن مصرعه، و كان احياناً يجيب اولئك الذين كانوا يحاولون ان يثنوه عن الخروج قائلاً: **اني رأيت رؤيا فيها رسول الله** صلى الله عليه وآله **و أُمرتُ فيها بأمرٍ انا ماضٍ له عليَّ كان أوْ بي**؛ فقيل له: فما تلك الرؤيا؟ قال: **ما حدَّثت احداً بها، و ما أنا محدِّث بها حتىٰ القىٰ ربّي**.(١)

ثم ان عبد الله بن عمر قال للحسين عليه السلام اكشف لي عن موضع تقبيل رسول الله لك فكشف له الحسين عن بطنه فقبلها ابن عمر ثلاث مرات و بكىٰ و قال استودعك الله فانك مقتول في سفرك هذا.(٢)

و روىٰ ابن الأعثم الكوفي ان الحسين عليه السلام خرج الىٰ قبر جده فصلىٰ ركعات فلما فرغ من صلاته جعل يقول اللهم إن هذا قبر نبيك محمد صلى الله عليه و آله و أنا ابن بنت نبيك و قد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم اني احب المعروف و انكر المنكر و اني اسئلك يا ذا الجلال و الاكرام بحق هذا القبر و من فيه الا اخترت لي من امري ما هو لك رضا و لرسولك رضا و للمؤمنين رضا ثم جعل يبكي عند القبر

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ث ٢٩٢. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص٩٢ـ٩١.

(٢) القمقام الزخار ص٣٣٣.

حتىٰ اذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه علىٰ القبر فأغفىٰ فإذا هو برسول الله قد اقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه و شماله و بين يديه و من خلفه فجاء حتىٰ ضمّ الحسين الى صدره و قبّل بين عينيه و قال حبيبي يا حسين كأنّي أراك عن قريب مرمّلا بدمائك مذبوحاً بأرض كربلاء بين عصابة من أمّتي و أنت في ذلك عطشان لا تسقىٰ و ظمأن لا تروىٰ و هم في ذلك يرجون شفاعتي ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة و ما لهم عند الله من خلاق. حبيبي يا حسين ان أباك و امك و أخاك قدموا عليّ و هم اليك مشتاقون و ان لك في الجنة لدرجات لن تنالها الاّ بالشهادة، قال فجعل الحسين في منامه ينظر الىٰ جده محمد صلى الله عليه و آله و يسمع كلامه و يقول له يا جداه لا حاجة لي في الرجوع الىٰ الدنيا فخذني اليك و أدخلني معك الىٰ قبرك فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا حسين لابد لك من الرجوع الىٰ الدنيا حتىٰ ترزق الشهادة و ما قد كتب الله لك من الثواب العظيم فانك و أباك و امك و أخاك و عمّك و عمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتىٰ تدخلوا الجنة. قال فانتبه الحسين من نومه فزعاً مرعوباً فقصّ رؤياه علىٰ أهل بيته و بني عبد المطلب فلم يكن في ذلك اليوم في شرق و لا غرب أشدّ غماً من اهل بيت رسول الله و لا اكثر باكياً و لا باكية.[1]

و في كشف الغمة روى عن سفيان بن عيينة عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إن الحسين بن علي كان يذكر يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام و يقول أن من هوان الدنيا علىٰ الله أن يهدي رأس يحيي الىٰ بغي من بغايا بني اسرائيل.[2]

---

(١) مقتل الخوارزمي ص١٨٧ ف٩. القمقام الزخار ص٢٦٤-٢٦٣. ترجمة تاريخ ابن اعثم ص٣٤٩.

(٢) القمقام الزخار ص٣٥٩. نظم درر السمطين ص٢١٥.

جيم: الهجرة من مكّة

إنَّ طلاّب الحكم و السياسيين، لا يتورعون عن التحصن في الاماكن المقدسة و المشاهد المحترمة عند المسلمين، بل يستغلّون كل المواقع التي تحظىٰ بتقديس و احترام الناس للتخندق و التمترس بها، فان ذلك يُحرج العدو و يردعه عن الهجوم أو علىٰ الاقل يتسبب له بالملامة من قبل المسلمين، اذ ان هتك حرمة هذه المواقع يُثير غضبَ و استياء عامة الناس، و إنْ اراد أنْ يحفظ حرمة تلك الاماكن، إضطر الىٰ إهمال خصمه و تحمل الضربات منه.

و كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يختار اقدس بقعة عند الامة الاسلامية، و اكثرها امناً و هو بيت الله الحرام و مكة المعظمة و المسجد الشريف، ذلك المكان الذي وصفه عزوجل في كتابه الكريم: «مَن دَخَلَهُ كانَ آمناً» و هو المكان الذي كان العرب في الجاهلية يكنّون له الاحترام أيضاً و يرعون حرمته علىٰ الرغم من وحشيتهم و سلوكهم العدائي مع بعضهم البعض، فلم يُعهد عنهم حمل السلاح في ذلك الموقع الشريف. ولا شكَّ في انَّ هذه المكان كان من أفضل الأماكن التي يمكن للحسين عليه السلام اختياره كمقر لادارة حركته و دعوته ضد بني أميّة و تحشيد الحشود للانقضاض عليهم، و ما كان اسهل من أن ينقلب الحسين عليه السلام و من معه علىٰ والي مكة الاموي و السيطرة علىٰ مكة و اعتمادها عاصمة لثورته و دعوة باقي المدن للالتحاق بنهضته، و لكنه كان يعلم أنَّ عاقبة ذلك هو هجوم جيش بني اميّة علىٰ الكعبة الشريفة و محاصرة مكة و هدم بيت الله الحرام و ابادة المسلمين في الحرم الأمن كما فعل يزيد في واقعة الحرة و حربه ضد عبد الله بن الزبير في مكّة.

لكن الحسين عليه السلام لم يكن طامعاً في الملك، و لم تكن مقاصده سياسية[١] و لم يكن ممن يستخف بالمقدسات و الشعائر الالهية.

إنَّ أوَّل شعارٍ للحسين عليه السلام هو الاعتراض علىٰ بني اميّة لهتكهم الحرمات و الشعائر المقدسة و الاحكام الالهية، فكيف يرضىٰ لنفسه ان يتسبب في هتك بني اميّة لتلك الحرمات و اراقة الدماء في الحرم المكي الآمن؟!

لقد كان الحسين عليه السلام عارفاً بان اعلان ثورته في مكة لن يُثمِرَ إلاّ هتك حرمة البيت و هدم الكعبة و اساءة الأدب الىٰ عامة المشاهد الشريفة في مكة. و هذه النظرة الصائبة الثاقبة للحسين عليه السلام اتضح صحتها فيما بعد، إبّان حركة عبد الله بن الزبير. و من ثمَّ أبىٰ الحسين عليه السلام ان يتخذ من مكة مقراً و مركزاً لثورته.

و كان بامكان الحسين عليه السلام ايضاً ان يبقىٰ في مكة و لا يبايع يزيد، و يسكت علىٰ مساوي بني اميّة، و هذا ما اقترحه عليه عبد الله بن عمر و عبد الله بن عباس و بعض الصحابة، ظناً منهم ان لا أحد يتجزأ علىٰ التعرض للحسين عليه السلام في الحرم الأمن.

---

(١) لا يُتَوَهم اننا نرفض اشتراك اولياء الله و المؤمنين في السياسة و ممارسة العمل السياسي و اعتزال الساحة و الاحداث و عدم الاكتراث بمصالح الامة الاسلامية، اذْ انَّ ذلك لا يتناسب مع روح الإسلام، فان الإسلام حتىٰ في احكام العبادات كالصلوٰة و الحج و الصوم و الشعائر الدينية الاخرىٰ، يهدف الىٰ اشاعة روح الالفة و الوحدة و التعاضد من اجل مواجهة و مقارعة الظلم و الفساد و القضاء علىٰ الباطل و اهله و اظهار عظمة الإسلام و المسلمين، و لم يكن الإسلام يوماً ما دين صوامع و بيع و تصوف بعيداً عن النظام و الحكم و الادارة، و انما غرضنا من قولنا ان الحسين عليه السلام لم يكن له مقاصد سياسية هو ان الحسين عليه السلام لم يكن يهدف اساساً الحكم و التسلط علىٰ الناس و الحصول علىٰ المقام و المنال، فلقد كان عارفاً منذ البداية بانه لم يتمكن من القضاء علىٰ بني اميّة.

لكن الإمام الحسين عليه السلام لم يقبل ذلك المقترح، لانه كان على يقين من أنَّ بني اميّة سيقتلونه و إن كان متعلقاً باستار الكعبة و انّهم لا يعيرون اي أهمية لحرمة البيت الحرام.

كان الحسين عليه السلام يعلم انَّ بني اميّة قد جنّدوا بعض الرجال لقتله في موسم الحجّ، فبقاؤه سيؤدي الىٰ هتك حرمة البيت و قتله بدون تحقق اية ثمرة و لا حصول أيَّة فائدة.

فلذا خرج الحسين عليه السلام من مكة يوم التروية بعد أن جعل حجه عمرة مفردة، لئلا تهتك حرمة البيت بسببه، كما أخبر بذلك الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله.

و عندما سأله الفرزدق عن علّة استعجاله بالخروج من مكة قبل أداء المناسك فقال: «لَوْ لَمْ أُعجِّل لأُخذْتُ»[1]

و يقول عليه السلام ايضاً: **و الله لا يَدَعوني حتىٰ يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتىٰ يكونوا أذل من فرام الامة**.[2]

و نقل ابن الاثير أن الحسين قال لابن الزبير بأن أباه أمير المؤمنين حدثه أن رجلاً سيقتبل في الكعبة و تهتك حرمتها و أنه لا يحب أن يكون ذلك الرجل.[3]

و ذكر الطبري عن أبي مخنف عن أبي سعيد عن بعض أصحابه قال: سمعت الحسين بن علي و هو بمكة و هو واقف مع عبد الله بن الزبير فقال له ابن الزبير اليّ يابن فاطمة، فأصغىٰ إليه، فسارّه، قال: ثم التفت الينا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا: لا ندري، جعلنا الله فداك، فقال: قال أقم في هذا المسجد

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٠. تذكرة الخواص ص ٢٥١.

(٢) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٦٩. الكامل ج ٣ ص ٢٧٦. القمقام الزخار ص ٣٣٤.

(٣) الكامل ج ٣ ص ٢٧٥. تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٨٩.

أجمع لك الناس، ثم قال الحسين: و الله لأن اقتل خارجاً منها بشبر أحب اليّ من أن أقتل داخلاً منها بشبر و أيم الله لو كنت في حجر هامّة من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتىٰ يقضوا فيّ حاجتهم و و الله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت.(١)

دال: حَلُّ البَيعَة

من الواضح إنَّ الثورات و الانقلابات السياسية و العسكرية تحتاج الىٰ الكوادر و الافراد و القوّات التي تحرِّك الثورة و تفعِّل المعركة، و اذا ما اهمل قائد الثورة هذه الناحية، لا يمكن اعتباره طالب حكمٍ و قلب نظام.

و لو أنَّ هذا القائد نفسه، اعلن لجنده بمصيره و مصيرهم المأساوي و انتهاء حركته بقتلهم، فان ذلك سيؤدي بلا شك الىٰ تفرّق انصاره عنه، و لو فرضنا ان هذا القائد، اجاز و سمح لانصاره بالتفرق عنه و حلَّ بيعتَهم و اذن لهم بل و لاهله بالانصراف و بيَّن لهم الطريق الآمن لابتعادهم عن مخاطر العدو، فذلك سيدفع كل احتمالات رغبة هذا القائد و طمعه بالملك و السلطة تماماً.

و الحسين عليه السلام و من حين خروجه من المدينة الىٰ مكة و منها الىٰ العراق كان يخبر من معه من انصاره و اهله بانه مقتول مستشهد و يكشف لهم ما سيصيبُهم من الاذىٰ و المصائب، كما في خطبة له في مكة قبل خروجه للعراق و في الطريق الىٰ

---

(١) الطبرى ج٤ ص٢٨٩. الكامل ج٣ ص٢٧٦. نور الابصار ص١١٦. و لا يخفىٰ ان عبد الله بن الزبير كان متَّهم النصيحة للحسين عليه السلام اذ لم يكن شيٌ أثقل عليه من مكان الحسين عليه السلام بالحجاز.. و لا احبَّ اليه من خروجه الىٰ العراق طمعاً في الوثوب بالحجاز لان ذلك لا يتم له إلاّ بعد خروج الحسين عليه السلام منها (أبو الشهداء ص١٠٠. بطلة كربلاء ص٩٣. و مصادر اخرىٰ).

العراق.

و عندما وصل ركب الحسين عليه السلام الىٰ منطقة ذي حسم خطب فيهم قائلاً:

«أمّا بَعدُ أنَّه قد نزلَ ما قَد تَرونَ، و إنَّ الدُّنيا قَد تَغَيَّرت، و تنكَّرتْ و أدبرَ معرُوفُها، و استمرَّتْ جِدّاً حتّىٰ لم يَبق منها إلاّ صبابَة كصُبابَةِ الإناء و خَسيسُ عَيشٍ كالمَرعَىٰ الوَبيلِ. ألا تَرَونَ أنَّ الحَقَّ لا يُعمَلُ به و أنَّ الباطلَ لا يَتَناهىٰ عنه لِيَرغَبَ المُؤمن في لِقاءَ اللّهِ محقاً فانّي لا أرىٰ المَوتَ إلاّ سعادةً و لا الحياةَ مع الظالينَ إلاّ برماً»[1]

قالوا لو كانت الدنيا باقية لاخترنا الشهادة عليها و فديناك بارواحنا حتىٰ لو قطعونا اربأ اربا اننا سلم لمن سالمك و حرب لمن حاربك و لقد منّ الله علينا بك يابن رسول الله.[2]

و عندما وصل الحسين عليه السلام الىٰ ارض كربلاء، دلّهم علىٰ مصارعهم، و لما وصل الىٰ منطقة الزّبالة، أخبرهم عن مقتل مسلم بن عقيل و عبد الله بن يقطر و قال: «قَدْ خَذَلَنا شيعَتُنا فَمَن احبَّ منكُم الانصرافَ فلينصرِفْ ليسَ عليهِ منّا ذِمامٌ»

و حينئذٍ، تفرق اولئك الذين اتَّبعوه علىٰ العافية، و الطامعين في الغُنْم، و بقي معه ثلّةٌ أخلصت لله و النبي و اهل بيته.[3]

و في ليلة العاشر من المحرم، و كان اصحاب الحسين عليه السلام بين ساجد و راكع و

---

(١) القمقام الزخار ص٣٥٣، و كتب اخرىٰ باختلاف طفيف في الالفاظ، كذخائر العقبىٰ ص١٥٠. الاتحاف ص٢٥. درر السمطين ص٣١٦. حلية الاولياء ج٢ ص٣٩. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص١٦٠.

(٢) القمقام الزخار ص٣٥٤.

(٣) ابصار العين ص٤٨. بطلة كربلاء ص١٠٤. الكامل ج٣ ص٢٧٨.

ذاكر و تالٍ للقرآن، جاءهم سيّدهم و خطب فيهم قائلاً:

«أثنىٰ علىٰ الله احسنَ الثَّناءِ، و أحمَدهُ علىٰ السَّراءِ، و الضرَّاءِ. اللَّهمَّ إني أحمدكَ علىٰ أن أكرمتَنا بالنُبُوَّةِ و علَّمتَنا القُرآنَ، و فقَّهتَنا في الدِّينِ، و جَعَلتَ لنا أسماعاً و أبصاراً و أفئِدَةً فاجعَلنا منَ الشّاكرينَ. أمّا بَعدُ فإني لا أعلمُ أصحاباً أوفىٰ و لا خَيراً من أصحابي، و لا اهلَ بيتٍ أبرَّ و لا أوصلَ من أهلِ بيتي، فجزاكُمُ اللّهُ خيراً فَقد أبرَرتُم و عاوَنتُم، ألا و إنَّه لأظُنُّ أنَّ لنا يوماً من هؤُلاءِ. ألا و إنّي قَد اذِنتَ لكم فانطلِقوا جميعاً في حِلٍّ ليسَ عليكُم مِنّي ذِمامٌ، و هذا اللَّيلُ قد غَشيَكُمْ فاتَّخذوه جَمَلاً، و دَعوني و هؤلاء القَومِ، فانَّهم ليسِ يُريدونَ غَيري.»[١]

و ما كان من اولاد الحسين عليه السلام و اخوته و ذوو الوفاء من اصحابه الاّ ان شهروا سيوفهم و اعلنوا تجديد بيعتهم و الوفاء و النصيحة فبقيت كلماتهم دروساً للأوفياء و الأصفياء و الاولياء ما بقيت الأرضُ و السّماء.

و تركهم الحسين عليه السلام لعبادتهم و اذكارهم و تهجّدهم و عاد الىٰ خيمته ليهتمَّ بالامور المستقبلية و توصياته الىٰ أهله.[٢]

و هكذا وجدنا الإمام الحسين عليه السلام و الىٰ حد ليلة العاشر من المحرم، يُعْلِم اصحابَه و أهلَ بيته بمصيرهم، و لم يُمنّهم بالنصر و الغنيمة و الفتح المادّي و المناصب

---

(١) ابصار العين ص٩. القمقام ص٣٨٢. ابو الشهداء ص١٥٦. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص١٢٠. الطبرى ج ٤ ص٢١٧. بطلة كربلاء ص١١٣.

(٢) إبصار العين ص٩. القمقام الزخّار ص٣٨٣. ابو الشهداء ص١٥٧. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص١٢١ـ١٢٢. و الانصاف ان الحسين عليه السلام و أهله قد انجزوا ذلك الوفاء و وفوا بذلك العهد يوم عاشوراء، و اثبتوا خلوصهم و ثباتهم حتىٰ شهد لهم العدو قبل الصديق باستقامتهم و شجاعتهم و محبتهم لاهل بيت النبي الاكرم صلى الله عليه وآله بما يحيِّر العقول و يدهش القلوب.

الحكومية، و لم يكن دافعه الىٰ النهضة الاّ امتثال الامر الالهي، و التكليف الشرعي.

و من ثمّ، فمن الخطأ و الاجحاف، تعليل نهضة الحسين عليه السلام بالدوافع السياسية أو الخلافات العائلية بين بني اميّة و بني هاشم، علىٰ الرغم من وجود تلك المفارقات الاخلاقية و التباينات الروحية و التنافر الفكري بين العائلتين.

و من جملة دوافع يزيد الىٰ تشديد شراسته و وحشيته علىٰ الحسين عليه السلام و آله و عياله، هو ذلك الحقد الدفين الذي اكتنزه قلبُه ضد بني هاشم عامة و آل علـيٍّ خاصة، ذلك الحقد المشفوع بخسّة الطبائع عنده و التربية الفاسدة و البيئة المنحرفة التي ترعرع فيها.

و اما ثورة الحسين عليه السلام فهي اسمىٰ من ان تتأثر بتلك الخلافات الخاصة، بالضبط كدعوة النبي صلى الله عليه وآله التي لم تتأثر بمثل هذه الخلافات العائلية، فما يمكن ان يقال و هو الحق: إنّ ثورة الحسين عليه السلام هي ثورة المبادئ و القيم و انها مأمورية و مهمّةٌ الهية أوكلت اليه و قد قام بامتثالها علىٰ احسن وجوه الامتثال و اكملها و أتمّها.

٢ـ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

«وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يدعونَ الىٰ الخَيرِ ويأمرونَ بالمعروف وَ يَنهَونَ عن المنكَرِ و اولئِكَ هُم المفلِحون.»(١)

ورد في بعض المصادر التاريخية المعتبرة، أنّ الحسين عليه السلام ترك وصيةً لأخيه من أبيه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصىٰ به الحسين بن علي بن ابي طالب الىٰ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

اخيه محمد المعروف بابن الحنفية ، ان الحسين يشهد ان لا اله الاّ الله وحده لا شريك له و أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله عبده و رسوله جاء بالحق من عند الحق ، و أن الجنة و النار حق ، و أنَّ الساعة آتية لا ريب فيها ، و أن الله يبعث من في القبور ، و اني لم أخرج أشراً و لا بطراً و لا مفسداً و لا ظالماً و انما خرجت لطلب الاصلاح في أُمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف و أنهىٰ عن المنكر و أسير بسيرة جدي و أبي علي بن ابي طالب عليه السلام فمن قبلني بقول الحق فالله أولىٰ بالحق ، و من رد علي هذا أصبر حتىٰ يقضي الله بيني و بين القوم بالحق و هو خير الحاكمين . و هذه وصيتي يا أخي اليك و ما توفيق إلاّ بالله عليه توكلت و اليه أُنيب . »(١)

و هذه الوصية تعدُّ ككلمة التوحيد ، مشتملةً علىٰ نفي و إثبات . اما جهة النفي ، فصحيح أنَّ احداً من الناس لا يحتمل في حقِّ الحسين عليه السلام ان يقصد بحركته و نيَّته الفساد و التجاوز و الظلم ، أو الامتناع عن قبول الحق ، اذ لا يوجد ايُّ حق متصور ليزيد ، فلم يكن الحسين عليه السلام نكرة في المجتمع لا يعرفه الناس أو لا يعرفون سلامة نفسه و طهارة ضميره و شفافية وجدانه ، فهو الذي نزلت في حقه و حق أخيه و أمِّه و أبيه ، آية التطهير من كلِّ رجس ، و قد بُيِّنَت عصمتُه من خلال حديث الثقلين المشهور ، و لكنه قال تلك الكلمات ليبطل و يجهض محاولات الظلمة و الفاسدين و ساسة الحكم الاموي و اجهزته الاعلامية ، في اتهامه بالخروج من أجل السلطان ، سعياً منهم في اضلال عوام الناس و بسطائهم ، فقال :

« إنّي لم أخرج أشراً و لا بَطَراً و لا مفسداً و لا ظالماً »

---

(١) نفس المهموم ف٩ ص٣٨. سموّ المعنىٰ ص١١٢. و جملة « السلام عليك » الىٰ آخر الوصية نقلناها من مقتل الخوارزمي ص١٨٩.

و اما جهة الاثبات في كلامه، فهو قوله:

«إنَّما خَرَجتُ لطَلَب الاصلاح في أُمَّةِ جدّي مُحمَّد صلى الله عليه وآله أُريدُ ان آمر بالمعروف و أنهىٰ عن المنكر و أسيرُ بسيرة جدِّي و أبي علي ابن ابي طالب»

فالحسين عليه السلام يلخص في هذه الجملة، دواعي ثورته باربع امور:

١ـ اصلاح الامّة.

٢ـ الامر بالمعروف.

٣ـ النهي عن المنكر.

٤ـ اقتفاء أثر جده رسول الله صلى الله عليه وآله و أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

انَّ من اهم الفرائض و الواجبات الاسلامية هو الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و اهميّتها العقلية غير خافية، و جاءت الاوامر الشرعية تأكيداً لتلك الاهميّة.

و هذا الحكم الشرعي نموذج للاحكام الاسلامية الرفيعة و الذي يعطي الحق لكل مسلم ان يطالب الجميع باجراء و تنفيذ الاحكام الشرعية، و ان يواجه المتمردين علىٰ تطبيقها، و ان يكون المسلمون جميعاً ناظرين علىٰ اجراء القانون الاسلامى و الحدود و الاحكام. و في الحقيقة ان هذا الحكم هو ضمانة قوية لتطبيق الإسلام، و لذا فان عزّة المسلمين و كرامتهم مرتهنةٌ بامتثال هذا الواجب، كما ان ذلهم و مهانتهم مرتبط بترك العمل به.

و لقد كان المسلمون في صدر الإسلام يعتبرون الاهتمام بهذا الحكم، سنداً و قوة لحفظ حقوقهم و الحدِّ من الظلم و التعدي عليها، فكم من مؤمن مستضعف وقف بوجه الولاة و الحكام يامرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر بكل صراحة و جرأة، منتقداً تصرفاتهم اللامشروعة، و ما اكثر الولاة و الحكّام الذين استجابوا النصائح

عامة المسلمين و اعتذروا عن سوء تصرفاتهم و حاولوا اصلاح الامور.

و بعد رحيل النبي الاكرم صلى الله عليه وآله الىٰ الملأ الأعلىٰ، و علىٰ الرغم من ان الخلافة قد انحرفت عن مسارها المستقيم، و لكن الولاة كانوا يحافظون علىٰ العمل بسائر الاحكام الاسلامية، لقربهم من زمن النبي صلى الله عليه وآله وكان الاطار العام للحكم الاسلامي محفوظاً رغم بعض الخروقات هنا و هناك، و كان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ساري المفعول، يحتفظ المسلمون بحقِّهم و حريتهم في ابداء تحفظاتهم علىٰ تصرفات الحكام و المسئولين و نظارتهم علىٰ تطبيق القوانين و الشريعة من قبل اجهزة الحكم و لم يتعرض احدٌ علىٰ الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر حتىٰ تولىٰ الحكم عثمان بن عفّان حيث تبدَّل شكل الحكم و الاطار العام للنظام الاسلامي شيئاً فشيئاً و خرج عن شكله الاسلامي و أخذ طابع الملوكية و السلطنة، و كان لمعاوية بن ابي سفيان اليد الطولىٰ في هذا التغيير و ابتداع هذا النمط الجديد من الحكم و كانت بداية انحراف معاوية تعود الىٰ زمن الخليفة عمر بن الخطاب الىٰ درجة اعتراض الأخير عليه بمظهره و مظهر حاشيته و قصوره و غلمانه و جواريه. ثم تبع معاوية سائرُ بني اميّة فنهجوا منهج الكسروية و القيصرية في ادارة الحكم، فكانوا يعتبرون أنفسهم و من أحاط بهم من أقاربهم و حاشيتهم، اعلىٰ من مستوىٰ سائر المسلمين، فضعفت الاخوَّة و المساواة، و ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر خوفاً من معاقبة اجهزة الحكم الاموي!!

و لو أنَّ حكومة بني أميّة كانت حكومة سليمة نزيهةً، لما اضرَّ بها الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و لم تتعقب المنتقدين الناصحين بالأذىٰ و الاعتقال و التشريد و التنكيل، لكنها لم تكن كذلك، بل كانت مبتنية علىٰ الظلم و الجور و الترهيب و إهانة المجتمع و قمع الحريات و هتك المقدسات، و مثل هذه الحكومة

تخاف دون شك من تطبيق فريضة الامر بالمعروف و النهي عن المنكر.

و من هنا حاول حكام بني اميّة طمس معالم هذه الفريضة، فسلبوا هذا الحقّ من المسلمين، و طاردوا و تتبعوا اخبار كل من يتصدىٰ للاعتراض علىٰ مخالفة الدولة لاحكام الشرع و القوانين الاسلامية و صادروا امواله و شرّدوه و سجنوه، أو هدروا دمه كما فُعِلَ بعبد الرحمن بن حسان العنزي، الذي دَفَنَه زياد بن أبيه حيّاً بأمر معاوية!! و الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري الذي طرده معاوية من الشام لانه اعترض علىٰ تصرفاته اللااسلامية فارجعه الىٰ المدينة المنورة بعد أن كان عثمان قد نفاه منها الىٰ الشام، كل ذلك لان أباذر كان يطبق الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر!!

و لعلَّ اول من وقف بوجه هذه الفريضة و حاول قتلها ودفنها، هو عثمان بن عفان، الذي لم يُعر اذُناً صاغيةً لنصائح كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله له، و انتقادات سائر المسلمين لولاته و مسئولي اجهزة حكمه، فتصرف عثمان وكانه في وادٍ و الامة الاسلامية في وادٍ آخر، حاله حال سائر الملوك و السلاطين. و لو ان عثمان بن عفان، كان قد اعار اهتماماً لتذكير و نصائح الصحابة في خصوص فساد عمّاله و خيانتهم و ظلمهم و تظاهرهم بالفسق، و لم يُسرف في اموال المسلمين، لبقيت الخلافة علىٰ استحكامها و قوّتها و لم تظهر تلك الفتن و الانقلابات التي توالت و توالت حتىٰ غيّرت منهج الحكومة الاسلامية.

و لقد كان ما حصل من ثورة علىٰ عثمان، و قتله ،نتيجةً طبيعيةً لعدم إهتمامه بهذه الفريضة الالهية، و سلبه لحريات المسلمين في التعبير عن رأيهم و اسداء نصائحهم و القيام بواجبهم الديني و الوطني، فنَفَذ صبر الناس و ضاقوا ذرعاً بحاشيته و فسادهم، و سكوته عن المظالم و لم يبق لهم إلاّ الثورة عليه و قتلة.

و بعد عثمان، و عندما ولي أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة، حاول احياء هذه الفريضة بشتىٰ الوسائل، و كان هو بنفسه اوّلُ الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر، فكان يدور في الاسواق و التجمعات و ينصح الناس و يحذرهم من مخالفة الشرع، فاعاد الىٰ الأذهان صورة حكم النبي صلى الله عليه وآله، و لكن بسبب قصر مدة حكمه و انشغاله بثلاث حروب طاحنة من جهة، و وجود تلامذة مدرسة بني اميّة و بقايا حكومة عثمان من جهة اخرى، منع من إعادة الامور الىٰ نصابها و ارجاع المياه الىٰ مجاريها.

و بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام وقف ازلام حكومة معاوية موقفاً شديداً من الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، حتىٰ وصل الأمر الىٰ ان احداً لم يَعُد يتجرأ ان يُبدي ايَّ راي تجاه الحكم و مخالفات اجهزة الدولة، إلاّ من جازف بنفسه و استعدَّ لدخول السجون المظلمة و معتقلات زياد و بقية الولاة.

و نعتقد إنَّ اكبر سدٍّ كسره بنو أميّة هو هذه الفريضة الالهية، و إنَّ اكبر خطر كان يُهدد العالم الاسلامي في ذلك اليوم و في كل عصر و زمان هو اهمال هذه الفريضة الالهية الخطيرة، و منع الناس من اجراءها.

لقد استطاع بنو اميّة و من خلال القمع و الارهاب الفكري، أن يتلاعبوا بكل المقدسات و الاحكام الاسلامية، و ان يرتكبوا ما يحلو لهم من المخالفات و الجرائم، و بهذا الاسلوب استطاعوا أن يوسعوا من حكمهم الاستبدادي الذي غطَّت غيومه كل المجتمع الاسلامي، و قد استغلَّ موظفوا الدولة مناصبهم و مراكزهم و حمَّلوا الناس ما لا يطيقون، و لم يكن ليتجرأ احدُ علىٰ فتح فمه للاعتراض، و قد وصل الأمر بالمجتمع حتىٰ صار الأمر بالمنكر و النهي عن المعروف رائجاً، و عاد المنكر معروفاً و المعروف منكراً!!

و لقد قتل بنو اميّة حجر بن عدي و رشيد الهجري و عمرو بن الحمق الخزاعي و ميثم التمّار و آخرين، بابشع طرق القتل بجرم حبِّ علي بن ابي طالب عليه السلام و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر.

و لقد وصل خوف الناس و تركهم للامر بالمعروف و النهي عن المنكر الىٰ درجة ان كبار الصحابة لم يتجرأوا ـ بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام ـ ان ينكروا علىٰ الدولة أو احد صغار موظفيها، منكراً ارتكبه أو معروفاً تركه!! خوفاً من السيوف و الرماح و السجون التي كانت تتهددهم.

و سبتت الامة الاسلامية في مستنقع الخنوع و الذلّة و الارعاب و الوعيد بالقتل و الحبس.

و تحت وطأة السيوف التي كانت تقطر دمَ آلاف الابرياء، أعدَّ معاوية طبخة البيعة لابنه يزيد، و أصدر أوامره لجلاوزته و جلاّديه أن يبادروا بضرب أعناق كل المخالفين لهذه البيعة، و بدأ بالمدينة المنورة التي يكثر فيها كبار الصحابة و أهل الحلِّ و العقد و أعلن رغبته في أخذ البيعة منهم ليزيد، ثمَّ اشاع في الاقطار بان الصحابة وافقوا علىٰ ذلك و انهم بايعوا يزيد بن معاوية، كذباً منه و حيلة و خداعاً.

و من العسر أن نوضح تفاصيل مأساة ابتلاء المسلمين و ما لحق بهم جرّاء تركهم فريضة الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و عدم مناصرتهم لأمثال أبي ذر الغفاري و المقداد و الحجر بن عدي و عمّار ابن ياسر.

و ايُّ منكرٍ أعظم من سبِّ أمير المؤمنين عليه السلام من علىٰ المنابر التي لم تكن لتشيّدلو لا همّة عليٍّ و جهاده و قتاله و دفاعه عن النبي صلى الله عليه وآله ؟

عليٌّ الذي هو بمنزلة نفس رسول الله صلى الله عليه وآله و ابنُ عمّه و صهره و وصيه و أوّل مجاهد و حامٍ عن الإسلام، و أعلم و أزهد و أتقىٰ و أعدل و أورع و أعبَدَ أهل

الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ؟

و أيّ منكر أكبر من إباحة مدينة الرسول لجيش الشام ثلاثة أيام بامرٍ من يزيد، يقتلون و ينهبون و يهتكون الحرمات و تغتصب النساء العفيفات و يُقهر كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

نعم، هذه نتيجة حتمية لترك الامّة للامر بالمعروف و النهي عن المنكر و تسليمها مقاليد أمورها لامثال معاوية و يزيد، و بيعها دينها بدنيا غيرها، و لا يتوقع غير ابتلاءها بحكم بني اميّة، فيُقتل الصلحاء و العلماء و المصلحون أو يُسجنوا ،و تصرف أموال بيت مال المسلمين في الملذات و حفلات الرقص و الطرب و المجون ،و يُتجاوز علىٰ اعراض الناس و نواميسهم، و تعطل الحدود و الاحكام، و تحقَّر الشعائر الاسلامية، و يرسل الوليد بجاريته الجنب لتصلي بالناس الجمعة و الجماعة!! و والي الكوفة يصلي بالناس الصبح سكران و يتقيأ الخمرة في المحراب، و ينتشر الزنا و الطرب بين الناس و الكل خانع!!

و كل هذه المفاسد تتصل بمركز الحكومة و تنتهي الىٰ شخص واحدٍ يحكم الناس باسم خليفة المسلمين و امامهم، و قد أمسك بزمام امور المسلمين و منع الحريات و كتم الانفاس و أضاع الدين و هضم حقوق المسلمين.

و ليس من قصدنا هنا شرح مفاسد بني اميّة و نقدها و انما قصدنا أنَّ بني اميّة عرفوا أنَّ تحقيق مآربهم و سلطانهم و بسط نفوذهم و حرفهم للثوابت الاسلامية، و محوهم آثار الإسلام الحقيقي الاصيل، لا يتسنىٰ لهم إلاّ اذا قضوا علىٰ هذه الفريضة الالهية المهمة. فمن الواضح، إنَّ هذه الفريضة لو كانت متروكة، لفُسح المجال للنظم اللامشروعة و الحكومات الغاصبة ان تفعل ما يحلو لها بلا تردد و لا وَجَلٍ من عواقب الامور، فتجرُّ الامة الىٰ الويلات، يساعدها في ذلك المتملقون و المتزلفون و

وعاظ السلاطين و من غـرَّتهم الدنـيا فـباعوا ديـنهم و ضمائـرهم بـثمن بخس، فيمدحون الظلمة و يثنون عليهم في المحافل و المجامع و المنابر و يـصفونهم بـانهم المصلحون الاولياء الاوفياء لمصالح المسلمين العامة.

و كان الحسين عليه السلام ناظراً لكل تـلك الانحـرافـات، شـاهداً عـلىٰ كـلّ ذلك الاضطراب الاجتماعي و السياسي و الفكري للمسلمين، فمضافاً الىٰ وظيفته كفرد مسلم في الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، فكذلك كان عليه أن ينطلق من موقعه القيادي و مقامه المعروف عند عامة المسلمين، فكان تكليفه اشقَّ و وظيفة أدق اذ كانت الانظار متوجهة اليه و منشدةً نحوه باعتباره القائد المعنوي و الروحي للاسلام و المسلمين، اذ كان الناس يتوقعون منه عدم السكوت و إلاّ صار سكوته حجّة و عذراً لسائر المسلمين، فالحسين عليه السلام هو الاعرف بالاحوال و الاوضاع، فمن اولىٰ منه اذن في التصدي و المواجهة؟

لقد رأىٰ الحسين عليه السلام إنَّ من واجبه و تكليفه الالهي أن ينهىٰ عن المنكر و أنْ يوقظ ضمير الامة الاسلامية من سباته و أنْ يقصم ظهر الحكم الاموي بتضحيته هو و اهل بيته و اصحابه.

و تحسُّس الحسين لهذه المسؤلية كان واضحاً في خطبه و كلماته، مثل ما نقله ابو مخنف عن عقبة بن ابي عيزار من خطبةٍ للإمام الحسين عليه السلام في صحبه و عسكر الحر بن يزيد الرياحي في البيضة[1] و جاء فيها:

«أيها الناس إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأىٰ سلطاناً جائِراً مُستَحِلاًّ لِحُرُم الله

---

(١) منزل في الطريق الىٰ كربلاء، نزل به الحسين عليه السلام للاستراحة، فخطب اصحابه و اصحاب الحر بن يزيد الرياحي.

ناكثاً بِعَهد الله، مُخالفاً لِسُنَّة رسولِ الله يَعمَلُ في عبادِ الله بالإثمِ و العُدوانُ فَلَم يُغيِّرْ عليهِ بِفِعلٍ و لا قَولٍ كان حقّاً عَلىٰ الله أن يُدخِلَه مَدخَلَهُ ألا و إنَّ هؤُلاءِ قد لَـزِموا طاعَةَ الشيطانِ، و تَرَكوا طاعَةَ الرَّحمٰنِ و أظـهَروا الفَسـادَ و عَـطَّلُوا الحُـدودَ و استَأثَروا بِالفَيْءِ، و أحَلُّوا حرامَ الله و حَرَّموا حلالَه و أنا أحقُّ مَن غيَّر...»[1]

فان قيل:

إنَّ شرائط الأمر بالمعروف لم تكن متحققة في زمن الحسين عليه السلام فان من جملة شرائطها احتمال التأثير، و لم يكن حكم بني اميّة و خصوصاً يزيد بن معاوية قابلاً للتأثر بالامر بالمعروف و النهي عن المنكر، كما إنَّ من شرائط هذه الفريضة هو عدم تضرر الآمر بالمعروف و الناهي عن المنكر، و هذا الشرط غير متحقق أيضاً في ذلك الظرف.

قلنا:

١ـ اننا نفهم شرائط الاحكام الشرعية و نتعلمها و نتعرف علىٰ خصوصياتها من الحسين عليه السلام، و خير دليل علىٰ مشروعية العمل هو قيام الحسين عليه السلام به، و بعبارة اخرىٰ: إنَّ سلوك الحسين عليه السلام و فعله هو من أدلة الاحكام الشرعية.

ففرض دلالة الدليل علىٰ اشتراط الامر بالمعروف باحتمال التأثير أو الأمن من الضرر و انّه يشمل بعمومه أو اطلاقه لهذا المورد، حتىٰ لو كان صحيحاً، لكنه يُقيَّدُ بفعل الحسين عليه السلام فيكون إقدام الحسين عليه السلام و نهضته مخصِّصاً أو مـقيِّداً لذلك

---

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص٣٤. الكامل لابن الاثير ج٣ ص٢٨٠. القمقام الزخار ص٣٥٣. و من أراد التعرف علىٰ المزيد من اهمية الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و مذمّة تركهما من وجهة نظر الإمام الحسين عليه السلام فليراجع خطب الإمام عليه السلام و التي نقلها الحسن بن علي بن شعبة البحراني (قدس سره) في كتابه «تحف العقول» ص١٧٠ـ١٦٨ طبعة النجف.

الدليل العام، و يدل علىٰ عدم مدخلية هاذين الشرطين في وجوب الفريضة، فكان يجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر حتىٰ لو لم يكن مؤثراً أو احتمل وجود الضرر فيه.

٢ـ إنَّ اشتراط الامر بالمعروف و النهي عن المنكر بالأمن من الضرر ليس مسلَّماً في كل الموارد، بل يمكن القول إنَّ الثابت شرعاً هو عدم الاشتراط في بعض الموارد، و لابد من الموازنة بين المصالح الموجودة في الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و بين مقدار الضرر الداخل منهما، فان كانت المصلحة أهم و يجب استيفاؤها شرعاً مثل احياء الدين، لزم تحمل الضرر و لم يجز ترك الامر بالمعروف أبداً.

و ببيان آخر: فرقٌ بين الامر بالمعروف و النهي عن المنكر الشخصي و عند بعض الافراد كالمعاصي الشخصية و الذنوب و بين النهي عن المنكر العام الذي يلزم منه دروس الدين و اماتة الشريعة و تعطيل الاحكام كلها، و هتك المقدسات و الشعائر الاسلامية، فترك النهي عن هذه المنكرات يؤدي الىٰ خسارة كبيرة و مصائب و ويلات علىٰ المجتمع الاسلامي و يقوّي شوكة الكفّار و تسلطهم علىٰ المسلمين، كما في عصر يزيد بن معاوية حيث كان خطر الانحراف الكامل للدين و تغيير الهوية الاسلامية للمجتمع، يهدد العالم الاسلامي أجمع، فالمؤشرات كانت تدل علىٰ قرب زوال الدين إلاّ اسمه و الإسلام إلاّ رسمه.

ففي الصورة الأولىٰ ـ النهي عن المنكر الفردي ـ يكون الاشتراط صحيحاً و سليماً، و أمّا في الصورة الثانية فلا يصح ذلك الاشتراط، بل لابد من النهوض باعباء المسئولية الدينية و نصرة الدين و دفع الخطر المتوجه الىٰ الإسلام و المسلمين حتىٰ لو استلزم ذلك التضحية بالمال و النفس.

٣ـ إنَّ احتمال التأثير علىٰ قسمين: فتارة يكون النهي عن المنكر في خصوص

فردٍ في حالة ارتكاب المعصية، فاذا لم نحتمل التأثير لم يجب نهيُه عن تلك المعصية، و تارة ننهىٰ عن المنكر و لا نحتمل تأثيره في نفس الوقت، لكنننا نقطع بتأثيره في المستقبل، ففي هذه الحالة لا يسقط وجوب النهي عن المنكر فهو بقوة احتمال التأثير الفعلي و لا فرق بينهما. كما لو احتملنا إنَّ تصدينا لفضح و محاربة الفرق الضالة و المؤسسات الفاسدة و نشر معايبها و انحرافاتها علىٰ الناس سيؤدي في المستقبل الىٰ توعية الناس شيئاً فشيئاً ثم كساد تلك المؤسسات و إفلاسها و إندثارها، أو التقليل من تأثيرها في المجتمع أو علىٰ الاقل يؤدي الىٰ الحدِّ من اتساع رقعة نشاطاتها و اضلالها، أو تحصين الناس من الانخداع بافكارها و برامجها، ففي هذه الصورة يكفي احتمال التأثير المستقبلي في عدم سقوط الامر بالمعروف و النهي عن المنكر.

إنَّ اكثر الشعوب و الامم في العالم المعاصر، انما استطاعت أن تفك قيود أسرها و أنْ تنال حرياتها و استقلالها، بواسطة اختيارها لهذا الطريق، طريق التضحية و الفداء و تحمل الصعاب و الضغوط، و عن طريق توعية الناس بانحرافات الأعداء و فضح مكائدهم و زلزلة أسس مناهجهم و زعزعة اركان نفوذهم و من ثمَّ افشال مخططات العدو و دحره، و كم من دماءٍ أريقت في سبيل نيل هذه الحريات و الاستقلال، كانت المحرك الاساسي لنهضة المجتمع و ثورته و اسقاط الانظمة المستبدة، حتىٰ لو كانت تلك النتائج تظهر متأخرة عن وقت الانتفاضات و الحركات التحررية، فالغرض و الهدف هو التغيير و الاصلاح و الخلاص، لا الرئاسة و الحكم و السلطة.

و هكذا أولياء الله، فانهم يجاهدون من أجل أهدافٍ سامية و مبادئ انسانية رفيعة، مع علمهم بأنَّ أعداء الله سيصبّون جام غضبهم علىٰ رؤوس المجاهدين و يقتلونهم و يشردونهم و ينهبون أموالهم و يرفعون رؤوسهم علىٰ رؤوس الرماح،

لكن ذلك لم يؤخرهم عن التضحية و الفداء و التحمل و الصبر و الجهاد في سبيل الإسلام، ليكون جهادهم و تضحياتهم مناراً يهتدي به الناس لتغيير مسيرة التاريخ.

و كذا كان الحسين عليه السلام، فقد رأىٰ أنَّ الاخطار تهدِّدُ أحكام القرآن و الإسلام و إنَّ مستقبلاً مظلماً ينتظر الامة الاسلامية، و إنَّ شمس الإسلام النيّرة باتت قريبة من الافول، و إنَّ الجاهلية نفضت ترابها لتعود الىٰ مرافئ الحياة و إنَّ الخلافة الرشيدة لبست ثوب الكسروية و القيصرية، و مع هذا كلّه لم يكن من الحسين عليه السلام أن يسكت بمجرد إحتمال الضرر أو حتىٰ القطع به، و يجلس حلس داره يذرف الدموع علىٰ الإسلام و يقرأ فاتحة الدين و ينصب العزاء علىٰ الشريعة.

إنَّ الحسين عليه السلام كان علىٰ يقين و احاطة تامة بالمخاطر المحدقة بالدين، و من ثم وجدناه من أول ساعة و عندما عرض عليه مروان بن الحكم بيعة يزيد فينعم ـ بزعم مروان ـ بحياة هادئة محترمة، فقال الإمام الحسين عليه السلام:

« إنّا لله و إنّا اليهِ راجِعُون و علىٰ الإسلامِ السَّلامَ اذ قد بُليَتِ الأُمَّةُ براعٍ مِثل يَزيد »

لقد كان علىٰ الحسين عليه السلام و في مثل تلك الظروف و هو يرى تلك المنكرات، أن يهبَّ هبَّة كاملةً قويَّة للدفاع عن الإسلام، و أنْ يحفظ ثغوره و حصونه حتىٰ لو آل الامر الىٰ قتله و قتل اولاده و اخوته و اصحابه، و حتىٰ لو استلزم تحمل أسرِ اخواته و نسائه و ذبح الرضَّع من اطفاله في حجره، لان الحسين عليه السلام كان يرجّح بقاء الإسلام و احكامه علىٰ بقاء نفسه بين جنبيه، و لذا قام بذلك الفداء الجبّار.

هذا، و إنَّ احتمال التأثير كان موجوداً، بل ان الحسين عليه السلام كان متيقناً من تحقق التأثير، و أيَّ تأثير اكبر من حفظ استمرارية و دوام الإسلام و إنَّ نهضته ستؤدي الىٰ ضمان بقاء الدين، فالحسين عليه السلام كان يعلم إنَّ بني اميّة اذا قتلوه ـ و هو سبط النبي

و محور تحقق الآمال الروحية عند الناس، و أشرف و أعزَّ الخلق و احبَّهم علىٰ قلوب المسلمين ـ فان قدرتهم ستتلاشىٰ و انَّ مخططاتهم ستُفتَضَح، و انَّ سيلاً عارماً من الغضب و النفرة و الانتقاد سيسلب منهم القدرة علىٰ محاربة الشعائر و إماتة الدين و اعادة الجاهلية، و إنَّ عليهم أن ينتقلوا من مواقع الهجوم الىٰ مواقع الدفاع ليتمكنوا من المحافظة علىٰ سلطانهم لأيام معدودة.

لقد كان الحسين عليه السلام يعلم تماماً إنَّ استشهاده و أسر بنات الوحي و عقائل النبوّة سيكشف القناع المزيف لحكام بني اميّة و يفضح عداءهم للاسلام و للنبي و آل النبي صلى الله عليه وآله، مما يؤدي الىٰ تثبيت جذور الإسلام و الايمان في قلوب الناس و إنَّ مصرعه و مصرع اصحاب الوفىٰ من انصاره سيهزَّ ضمير الامّة و يحيي فهيا حسَّ التمرّد علىٰ الامويين، و انه سيوقظ الجميع من رقدتهم و سباتهم.

لقد كان الحسين عليه السلام يعلم جيداً انه اذا قُتِل و سبيت عياله و ذبح رضيعه علىٰ صدره، و رفع رأسُه فوق القناة، فان المسلمين سيكتشفون إنَّ منهج بني اميّة منهج معادٍ للاسلام، و انهم اقرب الىٰ الجاهلية، و من الواضح انَّ انكشاف هذه الحقيقة سيؤدي الىٰ زوال هذا الحكم و إن استطاع البقاء لمدة قصيرة يعالج الزوال و الاضمحلال، عاجزاً عن تغيير هوية المجتمع الاسلامية و اضلال المسلمين.

لقد هزّت فاجعة كربلاء العالم الإسلامي أجمع، فكان يوماً كيوم رسول الله صلى الله عليه وآله و ثارت احاسيس الغضب علىٰ بني اميّة عند عامة المسلمين، و بدأت الثورات و الحركات تترا ضدَّ حكم بني اميّة حتىٰ سقطت تلك الحكومة التي كانت تروِّج للشرك و الكفر باسم الإسلام و الدين، فكانت دماء اهل البيت الطاهرة هي ثمن نجاة الإسلام و اعادة روحه الىٰ بدنه و هويته الىٰ معتنقيه.

اذن، فما قام به الحسين عليه السلام من امر بالمعروف و نهي عن المنكر كان منسجماً

مع القواعد الشرعية، بل كان ضرورياً و واجباً، و لقد فدا الحسين عليه السلام الدينَ بنفسه و ولده و اخوته و خير اهل الارض جميعاً، و تحمل كل البلايا و الرزايا التي هاجمته من كل ناحية من اجل الاهداف السامية.

فقد كان الحسين عليه السلام يرىٰ بعينيه الرحيمتين، اطفاله الرضَّع يتلظون عطشاً و يذبحون بسهام الغدر المسمومة، و لكنه لم يهن و لم يضعف قدر اغلة في طلب الحق.

و تاريخ الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و مقارعة الظلم و الكفر، لم يرو لنا قصة رجلٌ شابه الحسين عليه السلام في تضحياته و فدائه و وقف هو و عياله و اطفاله و قد احاط به جيش جرارٌ آثمٌ من كل جانب و جهة و شاهد ذبح اطفاله و موتهم عطشاً و شاهد سر بناته و اخواته و نسائه، و كان جسده الشريف يشخب دماً و قد اصيب باكثر من سبعين ضربة سيف و طعنة رمح و نبل، و مع كل ذلك بقي محافظاً علىٰ رباطة جأشه معتزاً بكرامته وفيّاً لمبادئه و دينه انه الحسين عليه السلام المنفرد في قوة قلبه و شجاعته و صموده في طريق الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الحسين عليه السلام فريد العصور في ملحمته التي سطرها يوم عاشوراء و نجح في كل الامتحانات و الابتلاءاتِ و حاز علىٰ الرتبة الأعلىٰ من بين سائر طلاّب الحقَّ و الحقيقة.

فأيَّ شجاع و ايَّ مقدامٍ يصبر ساعة الوغىٰ مع ما به من جراح و عطش علىٰ تلك المصائب التي حلَّت بساحة الحسين عليه السلام ؟ انه الحسينفقط الذي يثبت علىٰ امتثال التكليف الاهي الشاق بالامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و لم يعتذر بعذرٍ و لم يتململ بحجَّة فكانمصداق الحديث النبوي المشهور:

«سَيِّدُ الشهداء عَمّي حَمزَة و رجلٌ قامَ الىٰ إمامٍ جائِرٍ فأمَرَه و نهاهُ فقَتَلَه»

٣ـ دواعي الثورة من لسان قائدها

« ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب و القائم بالقِسطِ و الدائِنَ بِدينِ الحَقِّ و الحابسِ نَفسَهُ علىٰ ذاتِ الله » الإمام الحسين عليه السلام

عندما حضر الحسين عليه السلام الىٰ دار الإمارة بعد أن دعاه الوليد و هو والي المدينة و نعىٰ له معاوية فاسترجع، و قرأ له كتاب يزيد في أخذ البيعة، فقال الحسين عليه السلام **« إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سراً حتىٰ أبايعه جهراً فيعلم الناس ذلك. »**

قال الوليد: أجل.

فقال الحسين عليه السلام **« تصبح و ترىٰ رأيك في ذلك »** فقال الوليد: انصرف علىٰ اسم الله تعالىٰ حتىٰ تأتينا مع جماعة الناس، فقال مروان للوليد: و الله لأن فارقك الحسين الساعة و لم يبايع لا قدرت منه علىٰ مثلها ابداً و لكن أحبس الرجل لا يخرج حتىٰ يبايع أو تضرب عنقه. فقال الحسين عليه السلام لمروان ويلك يا ابن الزرقاء أ أنت تأمر بضرب عنقي أم هو كذبت الله و لؤمت، ثم التفت الىٰ الوليد و قال **« يا أمير إنا أهل بيت النبوة و معدن الرسالة، بنا فتح الله و بنا ختم و يزيد فاسق فاجر شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق و الفجور، و مثلي لا يبايع مثله و لكن نصبح و تصبحون و ننظر و تنظرون أينا أحق بالبيعة و الخلافة. »**

و إنَّ قوة العارضة في الحق تفعلُ في النفوس فعل السحر و تَعصف بالجلامد و الصخور، فتُبدَّل منها حتىٰ تجعلها كالكثيب المهيل. و كلمة الحق الصارخة لابدّ أن تجد لها في أُذُن الباطل وقعاً، و أن تترك فيه دويّاً، إمّا أن يَصمَّها و إما أن يُصلح منها. و كذلك فعلت كلمة الإمام ذلك الدويَّ الذي كان رجعه صلاحاً و تأنيب

ضمير في أذن الوليد، و صمماً و عتوّاً في أذن مروان. و اسمع إلىٰ المراجعة التي دارت بينهما بعد خروج الحسين عليه السلام.

قال مروان للوليد: عصيتني! لا و الله لا يمكنك مثلها من نفسه أبداً. و كان أشار عليه بقتله إن امتنع.

فقال الوليد: ويحك، إنك أشرت عليّ بذهاب ديني و دنياي، و الله ما أحبَّ أن أملك الدنيا بأسرها، و إني قتلت حسيناً سبحان الله أقتُل حسيناً لمّا أن قال لا أُبايع؟

و الله ما أظنُّ احداً يلق الله بدم الحسين عليه السلام إلاّ و هو خفيف الميزان لا ينظر الله اليه يوم القيامة و لا يزكيه و له عذاب اليم. (١)

إنَّ هذه الصفحة من تاريخ الحسين عليه السلام مهمة و حساسة في توضيح و كشف دواعي الثورة و اباء الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد، اذ إنَّه عدد جملة من الامور يكفي واحدٌ منها للامتناع و التخلف عن تلكم البيعة و علىٰ وجوب الانتفاض و الثورة.

فلا يشكُّ احدٌ في دلالة تلك الاسباب التي استند اليها الحسين علىٰ مشروعية الثورة و حرمة البيعة ،فالكل يقبل تلك الخروقات اليزيدية كبرىً و صغرىً، و حتىٰ الوليد بن عقبة مع انه ابن عم يزيد و واليه، فلم يتحرج من تصديق الحسين عليه السلام، و ما كان منه إلاّ ان يستسلم لمنطق الحسين عليه السلام و صحة استدلاله و احتجاجه، بلا اي ردٍّ أو انكار.

و لا ريب إنَّ أفضل من يقدر علىٰ بيان علل و دوافع ثورة الحسين عليه السلام هو الحسين عليه السلام نفسه، اذ لا يختلف اثنان في صدق لهجة الحسين عليه السلام و لا في اضطلاعه

---

(١) سمو المعنىٰ ص ١١٤ـ١١٣. مقتل الخوارزمي ص ١٨٤ ف ٩ و مصادر اخرىٰ.

بحقائق الامور و مجريات الاحداث السياسية في العالم الاسلامي، و لا في معرفته بمخططات بني اميّة و يزيد و عمّاله، فما يقوله الحسين عليه السلام في هذا المضمار هو عينُ الحقيقة و كمالها و اوثق مصدر و مرجع يمكن الاستناد اليه في الوقوف علىٰ خصوصيات نهضته و دوافعها.

و ما دام الكلام صادقاً و مطابقاً للواقع، نفذ الىٰ النفوس و قبلته القلوب و اهتزت له المشاعر، و لذا فقد اثرَّ كلام الحسين عليه السلام حتىٰ في قلوب اهل الباطل فرأيناهم يقرّون بذلك احياناً و إن سكتوا عن الإنحراف، امثال الوليد بن عقبة الذي لم يتجرأ علىٰ انكار ما قاله الحسين عليه السلام في وصف يزيد و بني اميّة، و لقد بدا الحسين عليه السلام كلامه قائلا:

« أيّها الأميرُ إنّا أهلُ بيت النُبُوَّة و مَعدِنِ الرِّسالَة و مُختَلَف الملٰئِكَة و مَهبَط الرَّحمَةِ »

فنجد الحسين عليه السلام يبيِّن أهليته العلمية والعملية وسوابقه الفريدة لقيادة الامَّة، و رعاية مصالحها و تقرير مصيرها، فالكلمة قصيرة، لكنها مليئة بالمعاني الحسّاسة و الخطيرة، فهو قد نبّه الوليد الىٰ مقامه في العالم الاسلامي، و ذكّره بانَّ لا أحد أعرف منه بالامور الشرعية و الأهداف الاسلامية و لا احرص في الحفاظ علىٰ بيضة الإسلام و كرامة المسلمين، اذ انه من اهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مهبط الرحمة و ملتقىٰ الملائكة.

و لا نظنُّ إنَّ كلمات أوقع من هذه الكلمات يمكنها ان تفيد هذه المعاني و توصلها الىٰ ذهن المخاطب.

فبناء التوحيد و عمارة الإسلام العظيم انّما تمَّت بهندسة جدِّه رسول الله و جهاد أبيه علي عليه السلام و سخاء جدته خديجة و حنان و رعاية أُمّه فاطمة عليها السلام

لجدّه و أبيه، و فداء و تضحيات عمّه جعفرٍ الطيار و عمِّ ابيه الحمزة بن عبد المطلب، و سائر المجاهدين في طريق التوحيد من بني هاشم، و ها هو الآن بعد اخيه الحسن المجتبىٰ عليه السلام، المحامي الوحيد عن الإسلام و المتلهف لاغاثة المسلمين، فإذا سكت ـ و هو الذي نزلت في بيته قوانين الشرع و مقررات الدين و آيات الوحي ـ عن نصرة الإسلام فلا شكَّ في انَّ سائر الناس سيسكتون عن الحق و لن يتطوع احدٌ للدفاع عن الدين.

لقد أوضحت هذه الجملة القصيرة، مسئولية الحسين عليه السلام الخطيرة و الثـقيلة تجاه الإسلام و القرآن، كما رسمت الخطوط العريضة لحركته المستقبلية، و تدلّ بالقطع و اليقين علىٰ استحالة سكوت الحسين عليه السلام و تجاهله لعواقب الاوضاع الوخيمة.

لقد قام الحسين عليه السلام بما كان سيقوم به جدُّه رسول الله صلى الله عليه وآله لو كـان في زمـن يزيد. أفهل كان النبي صلى الله عليه وآله سيسكت عن سياسة يزيد و يبايعه؟ أم هـل يُـعقل أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان سيتفرج علىٰ مهازل الحكم الاموي و استخلاف فاسق فاجر شارب للخمر، و لا ينتفض؟ هل كان مشروع النبي صلى الله عليه وآله و المجتمع الايماني الملكوتي الذي اسسه تحت لواء التوحيد و العدالة و الحرية، يعني أنْ ياتي أمثال يزيد و ابن زياد و يتسلطون علىٰ رقاب الناس و يهتكون كرامة المسلمين و يتمردون علىٰ الحدود و القوانين الالهية؟

هذا النبي صلى الله عليه وآله هو ذلك النبي صلى الله عليه وآله الذي قالها كلمة باقية علىٰ مسمع الدهور و العصور و الملل و النحل:

«و الله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري علىٰ أن أترك هذا الأمر ما تركته حتىٰ يظهره الله أو أموت دونه»

و هذا الحسين عليه السلام هو ابن ذلك النبي، قال:

« إنا أهل البيت النبوة و معدن الرسالة ، بنا فتح الله و بنا ختم . و يزيد فاسق فاجر شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق و الفجور ، و مثلي لا يبايع مثله »

فهو غير مستعدٍ للبيعة مع يزيد حتىٰ لو ضيقوا عليه الآفاق و بقي مشرداً في الصحارىٰ و القفار .

و انت ترىٰ أنَّ منطق النبي صلى الله عليه وآله و منطق الحسين واحدٌ أبداً. فهذه الجملة المختصرة الفاظُها ، الغزيرة معانيها تكشف موقع الحسين عليه السلام في امته و تشرح وظيفة الحسين عليه السلام تجاه دينه و اسلامه و تعرِّي الحكم الاموي من مشروعيته ، كما إنها تجسد مقوّمات شخصية الحسين عليه السلام الروحية السامية ، يقول : « بنا فتح الله و بنا خَتم » اي إنَّ منصب و مسئولية هداية البشرية و قيادتها ، فينا أولاً و أخيراً. ثم يقول :

« و يَزيد فاسقٌ فاجرٌ شاربٌ للخمرِ قاتلٌ للنفس المحترمة مُعلِنٌ بالفسق و الفجور »

فهل ترىٰ صارخةً أشجع و اوضح من هذه ، حيث إنَّ المخاطب هو الوليد ، والي يزيد علىٰ المدينة التي هي من اقوىٰ مراكز القدرة و السلطلة و في دار الامارة و مقر الحكومة و بين جلاوزة يزيد و بني اميّة ، يقوم الحسين عليه السلام بفضح شخصية يزيد وكشف ذمائم اخلاقه التي لو وجدت واحدةٍ فقط في شخصٍ ما ، لم يكن اهلاً لادارة قرية من القرىٰ الاسلامية فكيف اذا اجتمعت كل تلك الرذائل في رجل يريد ان يتزعم الامة الاسلامية كلّها؟!

فكل واحدة من تلك الصفات ، تعدُّ دليلاً قاطعاً علىٰ عدم مشروعية حكم يزيد و حرمة البيعة له و تمكينه من رقاب المسلمين.

١ـ الفسق و الفجور و الزنا و المعاصي.

٢ـ معاقرة الخمرة.

٣ـ قتل النفس المحترمة بلا حق.

٤ـ التجاهر بالذنوب.

إذْ إنَّ من صفات الخليفة إظهار العدالة و اشاعة المفاهيم الاسلامية و الايمانية في سلوكه، و أن يكون النموذج الكامل للتربية الاسلامية الصحيحة، و المرآة العاكسة للدين و التديُّن.

كما إنَّ الغرض من تعيين الخليفة و الإمام هو إجراء الحدود و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و نصرة المظلوم و تطبيق الشريعة و الحفاظ علىٰ ارواح الناس، و لذا ينبغي عليه أن يكون أوَّل الناس تطبيقاً لهذه المُثل و أسرعهم امتثالاً للاحكام الشرعية، و الاكثر التزاماً باخلاقية الهُدىٰ و الصلاح.

امّا اذا كان الخليفة نفسه متجاهراً بالفسق، مرتكباً للفواحش خائناً لدينه و للمسلمين، غيرُ مامونٍ ضررُه عليهم، لم يَعُد لتلك الامة أمن و لا أمان و تزلزلت اركان الدولة و سارت نحو الزوال.

فالمجتمع، مضافاً الىٰ انه لا يجوز له أن يبايع أمثال هؤلاء، فان عليه أيضاً ان يثور عليهم و يعزلهم عن مراكزهم و مسئولياتهم.

الجملة الثانية:

«و مِثلي لا يُبايعُ مِثلَهُ»

و ما هي النتيجة و الخلاصة مما تقدم من كلام الحسين عليه السلام، أي إنَّ الرجل في مقام الحسين عليه السلام لا يعقل ان يدوس علىٰ كل القيم و يبايع مثل يزيد، إذْ إنَّ البيعة مع الخليفة في مصطلح المسلمين تعني التعهد بالطاعة و الانقياد لمن يتولىٰ منصب قيادة

الامة و هدايتها و عزّها، و الذي يعمل علىٰ احياء الدين و معالم القرآن الكريم و يأمر بالمعروف و ينهىٰ عن المنكر، و بعبارة أوضح، إنَّ البيعة تكون لخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

إنَّ معنىٰ البيعة الصحيحة الصادقة، هو إعلان الاستعداد للانقياد التام و التسليم لاوامر الخليفة الحقيقي، و التضحية في طريق امتثال تلك الاوامر، و التي وجبت بحكم قوله تعالىٰ:

« أطيعُوا اللّهَ و أطيعُوا الرَّسولَ و اولي الأمرِ منكُم »

و مثل هذه البيعة مع مثل يزيد ابن معاوية ـ و إن كانت صورية و لدفع الضرر ـ هي إمضاءٌ و قبولٌ و شرعية لكل ذنبٍ يرتكبه و فسقٍ و فجورٍ و تجاهرٍ بالمنكرات يقوم به، و اضاعة لحقوق المسلمين و معونة للظالمين، و يستحيل علىٰ الحسين عليه السلام شرعاً و عرفاً ان يبايع مثل هذه البيعة و لذا قالها صريحة واضحة كوضوح الشمس « و مثلي لا يبايع مثلَه » و كانها حكمٌ بديهي مسلَّمٌ عند الجميع، إذ لم يكن احدٌ منصف يتوقع من الحسين عليه السلام أن يبايع يزيداً أبداً.

و كانت هذه النتيجة منطقية ثبّتها الحسين عليه السلام بعد أن ذكر موقعه في الامّة و مقامه في أهل البيت عليهم السلام.

نعم، و لو فرضنا ان كل المسلمين استسلموا للذُّلِ و المهانة و بايعوا يزيد بن معاوية، لم يكن من الحسين عليه السلام و هو صاحب الفضائل و المناقب الذي ترنو اليه أبصار المسلمين، و تتوقع من مثله بذل الجهد في خلاصهم و انقاذهم من الزاوية الحرجة التي وضعوا أنفسهم بها بسوء فعالهم، لم يكن له أن يبايع محور الشرِّ و القسوة و قطب الفسق و المجون يزيد. فمقام الحسين عليه السلام متميزٌ عن سائر الصحابة فضلاً عن سائر المسلمين، فهو من اهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مهبط الوحي و

مختلف الملائكة و منزل الرحمة الالهية، و هو من بعد اخيه الإمام الحسن عليه السلام الابن الوحيد لابنة سيد المرسلين علىٰ وجه الارض و سبطه و لذا قال للفرزدق «إنَّ هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان و تركوا طاعة الرحمٰن و أظهروا الفساد في الارض و أبطلوا الحدود و شربوا الخمور و إستأثروا في اموال الفقراء و المساكين و أنا أولىٰ من قام بنصرة دين الله و إعزاز شرعه و الجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا.»(١)

فلم يكن امام الحسين عليه السلام خيار و هو في موقعه ذاك، و يزيد في موقعه ذاك، إلاّ أن يُعلن حالة الخطر و النداء بعدم شرعية حكومة يزيد و بيعته، اذ ان بيعة الحسين عليه السلام أو بيعة كل واحدٍ من الصحابة ليزيد تعدُّ اضفاء شرعية لحكمه و تنزيهاً له و تزكية، و ابطالٌ لحقيقة الخلافة، و عدولٌ عن كل شرائط الزعامة الاسلامية و خلافة النبي صلى الله عليه وآله و سوق المجتمع الىٰ الضلالة، و ستكون هذه البيعة سلسلةَ قيودٍ لأسر و تعذيب أولياء الله، لا يوازي ثقلُ الجبال ثقلها.

لقد انتفض الحسين عليه السلام بهذا المنطق، و ثبت عليه الىٰ النهاية و كان يقول:

«ما الإمامُ إلاّ العاملُ بالكتابِ و القائمُ بالقسطِ و الدائنُ بِدينِ الحقِّ و الحابسُ نَفسَهُ علىٰ ذات الله»(٢)

و يوم عاشوراء، و عندما صُبَّت عليه المصائب و البلايا و الرزايا كان يكرر نفس المنطق و يقول:

«أما و الله لا أجيبُهُم الىٰ شيءٍ مما يُريدونَ حتّىٰ ألقىٰ الله و أنا مُخضَّبٌ بدَمي»(٣)

---

(١) تذكرة الخواص ص٢٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص٢٦٢.

(٣) سمو المعنىٰ في سموّ الذات ص١١٨.

٤ـ فسادُ أجهزة الحكم

لا خلاف بين المفكرين و العلماء في ضرورة كون الحكومة الاسلامية راعية لمصالح المسلمين ممثلةً لافكارهم و آرائهم و مجسدةً لروح المجتمع الاسلامي و محققة لرسالة الإسلام.

و يعتقد الشيعة، أنَّ الحاكم هو القائد الالهي الكامل و هو النبي صلى الله عليه وآله. و بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله و التحاقه بالرفيق الاعلىٰ تعيّنت القيادة في أشخاص نصبهم الله علىٰ لسان الرسول صلى الله عليه وآله و كما كان النبي صلى الله عليه وآله متكفلا قيادة المجتمع دينياً و روحياً و اخلاقياً و سياسياً و اجتماعياً، فكذلك الإمام يتمتع بذلك الموقع بفارق انَّ النبي يوحىٰ له و الإمام لا يوحىٰ له، و إنما يعتمد علىٰ الكتاب و السنَّة في أداء وظائفه، أمّا النبي فيأخذ الشرائع و الدين من عالم الغيب و هذا من مختصات النبي صلى الله عليه وآله.

و من الواضح، إنَّ هذا المنهج لادارة المجتمع هو أفضل المناهج و الطرق النافعة والصحيحة، و لا شك في أنَّ من يعينه النبي صلى الله عليه وآله بامرِ الله تعالى، يكون لائقا و مؤهلاً لهذه القيادة، و كما يقول الفيلسوف الكبير الشيخ ابو علي ابن سينا:

« والاستخلافُ بالنصِّ أصوَب فانَّ ذلك لا يُؤدي الىٰ التَشعُّبِ و التَشاغُبِ و الاختلاف »(١)

و بناءً علىٰ مذهب أهل السنَّة، فكذلك ينبغي علىٰ الحكومة أن تكون مَظهَر روح المجتمع الاسلامي، و إنما تجب طاعة مقرراتها فيما لو كانت ملتزمة بحفظ شعائر الإسلام و رعاية مصالح المسلمين و أن تكون مصدر قدرةِ المجتمع المسلم، فان

(١) الالهيات ـ الشفاء ـ الفصل ٥، المقالة ١٠.

تخلفت عن ذلك لم تكن شرعيةً و لااسلامية.[١]

و من أهمّ وظائف الخلافة و تعهداتها هو تقويم الاعوجاج و تطبيق العدالة الاجتماعية و اجراء القوانين الاسلامية، فاذا ما أهملت الخلافة هذه الجوانب، لم يعُد لها أيّ اعتبار و لا قيمة و يكون التمرد علىٰ اوامرها واجباً و اعانتها ذنباً و لقد حارب الإسلام تسلط الحاكم واستبداده، واسقط الحكومات المستبدة في افريقيا و امراء و رؤساء قبائل نجد و الحجاز و غيرها. و أدان الإسلام بشدة اذلال البشرية باي عنوان كان ذلك، و رَفع المستوىٰ الثقافي و الفكري للمجتمع، و كسر شوكة المستثمرين و لم يكن كلُّ ذلك من اجل استبدال الحاكم الفارسي أو الأفريقي بحاكمٍ عربي و إنَّما كان ذلك من أجل تثبيت اسس كرامة الانسان و نجاته من الاستغلال و الاستعباد.

و لم يحارب الإسلام ملوك ايران و لم يهدم قصر كسرىٰ الذي بُني علىٰ اكتاف المزارعين المحرومين و باموالهم، لكي يستبدله بقصر الخضراء في الشام، و قصور المنصور في بغداد، و لا أن يتغير اسم الحكم من كسروي الىٰ اموي أو عباسي

---

(١) و علىٰ الرغم من ان ما ورد في الاخبار المروية بطرق اهل السنة من عدم جواز اطاعة الحكومات الظالمة غير الملتزمة باحكام الإسلام و حتىٰ تلك الروايات المطلقة في لزوم إطاعة الحاكم منصرفةٌ الىٰ الحاكم الحافظ للشرع و مصالح عامة المسلمين، إلاّ انه و للاسف لا نجد تطبيقاً لهذه القاعدة الشرعية عملياً، فاكثر اهل السنَّة يطيعون الحكام علىٰ علاّتهم كالوليد و الحجّاج و يزيد و جبابرة بني العباس و الفسّاق و الظلمة، و يعتبرونهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله و امراء المسلمين و يوجبون طاعتهم. و لكن كبار المفكرين المعاصرين من أهل السنة، انكروا هذا التسليم و الانقياد و الاطاعة و خرقوا تلك السيرة التي كانت قائمة لقرون مديدة، و انتقدوها و ابطلوا هذا المُعتَقَد، و كشفوا فضاعة مثل هذا الفكر المنحرف، البعيد عن روح الشريعة و القرآن.

يضطهد الناس و يستعبدهم[١] بل كان هدف الإسلام من كلّ ذلك هو إنهاء الاستعباد و الاستبداد، كي تتمكن الشعوب من صيانة عزتها و شرفها و الحدِّ من الطاعة العمياء للملوك.

فالإسلام، لا يعتبر السلطة و القدرة ملكاً للحاكم يتصرف بها كيف يشاء فيجمع الغلمان و الحريم و يكنز الذهب و الفضة و يبني القصور الفخمة و يتباهىٰ علىٰ الفقراء و سائر المسلمين بقدرته و ملكه، و انما يرىٰ الإسلام ان القدرة و السلطة هي تجلٍّ من تجليات قوة الشعب و المجتمع، و الحاكم احد افراد ذلك المجتمع، و إنَّ كل فرد من أفراد الامّة له نصيب من هذه القدرة، فلا يمكن تحويل هذه القدرة العامة الىٰ سلطة فردية يُساء استغلالها.

فالنظام الاسلامي قائم علىٰ انَّ واضع الاحكام و مقنن القوانين هو الله عزوجل و ليس لاحدٍ من البشر حق التشريع:

«إن الحُكمُ إلاّ للّهِ أمَرَ ألاّ تَعبُدوا إلاّ إيّاه»[٢]

و قد اوجب الإسلام علىٰ الجميع رعاية قواعد الشرع و اقامة الحدود، و نهىٰ عن الحكم بما لم ينزل الله:

---

(١) و من نماذج استعباد بني العباس للناس، انهم كانوا قد نصبوا حجراً علىٰ باب احد قصور الخليفة العباسي، مشابها للحجر الاسود، و قد غطي بقطعة قماس ثمينة، فمن اراد من الرؤساء و الملوك و رجال الحكم لقاء الخليفة عليه ان يمرَّ علىٰ ذلك الحجر و يقبّله!!

و عندما اراد احد العلماء و اسمه مجد الدين اسماعيل الفالي ان ينقل رسالة حاكم فارس الىٰ خليفة بغداد، امتنع عن تقبيل الحجر، و لما الزموه بذلك، اضطر الىٰ وضع قرآن علىٰ ذلك الحجر و تقبيل القرآن (روضة الصفا)

(٢) سورة يوسف، الآية ٤٠.

« وَ لَم يحكُمْ بما أنزَلَ اللّهُ فاولئكَ هم الظّالمون »[١]

« وَ من لَم يَحكم بِما أنزَلَ اللّهُ فاولئك هُم الفاسِقون »[٢]

و من اختار غير حكم الله و اتّبع غير منهج الإسلام و شريعة القرآن فهو ضالٌ مضلّ:

« وَ ماكانَ لِمُؤمنٍ وَ لا مُؤمِنَةٍ إذا قَضىٰ اللّهُ و رسولُهُ أمراً أن يكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ من أمرِهِم و مَن يَعصِ الله و رسولَه فَقد ضلَّ ضلالاً مُبيناً »[٣]

فالاسلام يهدفُ الىٰ إنهاء حكومة البَشر و تسليم الأمر الىٰ حكومة الله عزوجل.

و عندما حمل النبي صلى الله عليه وآله راية التوحيد و الدعوة الىٰ هداية البشرية و انتشر صدىٰ ندائه في أقطار العالم فايقظ المجتمعات النائمة علىٰ فراش الغفلة، و انتبه الجميع الىٰ انغام هذه الانشودة الجميلة التي لم يسمعوا مثلها أبدا. فعرَّفهم بحقوقهم و كرامتهم و قدرهم و قيمتهم الروحية و المعنوية و قال:

« تَعالَوا الىٰ كَلِمَةٍ سَواءٌ بينَنا و بينَكُم ألاّ نعبُدَ إلاّ الله و لا نُشرِكَ بِهِ شيئاً وَ لا يتَّخذَ بعضُنا بَعضاً ارباباً مِن دُون الله »[٤]

لقد كانت الحكومات في ذلك الوقت، وسائل لاستعباد و استثمار شرائح كبيرة من طبقات المجتمعات، فسلطنة البشر علىٰ البشر و استرقاقه كانت هي الرائجة، و كان للحكم سلطنةٌ مطلقة في الحروب و السلم و الاتحاد و التنازع، و كل القرارات

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٧.

(٣) سورة الاحزاب، الآية ٣٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية كانت من حق الحاكم فقط و لم يكن للشعوب حول و لا قوة في التدخل باتخاذ ايّ قرار، بل كان عليها التسليم و الانقياد المطلق.

و كان احترام الناس للحاكم و الامير و الوزير، ليس من جهة حبّهم و موافقتهم ايّاه، و إنّما كان في الاغلب باعتباره صاحب الحق في التصرف و انّه السلطة العليا التي ينبغي التسليم و الخضوع لها و تعظيمها تعظيماً لا يمتُّ الىٰ الأخلاق الإنسانيّة بايِّ صلة، و تواضعاً فاق تواضع العبيد لاسيادهم.

في مثل هذا العالم الذي كانت الشعوب فيه بمثابة مماليك للملوك و عبيد للامراء الذين كانوا يعتبرون الناس خدماً و عبيداً لهم، و في الوقت الذي كانت البشرية تمرّ بمرحلة انحطاط اجتماعي و اخلاقي كبير، ظهر نبي الإسلام صلى الله عليه وآله يحمل بشارة الحرية و الغاء الاستعباد و الرقيّة و الاذلال، و يعلّم الناس دروس العدالة و الفضيلة و المساواة.

ذات يوم جاء أعرابي الىٰ النبي صلى الله عليه وآله، و مع إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان في ذلك اليوم يعيش حياةً بسيطةً هو و اصحابه، فلا عرش و لا كرسي و لا سجاد و لا خدم و لا قصر، لكن أخذت الهيبة و الرهبة مأخذاً من ذلك الاعرابي فارتعش جسده وكأنه يقف امام ملك من الملوك فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **علىٰ رسلك يا أخا العرب، ما انا إلاّ رجل ولدتني امرأة من قريش تأكل القديد».**

إنّ مسئولية الحكم و الامارة مسئولية خطيرة و إنّ عواقب وخيمة تتهدد الامراء و الحكام، إلاّ انْ يقيموا الحق و يمحوا الباطل.

و لقد كان اولياء الله و الاتقياء يتهربون من الامارة و الحكم و يفرّون من السلطة و الزعامة فرارهم من الاسود الكاسرة الوحشية، اذ قلَّ ما تجد إنساناً لم يغرّه السلطان و القدرة و لم تؤثر في روحه و اخلاقياته و سلوكه، فالحاكم واقفٌ

علىٰ شفير جهنّم إلاّ ان يقيم الحق و يعمل بالصدق.

رویٰ صاحب كتاب الصفوة عن أبي مطرف انه رأىٰ علياً عليه السلام في السوق يسأل بزازاً هل عنده قميص فقال له البزاز نعم يا أمير المؤمنين. و لما عرف علي أن البزاز عرفه تركه و ذهب الىٰ آخر و وصل الىٰ شاب لم يعرفه فاشترىٰ منه قميصاً بثلاث دراهم. فجاء أبو ذلك الشاب فأخبره ابنه بذلك فعرف الرجل أن علي بن أبي طالب هو الذي اشترىٰ القميص فأخذ درهماً و ذهب الىٰ علي عليه السلام و قال له: يا أمير المؤمنين أن قيمة الثوب درهمان. فأخبره علي عليه السلام أنه اشترىٰ الثوب من الغلام بثلاث دراهم و هو راض بذلك.(١)

و قال علي عليه السلام لابن عباس ذات يوم و هو في ذي قار، بينما كان أمير المؤمنين عليه السلام يصلح نعل رجله: «**ماقيمةُ هذه النَعل؟**»

فقال ابن عباس: «**لا قيمة لها**»

قال عليه السلام: «**و الله لَهيَ أحبُّ إليَّ مِنْ إمارَتكُم إلاّ أن أقيم حَقّاً أو أدفَعَ باطلاً**»(٢)

و نحن نعتقد ان من أهم الامور الدالة علىٰ روح الإسلام العظيمة و تعاليمه و أهدافه، هو طريقة و اسلوب الحكم و ادارة الامور سياسياً و اجتماعياً في النظام الاسلامي.

و لكن و للاسف الشديد، إنَّ جهاز الحكومة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله و عروج روحه الىٰ الملاء الاعلىٰ، ابتعد عن محتواه الشرعي شيئاً فشيئاً بسبب انحراف الخلافة

(١) ينابيع المودة ص٢١٩.

(٢) نهج البلاغة ج١ ص٧٦ خطبة ٣٢.

عن مسيرها الواقعي، و كلما ابتعدنا عن عصر النبي صلى الله عليه وآله زاد ذلك الانحراف و زاد التّشبّه بالحكومات و الأنظمة التي حاربت الإسلام و هيمن شبح الجاهليّة علىٰ أجهزة الحكم و زادت الهوّة بين السياسة و الدين و انفصلت الحكومة عن الشريعة.

و هذه الفاصلة و ان كانت قليلة في زمن الخليفة الاول و الثاني بسبب قرب الناس من التجربة المحمديَّة و أُنسِهم بالحكومة العادلة للنبي صلى الله عليه وآله، و هذا ما منع من تبديل الحكم الاسلامي الىٰ كسروية و قيصرية علنيّة، فوجود كبار الصحابة كان رادعاً للانحراف الكبير، و لذا وجدنا بعض الفتوحات و اتساع ربقة الدولة الاسلامية، اذ ما كان بالامكان نشر الإسلام و توسيع الحكومة الاسلامية إلاّ بالمنهج الذي نهجه النبي صلى الله عليه وآله و لذا كان الخلفاء يتقيّدون برعاية الظواهر الشرعية و الاسلامية و يتظاهرون بحمل لواء العدالة الاجتماعية لكسب تأييد المسلمين للحكم، و مع انهم ارتكبوا الكثير من الخروقات الشرعية، و لكن و في الجملة كان ظاهر الحكم و المنهج المتبع في ادارة الدولة و سياستها يختلف كثيراً عن ظاهر الحكومات الملكية الموجودة في ذلك الزمان و كان المسلمون يتحسّسون هذه الفرق و هو ما كان يجعلهم يغضّون الطرف عن التجاوزات و المخالفات الادارية للحكم الاسلامي القائم.

و لكن هذا الوضع لم يَدُم طويلاً، ففي زمن عثمان تغيَّر المنهج رسمياً و بشكل سافر، و لذا تعالت أصوات الاعتراض و الانتقاد ضد سياسة عثمان خاصة في نصب الولاة و العمّال الذين لم يراعىٰ في نصبهم و عزلهم ملاك الصلاح و الاهليّة و الأمانة، بل كان عثمان ينصب الولاة المتَّهمين بالفساد و الانحراف الاخلاقي و الشرعي، لمجرّد قرابتهم منه.

يقول سيد قطب في كتابه «العدالة الاجتماعية» الصفحة ١٨٢: إنَّ من أسوء

المصادفات هي تقديم عثمان ابن عفان علىٰ علي ابن ابي طالب عليه السلام حيث جعل عثمان مقاليد الحكم بيد رجال متهمين من بني مروان، و لو أن حسن الطالع قد حالف علياً و صار خليفة لاستمرت تعاليم الاسلام.

و يقول في صفحة ١٨٦: انّ سوء طالع المسلمين هو الذي سلّط رجلاً ضعيفاً غير كفوء كعثمان علىٰ الخلافة.

ثمّ ينتقد سيد قطب سياسة عثمان المالية و منهجه في غارة أموال المسلمين و تسليطه بني معيط و بني اميّة و الحَكَم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله على رقاب النـاس، و هباته اللامعقولة و اللامسئولة من مال الفقراء و يقول:

إنَّ عثمان أهدىٰ لصهره ليلة زفافه مائتا الف درهم من بيت المال. و كان زيد بن الارقم خازن بيت المال فحزن و اهتم و اغتمّ لذلك الاسراف و سرقة بيت مال المسلمين مما دعاه الىٰ الاستعفاء من عمله، فقال له عثمان: ياابن ارقم أتبكي لانّي أصل الرحم؟! فقال له زيد: و الله لو أنك أعطيته مائة درهم لكان كثيراً. فـغضب عثمان و قبل استقالة زيد بدلاً من أن يتوب الىٰ ربه.

و في صفحة ١٨٧ من الكتاب يقول:

«إنَّ امثلة ذلك في تاريخ عثمان كثيرة و من جملتها أنه أعطىٰ للزبير ستمائة الف درهم و لطلحة مائتا الف درهم و وهب مروان ابن الحكم خمس خراج أفريقيا مع أن كبار الصحابة نهوه عن ذلك»

و في صفحة ١٩٠ يقول:

«من الواضح أن سياسة عثمان في توزيع بيت المال و طريقة مستشاره مروان و تعيينه الولاة من بني امية أثر في سير تأريخ الامة الاسلامية»

و في نفس الصحفة يقول: ليس قليلاً أن يرىٰ الناس انّ الخليفة قد استـأثر

بالخلافة لنفسه و عشيرته و أنه يقسّم بيت المال بينهم طارداً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مولّياً أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله المناصب و المقامات.

و في صفحه ٢٠٩ يقول: إنَّ عثمان قُتل يوم قُتل و هو يملك مائة و خمسين الف مثقال ذهب و مليون درهم و بلغت قيمة ضياعه و أراضيه مائة الف دينار ذهب، أضف الىٰ ذلك جياده و إبله الكثيرة.

و في صفحة ١٥٧ يقول:

«لقد كان علي عليه السلام هو الخليفة الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله و الذي كان يرتعش في الشتاء من البرد القارص لأنه لم يكن يملك ثوباً شتوياً مع أن بيت المال كان بيده و لم يكن يمنعه من التصرف ببيت المال الاّ يقظة الضمير.[(١)]

كان خالد بن معمر السدوسي يدعو العلباء بن هيثم إلىٰ ترك عليّ عليه السلام و الاتصال بمعاوية و كان يمنّيه بالجوائز و أموال معاوية و يقول: يا علباء إنك لن تصل الىٰ المال مع عليّ و كيف تحصل المال من رجل لا يزيد عطاء ولديه الحسن و الحسين درهما يخفف عنهما وطأة العيش.[(٢)]

و نفذ صبر المسلمين الاحرار من سوء اوضاع الدولة زمن عثمان بعد ان أهمل عثمان الاستماع الىٰ نُصحهم و اعتراضاتهم علىٰ ولاته، فلم يعزل احداً من اولئك المفسدين الذين تصدوا لنهب اموال المسلمين و اهانة الصحابة و هضم الناس حقوقهم، حتىٰ انجرَّ الأمر الىٰ خلع عثمان عن الحكم و قتله[(٣)].

---

(١) العدالة الاجتماعية ص١٨٢و ١٨٦ و ١٩٠و ٢٠٩ و ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص٥٨٥.

(٣) و لقد استغلت الاطراف و الفئات هذه الحادثة لصالح امرار مخططاتها الشيطانية، امثال ←

و لكن هذا الانقلاب و الثورة جاء بعد فوات الأوان قليلاً، فقد ضيع المسلمون الفرصة على أنفسهم، اذ كان الولاة و العمّال قد احكموا قبضتهم على المناطق التي كانوا يحكمونها و كانوا قر اشتروا الضمائر و الذمم بالاموال و اسكتوا الاصوات بالارهاب و التنكيل و مسخوا الشخصية الاسلامية الرسالية ،و خاصة معاوية ابن ابي سفيان والي عمر و عثمان على الشام الذي اقتدى بقيصر الروم في طراز الحكم و السياسة و حاول قتل الروح الاسلامية عند المسلمين و قد نجح في ذلك الى حدٍّ بعيد(١).

و في خضمِّ هذا الجوِّ السياسي و الاجتماعي الملتهب و الحسّاس، استلم أمير المؤمنين عليه السلام زمام الخلافه، و بَدَت في الافق طليعة تشكيل حكومة إسلامية أصيلة. فكان الجميع يطمع و يأمل أنَّ علياًسيحقق الاهداف الاسلامية و انه سيعيد عصر النبي صلى الله عليه وآله الذهبي، و انه قد ولّى زمن الظلم و الجور و التمييز القومي و العنصري و نهب بيت مال المسلمين و قتل المستضعفين، و إنَّ علياً عليه السلام سيعزل الولاة الفاسدين الفاسقين، و انَّ العدالة و المساواة و الاخوة الاسلامية ستحقق بشكل تام و كامل.

← معاوية و طلحة و الزبير و عائشة مع انهم كانوا من المحرضين على قتله. و لا مجال في هذا الكتاب لشرح تفاصيل هذا البحث.

(١) لقد نجح معاوية بانتهاجه منهج ملوك الروم و الفارس في الحكم، في استعباد الناس و غسل أدمغتهم و تأصيل حبّ الدنيا و زخارفها في نفوسهم، و لقد كان موكب معاوية في سفره و تنقلاته مشابه لموكب الملوك و القياصرة، و لقد نقل ابن سعد في الطبقات؛ عندما قدم عمر بن الخطاب الى الشام، اعترض على معاوية في ملابسه حيث وجد انه يرتدي جبّة خزٍّ و لباس ديباج، و لكنه قبل عذر معاوية و ان كان ذلك العذر سخيفاً لا يمت الى روح الشرع باي صلة، فاجازه عمر على ذلك!! (النصائح الكافية ص١٧٤) و في أسد الغابة (ج ٤ ص٣٨٦) ذكر ان عمر بن الخطاب قال في حق معاوية: هذا كسرى العرب!!

و كل هذه التطلعات و الآمال في علي عليه السلام انما جاءت لسابق معرفة المسلمين بسيرة علي عليه السلام و صلابته في الله و غزير علمه و ورعه و تقواه و زهده و ارتباطه الروحي و الاخلاقي بالنبي الاكرم صلى الله عليه وآله و معرفته التامة بروح التعاليم الاسلامية الخالصة، و لم يكن ظنُّ المسلمين بعلي عليه السلام جزافاً أبداً، و لا مجاملة و لا مبالغة.

فلا يُنتظر من حاكم مثل علي عليه السلام إلاّ ترويج العلم و الشريعة و تطبيق العدالة و نصرة المظلوم و اعمار البلاد الاسلامية و ارساء اقوىٰ و امتن اسس النظام الاسلامي الصحيح، و حتىٰ اعداءُ علي عليه السلام لم يتوقعوا غير ذلك، و لذا نجد إنَّ المسلمين كانوا يقولون: لقد ذكرنا علي عليه السلام بايّام رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولكن... اسفي علىٰ المسلمين اذ انهم تأخروا كثيراً في الالتجاء الىٰ علي عليه السلام، فقد كانت الفاصلة الزمنية بينهم و بين عهد النبي صلى الله عليه وآله تقرب من خمسة و عشرين عاماً، وكان الفاسدون و الطامعون امثال مروان و معاوية و الوليد بن عقبة و عمرو بن العاص قد تغلغلوا في اجهزة الدولة الاسلامية، الىٰ درجة تمكنهم من التأثير في القرارات و إثارة الانشقاقات و التمرد علىٰ منهج أمير المؤمنين عليه السلام خاصة و انهم كانوا قد انتشروا في بقاع متفرقة من أرجاء الدولة كالشام و مصر و أفريقيا و البصرة و غيرها من ولايات الحكم.

فالموانع و العقبات الكأداء التي كانت تعترض سبيل تشكيل حكومة اسلامية قوية، كانت متعددة، و لم يكن مع علي عليه السلام ممن يمكن الاعتماد عليه من تلامذة مدرسة النبي صلى الله عليه وآله إلاّ عدة قليلة أمثال عمّار بن ياسر و الذين بقوا علىٰ ارتباطهم الروحي و السياسي مع علي عليه السلام.

و لو انَّ علياً عليه السلام كان قد تقلد زمام الامور بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، كما كان التخطيط الالهي مقرراً، و كما يقول المفكر المصري سيد قطب لو انه كان قد استلم

الخلافة قبل حكومة عثمان و تسلط بني اميّة، و لم تكن الخلافة قد انحرفت ذلك الانحراف الكبير، و لم يكن لامثال معاوية ذريعة قميص عثمان، لامكن اجراء بعض الاصطلاحات و ارجاع الأمر الىٰ سابق عهد الخلافة الاسلامية بما يقرب من عهد النبي صلى الله عليه وآله، لكن مخطط الشورىٰ السداسية قد أثمر ثماره، و كان منْ أسَّس لتلك الشورىٰ قد خطط مسبقاً لتنحية علي عليه السلام و تنصيب عثمان توخياً لتحقق تلك التغييرات الاساسية في نمط الحكم الاسلامي.

و مع كل ذلك، فقد حقق علي عليه السلام و خلال مدة خلافته القصيرة و بذل كل ما بوسعه من اجل اعادة الشريعة الىٰ مسارها الصحيح، حقق الكثير من الانجازات و علىٰ كافة الاصعدة حتىٰ صارت خلافة علي عليه السلام مضرب المثل في العدالة و المساواة و العلم و الورع و احترام الانسان، و لكن تلك الأوضاع المضطربة و الموانع و الصعاب و وجود الاشقياء امثال ابن ملجم المرادي، حرمت الامة الاسلامية بل البشرية جميعاً من تحقق عصر اسلامي نوراني شامل(١).

و كما يقول توماس كارل المسيحي في كتابه «الابطال»:

«أنّ علياً عليه السلام قد قُتل و طويت صفحة خلافته لعدالته و شدة اهتمامه باجراء هذه العدالة و لكنَّ تلك السنوات الخمس، و علىٰ الرغم من كثرة ابتلاءات علي عليه السلام و شدة المعارضة له و قسوتها، قد ايقظت المسلمين، فبساطة عيش علي عليه السلام و زهده و تواضعه و ورعه و تقواه و علمه و حلمه و رجولته و بطولته، كانت قد تركت اثراً

---

(١) فلو لم يسقط علي عليه السلام في محرابه، لحمل الناس علىٰ المحجة البيضاء و لسار بالاسلام في المسار الصحيح السليم، و لنحّىٰ بني اميّة و منعهم من التدخل في الشئون السياسية، لكن شقاوة ابن ملجم غيرت مسيرة التاريخ الاسلامي و بدلت مصير الامة الاسلامية، فعليه لعنه الله و الملائكة و الناس اجمعين.

عميقاً في اعماق نفوس الناس فصارت مضرباً للمثل في المثل العليا، و كلما مرَّ الزمان و تجدد الحكام، ازداد ايمان الناس و تجليلهم و تعظيمهم لعلي و آله عليهم السلام و ما زالوا يترنمون و يتغنون بمآثر علي عليه السلام و فضائله و عدله و حكمته و عرفانه، و في نفس الوقت يتأسفون علىٰ تفريطهم بعلي عليه السلام و بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، اضطر الإمام الحسن عليه السلام و رعاية للمصالح الاسلامية العُليا، و لمعالجة بعض الشبهات الفكرية، ان يصالح معاوية، و ما قلناه و ما سنقوله في شأن معاوية و خبثه و خسَّة عنصره، قليل جداً، و من اراد الوقوف علىٰ بعض حقائق شخصية هذا الرجل فليراجع كتاب «النصائح الكافية» و كتب التاريخ.

يقول الكاتب المعاصر محمد الغزالي:

و قد اجمع أئمة المسلمين علىٰ أن تقاليد الاسلام في الحكم قد تحولت عن مجراها الرشيد علىٰ عهد معاوية و اسرته ثم التاث امر الدين و اضطربت مصالح الناس و وجد من حكام المسلمين من سبق ملوك الكفر في سكرتهم و عمايتهم و ذلك من سوء حظ البشر قبل أن يكون من سوء حظ المسلمين. و حكم الاسلام في دفع اولئك الجبارين لا يحتاج الىٰ مزيد من البيان و التكرار.(١)

و يقول سيد قطب:

فلما جاء الامويون و صارت الخلافة الاسلامية ملكاً عضوضاً في بني امية لم يكن ذلك من وحي الاسلام انما كان من الجاهلية الذي أطفأ اشراقة الروح الاسلامي.

و يكفي أن نثبت هنا صورة من البيعة ليزيد لنعلم علىٰ أيِّ أساس قامت:

(١) الإسلام و الاستبداد السياسي ص٤٣.

دعا معاوية الوفود ليتكلم في اجتماع عقده لاخذ البيعة ليزيد فتقدم يزيد بن المقفع فقال: أمير المؤمنين هذا. ثم أشار الىٰ معاوية. ثم قال فان هلك فهذا. و أشار الىٰ يزيد. ثم قال: فمن أبىٰ فهذا و أشار الىٰ السيف. فقال معاوية: اجلس فانك سيد الخطباء.

ثم يذكر سيد قطب كيفية اخذ البيعة ليزيد في مكة و أنها تمت بالتهديد و السيوف و الرماح.[١]

و بعد أن يذكر مخازي يزيد كمعاقرته للخمرة و تركه الصلوة و ارتكابه الزنا، يقول:

فاذا كانت هذه مقالة خصم ليزيد فان تصرفات يزيد العملية الواقعية في ما بعد من قتل للحسين عليه السلام علىٰ ذلك النحو الشنيع الىٰ حصار البيت و رميه...الخ تشهد بأن خصوم يزيد لم يبالغوا في ما قالوه. ثم يقول:

و ايّاً ما كان الامر فان احداً لا يجرؤ علىٰ الزعم بأن يزيد كان أصلح المسلمين للخلافة و فيهم الصحابة و التابعين، انما كانت مسئلة و راثة الملك في البيت الاموي و كان هذا الاتجاه طعنة نافذة في قلب الاسلام و نظام الاسلام و اتجاه الاسلام.[٢]

ففي زمن معاوية كان اسلوب الحكم قد ابتعد كثيراً عن نمطه الاسلامي و بدأ التحول الكبير في شكل ادارة الدولة، و كانت البيعة ليزيد هي القشة التي قصمت ظهر البعير، و كما يقول سيد قطب:

---

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٨١ـ١٨٠.

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٨١ـ١٨٠.

إنَّ بيعة يزيد كانت الضربة القاضية في قلب الإسلام و نظامه، فوجب علىٰ الحسين عليه السلام أن يتلافىٰ ذلك، و يضمد الجراح التي اصابت جسد الإسلام، و أن يُنبِّه المسلمين الىٰ عدم شرعية هذه البيعة و الحكومة، و أنَّ الخلافة الراشدة قد استحالت الىٰ ملكية.

كان علىٰ الإمام الحسين عليه السلام أن يُعلم الجميع، أنَّ قيادة الامة الاسلامية من قبل رجل كيزيد، امرٌ مستحيل، و أنَّ يزيداً و امثاله قد غصبوا الخلافة و أن منهجهم مغايرٌ تماماً لمنهج الحكومة الاسلامية.

و لقد أوضح الحسين عليه السلام رأي الدين في حكومة يزيد، و انقذ المسلمين من مغبة اشتباهاتهم التي كادت ان تبعدهم عن حقيقة الإسلام و احكامه.

فلو انَّ الحسين عليه السلام كان قد سكت علىٰ سياسة يزيد أو بايع يزيداً، لاختلطت الاوراق علىٰ عامة المسلمين، و اندثر النمط الاسلامي الصحيح للحكم، و لصار منهج يزيد و بني اميّة هو المصداق الاوضح للحكم الاسلامي.

يقول المستشرق الاستاذ نيكلسون:

«كان الأمويين في نظر الدين طغاة و إن كانوا كذلك فلا يحل لهم أن يقتلوا المؤمنين الذين امتشقوا الحسام ضد الغاصبين لسلطانهم، و أما حكم التاريخ في هذا الموضوع إذا ما تصدينا لبحثه فلن يعدو أن يكون حكم الدين ضد الملوكيّة أو قضاء الحكومة الدينية ضد الامبراطوريّة و علىٰ هذا الأساس يحكم التاريخ بحقٍ باذانة الأمويين (أي في مصرع الحسين عليه السلام) علىٰ أنه يجمل بنا أن نذكر أن انفصال الدين على الحكومة لا وجود له في نظر المسلمين.»[١]

---

(١) سمو المعنىٰ ص٧٣.

و يبين الاستاذ محمد الغزالي، بعض مفاسد النظام الحكم في عهد يزيد و يقول: و اليك بعض المآخذ علىٰ نظام الحكم في العهد الاموي:

١ـ تحول الخلافة الراشدة الىٰ ملك عضوض و احتكرت زعامة المسلمين أسَرْ معينة.

٢ـ ضعف احساس الامة بأنها مصدر السلطة و إنَّ أميرها نائب عنها أو أجير لديها و أصبح الحاكم الفرد هو السيد المطلق النفوذ و الناس أتباع اشارته.

ترىٰ الناس إن سرنا يسيرون حولنا و إنْ نحن أومأنا الىٰ الناس وقّفوا

٣ـ تولي الخلافة رجال ميتو الضمائر و شباب سفهاء جريئون علىٰ معصية الله و اقتراف الاثم و ليس لثقافتهم الاسلامية قيمة.

٤ـ اتّساع نطاق المصروفات الخاصة للحاكم و بطانته و متملقيه و تحمّل هذه المغارم بيت مال المسلمين. و أثر هذا السرف الحرام علىٰ حاجات الفقراء و مصالح الامة.

٥ـ عادت عصبية الجاهلية التي هدمها الاسلام فانقسم العرب قبائل متفاخرة و وقعت الضغائن بين العرب و الفرس و غيرهم من الاجناس التي دخلت في الاسلام قبلا و كان الحكم المستبد يثير هذه النزعات الضالة ضارباً بعضها بالبعض و منتصراً باحديها عن الاخرىٰ.

٦ـ هانت قيم الخلق و التقوىٰ بعد ما تولىٰ رئاسة الدولة غلمان ماجنون و بعد ما لعن السابقون الاولون علىٰ المنابر «يقصد علي ابن ابي طالبؑ» حتىٰ أن شاعراً مسيحياً مدح يزيد بن معاوية فقال:

ذهبت قريش بالسماحة و الندىٰ و اللؤم تحت عمائم الانصار

٧ـ ابتذلت حقوق الافراد و حرياتهم علىٰ أيدي الولاة و النصرين للملك

العضوض فاسترخص القتل و السجن حتىٰ يروي الترمذي عن هشام بن حسان قال: احصي ما قتل الحجاج صبراً فوجد مائة الف و عشرين الفاً.

ثم يقول الغزالي: و الواقع ان الهزة التي أصابت الاسلام من هذه الفتن المترادفة كانت من العنف بحيث لو أصابت دعوة اخرىٰ لهدمتها.(١)*

كان هذا، مختصراً من مضار آفةٍ خطيرة إسمها يزيد و حكم بني أُميّة هجمت علىٰ جسد الامة الاسلامية بشراسة، و غيرت صورة الحكم الاسلامي الرائعة الىٰ صورة حكم ملكي منفورة كريهة.

و لو لم ينهض الحسين عليه السلام لكشف الحقائق و ازاحة قناع التزييف عن وجه الحكم الاموي، لكانت تلك الحقبة من تاريخ الإسلام، اكبر وصمة عارٍ في جبين الامة الاسلامية، و لتلطخت سمعة نظام الحكم الاسلامي.

« فصلواتُ الله و سلامُه عليكَ يا أبا عبد الله، أشهدُ أنَّكَ أحييت نِظامَ الدِّين و أظهرتَ قواعِدَ الحُكم. »

٥ـ خَطرُ التقهقُر

كان خطر التقهقر و الارتداد الىٰ حكم الجاهلية و الشرك و عبادة الاوثان،

---

(١) الإسلام و الإستبداد السياسي ص١٨٧ـ١٨٨.

(*) لقد اتبع معاوية سياسة التفرقة بين الامة، و كان يثير الفرقة بين المسلمين، و لم يرق له ان يرىٰ الصفاء بين رجلين من رجال الإسلام، فلقد ميّز بين العرب و العجم و بين الانصار و المهاجرين و بين اليمانيين و المصريين، و فرق بين القبائل، حتىٰ انه بث روح الفرقة بين بني اميّة إلاّ بني سفيان، و كما يقول العقاد: ينبغي تسميه معاوية بمفرّق الجماعات، و ان يوم استقلاله بالحكم و الذي يسمىٰ خطأً بعام الجماعة، يستحق ان يُسمىٰ بعام الفرقة. راجع كتاب: معاوية بن ابي سفيان في الميزان.

من اكبر الاخطار التي تهدد المجتمع الاسلامي أيام حكم بني اميّة و بدت ملامح العودة الىٰ ماوراء عصر الرسالة، و بدأت وسائل القمع و الترهيب و الترغيب و المخططات الامويّة باتيان أُكلها في إضعاف المباني الدينية الاسلامية، و الغاء الاحكام الشرعية، و تحقير الشعائر العظيمة و الاستخفاف بها، و كان العالم الاسلامي و خاصةً مراكزه الحسّاسة كالكوفة و البصرة و مكة و المدينة، بكل ما فيها من ثقل الصحابة و رجالات الإسلام، تغطُّ في سبات عميق و سكوت فضيع و خنوع مريع.

و قد لعب ارعاب الناس و سياسة التقتيل و النفي و هدم البيوت و مصادرة الاموال، التي كان يمارسها عمّال الدولة امثال زياد بن ابيه و سمرة بن جندب و المغيرة بن شعبة، دورها الفعال في خنق الاصوات المعارضة أو المعترضة، فعمَّت حالة اليأس و الخوف في قلب المجتمع الاسلامي في كل اطرافه و نواحيه.

فلقد بذل بنوا اميّة جُهدَهم و جَهيدهم من أجل ارجاع الناس عن سلوك طريق الإسلام، و مخالفة نصوص الكتاب الكريم و سنة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، و كانت لمعاوية مبتكرات في مهاجمة الإسلام و الصحابة و الانصار و اهل البيت عليهم السلام.

و كانت اهتمامات بني اميّة منصبّة علىٰ تضعيف و قتل الروح الاسلامية في شعائر المجتمع المتدينة و الملتزمة بآداب و شعائر الدين. فمضافاً الىٰ قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله و الإغارة علىٰ حرم النبي صلى الله عليه وآله و هدم و احراق الكعبة المعظمة قبلة المسلمين، و التجاهر بالمعاصي و الذنوب و تعطيل الحدود، حولوا مكة و المدينة الىٰ مرتعٍ للمغنِّين و المطربين و المطربات و المخنثين والمردان و الشعراء الخليعين الاراذل و القتلة و المفسدين، رغبة منهم في كسر شوكة هاذين المركزين الروحية و الدينية، مما

يُجرِّئ باقي المدن و الاقاليم الاسلامية علىٰ انتهاج نفس المنحىٰ و الطريق.

فبنو اميّة ،مضافاً الىٰ شهر سيوفهم بوجه اهل البيت عليهم السلام و قتلهم لردع الناس عن التفكير في الالتفاف حول زعامة آل محمد صلى الله عليه وآله، و من أجل إخلاء الارض من كلِّ ما يُذكِّر المسلمين بالنبي و الإسلام، قاموا بصبِّ جام غضبهم و حقدهم علىٰ الانصار بجرم نصرتهم للنبي صلى الله عليه و آله و المسلمين عندما هاجروا من مكة الىٰ المدينة ،و الذين أفشلوا مخططات أبي سفيان و المشركين الراميّة الىٰ اجهاض دعوة النبي صلى الله عليه وآله، و لذا فقد حرم الانصار من ابسط حقوقهم زمن بني اميّة و اخذوهم بوحشية ليس لها نظير إلاّ في اعمال نيرون الطاغية. (١)

و لقد بدأ تعطيل الحدود و دفع الشهود منذ زمن عثمان، و لو لم يكن علي عليه السلام و هو الوحيد من بين الصحابة، يطالب مصراً باجراء الحدود، لتعطلت الحدود كلياً منذ زمن عثمان. (٢)

قال العلايلي:

الذي ثبت لمفكري المسلمين أنَّ بني اميّة اداة فساد و في طبيعتهم بعث الحياة الجاهلية بكل اشيائها و الوانها. (٣)

و قال السبط ابن الجوزي:

«و قد ذكر جدّي في كتاب التبصرة و قال: إنما سار الحسين عليه السلام الىٰ القوم لانه رأى الشريعة قد دُثرت فجدَّ في رفع قواعد أصلها. (٤)

---

(١) سمو المعنىٰ ص٢٧ـ٢٨.

(٢) مروج الذهب ص٢٢٤ـ٢٢٥.

(٣) سمو المعنىٰ ص٢٨.

(٤) تذكرة الخواص ص٢٨٣.

و لو ترك يزيد بلا معارضة يفعل ما يشاء، لتحققت امنيات معاوية و بني اميّة في محو ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله و منع الاذان و الشهادة بالتوحيد و النبوة، و لم يبق من الإسلام إلاّ اسمه، و لعمري لو بقي منه الإسم لما كان له مسمىٰ غير منهج بني اميّة و سيرة يزيد.

و لو لم تواجه خلافة يزيد بثورة و انتفاضة قوية من قبل الامة الاسلامية، لاعتبر يزيد خليفةً للنبي صلى الله عليه وآله و لاصبحت الدولة الاسلامية منتدىٰ الفحشاء و المنكر و القمار و الخمرة و الرقص و الغناء و اللعب بالكلاب و القرود، إذ ان الناس علىٰ دين ملوكهم و لانعكست هذه الصورة الخليعة للدولة الاسلامية علىٰ العالم.

و لذا كان من الضروري لحفظ الإسلام و دفع المخاطر المحدقة به خاصة خطر الارتداد و القهقرىٰ الىٰ الجاهلية و الشرك، أن ينبري رجال للانتفاض علىٰ يزيد و بني اميّة، لتمييزهم عن الإسلام الحقيقي و فضح اكذوبتهم و كشف انتسابهم الىٰ الجاهلية.

مضافاً الىٰ ضرورة تهييج مشاعر و احاسيس الناس ضدهم لتقوية شوكة مخالفتهم و التشكيك في استحقاقهم الملك و الحكم، و تعريف الناس بخيانتهم و عدائهم للاسلام.

و لتحقيق هذين الهدفين، كانت ثورة الحسين عليه السلام ضرورةً مُلحَّة، اي كان من الضروري كشف القناع عن ماهية حكومة بني اميّة من جهة، و تعبئة المشاعر و شحذها ضدهم، و كسب عواطف المسلمين نحو آل البيت عليهم السلام من جهة اخرى، ليستحيل علىٰ بني اميّة اختراق قلوب الناس و التحكم بها، و منع الشعائر الدينية كالاذان و ذكر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول الشيخ محمد محمود المدني، استاذ و رئيس كلية الشريعة في جامعة

الازهر: إن الحسين مثال بارز للمجاهدين في سبيل الله و قد رأىٰ أن جناح الحق مكسور و أن الباطل قد أحاط به من جهاته الاربعة، لقد رأىٰ نفسه و هو فرع شجرة النبوة و ابن ذلك الامام الضرغام الذي ما حنىٰ رأسه يوماً خوفاً...رأىٰ نفسه و أنه قد احيل عليه انقاذ الدين و ازاحة الظلمات و المظالم، لقد سمع الحسين نداءاً من اعماقه يناديه أن قم يا أبا عبد الله فانت لها لا غيرك، لقد ازاح الله بجدك الظلمات و أزهق الباطل و أظهر الحق حتىٰ نزل عليه (**إذا جاء نصر الله و الفتح و رأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا**) و لقد كان ابوك ذلك السيف القاطع الذي لم ينم حتىٰ اذلّ المشركين... قم يا أبا عبد الله كابيك و جدك و جاهد و دافع عن دين الله و ادفع الظالمين و طهّر الارض من الفساد و البغي و الظلم... انّ اهل بيتك و اصحابك قد استخفّ بهم و انّ النساء و الاطفال و الفقراء يستصرخون بك... فمن لكل هذه المظالم و الجور غيرك؟ و من الذي ينهض بهذا الحمل الثقيل الا انت يابن علي و فاطمة؟

أجل، لقد سمع الحسين هذا النداء من اعماقه ليلاً و نهاراً فلم يكن له الا ان يستجيب لهذا النداء و الاستصراخ و لم يكترث لاولئك الذين حاولوا ان يثنوه عن النهوض و لم يثنه علمه بقساوة اعدائه معه و عدم احترامهم لنسبه الشريف عن القيام و الثورة. فهو المجاهد الذي قام لامر الله فلا فرق عنده أن يغلب أو يغلب. اذ ان كلا الحالين شرف له «**قل هل تربّصون بنا الا احدىٰ الحسنيين**» التوبة ٥٢.

فالحسين عليه السلام استشهد في طريق الله و الحق و قد ابتلي قاتلوه باللعنة الابدية من الله و الملائكة و الناس اجمعين و اما هو فقد فاز باعلىٰ المراتب عند ربه (**مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و الشهداء و الصالحين**).[١]

---

(١) مجلة العدل، العدد ٩، السنة ٢ ص٦ طبعة النجف الاشرف.

و في ختام هذا الفصل، نتمثل بهذه الابيات التي تترجم خطر يزيد علىٰ الإسلام و التوحيد، و تشيد بتضحيات سيد الشهداء عليه السلام:

لان جَرت لَفظةُ التَوحيدُ في فَمه فَسَيفُه بسوىٰ التَوحيد ما فَتكا
قَد أصبَحَ الدِّين منهُ يشتكي سقماً و ما الىٰ أحدٍ غيرَ الحُسين شكا
فما رأىٰ السبط للدّين الحنيفِ شفاً إلاّ اذا دَمُهُ في كربلاء سُفِكا

٦ـ الدفاع عن النفس(١)

يجوز لكل انسان، عقلاً و شرعاً الدفاع عن نفسه في حالة مواجهة الاخطار، بل إنَّ الفطرة تدفع الانسان لا ارادياً الىٰ اجتناب المخاطر لحفظ حياته، و إلاّ كان الانسان مسئولاً و مستحقاً للذَّم و التوبيخ.

فاذا ما تعرض الانسان لخطر القتل من قبل حكومة جائرة، و لم يأمن علىٰ حياته، جاز له الانتفاض و الثورة لحفظ حياته و الدفاع عن نفسه، و هذا الحق ثابت لكل الناس، بلا ادنىٰ شك.

و بعد اتضاح هذه المقدمة نقول: إنَّ الحسين عليه السلام خرج بعد أن عرف أن حياته مهددة بالخطر، فكان يعلم جيداً أنَّ بني اميّة يترصدون به الدوائر و أنّهم استأجروا من يقتله حتىٰ لو كان متعلقاً باستار الكعبة، و لذا فانه فانه ثار للحفاظ علىٰ حياته

(١) لا يخفىٰ ان السبب الرئيس في ثورة الحسين عليه السلام هو امتثال الأمر الاهي و دفع المخاطر عن الإسلام و التوحيد و الاصلاح في الامة، و كما ورد في زيارة الاربعين: «بَذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجَهالة و حيرَة الضلالة» و اما بيان العلة السادسة فانما هو لكشف حقيقة ان الحسين عليه السلام حتىٰ لو كانت حركته لعدم وجود أمان علىٰ روحه في المدينة و مكة، فحركته مشروعة أيضاً بل هي دليل علىٰ شجاعة و بطولة الحسين عليه السلام و ابائه و عزته.

الواجب شرعاً و عقلاً، و لتحاشي الاستسلام الذي يجرُّه الىٰ الذلة و حاشاه من الذِّلة.

فان قيل: إنَّ هذا الخطر الذي توجه الىٰ الحسين عليه السلام انما كان نتيجة عدم بيعته ليزيد، فلو انه بايع يزيد بن معاوية لكان آمناً؟!

قلنا: لا شك في امتناع الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد، لكن هذا الامتناع و الرفض لا يمكنه أن يرقىٰ الىٰ درجة تجويز قتله، إذ انّ النظام الاسلامي يقتضي أخذ البيعة طوعاً، فالبيعة اختيارية لا بالاكراه خاصة اذاكان الشك و الترديد قائماً حول شخصية الخليفة أو من نصَّبَ نفسه خليفة المسلمين، و هذا مُسلَّمٌ إلاّ عند اهل العامة و السنة خاصة في عصر بني اميّة و بني العباس، و مراحل الارهاب السياسي و الفكري و ازمنة القمع الثقافي المظلمة.

و لقد رأينا في زمن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام و علىٰ الرغم من إنَّ خلافته كانت ثابتة بالنص و الاجماع، لكنه لم يتعرض باي اذىٰ لاولئك الذين تخلفوا عن بيعته، بل حتىٰ اولئك الذين اعلنوا صراحة عدم رغبتهم بالبيعة لاعذار واهيةٍ غير معقولة و لا مشروعة، و حتىٰ اولئك الذين تخلفوا عن جهاد القاسطين و المارقين و الناكثين، لم يلزمهم علي عليه السلام الاشتراك في القتال، فكان الامتناع عن بيعته حقٌ يحتفظ به المسلمون خاصة لوجود بعض الشبهات السياسية و الفكرية عندهم.[1]

---

(١) و من جملة المظالم التي ارتكبها الحكام الذين جاءوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، هو أنهم أجبروا أمير المؤمنين و جمع من بني هاشم و الانصار الذين امتنعوا عن البيعة لابي بكر، علىٰ البيعة مع ان الممتنعين عن البيعة لم يظهروا اي شكل من اشكال العداء للدولة، فكان همُّهم التريث و دراسة الأمر من كل جوانبه و حسب، مما حدىٰ بالسلطة و جلاوزتها الىٰ ارتكاب ←

فلم يتتبّعهم أمير المؤمنين عليه السلام مادام الإسلام و المسلمون في مأمن من مكرهم و غدرهم.

و من هنا وجدنا أنَّ الحسين عليه السلام كما جاء في بعض كتب المقاتل، كان قد اقترح علىٰ بني اميّة أن يتركوه يذهب الىٰ احد ثغور المسلمين و يكون «له ما لهم و عليه ما عليهم»

اذن، فالتخلف عن البيعة في الفكر الاسلامي، لا يكون سبباً كافيا لتجويز إهراق الدم و اباحة مصادرة الاموال، و كان من حق الحسين عليه السلام أن يمتنع عن البيعة و خاصة:

١ـ إنَّ محض الامتناع عن البيعة اذا لم يكن توأماً مع معارضة الحكومة و الخروج عليها، جائز و هو حق مسلَّمٌ للمسلمين خاصة مع الاعتقاد بعدم صلاحية المرشح للخلافة. نعم في عقيدة الشيعة إنَّ الإمام يعيَّن و ينصب من قبل الله تعالىٰ بنصّ النبي عليه، و إنَّ الامامة منصبُ الهي و لذا لا يجوز التخلف عن بيعة الإمام المنصَّب من قبله تعالىٰ.

٢ـ إنَّ التخلف عن البيعة جائز لمن كان نفسه من أهل الحلِّ و العقد و مراجع الامور، و إنَّ عدم بيعته يوجب عدم انعقاد الاجماع، و طبقاً لمذهب اهل السُنة لا تكون الخلافة شرعية بدون بيعته، بل هي باطلة، ففرضها علىٰ المسلمين يُعدُّ سلباً لحرية الرأي و قهراً للمسلمين كما إنَّ الامتناع عنها لا يُعدُّ تمرداً يستوجب العقاب.

٣ـ إنَّ البيعة المبتنية علىٰ التطميع و الترهيب و الوعد و الوعيد، تعتبر بيعة

← الجرائم الفضيعة في حقهم، و هتك حرمة بيوتهم و ترويع عوائلهم و كل ذلك غير جائز في قاموس الحكومة التي تدعي انها قامت علىٰ اساس الشورىٰ و احترام الاراء.

لاغية باطلة، و المنتخب علىٰ اساسها لا يمثل المجتمع تمثيلاً واقعياً، و من ثمَّ يجوز الخروج علىٰ الحكومة القائمة علىٰ مثل هذه البيعة.

و لذلك كله، لو حاول عمّال الحكومة، التعرض للمسلمين لمجرد انهم امتنعوا عن البيعة للمرشح للخلافة، حقَّ للمسلمين الثورة ضدَّهم حفظاً لحياتهم و صوناً لدمائهم و أموالهم، كما يحق لهم تأليب الناس و دعوتهم الىٰ مخالفة ذلك الحكم.

و اما البيعة ليزيد:

اولاً: لقد كان الحسين عليه السلام نفسه من اهل الحلِّ و العقد و من رجالات الإسلام و من الصحابة فضلاً عن انه سبط رسول الله صلى الله عليه وآله و ريحانته و سيد شباب اهل الجنة، فاذا كان البناء في تعيين الخليفة علىٰ المشورة و الرجوع الىٰ آراء عموم المسلمين و اجماع اهل الحلِّ و العقد، فالحسين عليه السلام هو أوّل من يكون لرأيه الأثر الكبير في مشروعية الانتخاب و شرعية الحكم، اذ مع كونه في ذلك المقام السامي الذي يعترف به جميع المسلمين حتىٰ امثال الوليد بن عقبة و مروان بن الحكم و نفس معاوية، فيكون رأى الحسين عليه السلام مقدماً و محترماً و مؤثراً، كما إنَّ توجه انظار عامة المسلمين الىٰ رأي الحسين عليه السلام في البيعة، يجعل رأيه هو الميزان و المقياس في شرعية هذه البيعة و عدمها.

فامتناع الحسين عليه السلام عن البيعة مساوق لبطلانها و عدم شرعيتها و نتيجة ذلك عدم شرعية كل النظام الحاكم و الذي يسمىٰ بالخلافة!!

و لو فُرض انَّ ضغوطاً مورست علىٰ مثل هذه الشخصية فاضطرت الىٰ البيعة، لم يعد هناك أيَّ مصداقية للاجماع و الشورىٰ و تبقىٰ فقط الفاظاً خاوية لا تحمل معانٍ سليمة وراءها.

و ثانياً: لو فرضنا ـ جدلاً ـ أنَّ الإمام عليه السلام لم يكن من طبقة اهل الحلِّ و العقد،

بل كان من عامة المسلمين، فمن قال إنَّ التخلف عن البيعة يُبيح هتك حرمته و التعرض الىٰ نسائه و اباحة اراقة دمه و حرق بيوته و نهب أمواله؟ اذ لو فرضنا صحة بيعة يزيد لم يكن ليزيد علىٰ الحسين عليه السلام إلاّ عدم المخالفة و المعارضة، فلا يحق ليزيد و لبني اميّة هدر دم أيَّ مسلم لمجرد الامتناع عن البيعة.

ناهيك عن إنّ بيعة يزيد و باتفاق كل التواريخ و المفكرين، كانت بيعة مستندة الىٰ الاكراه و الجبر و الترغيب و الترهيب، و إنَّ اكثر من بايع يزيداً، بايعه تحت بوارق السيوف و الاسنة المشهرة المتهددة المرعبة.

و من بايع طيّعا، فاولئك الذين انشدَّت ابصارهم الىٰ المناصب و الامتيازات و الطامعين في جوائز معاوية و هداياه و عطاياه و المتزلفين و المتملقين للحكم الاموي.

و لعمري، كم صُرِفَ من اموال المسلمين و حقوق الفقراء و المعوزين لاخذ البيعة ليزيد؟! و كم من الدماء الزاكيات قد أُريقت بلا ذنب؟ و ما أفضع الجرائم و الظلم الذي مورس لأخذ هذه البيعة المشئومة؟ و كم من الولايات قد جعلت سَوماً للبيعة لامثال المغيرة بن شعبة و زياد ابن ابيه و عمرو بن العاص و غيرهم؟

إذن، لقد كان من حق الإمام الحسين عليه السلام و سائر اصحابه و الشخصيات الاسلامية أن تمتنع عن البيعة لئلا تتلوث و تتلطخ ايديها بدماء الابرياء، و تشترك في تلك المظالم، و لم يكن لأحدٍ حق الاعتراض علىٰ المتخلفين و الزامهم بها، فنفس امتناع هؤلاء، خير دليل علىٰ جواز التمرد و الامتناع عن البيعة اذ ان امتناع هؤلاء يُعدُّ امتناعاً لاهل الحلِّ و العقد، فتكون البيعة باطلة، مضافاً الىٰ إنَّ الجميع كانوا يعتقدون بعدم اهلية يزيد للخلافة و عليه تكون بيعته محرَّمةٌ شرعاً.

و بعد كل هذه الادلة علىٰ جواز التخلف عن البيعة، نعود الىٰ أصل الموضوع

و هو الخطر المتوجه الىٰ حياة الحسين عليه السلام و عدم الأمن له، فانه علّة واضحة و مقنعة لجواز نهوضه و ثورته للدفاع عن حياته.

و قد نقلت كل التواريخ الاسلامية إنَّ حياة الحسين عليه السلام كانت في خطر و انه لم يأمن علىٰ حياته من كيد بني اميّة و حكومة يزيد وكانوا يترصدونه لقتله سواء بايع أو لم يبايع.

و واضح إنَّ اسلوب حكومة بني اميّة و يزيد كان بحيث لا يمكن الاطمئنان حتىٰ بوعودهم، فما اكثر من قتله بنو اميّة من زعامات المسلمين لمجرد سوابقهم الجهادية و الرسالية ،مع انهم كانوا جلساء بيوتهم و لم يكن لهم ايَّ نشاط معادٍ للدولة الاموية.

و لم يكن بنو اميّة ممن يرعون حرمة العهود و المواثيق، و لم يكن لهم إلٌّ و لا ذمة و لا حُرمة للامان في قاموسهم، فهم الذين قتلوا سعد بن ابي وقاص، و هم الذين قتلوا عبدالرحمن بن خالد علىٰ يد ابن أثال المسيحي، مع أنَّ ابنَ خالد كان اموي الهوىٰ و الميول تخوفاً من معارضته لتنصيب يزيد علىٰ الحكم، و ولّوا قاتله المسيحي ولاية حمص مكافأة له علىٰ قتله!! ضاربين بعرض الجدار قوله تعالىٰ: « **ما جعل الله للمشركين علىٰ المؤمنين سبيلا** » و معاوية و بنو اميّة هم الذين اغتالوا اسبط رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن بن علي بافضع اساليب القتل تخوفاً من معارضته لبيعة يزيد، لان معاوية كان قد تعهد في معاهدة الصلح ان لا يرشح احداًللخلافة من بعده و أنَّ الخلافة تكون للإمام الحسن عليه السلام. فاراد معاوية أن يزيل هذه العقبة من طريق يزيد.

و عندما أراد معاوية استخلاف ابنه يزيد استشار بعض السياسين فلم يجد الموافق علىٰ ذلك حيث اعترض عليه أمثال الأحنف ابن قيس بان يزيد لا يقاس بأمثال الحسن و الحسين و أن محبوبية الحسن عليه السلام في قلوب المسلمين قد تفوق محبوبية

أبيه علي بن أبي طالب. فاستخلاف صبي نزق مشهور باللعب و الطرب و شرب الخمور كيزيد يعدّ خيانة للمسلمين.

إنَّ معاوية و بني اميه استخفوا بكل الشروط و المواثيق التي قطعوها علىٰ انفسهم في معاهدة الصلح مع الامام الحسن عليه السلام فلم يكن حبر المعاهدة قد جف بعد حتىٰ خطب معاوية في الكوفة قائلاً:

يا أهل الكوفة أتراني قاتلتكم علىٰ الصلاة و الزكاة و الحج و قد علمت انكم تصلّون و تزكون و تحجّون، و لكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم و علىٰ رقابكم و قد آتاني الله ذلك و انتم كارهون. إلا إنَّ كل مال أو دمٍ أصيب في هذه الفتنة فمطلول و كل شرط شرطته فتحت قدميَّ هاتين.

هكذا (كل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين) و الله يقول: **و أوفوا بالعهد انّ العهد كان مسئولاً**.(١)

فهؤلاء هم الذين أمنّوا مسلم بن عقيل عليه السلام و لم يفوا بامانهم له و قتلوه بتلك الوحشية. و لذا فان الإمام الحسين عليه السلام قال لقيس بن الاشعث يوم عاشوراء: «**انت أخو اخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشِم باكثر من دَم مسلم**» جواباً له حينما قال له قيس: انزل علىٰ حكم بني عمّك فانك لا ترى منهم إلاّ ما تحبّ!!»(٢)

فكيف يطمئن الحسين عليه السلام الىٰ امان هؤلاء الاوغاد الذين عجنت طينتهم بالغدر و الختل، فان ذلك محال في حق عامة الناس فكيف بالحسين عليه السلام المطّلع الضليع باحوال و اخلاقيات بني اميّة و مكرهم و غدرهم و فسقهم، و هو العالم بعلم

---

(١) العدالة الإجتماعية ص١٩٩.

(٢) الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص١١٠.

الامامة و الولاية و الذي أطلَعَه الله علىٰ اسرار حوادث المستقبل؟

اذن، فحتىٰ لو كان الحسين عليه السلام قد بايع يزيد، لم يكن يأمن علىٰ حياته، لخطورة موقعه في الامّة و شرف مقامه في قلوب المسلمين و لانه مظهر الايمان و مجسد الإسلام الذي اراد بنو اميّة محوه و طمس معالمه و آثاره.

و لكي نقف علىٰ حقيقة المخاطر التي كانت تهدد حياة و امن الحسين عليه السلام و انه لم يكن امامه سوى الخروج و الدفاع عن نفسه، يكفي قراءة ما قاله الحسين عليه السلام لكبار الصحابة في المدينة و مكة، فلا أحد اعرف بحقيقة الأمر من الحسين عليه السلام نفسه، فالدفاع و الثورة كان تكليفاً شعر به الحسين عليه السلام و امّا احراز الموضوع و الشرائط فالحسين عليه السلام اعرف بها، فكان الحسين عليه السلام يصرح بانَّ بني اميّة قدصمموا علىٰ قتله، و لم يكن من الصحابة إلاّ تصديق الحسين عليه السلام بذلك لان حقائق الامور كانت واضحة جليّة، و من جملة مقولاته عليه السلام قوله لابن الزبير في مكة:

« و أيمُ الله لو كُنتُ في حُجر هامَّة من هذه الهَوامِّ لاستَخرجُوني حتّىٰ يقضُوا بي حاجَتهم، و الله ليعتدُنَّ عليَّ كما إعتَدَت اليهود في السَبت. »[1]

يقول صاحب الدرر النظيم: روىٰ جعفر بن سليمان قال: حدثني يزيد الركسي قال: حديثني من شافة الحسين عليه السلام بهذا الكلام قال: حججت فأخذت ناحية من الطريق اتعسف الطريق فدفعت الىٰ ابنية و اخبية فاتيت أدناها فسطاطاً فقلت: لمن هذه الاخبية؟ فقالوا: للحسين بن علي. فقلت: ابن فاطمة بنت رسول الله؟ فقالوا: نعم. قلت: في أيها هو؟ فأشاروا الىٰ فسطاطٍ. فأتيت الفسطاط فإذا هو قاعد عند عمود الفسطاط و اذا بين يديه كتب كثيرة يقرأها فسلّمت عليه فقلت:

---

(١) الكامل لابن الاثير ج٣ ص٢٧٦.

بأبي انت و امّي ما أجلسك في هذا الموضع الذي ليس فيه أنيس و لا منفعة؟ قال: انَّ هؤلاء (يعني السلطان) أخافوني و هذه كتب اهل الكوفة اليّ و هم قاتليَّ. فاذا فعلوا ذلك لم يتركوا لله حرمةً إلاّ انتهكوها. فيسلّط الله عليهم من يذلُّهم حتىٰ يتركهم اذلّ من قرم الأمه (قال جعفر: فسألت الاصمعي عن ذلك فقال: هي خرقة الحيض التي تلقيها النساء و قد فعل الله ذلك بأهل الكوفة حين خذلوا الحسين عليه السلام وأسلموه حتىٰ قُتل فسلَّط الله عليهم الحجاج فأذلّهم و أهانهم.[1]

و قال له ابو هرة الازدي لماذا تركت حرم الله و حرم جدّك؟

فاخبره الامام عليه السلام بأن بني اميه أخذوا امواله فصبر و جرّعوه الغصص و صبر و هم الآن يريدون قتله و اهراق دمه و انتهاك حرمة البيت و إنه لن يصبر على ذلك.[2]

و امثال هذه الكلمات التي تدل علىٰ احساس الإمام الحسين بالخطر الجدّي المتوجه الىٰ حياته و الىٰ هتك حرمة المدينة و مكة المعظمة، كثيرة و قد وردت في عدة مناسبات علىٰ لسانه عليه السلام و هي مدونة في كتب التاريخ[3].

بين الحكومة و السياسة

قد يقال: لما كان هدف الحسين عليه السلام هو اقامة حكومة اسلامية و اسقاط حكومة يزيد، فهذا يعنىٰ انه ثار لاغراض سياسيّة أيضاً، اذ كيف نفسر قبوله لدعوة

---

(١) نظم درر السمطين ص ٢١٤. القمقام الزخار ص ٣٤٥.

(٢) القمقام الزخار ص ٣٤٧.

(٣) راجع تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٦٩ و ص ٢٨٩. تذكرة الخواص ص ٢٥١. الكامل ص ٢٧٦. مقتل الخوارزمي ص ٢١٩.

اهل الكوفة بقلب الحكم؟ و لماذا ارسل ابن عمّه مسلم بن عقيل اليهم؟

الجواب:

اولاً: إنَّ الثورة لتشكيل حكم قائم علىٰ اساس العدالة الاسلامية و ضمان حسن تنفيذ احكام الدين و القوانين الاجتماعية و الاقتصادية و العمل بكتاب الله المجيد و اصلاح المجتمع و الامة، إذا كان من مثل الحسين عليه السلام فانه عين السياسة الرسالية بمفهومها السليم و المعقول و الواقعي، ففرقٌ بين هذا النمط من السياسة و بين سياسة الاحتيال و الفتن و الغدر و المكر و الكذب، تلك السياسة التي يقصد منها الاعداء التفرد بالسلطة و الحكم و استعباد الناس و لا مجال للمقايسة بينهما.

فالسياسة الهادفة الىٰ ارساء قواعد حكومة إيمانية تحفظ حقوق كافة افراد المجتمع و تؤمن لهم الحريات و المساواة، هي سياسة الهية و الحكومة المنبثقة عنها هي حكومة الهية شانها شأن حكومة النبي صلى الله عليه وآله.

و أمّا السياسة المعروفة في عصرنا الحاضر و التي تعني السعي للسلطة من اجل التسلط علىٰ رقاب الناس و نهب خيراتهم و استغلالهم، فواضح بطلانها و قبحها.

إنَّ السياسة السليمة هي سياسة علي عليه السلام، فهل تقارن سياسة علىٰ سياسة معاوية؟! فكلاهما كان يحارب، و كان لكليهما جيش، لكن اين الثرىٰ من الثريا؟

لقد كان علي عليه السلام يجاهد لكي تكون «كلمة الله هي العليا» و يقاتل لتحكيم أحكام الله علىٰ الجميع، و ليقيم العدل و المساواة و الحرية.

و اما معاوية فكان يقاتل ـكما كشف هو عن نواياه مراراًـ من اجل السيطرة و الهيمنة علىٰ مقدرات الامة الاسلامية و من اجل السلطان و الجاه و التسلط علىٰ الناس و اموالهم و ارواحهم و ناموسهم، و ليدير الامور كما يحلو له لا كما يريد الله و

تريده الشريعة.

اذن، إن كان المراد من السياسة، سياسة معاوية و عمرو بن العاص و يزيد، فهي سياسة مذمومة منكرةٌ، و الخوض فيها محرمٌ و ممارستها ممنوعة لسوق العبد الىٰ هاوية جهنم، و إن كان المقصود منها سياسة النبي صلى الله عليه وآله و منهجه في تشكيل الحكم، و سياسة علي عليه السلام، فانها من اعلىٰ مراتب صفات الكمال الانساني.

فاشتراك الامّة و نظارتها علىٰ ادارة الحكم و تنفيذ المقررات و اجراء العدالة و النظم الصحيحة، و صياغة مجتمع مترقٍ و تشكيل حكومة صالحة تتوزع فيها المسئوليات بعدل و كفاءة، يعدُّ من أولويات المنهج الاسلامي الراقي، و لم تكن مثل هذه السياسة منفصلةً يوماً ما أبداً عن الدين، و ما يشاع علىٰ بعض الالسن الجاهلة و المغرضة من «ضرورة فصل الدين عن السياسة» انما هو مبتغىٰ الاستعمار و اعداء الإسلام الذين يسعون الىٰ تجزئة الإسلام و اضعافه و حصره في دائرة التعبد و الطقوس الفارغة من المحتوىٰ و المعنىٰ، و الذين يحاولون الحدَّ من وحدة المسلمين و اعادة هيبة الدولة الإسلامية و عظمة الإسلام، و تطبيق الاحكام الاسلامية، و ابدالها بقوانين الغرب و الشرق الكافرة و ترويج الاخلاق الفاسدة المنحرفة بين المسلمين.

فلو أنَّ مسلماً ظن أن حدود الإسلام تنتهي بالطقوس و المراسم الروحية و المعنوية، و ينكر اهلية الإسلام لخوض الادارة و الاعمار و القضاء و الحرب و السلم ـ مطابقا للموازين الشرعية المقررة في الفقه ـ فهو ليس بمسلم بل يُحكم بكفره لانكاره ضرورة من ضروريات الدين.

إنَّ الاعتقاد بان الإسلام شاملٌ لكل مسائل الحياة الاجتماعية و الفردية و انه دينٌ و عقيدة و وطن و حكومة و قانون و روحانية و سياسة و صلحٌ و حربٌ و انه

ليس منفصلاً عن اي جانب من جوانب الحياة، هذا الاعتقاد يجب ترسيخه في النفوس و افهامه لكل مسلمي العالم.

فعلىٰ كل مسلم (و خاصة كوادر المجتمع الاسلامي) أن يلتفت الىٰ وجوب رعاية تقدم الإسلام و اجراء الاحكام و عزّة المسلمين، في كل حركاته وسكناته، في سكوته و نطقه و فعله و لفظه.

و بناءً علىٰ هذا، فلا شكَّ في أنّ تشكيل حكومة اسلامية في الظرف الذي عاصره الحسين عليه السلام و استلام زمام امور الدولة الاسلامية و اجراء احكام الشريعة كان يمكن ان يتحقق من خلال اسقاط حكومة جائرة كحكومة يزيد، و لو ان شخصية كالإمام الحسين عليه السلام و هو امام منصوص علىٰ امامته و يتمتع بكفاءة في اعلىٰ مراتبها و ذو صلاحية و صلاح متفق عليه من قبل كل المسلمين، قامت بتشكيل حكومة اسلامية، لكانت تلك الحكومة قادرة علىٰ القضاء علىٰ كل المفاسد الاجتماعية و السياسية الموجودة في ذلك الوقت، و لارجعت الإسلام الىٰ مسيره الاصيل و تقدمت بالمجتمع الإسلام خطوات سريعة و راسخة الىٰ التطور و الرقي.

اذن، في حالة استجابة الناس و تفاعلهم مع دعوة الحسين عليه السلام و نصرتهم له، تكون ازاحة يزيد و تشكيل حكومة اسلامية، واجبٌ شرعي مقدسي، و ان هذا الهدف و الغرض لا يُعرِّي الثورة من حقيقتها و خلوصها و نزاهتها و اسلاميتها و كونها ثورة اصلاحية، و لا يتهمها بالانانية و السلطوية و الفئوية.

فهذا الاصل، اي أصل تاسيس حكومة اسلامية في حالة اشتراك عامة المسلمين كان يستحق من الحسين عليه السلام أن يثور من اجله و لعلَّه كان اقرب الطرق الىٰ تحقيق اهداف الحسين عليه السلام، و لكن و لان الحسين عليه السلام كان يعلم بعلم الامامة و من خلال الظروف و الاحوال السياسية و الاجتماعية المحيطة به، ان الاستجابة من

الناس لدعوته ستكون ضعيفة، لذلك قرر ايصال صوته عن خلال مظلوميته و ردة فعل المصائب التي سيتحملها علىٰ المجتمع، فاراد ان يوقظ ضمير الأُمة السابت من خلال تضحياته و فدائه و مظلوميته و مظلومية اهل بيته و اصحابه.

و ثانياً: إنَّ الاستجابة لدعوة اهل الكوفة و ارسال مسلم بن عقيل اليهم انما كانت بعد موت معاوية و استخلافه ليزيد المعروف بفسقه و انحرافه و فجوره، و كان الاحرار من المسلمين في حيرة و ضياع و لم يتحملوا فضاعة عواقب هذه البيعة القهرية، و كان العالم الاسلامي بنظر الناس (إلاّ من شذّ من مرتزقة الحكم الاموي و المنتفعين و الانتهازيين) بلا خليفة و امام، اذ ان وجهة نظر اتباع اهل البيت عليهم السلام هو ان الإمام الحسين عليه السلام امام قد نُصَّ علىٰ امامته من قبل النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و من وجهة نظر غيرهم فان حكم يزيد لم يكن مشروعاً، اذ إنَّ استخلافه من قبل معاوية لم يكن مبتنياً علىٰ رعاية مصلحة المسلمين، كما ان اهل الحلّ و العقد لم يمضوا هذا الاستخلاف مع إنَّ رأيهم كان ميزاناً و مقياساً يُرجع اليه في مثل هذه الحالات، و اما من بايع يزيد منهم فبين ساكت عن الحق خوفاً من سيوف امثال زياد بن ابيه و مسرف بن عقبة، و بين طامع طمعاً بالجوائز و الهبات و الاموال و المناصب، فقد احسَّ معاوية الامتعاض من بيته قبل ان يحسَّه من الغرباء عنه، و حتىٰ مروان بن الحكم ـ و هو اقرب الاقرباء الىٰ معاوية ـ حيث بلغته دعوة العهد ليزيد اشتدت نقمته و خالف تلك البيعة و كتب الىٰ معاوية «أنَّ قومك قد أبوا اجابتك الىٰ بيعتك» فعزله معاوية عن ولاية المدينة و ترضّاه ما استطاع و جعل له الف دينار كل شهر و مائة دينار لمن كان معه من اهل بيته. (١)

---

(١) ابو الشهداء ص١٣١ـ١٣٠.

و بنحو عام ،كان عامة الناس (إلاّ من تخوف من حدِّ السيف او الذين استهوتهم اموال معاوية) ناقمين علىٰ هذه البيعة ، و غير مقتنعين بوجوب الطاعة و حرمة الخروج علىٰ يزيد.

و من جهة اخرىٰ فلقد كان الحسين عليه السلام ابرز شخصية عرفها المسلمون توفرت فيها كل الكفاءات و المؤهلات للخلافة و قيادة الامّة ، فلقد كانت الانظار متجهة اليه و الاعناق ممتدة نحوه لتأسيس حكومة شرعية و لقيادة الامة و هدايتها ، فلو امتنع الحسين عليه السلام عن أخذ حقه الذي يعترف له به الجميع ، و لو انه رضي بذلك الوضع المؤسف و الاضطراب الاجتماعي و السياسي و قبل بذلك الفراغ الاداري، لأعطىٰ الحجّة للجميع في سكوتهم و خنوعهم و لا ضفىٰ مشروعية علىٰ حكم يزيد و شهادة منه له أنه نعم الخليفة المامول.

اذن ، ما كان ينبغي علىٰ الحسين عليه السلام فعله أولاً هو الامتناع عن البيعة و فسح المجال للمسلمين للاقدام علىٰ انتخاب الحكومة الاسلامية و اتمام الحجة عليهم ، و في المرحلة الثانية أن يدعوهم الىٰ بيعته هو لتشكيل الحكومة الاسلامية.

و لذلك ، قبل الحسين عليه السلام دعوة اهل الكوفة بعد أن توالت كتبهم و رسلهم اليه تدعوه الىٰ تولي الامور بنفسه و اظهروا الانقياد و الانصياع لاوامره و اعلنوا الطاعة و الاستعداد للفداء و التضحية للخلاص من الضياع الذي تركه فراغ السلطة ، و كانهم بذلك قد القوا الحُجَّة عليه و اتمّوها ، مما دعىٰ الحسين عليه السلام الىٰ الاستجابة و ارسال إبن عمه مسلم بن عقيل لتقصّي الحقائق و دراسة الامور.

و من الواضح ، انَّ كل هذا الاصرار و اعلان الاستعداد من قبل اهل العراق كان فرصة تاريخية لاعادة الامور الىٰ مجاريها و اصلاح ما فسد منها ، مما اضطر الحسين عليه السلام الىٰ العزم علىٰ الخروج الىٰ العراق فلو لم يستجب الحسين عليه السلام لتلك

الصرخات و الاستغاثات، لترك الناس في حيرة و ضياع، فلم يكن للحسين أن يمتنع عن الاجابة مع كلِّ تلك التأكيدات من قبلهم، و لم يكن له ان يستند الىٰ خذلانهم لابيه و اخيه في مرحلة سابقة اختلفت فيها الظروف و الاوضاع عن مرحلته.

و لم يكن بمقدور الحسين عليه السلام أنْ يطلب من أهل الكوفة ـ كما اقترح البعض ـ أن يطردوا حاكمها و يسيطروا علىٰ ادارة البلد، ثم يسير اليهم!! فان الحسين عليه السلام كان يعلم بان اهل الكوفة سيوقولون له: إنَّ كل حركة و ثورة و نهضة تحتاج الىٰ قائد ميداني و إلاّ فشلت تلك الحركة، مضافاً الىٰ انه لم يكن من شيم الحسين عليه السلام أن يطلب منهم الثورة و القتال و التضحية و الفداء، حتىٰ ياتي هو و يحكم علىٰ انقاض اجسادهم!! فان كل ذلك كان يُعدُّ عرفاً، تهرباً من الجهاد و الوظيفة الرسالية.

لقد كان لسان حال اهل الكوفة و الذين كتبوا للحسين عليه السلام: «إننا بلا امام و بلا قائد و إنَّ العالم الاسلامي في حيرة و ضياع، و إنَّ الاخطار تحدق بالامة الاسلامية بعد استخلاف يزيد» و وضعوه امام المسئولية الشرعية.

فكان علىٰ الحسين عليه السلام أن يستجيب حتىٰ لو كانوا من اهل السوابق في الخِدَع و الخذلان، و كان الإمام الحسين عليه السلام يقول كما ورد في بعض كتب المقاتل: «**مَن خادَعَنا في الله إنخَدَعْنا لَه**»

إنَّ استجابة الحسين عليه السلام لدعوة اهل الكوفة و تشكيل الحكم الاسلامي و ارسال مسلم بن عقيل، لم يكن من نوع السياسة المذمومة و بمعنىٰ طلب الزعامة و السلطة، بل هو من نوع الامتثال للتكليف الشرعي و السياسة المحمدية الاصيلة الصحيحية.

و لذا، و مع أنَّ الحسين عليه السلام، و بعلمه الخاص كان متيقناً من النتيجة، استجاب

لاهل الكوفة لالقاء الحجّة عليهم، فارسل مسلم بن عقيل.

و جاء مسلم الىٰ الكوفة، جاء و لم يحمل معه الهدايا و الجوائز و الرشا الىٰ رؤساء قبائلها و زعمائهم[1]، و لم يَعد احداً بوزارة أو امارة أو ولاية، و لم يتهدد احداً بقتل أو تشريد أو سجن، بل بدأ نشاطه في جوٍ من الحرية و الاختيارية، و كما نعلم فانه استقبل بحفاوة و تكريم يكشفان عن تلك الاحاسيس و العواطف الجياشة التي عبّروا عنها في كتبهم الىٰ الإمام الحسين عليه السلام و عن تفألهم بقدومه، و نفرتهم الشديدة من بني اميّة هذا و قد بايعه اكثر من ثمانية عشر الفاً منهم و في بعض التواريخ إنَّ العدد وصل الىٰ ستين الفاً، باختيار و رغبة و شوق، فصارت قيادة الإمام الحسين عليه السلام رسمية شرعية، اذ لم يبايع اهل الحلِّ و العقد إحداً غير الحسين عليه السلام ناهيك عن عامة المسلمين، و حتىٰ علىٰ مقياس من يرىٰ البيعة بالاجماع، صارت البيعة للحسين عليه السلام شرعية و اصبح هو الخليفة الشرعي، فلقد كانت بيعة واقعية اختيارية بكل ماللكلمة من معنىٰ.

و لكن وللاسف الشديد، كان حبُّ الدنيا والمال و الذهب من جهة، و الخوف من الفداء و التضحية من جهة اخرى، قد أخذ ماخذهما من نفوس الناس، فعاقهم ذلك عن الصمود ساعة الشدَّة و الامتحان، فابتلوا بخيانة العهدو نكث البيعة و الخذلان مما اورثهم ذُلاّ و عاراً يصعب التخلص منه علىٰ مدىٰ الاجيال.

و من الطبيعي، ان ما قام به الحسين عليه السلام من استجابة لدعوة المستغيثين و الملهوفين كما جاء في كتبهم و علىٰ لسان رسلهم اليه، و ارسال مسلم اليهم ثم

(١) كان مسلم بن العقيل قد اقترض مبلغ ٧٠٠ درهم لمخارجه الخاصة، و قد أوصىٰ عند استشهاده بدفعها من ثمن سيفه و لامته (ابو الشهداء ص١٤٦).

خروجه بنفسه علىٰ العراق، انما كان بحسب الظاهر لتشكيل حكومة اسلامية و اغاثة المستغيثين، و لكن لما كان واقع الامر و باطن الحقيقة معلوماً للحسين عليه السلام و لانه كان ينفِّذ ما نفَّذه الانبياء و الاولياء، قَبِل دعوتهم و اتمَّ الحجّة عليهم، عملاً بمفاد الآية الشريفة: «لِيَهلَكَ مَن هلك عن بيّنة و يحييٰ مَن حيَّ عَن بيّنَةٍ» بالضبط كفائدة دعوة الانبياء «لِئلا يكونَ للناسِ علىٰ الله حُجَّة بَعدَ الرُسُلِ» كذلك كانت فائدة ثورة الحسين عليه السلام و استجابته، لئلا يكون للناس حجة يوم القيامة علىٰ الله و علىٰ الإمام.

لقد اثبت خذلان اهل الكوفة و أحداثها أنَّ تشكيل حكومة اسلامية غير متيسرٍ في ذلك الظرف، و انّ طريق دفع المخاطر عن الإسلام ينحصر في الامتناع عن البيعة و بالتسليم و الاستقامة و الاعداد لثورة فكرية عقائدية، و بتهييج المشاعر، و التضحيات من اجل افشاء مخططات بني اميّة.

و الحاصل: إنَّ الجواب علىٰ ذلك هو أنْ يقال: إنَّ حفظ الإسلام كان منحصراً في أحد طريقين:

الاول: تشكيل حكومة اسلامية عادلة و اسقاط حكومة بني اميّة و يزيد.

الثاني: التضحية في طريق الامتناع عن البيعة و الاستسلام، و خوض طريق الشهادة و المظلومية.

و لمّا لم يمكن سلوك الطريق الاول لعدم وفاء الناس و خذلانهم، اختار الإمام عليه السلام و منذ البداية الطريق الثاني، مستفيداً من المشتركات بين الطريقين مادام خذلان الناس له لم يصل الىٰ العلن و التحقق.

اذن، فتشكيل الحكومة الاسلامية، و إن كان هدفاً مقدساً و طلبُه لا يُخلُّ بمقام الحسين عليه السلام و قداسته بل كان عين الصواب و الحق، لكن و لان الحسين عليه السلام كان يعلم منذ البداية بعدم تحققه، لا يمكننا أن نقول بان تشكيل الحكومة كان من جملة اسباب

و دواعي ثورة الحسين عليه السلام.

دفعُ توهُم

إنَّ من يطالع تاريخ الثورة الحسينية ينجذب بشدة الىٰ روح الفداء و طلب الحق الذي جسَّده الإمام الحسين عليه السلام و لا يشكُّ احدٌ أبداً في نزاهة الثورة و تجرّدها من المكاسب الدنيوية، بل سيتضح جليّاً له أنَّ الحسين عليه السلام الذي ضحّىٰ بنفسه و اولاده و أصحابه، إنما ثار من أجل تصحيح القيم و اصلاح الامّة.

و قد عجز كل من حاول المساس بقدسية هذه النهضة، من أعداء الإسلام و أعداء اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله و من اولئك المتنكرين للحقّ، و اذناب المستعمرين و بعض المستشرقين و المأجورين مثل «لامنس» الذين دافعوا مستميتين عن بني اميّة و يزيد، سعياً منهم لاضلال و استغفال البسطاء من عامة الناس و السذَّج و الهامشيين، مفترين علىٰ قائد هذه النهضة للانتقاص من شخصيته الرسالية الفريدة.

و لا ريب في فشلهم و عجزهم ذاك، اذ انَّ سلاح الافتراء و التهم اذا كان قاطعاً في بعض الموارد، فانه كالٌّ في هذا المورد بالذات، بعد وضوح تضحيات الحسين عليه السلام الخاصة التي كشفت علىٰ الحقائق و دفعت كل إبهام و خلل محتمل.

و لقد وصل الحسين عليه السلام الىٰ درجة من الكمال عَجز معها حتىٰ بنو اميّة من التجاسر قط علىٰ المساس بورعه و تقواه و رعايته لاحكام الدين في اصغر صغيرة يباشرها المرء سرّاً و علانية و حاولوا أن يعيبوه بشئ غير خروجه علىٰ دولتهم فقصرت السنتهم و السنة الصنائع و الاجراء دون ذلك، فاضطر كلٌ منهم الىٰ التبري من عار و شنار قتله الفجيع و انكار مشاركته في ذلك، و كان كلٌ منهم يُلقي باللائمة علىٰ غيره، و لكنهم لم يفلحوا في اقناع الامة الإسلامية ببراءتهم.

و حاول بعض المؤرخين و ضعاف الفهم و لاغراضٍ خبيثة ان يقلل من أهمية هذه النهضة و قداستها، و من جملة هؤلاء و لعله الوحيد من القدماء في إنحرافه الفكري و الضلال هو ابوبكر بن العربي الذي ينسب اليه قول:

«إنَّ حُسيناً قُتلَ بسيفِ جدِّه»(١)

و هذا القول، و إن كان ظاهراً في الدفاع عن قتلة الحسين عليه السلام الذين ارتكبوا ـباجماع الامةـ أفضع الجرائم و الجنايات و اشتروا غضب الله و الرسول و الشقاء في الدنيا و الآخرة و خسرانها، و لكن ما هو وراء هذا الدفاع أعظم ألا و هو اساءة الأدب و التجاسر علىٰ مقام النبي الاكرم صلى الله عليه وآله الشامخ.

لقد ظن ابن العربي ان سيف الرسالة و النبوة، هو سيفُ الضُحاك و جنكيز خان، و قد قُتل الحسين عليه السلام به!!

إنَّ ابن العربي يريد أن يقول: إنَّ سيف الظلم و الجور الذي كان بيد بني اميّة، هو سيف النبي صلى الله عليه وآله !!

انه يقول: إنَّ السيف الذي شهره معاوية و اراق به دماء الابرياء و اجلَّة الصحابة و التابعين هو سيف النبي صلى الله عليه وآله !!

انه يقول: إنَّ السيف الذي قُتل به عمّار بن ياسر و أويس القرني و خزيمة و ابن التيهان و حجر بن عدي و سائر شهداء مرج راهط، و رشيد الهجري و ميثم التمار ،هو سيف رسول الله صلى الله عليه وآله !!

إنَّ ابن العربي يقول: إنَّ السيف الذي قام بمذبحة المدينة في الحرّة و اراق دماء الصحابة في حرم النبي صلى الله عليه وآله و هتك المقدسات الإسلامية و تعرض لنواميس المسلمين

---

(١) سمو المعنىٰ ص ٧١.

و أعراضهم العفيفة، هو سيف النبي!!

فهو يقول: إنَّ السيف الذي كان بيد يزيد و ابن زياد و مسلم بن عقبة و بسر ابن ارطاة و الحصين بن النمير و الحجاج بن يوسف و الوليد و امثالهم من الجلاّدين و القتلة، هو سيف محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله!!

«لا حولَ و لا قوَّة إلاّ بالله و إنّا لله و إنا اليه راجعون»

و يحق لنا ان نبكي بدل الدموع دما علىٰ مثل هذه البليَّة حين يكون في المسلمين مثل ابن العربي الذي يصل به العداء للنبي و اهل بيته الىٰ هذا الحدِّ.

فهل هناك تجاسر و اهانة و شتيمة للنبي و الإسلام أكبر من جسارة ابن العربي؟!

لا، يا ابن العربي! إنَّ الحسين عليه السلام و اصحابه و اهل بيته و كل من هبَّ لنصرة الحق و الدين، لم يقتل بسيف رسول الله صلى الله عليه و آله.

إنَّ الحسين عليه السلام قُتلَ بسيف عتبة و شيبة و الوليد و المشركين الذين حاربوا الإسلام.

لقد قُتل الحسين عليه السلام بسيف الكفر و الجاهلية، بسيف ابي سفيان و ابنائه، ذلك السيف الذي شهر في بدر و احدٍ و الاحزاب ضد المسلمين، إن السيف الذي قتل الحسين عليه السلام هو نفس السيف الذي قتل حمزة عمِّ النبي الاكرم صلى الله عليه و آله، انه سيف معاوية و عمرو بن العاص و مروان الطريد، إنَّ السيف الذي قتل الحسين عليه السلام هو سيفكم أيّها الكتاب المتملقون المتلونون.

و أحدُ هذه الاقلام الخبيثة المغرضة هو محمد خضري بيك صاحب كتاب «محاضرات تاريخ الامم الاسلامية» الذي خان الإسلام في كتابه المشئوم هذا.

هذا الرجل الناصبي المستميت في الدفاع عن بني اميّة عامة و معاوية و يزيد

خاصة، يعتبر ثورة الحسين عليه السلام تطرفاً و إنتحاراً سياسياً، و بعيدة عن الحزم و بُعد النظر، و انخداعاً بالعراقيين!!

و يستمر هذا الكاتب بتسطير جملات الاعتراض و الانتفاد لثورة الحسين عليه السلام بدلاً من توبيخ و محاسبة بني اميّة و خاصة معاوية الذي تسبب في فرقة المسلمين و اختلافهم، و الذي خرج علىٰ خليفة زمانه الحق، واستخلف ولده يزيد الفسق و المجون، متبعاً طريقةً كسروية قيصرية في ولاية العهد!!

و ليت خضرىٰ بيك سكت و لم يوبخ،و انما نراه يحمل بشدة علىٰ النهضة الحسينية ضد يزيد.

و في خاتمة مقاله يتخبط و يقول: لقد ثار الحسين علىٰ يزيد قبل أن يصدر عنه أيّ ظلم و جور!!

و نقول لهذا المتملق: إنّ مثل الحسين عليه السلام الذي عرف المسلمون و العالم الاسلامي كلِّه، فضائله و مناقبه من خلال ما وصلهم من اخبار و احاديث متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله، يكون احتمالُ خطأة معدوماً تماماً، كما انَّ صوابه و سلامة موقفه، هو المرتكز الراسخ في الفكر العام عند المسلمين، و في زمننا المعاصر، أطبق العقلاء و روّاد المجتمع العالمي علىٰ ضرورة مقارعة الظلم و الجور و الاستغلال و الاستعباد، و إنَّ حياة و بقاء الامم مرتهن بمقاومتها للظالمين، و انَّ طريق الحسين عليه السلام و نهجه هو الطريق الأصح فهم يعتبرونه عليه السلام امام الاحرار و سيد المضحِّين في سبيل خلاص و انقاذ البشرية و الداعين الىٰ الاستقلال و الحرية و الاصلاح، و لا يعتني احدٌ بسفسطائية الخضري الناصبي، بل يلعنون امثاله من الكتّاب الذين يروّجون الهَراء.

و رغم ذلك، و مع أنّ الاستاذ محمد رضا رشيد قد ردَّ في كتاب «الحسن و الحسين سبطا رسول الله» علىٰ «خضري بيك»، لكننا سنجيب علىٰ تخرصاته ببعض

الاجوبة:

١ـ انه خضري بيك، ظنَّ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام خرج من اجل السلطان و اعتبر إنَّ عدم تحقق هذا الهدف المزعوم، دليلٌ علىٰ قلة الحزم و التخطيط، و عدم اعداد العدَّة و العدد، و لذا اعتبر حركة الإمام الحسين عليه السلام حركة افراطية متسرعة غير مدروسة.

و لكن و كما اشرنا مراراً؛ إنَّ ثورة الحسين عليه السلام بشهادة أرباب القلم الحرِّ و مفكري العالم الاسلامي، لم تكن حركة سياسية محضة من اجل السلطان و الزعامة، و قد كان الحسين عليه السلام مطلعا علىٰ عواقب حركته و خواتمها، و كان قد أطلع الاخرين علىٰ تلك الخاتمة، فالحسين عليه السلام كان يرىٰ أن واجبه الشرعي يدعوه للخروج و الثورة و إن البيعة ليزيد محرَّمة و إن التخلف عنها واجبٌ مقدمي و إن كلفه حياته.

فالامام الحسين عليه السلام هو الشخصية الاولىٰ في الامة الاسلاميّة، و كان يتمتع بكل مؤهلات زعامة و امامة الأمة، فهو من بيت النبيوة و الرسالة، و هو العارف بصلاح الامة و الحريص علىٰ مستقبلها، فكيف يرضى باستخلاف شاب فاسق و جاهلٍ متجاهر بالاثم و المعاصي؟

و اذا وجب الامرُ بالمعروف و النهي عن المنكر، كان الحسين أولىٰ من غيره بالقيام بهما، و أوّل من يجب عليه العمل علىٰ محو الفساد و الظلم من المجتمع الاسلامي حتىٰ لو كلفه ذلك غاليا.

فمن اولىٰ من الحسين عليه السلام بالجهاد و الفداء في سبيل الحفاظ علىٰ الدين و الدفاع عن الشرع؟

و الحسين عليه السلام كان يرىٰ التضحية و الشهادة واجبةً في طريق اقامة الحق و احيائه و اماتة الباطل و ازهاقه، و لذلك قال:

«لا ارىٰ الموتَ إلاّ سعادةً و لا الحياةَ معَ الظالمينَ إلاّ بَرَما»

و قال عليه السلام :

«لا أُجيبُ إبن زيادٍ فَهَل هُو إلاّ الموتُ فَرَحباً بِهِ»

لقد أُخِذَ الخضري بيك من جهة مقايسته ما بين ثورة الحسين عليه السلام و بين حركات السياسيين الطامعين بالزعامة و الملك، فاعتبرها انتحاراً سياسياً، و حركةً عشوائية متسرعة، مع إننا أوضحنا في الفصل الاول لهذا القسم من الكتاب، ان ثورة الحسين عليه السلام كانت امرا إلهياً، و اداءً للتكليف الشرعي، و مأمورية سماوية، لا تُقاس الاّ بحركات و نهضات الانبياء و الاولياء، التي لا تستند الىٰ القوة المادية و الظاهرية.

لقد قام نبي الله ابراهيم عليه السلام الأعزل من السلاح و الجيش و الناصر و المعين، ضد أعتىٰ جبار في زمانه و هو النمرود، فاستخفَّ بالهتهم و كسَّر اصنامهم و جعلها جُذاذاً.

و هذا موسىٰ كليم الله عليه السلام، الراعي الفقير، يقف أمام جبروت فرعون مصر و دعواه الربوبية، و يأمره بان يتخلىٰ عن هذا الادعاء، و ان يترك استعباد الناس، و أن يخلّي بينه و بين بني إسرائيل، و اعتبره ضالاً، و لم يكن مع موسىٰ جيش و لا عدّة، إلاّ هرون اخوه.

و هذا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله و لوحده قد حمل راية الدعوة الىٰ التوحيد الىٰ جبابرة و مستكبري العرب و العجم، و القبائل المشركة المتوحشة التي كانت تسجد لثلاثمائة و ستين صنماً! و أرسل الرسل الىٰ ملوك فارس و قياصرة الروم يدعوهم الىٰ دين الله.

و هذا يحيىٰ بن زكريا النبي عليه السلام دعا الناس الىٰ الله، فقِتل و أُهدي رأسه الىٰ

بغيٍّ من بغايا بني اسرائيل.

و الحسين عليه السلام دعىٰ الناس الىٰ الحق و العدل و الىٰ دين جدِّه فقُتل و أهدي رأسُه الىٰ يزيد الطاغية.

و هكذا زكريا و سائر الانبياء الذين قُتلوا أو كُذِّبوا، لم يعتمدوا الاسباب الظاهرية المادية في دعوتهم.

فهولاء جميعاً ما قاموا إلاّ امتثالاً لامر الله و التكليف الشرعي، و لم يدفعهم حبَّ الغلبة و السلطان، فسواء عليهم النصر أو الهزيمة الظاهريَّين، ماداموا يؤدون تكليفهم.

و لقد كان في أزمانهم مَنْ يتهمُهم و يفتري عليهم بالافراط و العجلة و عدم الحزم و التخطيط، و الاقدام علىٰ التهلكة و القتل، بل ان الناس استهزؤا بهم و آذوهم و اتهموهم بالجنون و التخبط!!

ذلك لان الجهّال لا يميزون بين طالب حق و طالب سلطان، و يظنّون ان الحركات التمردية الاصلاحية المستندة الىٰ وجوب الامتثال لله و اوامره، و الداعية الىٰ الفضيلة و العدالة و الحق و اتمام الحجّة، هي مماثلة للحركات الدنيوية السياسية القائمة علىٰ اساس حبِّ الدنيا و السلطان و الزعامة و النفع الشخصي.

٢ـ ما قاله الخضري بيك من انَّ الحسين عليه السلام لم يعط يزيداً الفرصة الكافية لاثبات جدارته، و إنه عليه السلام خرج عليه قبل ان يصدر ايُّ ظلمٍ و جور من يزيد، و كان الافضل أن يسكت الحسين و يصبر و يُمضي حكومة يزيد، ليعتلي يزيد دفة حكمٍ جائرٍ ليعمَّ العالم جورُه و ظلمه و جرائمه و فساده، ثم ينهض ضدَّه؟!

هذا الذي تشدَّق به الخضري ناجم عن ظنه الخاطئ بجهل الإمام الحسين عليه السلام لشخصية يزيد و صفاته، و ان المسلمين لم يكونوا يعرفون من هو يزيد بن ميسون.

إنَّ يزيد بن معاوية كان مشهوراً بفساد اخلاقه و قبائح فعاله، و معاقرته الخمرة و لعبه بالقردة و الكلاب و تجاهره بالفجور و المعاصي، مستحلاً لحرم الله، و لم يمتنع من امتنع عن بيعته زمن أبيه ـ علىٰ رغم مخاطر التمرد ـ إلاّ بعد ان عرفوا من هو يزيد بن معاوية، و انه لا يصلح لادارة قرية من قرىٰ بلاد المسلمين لفساده، فضلاً عن خلافة الامة الاسلامية.

إنَّ يزيد بن معاوية، لم يتورع عن شرب الخمر و السكر حتىٰ في المدينة المنورة عندما سافر اليها زمن أبيه، مع علمه بانه سيكون بمرأىٰ و مسمع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله و رجالات الإسلام(١).

إنَّ الحسين عليه السلام قد عرف يزيداً منذ اللحظة الاولىٰ لاستخلافه من قبل معاوية فقال لمعاوية:

و اعلم ان الله ليس بناس لك قتلك بالظنة و اخذك بالتهمة و إمارتك صبياً يشرب الشراب و يلعب بالكلاب و ما اراك الا و قد أوبقت نفسك و اهلكت دينك و أضعت الرعية.(٢)

٣ـ لو كان يزيد قد أحسن التصرف بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام و عمل بكتاب الله و سنة نبيه، و تخلّىٰ عن شرارته و فساده و مجونه، لاحتُمل ـ ظاهراً ـ ان الحسين عليه السلام قد لا يكون واقفاً علىٰ مساوئ يزيد و انه تسرَّع في نهضته، و لكنَّ افعاله الشنيعة يوم عاشوراء و أسرِ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله و تسييرهنَّ في البلدان و بعد واقعة الحرَّة و هدم الكعبة و حرقها، و الاستمرار في التجاهر بالفسق و المعاصي

---

(١) الكامل لابن الاثير ج٣ ص٣١٧.

(٢) الامامة و السياسة ج١ ص٥٣.

الكبيرة، كشفت ما بقي خافياً علىٰ الناس من قبائح افعاله، لا يَبقىٰ لظنِّ خضري بيك ايّ مصداقية إلاّ عداوته و نصبه لاهل البيت عليهم السلام.

٤ـ إنَّ كلام الخضري بيك ناشئ إمّا عن التعصّب الاعمى، و امّا عن جهله باهداف الإسلام، فظنَّ ان كل من قام ضد حكومةٍ ما و في أيِّ ظرف كان، فهو شاقٌ لعصا المسلمين و مفرق لجمعهم و باعث علىٰ اختلافهم و فرقتهم و انه ينبغي علينا تمكين الظلمة و الحكومات و اعانتهم و طاعتهم و مهادنتهم و التملق لهم، كي لا يتفرق المسلمون!! و أنَّ الوحدة و الاتحاد ممدوحٌ حتىٰ في ظلّ الظالمين و اعانتهم علىٰ ظلمهم، و أنه كان علىٰ الجميع مدَّ يد العون ليزيد و الحجّاج و الوليد و معاوية و جبابرة التاريخ و مهادنتهم و شرعنة انظمتهم و امضاء سلوكهم، حفظاً للامّة من الفُرقة!!

كلا يا خضري بيك، لقد ضَلَلت و تُهت و ذهبتْ بك المذاهب فان الاختلاف بين أهل الحق و اباطل لا زال قائماً منذ قابيل و هابيل، و لا نعهد شريعة من الشرائع السماوية و لا الارضية السليمة، تبيح لأهل الحق السكوت و الاستسلام لاهل الباطل بحُجَّة الحفاظ علىٰ وحدة المجتمع، فعلىٰ مقياس الخضري يكون ابراهيم خليل الله عليه السلام الذي وقف مقابل جبروت نمرود، و يكون محمد بن عبد اللّه صلى الله عليه وآله الداعي الىٰ نبذ عبادة الاوثان، و سائر الانبياء، ادعياء تفرقة و اختلاف نعوذ بالله من هذه المقالة.

كلا يا خضري بيك! إنَّ جذور اختلاف المسلمين و تفرقهم تعود الىٰ امثال حكومة معاوية مفرِّق الجماعات و يزيد و من لفَّ لفَّهم الذين حاربوا التعاليم الاسلامية و قوانين الدين سعياً وراء السلطة و الملك.

٥ـ يا خضري بيك، إنَّ الحسين عليه السلام كان عارفاً بكل خطوة خطاها، عارفاً

بعللها و أهدافها و نتائجها، و كان يخطو الخطوات بكل حزم و دراسة و حكمة نحو هدف واضح مدروس و مخطط له، و كان مطّلعاً علىٰ ماوراء الزمن، متنبئاً بعواقب الامور، متيقناً من يقظة الامّة و انتباهها من غفلتها، متوقعاً ثورتها و انتفاضتها ضد يزيد و بني اميّة، موعوداً بزوال هذه الحكومة الجائرة و محوها من سجلّ الحكومات الاسلامية، مستَتْبعةً بلعنة أبديةٍ.

إنَّ الحسين عليه السلام كان يسير نحو زعزعة بني اميّة عامة و معاوية و يزيد خاصة، و نحو كشف بواطن هذا الحكم العَفِنِ، و أن يضمَّ اصوات عامة المسلمين الىٰ صوته في إدانة هذا الحكم و إسقاطه و تخليص المجتمع من شرِّه، و لذا عبأ الإمام الحسين عليه السلام كلَّ القِوىٰ و درس كلّ المحتملات و لم يتجرَّد عن الحزم و الدقة لحظةً واحدة طوال مسيره و حركته و نهضته، فكان قد حسب لكل شئ حسابه و اعدَّ عدَّتَه و أوجد المقدمات توخياً لتحقق النتائج كاملة و ليملأ صوتُ مظلوميته أسماع العالم كلّه، و يعلو صوت الاعتراض العام و الملامة و النفرة و الكراهية ضد عدوه، فيُخذل العدو و تفشل مخططاته المشئومة لمحو الإسلام، و هذا ما حصل بالفعل و هو خير دليل علىٰ بطلان مزاعم خضري بيك، اذ ما مرَّت إلاّ ايام قلائل حتىٰ ارتقىٰ معاوية بن يزيد (معاوية الثاني) المنبر في دمشق فاضحاً جرائم أبيه و جدِّه و بني اميّة عامة، معلناً أحقيَّة علي عليه السلام و آله بالخلافة و الامامة.

بَينَ الفداء و الانتحار

إذا قال قائل: إنَّ الانسان اذا كان يهدف من ثورته مقتلهُ و مقتل اولاده و انصاره و أسرَ اهل بيته و عيالاته، فان ذلك بمثابة القاء النفس الىٰ التهلكة و هو غير

جائز عقلاً و شرعاً بنص الآية الكريمة: «لا تُلقوا بأيديكُم الىٰ التَّهلكَة»[١]، فكيف يصح من الحسين عليه السلام أن يَخرج للشهادة و القتل السبْي، و أن يَعدَّ و يستعدَّ لذلك؟ فان قتل الحسين عليه السلام و أسر بنات النبوة، من أعظم الجنايات و هو مبغوض عند الله تعالىٰ، و لا يجرُّ علىٰ صاحبه غير الضرر؟

أجبناه قائلين:

١ـ إنَّ قتل النفس موضوع تشكيكي يختلف باختلاف الاحوال و العناوين، فتارة يكون موضوعاً لحكم تحريمي و اخرىٰ يصير موضوعاً لحكم وجوبي الزامي، و ليس محرماً علىٰ الاطلاق كما توهم المستشكل، و حتىٰ لو كان هناك اطلاق، فانه مخصَّصٌ بالادلة الاخرىٰ. فلو فرضنا ان الإسلام يواجه تهلكةً و خطراً قاتلاً، و يقال إنقاذ الإسلام و خلاصه من الخطر يتوقف علىٰ القاء النفس في التهلكة، فهل يُال أيضاً بعدم جواز التضحية و القاء النفس الىٰ التهلكة حفاظاً علىٰ الإسلام؟

ألا يُلام و يُوبِّخ من يمتنع عن التضحية بنفسه في سبيل الحفاظ علىٰ بيضة الإسلام و شرف المسلمين؟ أليس الدفاع عن الدين، و الجهاد في سبيل الحق، أولىٰ بوجوب التضحية و الفداء؟

إنَّ فلسفة الجهاد و الدفاع هي الدعوة الىٰ التوحيد و تحرير البشرية من العبودية لغير الله و حفظ الإسلام و تخليص الدين من المحو و التهلكة، أو حفظ الدولة الاسلامية من استيلاء الاجانب و الكفّار و الاشرار، و هو واجب علىٰ كل المسلمين طبقاً لاحكام الجهاد و الدفاع ـ مع تيقن القتل و إلقاء النفوس في التهلكة.

فالدفاع عن خنادق و ثغور الإسلام، اذا توقف علىٰ استشهاد عدد من

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٥.

جنود المسلمين، و وُجدت ضرورة لحفظ الدولة الاسلامية من المخاطر، وَجَب تحمل التلفات و التضحيات الكبيرة، و مثل هذه التضحيات و الفداء جائزة بل واجبة.

٢ـ انَّ هذا الحكم (حرمة القاء النفس الىٰ التهلكة) حكم ارشادي، و مؤيد لحكم العقل بقبح «القاء النفس الىٰ التهلكة»، و من الواضح ان انكار العقل لذلك انما هو في حالة عدم وجود مصلحة أهم من الحفاظ علىٰ النفس، فان توقفت مصلحة أهم من ذلك عليه، حَكَم العقل بالجواز بل بالوجوب و الإلزام احياناً.

٣ـ إنَّ الهلاك متصورٌ بعدة انحاء من جملتها، الفناء و المحو و الانعدام، و قد يكون هذا النحو هو المقصود في الآية الشريفة، و هذا المعنىٰ انما يتحقق فيما لو لم يكن هناك غرض شرعي صحيح أو عقلي سليم، فان وجد مثل هذا الهدف و الغرض و كان ذلك امتثالاً للتكليف الشرعي و للأمر الالهي و للدفاع عن احكام الدين و عزّة المسلمين، لم يكن الفداء و التضحية القاءً للنفس في التهلكة و لا فناءاً و إنعداماً.

فمن ضحىٰ من اجل الدين و في سبيل الله لم يكن مُعدِماً لنفسه، و لا فانياً، بل هو حيٌ بصريح القرآن، قد باع نفسه باغلىٰ الأثمان.

اذن، ففي حالة تحقق مصلحةٍ أهم من الحفاظ علىٰ النفس، أو دفع مفسدةٍ أهم من ذلك، لم يكن بذلُ الانفس و السباقُ الىٰ الموت و الشهادة، القاءاً للنفس في التهلكة، نظير بذل المال، فتارة يبذل المال بلا عوض، فهو الاسراف و التبذير، و اخرىٰ يبذل المال للحفاظ علىٰ الشرف و الكرامة و الربح الأوفر، فلا يكون اسرافاً بل هو ممدوحٌ و مستحبٌ و قد يجب في بعض الاحيان.

٤ـ انَّ الصبر و الثبات حتىٰ الشهادة، في ميادين الجهاد و الدفاع عن الدين، و خاصة فيما لو تسبب الادبار عن القتال، في هزيمة جيش الإسلام و غلبة الكفّار، و كان الفداء و التضحية محمساً و محفزاً جند الإسلام علىٰ الصمود، أمرٌ ممدوح، بل هو

واجب مقدس، و لا نظن وجود احدٍ يدّعي ان مثل هذه التضحية القاءٌ بالنفس الىٰ التهلكة و انَّه محرَّم، بل كان في صدر الإسلام و لازال يعدُّ من افتخارات و عزَّة و بطولة جند الإسلام و بالاخص قادتهم و امرائهم، كاستقامة و ثبات و فداء و تضحية جعفر الطيار عليه السلام التاريخية في حرب مؤتة، فان مثل هذا الجهاد و الايثار و التضحية و استقبال الشهادة هو دركٌ للسعادة العظمىٰ و تقرب الىٰ الله عزوجل، لا أنه القاء النفس في التهلكة و الانتحار.

٥ـ إنّ الآية الكريمة و إن دلَّت علىٰ حرمة الالقاء بالنفس الىٰ التهلكة، لكن لمّا كان متعلق النهي هو عنوان الالقاء في التهلكة و ليس مثل تعلق النهي بالموضوعات الخارجية كشرب الخمر أو القمار، فان تحقق مصداقه و فرده يدور مدار تحقق العنوان المذكور، فقد يكون الفعل في ظرفٍ معين و لشخص معين، القاءٌ في التهلكة، و لا يكون كذلك بالنسبة لشخص آخر و في حالٍ آخر، و كما يقول احد علماء التفسير بان هذا العنوان له مصاديق متعددة، فتارة يكون الالقاء في التهلكة متحققاً في ترك الانفاق، و تارة يتحقق في نفس الانفاق، و تارة يتحقق في ترك الجهاد، و تارة يتحقق في الدفاع، كما إنَّ الالقاء في التهلكة تارة يكون فردياً و اخرى جماعياً و عاماً، فلابد من ملاحظة المفاسد و المصالح و المناسبات و الموارد، فقد يصدق الالقاء في بعض الموارد و لا يصدق في بعضها الآخر.

و في بعض الموارد، و حتىٰ لو صدق العنوان، يكون تركه سبباً للابتلاء في التهلكة الدنيوية و الاخروية الاعظم و التي لا يمكن جبرانها.

و بعد بيان هذه الإجابات، ينبغي اضافة هذا التوضيح:

اولاً: إنَّ الحسين عليه السلام و هو صاحب مقام الامامة و العصمة، هو أعلم افراد الامّة بالاحكام الشرعية، و هو معصوم عن الخطأ و الاشتباه، و ما يصدر منه انما

يصدر موافقاً للأمر الالهي و امتثالاً للتكليف الشرعي.

و ثانياً: إنَّ بني اميّة، كانوا سيقتلون الإمام الحسين عليه السلام سواء خرج الىٰ العراق أو بقي في مكة. و قد لاحظ الإمام عليه السلام كلَّ المصالح الموجودة في القضية، فخرج عن مكة صوناً لحرمة الحرم من الهتك، و كلُّ من تابع خطوات حركة الإمام الحسين عليه السلام و نهضته، سيعي تماماً أنَّ الحسين عليه السلام اراد أنَّ يوظف استشهادَه و مقتله و مظلوميته باكبر قدرٍ ممكن من اجل بقاء الإسلام و احياء الدين، فكان مراعياً لادقّ الدقائق و النكات لضمان نجاح هذا التوظيف.

و ثالثاً: إنَّ هدف الحسين عليه السلام من الثورة و الامتناع عن البيعة و الاستسلام و السكوت، و تحمل المصائب العظيمة، هو نجاة الدين، و لقد كان هذا الهدف مستحقاً لكل تلك التضحيات بوُلده و أصحابه و بنفسه الشريفة، و من ثمَّ اختار الشهادة و استقبل تلك البلايا و المصائب.

إنَّ الداعي الاوّل و الاخير لخروج الحسين عليه السلام هو امتثال الأمر الالهي و حفظ الدين و طلب الحق، و ابطال مشروعية حكم بني اميّة و افشال مخططاتهم و تفويت الفرصة عليهم لتحقيق اهدافهم المشئومة، و مقدمة الوصول الىٰ هذه الاهداف هو عدم السكوت و الاستسلام، و الاستقامة و الثبات الىٰ درجة الشهادة و تحمل كل تلك المصائب. و لقد كان هدف الحسين عليه السلام محبّباً لله و رسوله صلى الله عليه وآله و موافقاً للعقل و وجدان الإنسانيّة.

فمن المغالطة القول: بان قتل الإمام الحسين عليه السلام اذا كان مبغوضاً لله، فكيف زجَّ الحسين عليه السلام نفسه الىٰ القتل؟

إذ أنَّ الإمام عليه السلام لم يشأ أن يُقتل علىٰ يد الآخرين، و لقد بقي يدافع عن نفسه الىٰ آخر ساعة من حياته، و لكي يُتمَّ الحجَّة علىٰ اعدائه، كان يعظهم و ينصحهم و

يجادلهم في فداحة قتله و سفك دمه، و لكن كانت الشهادة في سبيل الله، محبوبته التي تمنّاها، و التي اعتبرها من أعظم وسائل كمال القرب و الفلاح، و علىٰ كلّ مؤمن مسلم أن يتمنىٰ الشهادة و يشتاق اليها.

نعم، إنَّ قتل الإمام و أسر أهل بيته، مبغوض عند الله و من اكبر الجنايات و الكبائر، و لقد أوضح الإمام السجاد عليه السلام في خطبته في المدينة الطيبة بان قتل الحسين عليه السلام «كان ثلمةً عظيمةً» و انَّ نتائجها السلبية و مضارها علىٰ العالم الاسلامي تفوق حدَّ التصور، و كان ينبغي علىٰ اولئك الاشقياء ان لا يقدموا حتىٰ علىٰ التفكير في مثل تلك الجناية حتىٰ لو قطعوهم ارباً ارباً، و لكن لم يكن لينبغي علىٰ الحسين عليه السلام و لدفع هذه الثلمة العظيمة ان يستسلم لهم و يبايع يزيد، فان الضرر الناشئ من هذا الاستسلام و السكوت و البيعة هو اكبر بمراتب، فالحسين عليه السلام يرىٰ أنَّ مصلحة حفظ الدين و الامتناع عن البيعة ليزيد، كبيرة عظيمة تستحق منه التضحية بنفسه و ولده و اعزته، و أن يفتدي احياء الإسلام و ابقاء كلمة التوحيد بكل ما يملك.

و بعبارة اخرىٰ كان الناس مكلفين بطاعة الإمام الحسين عليه السلام و نصرته و الدفاع عن وجوده المقدس و ترك التعرض لحرمته، و كان الحسين عليه السلام مكلفاً بالاستقامة و الثبات في طريق العقيدة و الهدف، و التضحية و تحمل المصائب لحفظ الإسلام. فاذا لم يمتثل الناس تكليفهم فهل علىٰ الحسين عليه السلام أن لا يمتثل هو الآخر تكليفه و أن يستسلم للذُلّ و الهوان و أن يتراجع و يترك الدين و القرآن و الشريعة في غربتها؟

اقرأوا قصة اصحاب الاخدود، اولئك الرجال و النساء المؤمنون الذين ذكر الحقُّ عزوجل في قرآنه صبرهم و بصيرتهم و امتدحها، طالعوها بدقة لتجدوا كيف

رجّحوا الاحتراق بالنار المؤجّجة، علىٰ الاحتراق بنار الكفر و الردّة عن الايمان. و بذلك نجحوا في ذلك الامتحان و تخرّجوا بدرجة المنزّهين عن الغلّ و الغش.

و عليه، فالثبات و الصبر في طريق العقيدة و الايمان و الدعوة الىٰ الله و حفظ الدين و حماية الاهداف الإنسانيّة السامية ببصيرة و معرفة و قصد، شيءٌ، و القاء النفس الىٰ التهكلة شيءٌ آخر، و انَّ الفداء و التضحية و نصر الله و الدين من العارف الملتفت العالم باحكامه، لَعزَّةٌ و فخرٌ يتمناها كلُّ مؤمن، و هو امرٌ خارج تخصُّصاً أو تخصيصاً عن الالقاء بالنفس الىٰ التهلكة.

و من البديهي أنَّ دفع هذا الاشتباه في خصوص افعال النبي أو الإمام عليه السلام، لا يحتاج الىٰ كل هذا البيان و التوضيح، فاننا قلنا مراراً: أنَّ فعل و قول و تقرير (سنة) الإمام عليه السلام يعدُّ من ادلة الاحكام الشرعية كما في سنة النبي صلى الله عليه و آله و ليس من شأننا أن نجتهد لتعيين وظيفة الإمام عليه السلام.

أجل، انَّ تتبّع هذا البحث مفيد من وجهة النظر الفقهية و الاستنباطية لتعيين تكليفنا نحن.

و علىٰ اي حال، فانَّ في افعال و سيرة الانبياء و الائمة عليهم السلام اسرارٌ و حِكَمٌ لامتحان العباد و اتمام الحجّة عليهم و تكميل النفوس واصلاح العباد و... الخ.

و التعرف علىٰ تلك الحِكَم و المصالح يحتاج الىٰ غور و تدقيق كبيرين في الآيات و الروايات و سيرة هؤلاء العظام، و مع ذلك فكل ماسنحصل عليه و نكتبه هو قليل من كثير و قطرة من بحر غزير.

لماذا سكت الإمام الحسن عليه السلام

دواعي سكوت الإمام الحسن عليه السلام

قد يتبادر الىٰ اذهان بعض قرّاء الفصول السابقة من هذا الكتاب، تساؤل و استفهام عن اسباب عدم ثورة الإمام الحسن عليه السلام و دواعي صلحه مع معاوية، في الوقت الذي كان معاوية هو نفس معاوية، و إنَّ الإمام الحسن عليه السلام لم يكن اقلّ شجاعةً و معرفةً و حزماً و بأساً من أخيه الحسين عليه السلام، و ما كان فداءُ و تضحية و ايثار الحسين عليه السلام و صبره و تحمله و طلبه للحق و احياء الدين اكبر مما هو عند الإمام الحسن عليه السلام، فلماذا سلك الإمام الحسن عليه السلام طريق الحلم و الصبر و الهدنة، و اختار الحسين عليه السلام طريق الجهاد و الثورة و الشهادة؟

و المحققون و العلماء و المطّلعون علىٰ احداث التاريخ الاسلامي و ان كانوا قد تناولوا هذه القضية[1] و شرحوا اسرار و مصالح صلح الإمام الحسن عليه السلام لكن و رغبة منّا في عدم إهمال هذا التساؤل بلا اجابة، سنبين بعض علل و حِكَم و دسرار هذا الصلح، موضحين الفرق بين عصر الإمام الحسن عليه السلام و عصر امام الحسين عليه السلام بحسب اجتهادنا العلمي و التاريخي و محيلين القارئ العزيز الىٰ تلك المصنفات للوقوف علىٰ مزيدٍ من الإطلاع، فنقول:

١ـ إنَّ طول أمد المعارك الداخلية و التي لم يسبق لها مثيل في تلك الفترة، و

(١) كالعلامة الشيخ راضي آل يس، في كتابه «صلح الحسن عليه السلام».

كثرة القتلىٰ و الجرحىٰ و المتضررين من الحرب، كانت قد أضعفت الرغبة في الاستمرار في القتال عند الناس، إن لم نقل أنها قد أعدمتها تماماً، إلاّ عند بعض الافراد الذين لا يتجاور عددهم عدد الاصابع، كانوا قد قرأوا مستقبل الإسلام في ظل حكم بني اميّة و وقفوا علىٰ الصورة القاتمة لهذا المستقبل، امثال قيس بن سعد من ذوي الايمان الكامل و البصيرة النافذة من تلامذة اهل البيت عليهم السلام، و أمّا سائر الناس، فقد كانت الحرب قد انهكت قواهم الروحية قبل الجسدية، و تلاعبت بهم الشبهات فسلبتهم روح الجهاد و القتال.

و كان أمير المؤمنين عليه السلام في اواخر حياته، كلما حثّهُم و رغّبهم بالجهاد، لم يَلْقَ الآذان الصاغية و القلوب المطيعة و الحضور الفاعل، بل كان يواجَه بالتهرب و الخذلان، حتىٰ شكاهُم مراراً و تكراراً.

و بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، ازدادت عزلة الناس عن الاحداث و تضاءلت استجابتهم لنداءات الجهاد، خاصة تلك العوائل المفجوعة باعزائها، فلقد بلغ عدد القتلىٰ في حرب صفين علىٰ ما نقل المسعودي[١] مائة و عشرة آلاف قتيل من الطرفين و عدد القتلىٰ في النهروان اربعة آلاف قتيل[٢] و طبقا لما نقله اليعقوبي فان قتلىٰ حرب الجمل و هي اولىٰ الحروب التي خاضتها أمير المؤمنين عليه السلام، كان قد بلغ اكثر من ثلاثين الف قتيل.[٣]

إنّ كثرة عدد القتلىٰ في هذه الحروب الداخلية شوّه صورة الجهاد و دعىٰ أهل الدّعة و هم الاكثرية الىٰ الهروب من القتال و لذا عندما صمّم الامام الحسن علىٰ

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٤.

(٢) مروج الذهب ج ٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٩.

القتال و حثّ الناس علىٰ الجهاد و أرسل جيشاً الىٰ الحدود و الثّغور و خرج بنفسه بعد أن استخلف عن الكوفة ابن عمه المغيرة ابن نوفل ابن الحارث ابن عبد المطلب تخلّف عنهم خلق كثير و لم يخرجوا معه بعد أن كانوا قد وعدوه بالقتال ضدّ عدوّه فغرّوه كما غرّوا أباه من قبل و بقي معسكراًبالنّخيلة عشرة أيام و ليس معه الا أربعة آلاف و رجع الىٰ الكوفة يستنفر الناس و خطب فيهم يقول: قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي.[١]

٢ـ و عندما اتضح للامام الحسن عليه السلام ضعف الروح الجهادية عند الناس، و انهم أسلموه لمصيره وحيداً، اتمَّ الحجَّة عليهم و خطب فيهم خطبة بليغة تناول فيها فلسفة الحرب و الصلح و طلب منهم إبداء رأيهم، فما سمع منهم إلاّ كلمات الخذلان و التهاون، فكانوا يصيحون «البُقيا البُقيا يابن رسول الله»

٣ـ و طائفة من الناس، كانوا يَرونَ في استمرار القتال، اضعافاً لقوة المسلمين العسكرية، و استنفاذاً للذخائر القتالية، عدَّةً و عَدداً، مما يؤدي الىٰ زيادة اطماع الكفار بالهجوم علىٰ بلاد المسلمين و احتمال التمرُّد في الولايات الحديثة العهد بالاسلام، و انقلابها علىٰ الحكم المركزي.

و لا شك، أنَّ هذا الاحتمال وجيهٌ فمن الطبيعي أن الحروب الداخلية تسبب ضعف القوىٰ الاسلامية، مما يعجز ايَّ طرف غالب فيها، عن مواجهة الاخطار المحدقة بالدولة الاسلامية، و من الواضح أنّ معاوية الذي ارتكب كل تلك الجرائم، و خرج علىٰ خليفة المسلمين المنتخب و قتل خيرة صحابة النبي صلى الله عليه وآله للاستيلاء علىٰ الخلافة، و لم يكن لتهمُّه مصالح المسلمين و مصير الامة كي يتراجع عن القتال. فانه

---

(١) الشيعة و الحاكمون ص٦٢.

خطط لسنوات عديدة و ارتكب فضائع الجرائم ليتسلط علىٰ رقاب المسلمين، فكيف يُنتظر منه الخضوع للحق؟ و لو كان معاوية يحمل ذرَّة من الغيرة علىٰ الدين و يهتم لعزّة الإسلام و المسلمين، لما خالف حكم أمير المؤمنين و اشعل نار الفتنة.

و لم يكن إلاّ الإمام الحسن عليه السلام الذي يرىٰ لزاماً علىٰ نفسه الحفاظ علىٰ المصالح العامة للأُمَّة و أنْ يتخلّىٰ ظاهرياً عن حقه حِقناً لدماء المسلمين و حفظاً للدين، فصالح معاوية و تحمل تلك الشدائد و الملامة في سبيل الله، كما فعل ابوه عليٌّ بن ابي طالب عليه السلام في زمن ابي‌بكر و عمر و عثمان.

٤ـ و طائفةٌ من المسلمين لم يتوقعوا أنَّ مكائد معاوية و مظالم بني اميّة و الاضرار التي ستلحق بالامة الاسلامية بسببهم، ستصل الىٰ هذا المستوىٰ من الفداحة، فعلىٰ الرغم من معرفتهم بأن بني اميّة ليسوا كبني هاشم في حرصهم علىٰ الإسلام و المسلمين و في معتقداتهم الروحية و النفسية و الخلقية، لكنهم لم يكونوا يظنون أن أساليبهم ستختلف كثيراً عن اساليب الحكم و نهجه زمن ابي بكر و عمر و حتىٰ لو اختلفت و لم يكن معاوية كالخليفة الاول و الثاني في تظاهرهما بالاسلام، لكنهم لم يتوقعوا أن يبلغ التفاوت الىٰ درجة الولوغ في دماء الصحابة و الابرياء من المسلمين، و انه سيشعل حرباً داخلية تجزئ العالم الاسلامي و تضعفه الىٰ هذا الحدّ.

و لقد أخطأ هؤلاء، اذ أنَّ بني اميّة كانوا يتحينون الفُرص لهدم اسس الإسلام و اعادة الجاهلية و سلب الحقوق و استعباد الناس.

و لم يظن هؤلاء أن حكم بني اميّة سيبتعد جداً حتىٰ عن صورة حكم عمرٍ و أبي بكر، و انهم سيغيّرون ظواهر المجتمع و عاداته و أن الخلافة ستتحول الىٰ ملكية موروثة، ففي بداية الامر كان الخليفة مضطراً الىٰ رعاية ظواهر الشرع، و كان المسلمون قريبين من عصر النبي صلى الله عليه وآله و يتذكرون منهج حكومته الالهية، خاصة مع

وجود كبار الصحابة الذين اعتادوا علىٰ رعاية مظاهر الورع و الابتعاد عن مظاهر الملكية و البذخ و التجملات الزائدة الىٰ درجة الاسراف، فلم تكن الارضية ممهدة لاستعجال ارجاع الجاهلية و تشكيل حكومة مستبدة، و التفرد بالسلطة و... الخ.

اما في زمن معاوية، فقد تغير مزاج المجتمع، و عاش الناس المظالم و الانحراف خاصة زمن عثمان، و تغلغل المتملّقون و الانتفاعيون و الانتهازيون الىٰ مرافئ السلطة و الحكم، و لم تَعُد الكفاءةُ و التقوىٰ و الزهد و الايمان شرطاً في التصدي لادارة أجهزة الدولة، و لم يكن القصد من قبول المناصب، أداء التكليف و امتثاله و لا خدمة الإسلام و المسلمين.

إنَّ هذه الامور كانت خافية علىٰ عامة المسلمين تقريباً، و لذلك رفضوا الاستمرار في الحرب و قتال معاوية و اراقة الدماء، بل إنّ بعضهم كان يعتبر ذلك خطراً علىٰ مستقبل الامّة!

٥ـ إنَّ ملامح الصورة القائمة في ذلك الوقت، كانت توحي الىٰ غلبة معاوية في الحرب، و انّ جيش الإمام الحسن عليه السلام سيواجه الهزيمة ـ و لو ظاهراً ـ و حينئذٍ، سيتضرر شيعةُ اهل البيت عليهم السلام اكثر من غيرهم، و ستعلو صيحات الاعتراض علىٰ الإمام عليه السلام لعدم استجابته لاقتراح الصلح من قبل معاوية، خاصة و إنَّ الاكثرية كانت مؤيدة للصلح، و بعبارة اخرىٰ: كان هؤلاء سيتهمون الإمام الحسن بالتسبب في جرأة معاوية علىٰ التجاسر علىٰ المقدسات و تنفيذ مخططاته المشئومة، و لولا ذلك لاضطر الىٰ احترام مقررات الصلح التي ستُملىٰ عليه و الالتزام بما تعهد به من الوفاء بالشروط و العهود.

و امّا في زمن الإمام الحسين عليه السلام فلم يكن احدٌ يحتمل ادنىٰ إحتمال انَّ بني اميّة و خاصة يزيد الفسق و الفجور، سيفون بالعهد و المواثيق، و التزام شروط الصلح.

فالكلُّ علىٰ ثقةٍ تامة من غدر يزيد و خيانته و نكثه للعهد و المواثيق و قتله الابرياء و إغتياله الصلحاء بلا تحرّج و حياء، و الكلُّ علىٰ ثقةٍ من وجوب الثورة ضدّهم و اسقاط حكمهم.

اذن، كما كانت ثورة الحسين عليه السلام منبثقة من الحرص علىٰ الإسلام و كانت نافعة و مثمرة في تحقيق هذا الهدف، فكذلك ما قام به الإمام الحسن عليه السلام صار باعثاً لبقاء الدين و حفظ مصالح المسلمين وكشف الاقنعة المزيفة لمعاوية و بني أميّة، و لو أنَّ الإمام الحسن عليه السلام كان قد استمر بانصاره القلائل، في محاربة معاوية و في تلك الظروف المعروفة، لقُتلَ و لم تُثمر ثورته و حربهُ ايَّ ثمرة و لم تغد ايَّ فائدة، و لذهب دمُه هدراً، و فُسح المجال لبني اميّة اكثر فاكثر في محو الإسلام و اعادة الجاهلية.

٦ـ إنَّ قادة الدين و أولياء الله كعليّ و الحسن و الحسين عليهم السلام يسلكون طريق الحقيقة و الامانة في حروبهم و صلحهم، و حبِّهم و عداوتهم، و لا يتوسلون بالخدع و الالاعيب السياسية، و المكر و الحيلة و اغواء الناس، لنيل مقاصدهم و تحقيق أهدافهم، و أما ابطال السياسة الباطلة و طلاّب السلطة فانهم يلتمسون كل الوسائل لكسب الأنصار و تعبئة الناس، حتىٰ الاحتيال و الخداع و التضليل و الخيانة، فيبذلون الاموال و الرُشا و يَعِدُون بالمناصب و الوزارات، و يشترون الذمم الرخيصة و يبتاعون دين و ضمائر عبدة الهوىٰ و عشاق الدنيا و لذائذها لنيل مآربهم و تحقيق نواياهم.

و قادة الاديان، يجتذبون الناس عن طريق الدعوة الىٰ الحق و الحقيقة و الفضيلة و الايمان، و اما السياسيون المخادعون فانهم يدوسون باقدامهم علىٰ الحقيقة و يزيِّفون الحقائق و يسخّرون بيت مال المسلمين لاغراضهم الشخصية، و يشترون الاصوات المساندة و يهبون الحقائب الادارية لمن يعينهم علىٰ باطلهم، اذ ليس في

قاموسهم معنىٰ لمفهوم العدالة و الكفاءة و مراعاة مصالح المسلمين و الاصلاح و التقوىٰ و اجتناب الظلم و الشرور.

و اذا رجعنا الىٰ تاريخ الإسلام، و طالعنا الوضع الروحي للمجتمع زمن خلافة الإمام الحسن عليه السلام و ايام تمرّد معاوية عليه لوجدنا قلّة انصار الإمام الحسن عليه السلام إن لم نقل بانعدامهم، و كان اكثر المحيطين به من قادة جيشه و جُنده، مهزوزين لا يمكن الثقة بهم، و كان المجتمع يغوص في انحطاطة الخلق بسبب القيادات الضعيفة و التربية الخاطئة.

فلم يكن أدعياء خلافة النبي صلى الله عليه وآله سائرين علىٰ نهج النبي صلى الله عليه وآله في تربية النفوس و صقل الارواح و تهذيب الناس و حثّهم علىٰ الزهد في الدنيا. مضافاً الىٰ انهم و منذ البداية سلكوا طريق هتك النفوس و الاعراض، و السعي الىٰ محو الروح الرسالية، فعزلوا الصلحاء عن الادارة، و ولّوا الاشرار التابعين لهم، و مسخوا شخصية المسلم الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله يعتزّ بهمّته العالية و زهده في الدنيا، و تضحيته رغبة في الثواب و القرب الالهي و اعلاء كلمة الإسلام الىٰ شخصية سطحية هامشية منكبّة على زخارف الدنيا و هوها، مستكينةٍ للراحة و الدعةِ، متلهّفة علىٰ جمع الثروة و المال.

و لقد استفاد معاوية من هذا الخلاء الروحي و الاخلاقي، و عرف أنَّ الوقت المناسب لتشكيل حكومته المحققة لاهدافه قد حان، إذْ أنَّ شراء الذمم و الضمائر و الدين بالرُشا و الوعود بالمناصب و الولايات كان قد شاع في المجتمع، فنفذ معاوية من هذه الثغرة، فاستأجر أمثال عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبة لاثارة الهَرَجَ و المَرَج متأمراً علىٰ المجتبىٰ عليه السلام و قد نجح في تمزيق جيش الإمام عليه السلام باستقطاب بعض قادة الجيش بعد أن منّاهم و رَشاهم، و وصل الأمر الىٰ ان احد اكبر قادة جيش

الإمام قد التحق بمعاوية طمعاً بحطام الدنيا.

و قد كان معاوية قد وَعَد عمروبن حريث، الاشعث بن قيس، حجّار بن ابجر و شبث بن ربعي بمائة الف درهم و الزواج من احدىٰ بناته، اذ ما قتلوا الإمام الحسن بن علي عليه السلام و أن يستأمرهم في جيشه(١) و اتهم بعض اصحاب الإمام عليه السلام بأخذ الرشا، و غير ذلك من حيلة و اللاعيبة الماكرة التي استغفل بها السذَّج من الناس.

و لذا، فان اكثر افراد جيش الإمام عليه السلام و الذين كانوا من الجيل اللاحق للجيل المعاصر لرسول الله صلى الله عليه وآله و لم يتلقوا تربية اخلاقية صحيحة، لم يتمكنوا من مقاومة الاغراءات، فباع الكثير من قادتهم نفسه و دينه لمعاوية، و من الواضح أنَّ القتال بمثل هذا الجيش الذي لا يأنف عن بيع ذمَّته و دينه بحفنة دراهم و وعود كاذبة، لن يؤدي إلاّ الىٰ الهزيمة و اراقة الدماء، و إن الاستعانة بمثل هذا الجيش امرٌ عارٍ عن الحكمة و العقل، كما إنَّ شراء الذمم بالمال و الوعود و إغراءهم بالمناصب و الحقائب الادارية، ليس من شيم آل علي لان ذلك يجرُّ الىٰ ترويج الظلم و فسح المجال للخائنين و الظالمين لاشاعة الفساد.

و في مثل هذا الحال، لو لم يصالح الإمام الحسن عليه السلام، فمضافاً الىٰ هزيمة هذا الجيش المهزور الضعيف، كان احتمال اغتيال الإمام عليه السلام علىٰ يد الخونة و العملاء أمثال الاشعث بن قيس الذي كان و منذ زمن خلافة علي عليه السلام يمدُّ جسور الارتباط مع معاوية و يتأمر معه ضد أهل البيت عليهم السلام و ضد الإسلام، احتمالاً قوياً، بل و كان من المحتمل أن يلقىٰ القبض علىٰ الإمام عليه السلام و يُسلّم مكتوفاً الىٰ معاوية،

(١) الشيعة و الحاكمون ص٦٣ـ٦٢.

ليغتنم معاوية الفرصة للانتقاص منه و من ثمَّ اطلاق سراحه متظاهراً بالحلم و العفو، مانّا علىٰ أهل بيت النبي و بني هاشم، لتحطيم شخصية الإمام الحسن عليه السلام و محبوبيته في النفوس و هيبته و جلالته و مقامه في المجتمع و من ثمَّ تصفيته جسدياً.

و من الطبيعي، فان الضربة التي ستُوجه نتيجة لذلك الىٰ اهل الحق ستكون قاصمة موجعة، و سيمنع ذلك من تمهيد الارضية لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

٧ـ إنَّ الإمام الحسن عليه السلام لو كان قد بَقي حيّاً بعد هلاك معاوية، لكان قد ثار كما ثار الإمام الحسين عليه السلام إذا فُرض تحقق نفس الظرف، و لأمتنع عن بيعة يزيد كما إمتنع الحسين عليه السلام، بل لو كان الحسن عليه السلام حيّا و شهد إستخلاف معاوية ليزيد، لثار ضد معاوية و ما تسنّىٰ ذلك لمعاوية، و لذا وكما ورد في المصادر التاريخية أن معاوية عندما جاء الىٰ المدينة و استشار العبادِلة في ولاية عهد يزيد، تيقن أنَّ هذا الأمر مستحيل مع وجود الإمام الحسن عليه السلام و من ثمَّ اخفىٰ معاوية ذلك العهد و الاستخلاف الىٰ ان قتل الإمام عليه السلام بدسّ السُّم اليه، و بعد ذلك أعلن للناس استخلافه ليزيد و اخذ البيعة منهم بالقوة و الاكراه.

٨ـ روىٰ ابن شهر آشوب إن أهل القبلة قد أجمعوا علىٰ أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**الحسن و الحسين امامان قاما أو قعدا**»[1].

و هذا الحديث دال علىٰ سلامة و شرعية كلِّ عمل يصدر من الامامين عليهما السلام باعتبارهما إمامين تجب إطاعتهما، و إنَّ ما يقومان به إنما هو امتثال للتكليف الالهي الخاص بهما لاقتضاء المصلحة ذلك، و انهما في حربهما و صلحهما و ثورتهما و سكوتهما و سائر أحوالهما ماموران بالامر الالهي، و إنَّ كلاً منهما في عصره حامٍ

(١) المناقب ج٣ ص ٣٩٤.

للدين و الشريعة و امامٌ للناس وسفينة نجاتهم.

إنَّ الإمام الحسن عليه السلام قام بما قام به جدُّه رسول الله صلى الله عليه وآله أيام وجوده في مكة، و قام به أبوه أمير المؤمنين عليه السلام ايام حكومة ابي بكر و عمر و عثمان، و إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قام بما قام به جدُّه رسول الله ايّام وجوده في المدينة المنورة و ما قام به أبوه عليه السلام في السنوات الخمس التي جاهد فيها الناكثين و القاسطين و المارقين.

و في الرواية، أن جابر بن عبد الله الانصاري، اقترح علىٰ الحسين ان يهادن كما هادن أخوه الإمام الحسن عليه السلام، فاخبره الحسين عليه السلام أنَّ الحسن عليه السلام صالح بامر الله و رسوله، و انه أيضاً يقوم بامر الله و رسوله صلى الله عليه و آله[1].

---

(١) المجالس الحسينية ص١٩.



البحث الرابع

نتائج الثورة الحسينيّة

نتائج الثورة الحسينية

كل حركة و نهضة تهدف تشكيل مؤسسة جديدة و تبديل نظام بـنظام أو إيجاد أصلاحات روحية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو أي هدف أخر، سيكون لها تأثير خاص في الفكر الاجتماعي العام و حتىٰ في حياة الناس الميدانية، و سواء كانت تلك الحركات تحريرية إصلاحية حقَّة، أو كانت ضيقة محدودة بحدود المنافع و كسب الامتيازات الشخصية و المادّية و الطموحات السياسية.

و طبيعيٌ أنّ نجاح و انتصار حركة سياسية تهدف الىٰ نيل المكاسب الدنيوية السلطوية الضيقة، إنما يكون بقهر الخصم و ابعاده عن مراكز القرار، و بالسيطرة علىٰ المقام المقصود، و إلاّ كانت تلك الحركة فاشلة مندحرة. و في حالة الفوز و الغـلبة يكون انتصاره محدوداً بحدود الفردية، و بتلك البرهة الزمنية التي يتزعم بها ذلك المنصب و المقام.

و أمّا نجاح و ظفر المصلحين الحقيقيين، و الثائرين من أجل الحق و المثل و المصالح العُليا، فهو في اقرار الحق و تحكيمه، و تأمين العدالة الاجتماعية و محو الظلم و الفساد، و إستبدال الفوضىٰ بالنظام، و التمرد علىٰ القوانين بتطبيقها.

و هؤلاء المصلحون و حتىٰ لو خسروا المعركة ماديّاً و فشلوا في ابعاد الخصم و إزالته، و حتىٰ لو كلفهم قيامُهم بذلَ أنفسهم في سبيل الحق، لا يُفشلون روحياً، و سيكون لاقدامهم أثرٌ في جذب النـفوس الســليمة الىٰ أهـدافـهم، و القـلوب الىٰ

مبادئهم.

فتضحياتهم و فداؤهم و علوُّ همتهم يبعث الانظار الىٰ الاتجاه صوبهم و الىٰ الخير و الصلاح و طلب الحق و العدالة، فيصيرون أسوة و مثالاً يُحتذىٰ به في مستقبل الاجيال، و يتسببون في إعلاء كلمة الحق و تضعيف و إزهاق كلمة الباطل و اهله.

و لأن هؤلاء ينتفضون من أجل الحق و المصالح العليا للمجتمع و نجاة البشرية، فانهم لن ينكسروا و لن يُهزموا أبداً في معركتهم التي بداوها و حتىٰ لو لم يتحقق لهم النصر الآني، فانهم هم المنتصرون حقيقةً، لان قيامهم للحق، و الحقُّ باقٍ و ثابت و خالد، فتخلُد حركاتهم بخلوده، بخلاف المنتفضين من اجل المنافع و المصالح الخاصة الضيقة، فانَّ أعمارهم القصيرة اذا انتهت انتهت معها تلك الانتصارات المحدودة.

فظفر المصلحين الحقيقيين، دائميٌ خالد، و غلبة الدنيويين عمرها قصير مؤجل.

إذن، فمن الناحية النفسانية و من الناحية التاريخية أيضاً، لا يمكن انكار حقيقة أن نتائج و آثار الحركات الاصلاحية و التحررية، هي آثار ايجابية خالدة، و كذلك كانت تأثيرات ثورة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في الامَّة بل المجتمع العالمي، و إنَّ ما قام به كان منسجماً و محققاً لاهدافه، و إنه ليس فقط لم يخسر المعركة بل إنه حقّق مكاسب عظيمة و كثيرة لا يُحصيها إلاّ الله تعالى، كما أنَّ الثابت في مواجهات الحق ضدَّ الباطل، إنَّ الناس يرون أنّ أهل الحق هم المنتصرون، و انهم يتمنّون ان يكونوا في جملة طلاّبه و في سجلِّهم.

و منذ حادثة كربلاء الاليمة، لم نعهد أحداً تمنّىٰ ان يكون من أنصار شمرٍ و

حرملة و ابن زياد، أو أنه قبِل بفعالهم و لم يشمئز من ذكرهم.

و في المقابل، تجد ملايين الناس تمنّوا أنْ يكونوا ممن قاتل في صف الحسين عليه السلام و انصاره.

و بامكاننا و بمقايسة بسيطة و بضرب مثلٍ واحدُ أن نُثبت أنَّ المنتصر في عاشوراء هو الحسين عليه السلام و أنَّ الخاسر هو يزيد و حزبُه.

و التاريخ يحدثنا أن رجلين جاءا معاً لقتال الحسين عليه السلام وكلاهما من بلد واحد و لهما سوابق و شهرة قتالية، احدُهما تخلّىٰ في وسط الطريق عن كل امتيازاته و القابه و مناصبه و الجوائز و الهبات التي كانت بانتظاره، و أدار ظهره للدنيا و زخارفها و زبارجها، و باع نفسه لله. و الثاني ازداد في تعلقه بالدنيا، و بقي علىٰ عدائه لاهل البيت عليهم السلام و استمات في الدفاع عن ظلم بني اميّة و باطلهم و قساوتهم، اسمُ الاول هو الحرُّ بن يزيد الرياحي و اسم الثاني هو شمر بن ذي الجوشن.

فالحرُّ كان قد إنخرط في صفوف بني اميّة و جاء لحرب الحسين طمعاً بالجائزة و إمرة الجيش و الارتقاء في المراتب العسكرية، و لو فُرض انه بقي علىٰ اصراره لعدة ساعات أُخَر و لم يتخلَّ عن عمر بن سعد، و ارتكب افعال حرملة و شمر و سنان، لما حصل من ذلك إلاّ علىٰ لعنة التاريخ و الملائكة و الناس أجمعين كشمرٍ و حرملة و من لف لفهم. و لكنَّه، كان معهم بجسمه فقط، و امّا روحه فلم تكن من سنخ أرواحهم، و هذه الروح العالية هي التي جعلته من اصحاب الحسين عليه السلام، فلقد أدبر عن الدنيا و المنافع المادية و اهتزَّ هزَّة عَرَجت به من الدنيا الىٰ الآخرة و من الظلمة الىٰ النور و من الباطل الىٰ الحق و من الكفر الىٰ الإسلام، فاوصل نفسه الىٰ السعادة الابدية، و اجبر التاريخ علىٰ تسجيل إسمه في الخالدين امثال زهير و حبيب و مسلم بن عوسجة و رفاقهم.

و لو كان الحرُّ قد أصرَّ علىٰ حرب الحسين عليه السلام كما أصرّ الشمر و غيره، لما حصل إلاّ علىٰ دراهم و حطام ينتهي و يفنىٰ بموته أو قبل موته، و لكنك اليوم اذا سألت عن المنتصر، هل هو الحرُّ أم الشمر؟ لقيل لك بلا تأمل: إنه الحرّ، انتصر و نال العزّ و الفخر، و أمّا الشمر فهو الخاسر المبتلىٰ بالذلّ و العار و الشنار و اللعنة الابدية.

و قس علىٰ ذلك سائر اصحاب الحسين عليه السلام بمقارنتهم بقادة جيش الكوفة، فستجد أنَّ المنتصر هم أصحاب الحسين عليه السلام و أنَّ الخاسر هم أهلُ الكوفة الذين لازالت اللعنة تلاحقهم أبداً.

فاين مسلم بن عوسجة و أين شبث بن ربعي؟ و أين حبيب بن مظاهر و أين عمرو بن الحجّاج؟ و ابن عمرو بن قرظة الانصاري و أين أخوه الذي كان في جيش ابن سعد؟ انها مقايسة الخلد بالفناء و النور بالظلمة و الطُهر بالرّجس.

فاسم حبيب و مسلم و عمرو بن قرظة و سائر أصحاب الحسين عليه السلام هي أسماء حبيبة الىٰ القلوب، و أمَّا اسماء اولئك الملعونين فهي في عداد أسماء أبي جهل و اميّة و الكفار و الاشقياء.

فلا شك إذن، في تحقق نتائج تضحيات أولياء الله و لا في ظفرهم و موفقيتهم، و هذا حكمٌ فطري و عقليّ و شرعي مسلَّم، لا يمكن إنكاره بحال من الاحوال، و بذلك نال هؤلاء الفوز في الدنيا و الآخرة:

«إنَّ الله لا يضيعُ أجرَ المحسنين»[1]

و نحن و ان كنّا قد أشرنا الىٰ بعض نتائج الثورة الحسينية، و لكن، و لكي يتَّسق هذا البحث مع هيكلية هذا الكتاب، نذكر بعض نتائج الثورة محاولين

(۱) سورة التوبة، الآية ۱۲۰.

بقدرإستطاعتنا و قصورنا، اكمال البحث، و لانه يرتبط بالمطالب السابقة، فنعتذر مسبقاً عن التكرار في بعض الموارد:

١ـ التقرّب و الارتقاء

إنَّ من أهم نتائج ثورة الحسين عليه السلام هو ثمرة القرب و ارتقاء الدرجة العالية التي نالها الحسين عليه السلام عند الله عزوجل.

فقد ورد في الأحاديث و الاخبار، أنَّ تضحيات و فداء الحسين عليه السلام و تحمّله للرزايا و المصائب في سبيل الله و احياء دينه، كان لها بركات و ثمرات كثيرة يعجز القلم و اللسان عن بيانها و تعدادها، و نفضِّل ان يتتبَّعها القاريئ العزيز في كتب الحديث و المقاتل ككتاب العوالم، البحار، نفس المهموم و غيرها من الكتب المدونة في عدة لغات، ليقف علىٰ تلك الاخبار التي تتضمن فضيلة الثورة و بركاتها و الثواب الجزيل الذي يناله الحسينيون و زوّار الحسين عليه السلام و الباكون في مصيبته و انشاد الشعر في رثائه، و حتىٰ استذكارَ عطشه و عطشَ عياله و أطفاله و أصحابه حين شُرْب الماء، و كلُّ ذلك الثواب هو من بركات الثورة الحسينية و للتبرك و التيمن نذكر واحداً من تلك الاحاديث:

روىٰ الشيخ الصدوق باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبي صلى الله عليه وآله في بيت ام سلمه فقال لها: لا يدخل عليّ أحد. فجاء الحسين عليه السلام و هو طفل فما ملكت معه شيئا حتىٰ دخل علىٰ النبي صلى الله عليه وآله فدخلت ام سلمه علىٰ اثره فاذا الحسين عليه السلام علىٰ صدره و اذا النبي صلى الله عليه وآله يبكي و اذا في يده شيء يقلبه و قال النبي صلى الله عليه وآله يا امِّ سلمه إنَّ هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول و هذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك فاذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت ام سلمه يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه

قال قد فعلت فأوحىٰ الله تعالىٰ أنّ له درجةً لا ينالها احد من المخلوقين و أن له شيعةً يشفعون فيشفعون و أن المهدي عليه السلام من ولده فطوبىٰ لمن كان من أولياء الحسين عليه السلام و شيعته هم و الله الفائزون يوم القيامة.(١)

٢ـ نجاة الإسلام

و من أهم نتائج الثورة الحسينية، إنقاذ الإسلام من مخالب مخططات بني اميّة(٢).

و لكي نقف علىٰ إنَّ حفظ بقاء الإسلام و الشريعة و استمراريتها و تكريم القرآن الكريم، مرهونٌ بتضحيات الحسين عليه السلام لابدَّ من تذكّر المخاطر التي كانت تهدد الإسلام من جهة بني اميّة، و من خلال مطالعة سيرة هذه العائلة و الشجرة الخبيثة.

فكلّ من طالع تأريخ الإسلام متتبعاً مخططات بني اميّة في الجاهلية و الإسلام، سيُذعن بأنَّ الإسلام كان في طريقة الىٰ الزوال و الطمس و الاضمحلال بفعل بني اميّة.

---

(١) نفس المهموم ص ٢٤ حديث ٢٤.

(٢) قد يقول قائل ان بني اميّة اقلّ قدراً من محو الإسلام، لقوله تعالىٰ: «انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون» و قوله تعالىٰ: «يأبىٰ الله الاّ ان يُتم نوره و لو كره الكافرون» فكيف يدَّعىٰ ان الدين كان في معرض الزوال و ان الحسين عليه السلام هو الذي حفظه؟
و الجواب: ان الله سبحانه و تعالىٰ أبىٰ أن تجري الامور إلاّ باسبابها و الحسين عليه السلام من تلك الاسباب لاجراء مشيئة الحق جلّ و علا، كما كان النبي صلى الله عليه وآله باني اساس التوحيد بامر الله و مؤسس الدولة الاسلامية و هكذا فان علي بن ابي طالب عليه السلام هو حافظ الدين و المدافع عنه و الذاب عن حريمه، و لو لم يكن سيف علي عليه السلام لما كان هذا الدين قائماً، و كذلك الحسين عليه السلام بمظلوميته و فدائه حمىٰ هذا الدين فكلهم اسباب لاجراء المشيئة الربانية لحفظ الدين.

فمنذ بداية البعثة النبوية الىٰ حين اجتماع دار الندوة[١] و هجرة النبي ﷺ، و مروراً بحرب أُحد و غزوة الاحزاب و فَتح مكة، تجد أنَّ لبني اميّة دوراً فاعلاً في ايجاد المخاطر المحدقة بحياة النبي ﷺ، و رسالة التوحيد و دين الإسلام، سواءٌ بشكل مباشر أو بواسطة، و لقد كانت دارُ أبي سفيان مركز قيادة العمليات التخريبية السياسية و العسكرية ضد الدعوة و الإسلام.

و لقد كان أبوسفيان و زوجته هند و اخته حمالة الحطب، و اولاده حنظلة و يزيد و معاوية، و ابو زوجته عتبة و عمَّ زوجته شيبه، و اخو زوجته الوليد، و ابنُ عمِّه الحكم و مروان و باقي افراد هذه العائلة الملعونة، ليس لهم همٌّ في الجاهلية و في عصر الإسلام إلاّ ايجاد المخاطر لدين الله، و إنَّ حقدَهم الجاهلي الدَّفين لم يخرج من صدورهم أبداً حتىٰ بعد الإسلام.

فالنبي الاكرم ﷺ كان يعرف أخطار بني اميّة علىٰ الإسلام و الدين، من خلال معاشرته لهم أيّام حياته و إبّان دعوته الناس الىٰ الإسلام، مضافاً الىٰ ما كان يُوحىٰ اليه من السماء بمخاطر هذه الشجرة الملعونة و عواقب امورها و هو ما كان يُخبر به مراراً و تكراراً كما إنّ الله عزوجل قد أخبر في كتابه الكريم بخطر هؤلاء عندما وصفهم بالشجرة الملعونة.

---

(١) و خلاصة القصة: إنَّ قريشاً اجتمعت في دار قصي بن كلاب و هو محل المشورة و اتخاذ القرارات السياسية المهمة و يسمىٰ بدار الندوة، و قرروا تصفية النبي ﷺ حسدياً للتخلص من الإسلام الىٰ الابد، فاخبر الله عزوجل نبيه بذلك و امره بالهجرة الىٰ يثرب و ترك علي عليه السلام ليبيت تلك الليلة في فراشه فاديا له بنفسه، و لذلك مكر الله و الله خير الماكرين. و دُفع شرُّ المشركين عن النبي ﷺ و كان ابو سفيان و عتبة و شيبة من جملة المتآمرين في دار الندوة علىٰ النبي ﷺ (سيرة ابن هشام ج ٢ ص٩٣).

و لقد أفشَل النبيُّ ﷺ بعون الله و لطفه، كـلَّ دسـائس هـؤلاء و تجـييشهم الجيوش و تحزيبهم الاحزاب لدفن الإسلام، و لم تمرّ إلاّ ايام قلائل حتىٰ تهدمت كل قلاع الكفر و الشرك و انتصر جند الله علىٰ قـوىٰ الشرِّ و الضَـلال، و تـلاحقت الفتوحات الاسلامية، فتيقنَ بنو اميّة بضعفهم و عجزهم عن مواجهة الإسلام وجهاً لوجه، و عرفوا أنَّ حمل راية الشرك لم تَعُد نافعة و لا ناجعة، و أنَّ عهد الوثنية قد ولّىٰ و أنَّ الدعوة الىٰ التوحيد و الاخوّة و المساواة قد شَـغفت العـالمَ بحبِّ النـبي الاكرم ﷺ، و انه يستحيل عكفُ القلوب من التوحيد الىٰ الشرك و من الاخوة و العدالة و المساواة و الحرية الىٰ التسلط القبلي و الفئوي و الفردي، فلم يجدوا سبيلاً للنيل من الإسلام إلاّ ارتداء عباءة النفاق و التظاهر بالاسلام.

فلم يَعُد للدعوة الىٰ الشرك و مواجهة النبي ﷺ أُذنٌ صاغية اذ كان الناس قد ذاقوا حلاوة دعوة التوحيد فلم يعدُ بالامكان استبدالها بعلقم الكفر و التمايز الطبقي، و لم يعد بالإمكان استبدال الآمال الرائعة للايمـان، بكـوابـيس عـصر الجـاهلية الموحشة.

فالقائدُ الرَّبانيّ، متواضعٌ، حرٌّ شريف، رؤوفٌ عطوف، بسيط في عـيشه، يواسي ابسط الرعية، و القوانين السماوية للدين الجديد، تطبَّق عـلىٰ الجـميع بـلا استثناء، و النبيُّ الاعظم يجالس الفقراء و المساكين و يُصاحبهم، و كانت اخـلاقه الرفيعة قد اجتذبت القلوب اليه و الىٰ كتابه السماوي، و أنْساهُمُ اللات و العزّىٰ و مناة الثالثة الاخرى، و أنساهم أبا سفيان و ملأ قريش.

لقد وعىٰ بنو اميّة هذه الحقيقة جيداً، و عرف أبو سفيان و بطانته أنَّ فكرهم و مبادئهم قد قُضيَ عليها الىٰ الابد، و أنَّ الفكر التوحيدي قد غزاهُم في عُقْر دارهم، فَلم يشأ أبو سفيان تضييع الوقت لئلا يتأخّر عن قافلة رفـاقه الذيـن سـبقوه في

الوصول الىٰ هذه الحقيقة بثمانية أعوام، و لذا اظهر اسلامه مكرها مضطرّاً.

و ما أن وضع أول قدمٍ له في هذا العالم الجديد، حتىٰ بدأ يَحيك المؤامرات و الدسائس، و يُشعل الفتن و يحاول إحباط العزائم و الهمم، مُتحيناً الفرصة لطعن الإسلام من الخلف، و قلع جذور شجرة التوحيد الغضَّة.

و ما أسرع ما فُجعَ العالمُ الاسلامي برحيل النبيّ الاعظم محمد ﷺ، و اظلّت المجتمع غمامَة تشنّجٍ فكري كاد معها البعض ان يرتدّ، و اختلف القوم في الخلافة، و أُقصي بنو هاشم الذين كانوا يرون في علي عليه السلام الخليفة المنصوص عليه و المعيَّن من قبل النبي صلى الله عليه و آله، و استولىٰ آخرون علىٰ سدة الحكم.

و هنا حاول ابو سفيان التصيُّد في الماء العكر، سعياً في إشعال الفتنة و القضاء علىٰ الإسلام و اعادة الجاهلية الىٰ الجزيرة العربية.

و لو أنَّ ابا سفيان كان قد نجح في ذلك اليوم في اثارة الفتنة و الحرب الداخلية و كانت السيوف قد شهرت في المدينة و قاتل المسلمون بعضهم البعض، لارتدَّ الناس بابشع صور الارتداد، إذ أنَّ اكثر الناس كانوا حديثي عهد بالاسلام و لم تكن الشريعة و الايمان قد تركزا في نفوس اهل القرىٰ و البوادي و القبائل العربية البعيدة عن المدينة، أضف الىٰ ذلك أنَّ نفس رحيل النبي الاكرم ﷺ قد هزَّ القلوب، و شكك ضعفاء الايمان، بمستقبل الإسلام.

و في مكة بلغ الوضع حدّاً من التوتر جعل عتاب بن أُسيد والي مكة يتوارىٰ عن الانظار، و راح البعض يفكر في تحصيل الامارة و الحكم لو لا خوف تقسيم الدولة الإسلاميّة و هدم وحدة المسلمين و ردّة المجتمع الىٰ الكفر.

في تلك اللحظات الحسّاسة، كان سلُّ السيف مساوقاً لسقوط الإسلام، و كانت ابواب الفتنة و الامتحان مفتوحة علىٰ مصراعيها بوجه المسلمين.

و لما كان ابو سفيان واقفاً تماماً علىٰ دقائق هـذه المسـائل، فكّـر جـاداً في استغلال الظرف لاشعالها فتنة داخلية، و من الواضح إنه في الحالة تلك يلتمس بني هاشم و انصارهم و خاصة علي بن ابي طـالب عليه السلام لقـربه مـن رسـول الله صلى الله عليه وآله و لمحبوبيّته و شهرته، و لانه الاحق بالخلافة من غيره، و قد أُقصي عنها، مضافاً الىٰ عدم اعتراف فاطمة الزهراء و بنت رسول الله و سيدة نساء العالمين عليها السلام، بحكومة ابي‌بكر، مما حَدىٰ ببني هاشم الىٰ الامتناع عن البـيعة و التـجمهر للاحـتجاج في المسجد و دعوة ابي بكر الىٰ التراجع و التخلّي عن الخلافة لعلي عليه السلام.

فجاء أبو سفيان الىٰ علي عليه السلام و قال: «**مُدَّ يدك لابـايعك فـو الله لو شـئت لأملئنّها عليهم خيلاً و رجلا.**»[١]

و قد لا يكون ابوسفيان مبالغاً في عرضه بتجييش الخيّالة و الرّجالة، اذ إنَّ مكّاراً مثله، كان قادراً علىٰ اعداد ذلك لعلي عليه السلام الذي له من السوابق في الايمان و الجهاد و العلم ما يسهل مهمّة ابي سفيان.

و لكن علياً عليه السلام لم يكن ليرضىٰ بذلك، خاصة مِن أبي سفيان الذي حـزّب الاحزاب لحرب النبي صلى الله عليه وآله و الإسلام، فكيف يرضىٰ علي عليه السلام أن يسـتعين بجـيش يقوده أبو سفيان لضرب المسلمين بعضهم ببعض، و لقد اراد أبو سفيان بـذلك ان يُعيد الاحزاب ثانية بثوبٍ جديد و لكن علياً و هو امام اهل الحق و عشاق الحقيقة، لم يكن طيلة حياته مائلاً الىٰ الدنيا و حبّ السلطان و الانتفاع الشخصي و لو بمقدار ذرّة او مثقال ذرّة، فما كان منه إلاّ ان يصفع ابا سفيان بكلمات اعادته خـائبا الىٰ ادراجه.

---

(١) الكامل ج٢ ص٢٢٠. شرح نهج البلاغة ج٢ ص٧.

لقد كان علي عليه السلام ماموراً من قبل النبي صلى الله عليه وآله باتخاذ موقفٍ ما حادَ عنه قيد أنملة.

كان علي عليه السلام يعلم جيداً ان شَهر السّيف بوجه أُناسٍ لا يعبأون بالفتنة الداخليّة، و لا تَهمُّهم المصلحة الاسلامية العليا، لا يُثمر إلاّ هدم الإسلام و كان علي عليه السلام يعلم جيداً أنَّ اولئك القوم سيحاربونه بكل ما أُوتوا من قوة و لن يتنازلوا عن مخططهم و أنَّ النتيجة مهما كانت فهي في ضرر الإسلام.

و لذا، و لمّا كان علي عليه السلام عارفاً باخلاقية الخصم و حرصه علىٰ الزعامة و طمعه بالملك، أظهر حلماً و غَمَدَ سيفه، و جلس في داره، و طرد ابا سفيان و خاب املُ ابي سفيان في توجيه ضربة قاصمة للاسلام، و بقي يتحيَّن الفرصة، حتىٰ وَلِيَ عثمان الحكم و اعتلىٰ بنو اميّة (أعداء رسول الله) سدّة الحكومة و الادارة، و لذا دخل الىٰ مجلس عثمان و قال قولته الكافرة المعروفة.

و لم يكن ما قام به عثمان طيلة مدة خلافته إلاّ ما يُقرُّ عينَي ابي سفيان و موافقا لمقاصده و خطوة في طريق تحقيق مخطّطه، فلقد فسح عثمان المجال لبني اميّة في التدخل بكل شؤونات الخلافة، و فتح لهم بيت المال يغترفون منه ما شاؤوا و ولاّهم الولايات، و إستوزر مروان بن الحكم، طريد رسول الله صلى الله عليه وآله و ولّىٰ الوليد الفاسق السكير، الكوفة، و استقل معاوية علىٰ الشام بلا رقيب و لا حسيب.

و عندما قتل عثمان بعد الثورة عليه، رفع معاوية قميص عثمان و استشعر به، مع أن المنتفع الاوّل من قتل عثمان هو معاوية ابن ابي سفيان الذي خلّىٰ بين عثمان و بين الثائرين عليه و لم يحاول ايصال المدد اليه و نصرته، و خرج علىٰ الخليفة المنتخب الحق، و اشعل نار تلك الفتنة، و قتل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و ثأر لقتلاه ببدر و غيرها، من المهاجرين و الانصار.

و عندما اغتصب الخلافة بالمكر و الاحتيال، استهان بالاحكام الشرعية و التعاليم الاسلامية، و روّج سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ المنابر التي اشادها عليٌّ عليه السلام بسيفه، و سلّط زياد ابن أبيه علىٰ الكوفة فعاث الفساد بأهلها و هتك الحرمات و نهب الاموال، ولكي يبقي الحكم في دائرة عائلته الضيقة المشئومة، استخلف ولده يزيد الرجس و المعاصي و الفجور، و لقد كان يزيد بارّا بأبيه حينما اتمَّ ما بقي ناقصاً من جرائم معاوية و هتكه لشعائر الله.

تُرىٰ كيف سيكون مصير الإسلام، اذا اتكىٰ علىٰ مسند الخلافة صبيٌّ متهتك فاسق، سكّيرٌ كيزيد بن معاوية؟

هذا الغلام الذي يتّهم علناً و بكل وقاحة، نبيَّ الإسلام العظيم باللعب بالملك، و بالكذب؛ خاصة و إنَّ الإسلام لا يفصل بين الحكم و الدين و إنَّ القائد السياسي هو نفسه القائد الديني؟

فمن الواضح إنَّ الإسلام سيضيع و يندثر و تُقرأ فاتحته، و لا شك في أنَّ هذه الفعال القبيحة سيكون لها أثر داخل و خارج الدولة الاسلامية مما يؤدي الىٰ ضعف ايمان الناس و تزلزل اعتقاداتهم.

فاذا كان الخليفة يحتسي الخمرة علناً، و يقيم مجالس اللهو الطرب و المجون، و يلعب بالقردة و الكلاب، و يرتكب الكبائر، و يستهزأ بدين الله، و يستخفُّ بالاحكام، فعلىٰ الإسلام السلام.

فاراد الحسين عليه السلام أن يحدَّ من تحقق كل تلك الاثار السلبية لهذا الاستخلاف المشئوم و أن يمنع الانحراف الخلاقي و العقائدي عند الناس، و أن يُفهم العالم معنىٰ الدين و الخلافة و الحكم الاسلامي و اهداف دعوة جدّه الاكرم صلى الله عليه وآله.

لقد قرّر الحسين عليه السلام تعظيم الدين و اعلام الناس بان الإسلام هو الاغلىٰ و انه

يستحق التضحية بكل غال و نفيس من الاموال و الاولاد و الاصحاب و النفس و انه اعزٌّ من كل شيءٍ.

و قرّر أن يلفت انظار الناس عملياً الیٰ ضرورة تعظيم الفرائض و الواجبات الدينية و رعايتها و الیٰ أهمية الذنوب و المعاصي.

و قرر أن يعلِّم الناس درساً في التديُّن و الاستقامة و الثبات و مقارعة الظالمين و الكفر و الكافرين.

و قرّر حفظ الإسلام من الاندثار، و احياء الكتاب و السُنة و لم يكن هناك طريق لذلك، إلاّ الثورة و الامتناع عن البيعة و سلب اعتبار افعال يزيد المنكرة و سلوكه المنحرف و ذنوبه الكبيرة، دليلاً علیٰ بطلان خلافته و حرمة مبايعته، و لقد ثبت و اصرَّ الحسين عليه السلام علیٰ ذلك حتیٰ استُشهد و فدیٰ الدين بنفسه.

و لقد كان المجتمع يعلم جيداً انَّ الدين و احكام الإسلام التي صارت لعبة بِيَد يزيد يلعب و يهزأ و يستخفّ بها، لَهي عزيزةٌ الیٰ درجة ان شخصا كالحسين عليه السلام يضحي بنفسه و اهله من اجل حفظها و اعزازها.

لقد زعزع الحسين عليه السلام يزيداً و حكمه، و فضح شخصيته المتهتكة الاجراميّة وانه بعيدٌ كلَّ البعد عن القرآن و الدين و القيَم و المُثل، و انه عنصر الخبث و الشرِّ، المتلوث بلوث الفحشاء، و الغارق في بحر الفجور، و انه عدو للاسلام و نبيّه و اهلِ بيته.

و لقد عجز بنو اميّة بعد استشهاد الحسين عليه السلام من توجيه ضربة قاصمة للاسلام و طعنة في ظهره، فلقد إتّضح للجميع أنَّ بني اميّة لا يمثلون للاسلام، و انهم ثلّة مجرمة مستبدة، تسلطت علیٰ رقاب الامة الاسلامية بالقوة و بريق السيوف و الرُشا و أنَّها خائنة للاسلام و متربصة به الدوائر.

لقد اثارت قضية كربلاء احاسيس و عواطف الناس، الىٰ درجة انهم ازدادوا تعلُّقا بالدين و احكامه، و كبر التزامهم بالشريعة علىٰ الرغم من سياسة بني اميّة المحاربة للدين.

و من هنا فلا نبالغ اذا ما قلنا كما قال الشاعر الهندي الكبير «معين الدين الاجميري» بان الحسين عليه السلام هو المؤسس الثاني للدين و باني قصر الإسلام العظيم و مجدِّد هيكل التوحيد و الوحدانية.

٣ـ إيقاظ الشعور الديني

كان الشعور الديني عند عامة المسلمين قد ضعف نتيجة لاعلام معاوية و منهجه و خطط ولاته، و ابتعاد الناس عن عصر الرسالة و تعطيل الاحكام و منع نشرها و منع التبليغ الديني الصحيح، و اقصاء الاخيار و النُخب و العلماء. و قد وصل انحطاط الشعور بالمسئولية الىٰ درجة الخنوع و الخضوع و الاستسلام لسياسة الحكم الاموي.

فلقد سرىٰ الاحساس بالذُلِّ و المَهانة و الظليمة في المجتمعات الاسلامية، سريان السرطان المنتشر، و عمَّ الاسترخاء و الضعف و الخواء الفكري في هيكل المجتمع، فاقعده عن التأثر بالمنكرات و المظالم فضلاً عن التاثير لاصلاح الامور فاصبحوا يُساقون كما تُساق الانعام و كما قال عبد الله بن همام السلولي:

فانْ تأتو بِرَملَة أو بهندٍ نُبايعُها أميرةَ مؤمنينا

فكان بنو اميّة يولّون من يشاؤون علىٰ رقاب الناس، و لو أنَّهم ولَّوْا نساءهم و جواريهم و قرودهم، لما اعترض عليهم احدٌ خوفاً من السجن و القتل و مصادرة الاموال.

إنَّ صفات الكمال التي كان يتحلى بها المسلمون أيّام رسول الله، كالخلوص و الفداء و الشجاعة و الاقدام و عدم الخوف من الموت، اصبحت كلها في خبر كان الناقصة، و لم يبق من أبطال الايمان و روّاد الفضيلة الذين كانوا يتسابقون الىٰ الشهادة في سبيل نصرة الدين، الاّ عدة قليلة استشهدت مع الحسين عليه‌السلام في كربلاء، أو بقيت بعيدة عن ساحة الاحداث، أو زُجَّ بها في غياهب السجون.

إنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه‌السلام و اصحابه البررة، أيقظَ ضمير الامَّة السابت، و احيىٰ الخصال الإنسانيّة عندها، و علَّم المسلمين دروس البطولة و الاباء و الاستقامة و الفداء، الىٰ درجة أنَّ بني اميّة كلّما اخمدوا ثورةً من الثورات التي إندلعت ضدّهم ببركة دماء الحسين عليه‌السلام و اهله، لم تخمُد تلك الروح الرسالية الاستشهادية المتأججة عند المسلمين حتىٰ عاد القتل في سبيل القيم و الحق فخراً يعتزّ به المسلمون.

لما نظر مصعب بن الزبير الىٰ حليلته سكينة عليها السلام مكتئبة حزينة قال لها: «لَم يُبقِ أبوكِ لابنِ حُرَّةٍ عُذراً»

و انشد قائلاً:

و إنَّ الأولىٰ بالطفِّ من آل هاشمٍ تأسوا فَسَنُّوا للكرام التأسيا

٤ـ ازدياد محبَّة اهل البيت عليهم السلام و بقيَّة السيف

«إنَّ الذين آمنوا و عَملوا الصالحات سَيَجعلُ لَهم الرَّحمٰن وُدّاً»(١)

ذكرنا آنفا إنَّ الله سبحانه و تعالىٰ أودع قلوب الناس محبّة اهل بيت النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله

(١) سورة مريم، الآية ٩٦.

فلا تجدُ مسلماً مؤمناً يحبُّ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله و لا يحبُّ عزيزته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام و ريحانتاه الحسن و الحسين و اخاه و ابن عمّه عليّ بن ابي طالب عليهم السلام و قد اكدَّ هذا المعنىٰ الإمام السجاد عليه السلام في خطبته في مسجد الشام عندما عدَّ ما خصّهم الله به من الخصائص التي من جملها: « و المحبّةَ في قلوب المؤمنين ».

و كان من جملة بركات النهضة الحسينية و آثارها، ازدياد تلك المحبة و ترسيخها في القلوب، و لاغرو في أنّ الشجاعة و صدق الحديث، و الثبات علىٰ المبادئ، و البطولة، و المظلومية و مقارعة الظلم و الظالمين تُعدُّ من الصفات الحبيبة و التي تقرَّب المتصفين بها الىٰ القلوب.

و من خلال قراءة اللوحات الشعرية التي انشدت بعد استشهاد ابي عبد الله الحسين عليه السلام في رثائه و مدحه و مدح آل علي، يظهر لنا بوضوح مدىٰ عمق التأثير الذي تركته مظلومية الحسين عليه السلام في قلوب المسلمين، فانَّ بعض تلك الاشعار تتضمن معاني الحبّ و الولاء الصادقَين بدرجة الهيام و الذوبان.

و مهما أسهبنا في شرح ذلك الحبّ و الارتباط الروحي للمسلمين بالحسين عليه السلام، فهو قليلٌ في جنب الواقع. فهذه المراسم و الشعائر التي تقام في الهند و الباكستان و العراق و ايران و لبنان و سورية و البحرين و الاحساء و افغانستان و مصر و في دول عديدة في اوربا و حتىٰ في أمريكا و استراليا، خاصةً في بعض الليالي و الايام الخاصة كيوم عرفة و النصف من رجب و شعبان و العشرة العاشوراءئية و الاربعين، كلُّ ذلك يدلُّ بوضوح علىٰ انَّ الحسين عليه السلام قد مَلَك القلوب الىٰ درجةٍ تحيّرُ العقول و دخل عشقُه و حبّه حتىٰ في قلوب الاجانب من غير المسلمين، فلا تنحصر هذه المراسم في مرقد الحسين عليه السلام الطاهر و حواليه، بل تقام في

كل المقامات المنسوبة اليه أو الىٰ احد ابنائه أو اخوته أو بناته.

و اذا ما حضرت الىٰ البقعة المنسوبة الىٰ رأس الحسين الطاهر في القاهرة، يوم عاشوراء، و ليالي الاثنين في «مشهد السقط» بالقرب من حلب و مشهد السيدة رقيه بنت الحسين عليه السلام في دمشق عاصمة الحكم الاموي، و مشهد السيدة زينب و مقام راس الحسين في مسجد دمشق، و مقام السيدة زينب في مصر، لوقفت علىٰ عمق الحبّ الذي تركه استشهاد الحسين عليه السلام في قلوب مسلمي تلك البقاع، فان المراسم في بعضها لا يقلّ كثافة و حماساً عن المراسم التي تقام في كربلاء و بالقرب من مضجعه الطاهر.

حجَّ هشام بن عبد الملك فلم يقدر علىٰ استلام الحجر الأسود من الزحام، فنُصبَ له منبر مجلس عليه و اطاف به اهل الشام فبينما هو كذلك اذ اقبل عليٌّ بن الحسين عليه السلام و عليه ازار و رداء من احسن الناس وجهاً و اطيبهم رائحةً، بين عينيه أثر السجود فجعل يطوف فاذا بلغ الىٰ موضع الحجر تنحّىٰ الناس حتّىٰ يستلمه، هيبة له، فقال شاميٌّ: من هذا يا أمير؟

فقال هشام: لا أعرف (غَضَباً و حَنَقا علىٰ اهل البيت عليهم السلام) لئلا يرغب فيه اهل الشام. فقال الفرزدق و كان حاضراً: لكنّي أنا أعرفه، فقال الشامّي: من هو يا أبا فراس؟

فانشأ الفرزدق قصيدة طويلة في مدح أبي الحسن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، منها:

يا سائلي أين حلَّ الجودُ و الكرَمُ	عندي بيانٌ اذا طلاّبُه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	و البيت يعرفه، و الحلّ و الحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم	هذا التّقيّ النّقيّ الطاهر العلم

اذا رأتـــه قـريشٌ قـال قـائلها الى مكـارم هـذا يـنتهي الكـرم
هذا ابن فاطمة ان كـنت جـاهله بجـــدّه أنـــبياء الله قــد خُــتموا
من معشر حبُّهم دينٌ و بـغضهم كفرٌ، و قربهم منجىً و مـعتصم
يستدفع الضُّرّ و البـلوىٰ بحبّهم و يستزاد به الاحسـان و النـعم

و منه يُعرف مَدى حبُّ الناس و تعلُّقهم باهل البيت عليهم السلام و عزّة و عظمة الإبن الوحيد للحسين عليه السلام و بقية السيف الاموي الذي لم يرحم حتىٰ الرُضّع من اولاد ابي عبد الله يوم عاشوراء.

كما يستفاد من هذه الحكاية، شدَّة عطش الناس الىٰ ذكر فضائل اهل البيت عليهم السلام فالفرزدق كان يعلم أنَّ إنشاء تلك القصيدة في ذلك المجمع و بمحضر هشام الغاضب، سيكلفه غالياً، فلم يمنعه ذلك من الاعلان عن مقام و فضل اهـل البيت عليهم السلام.

و هذه هي الحقيقة التي عبَّر عنها أمير المؤمنين علي عليه السلام بكلمة قصيرة حينما قال:

«بَقِيَّة السَيف أبقىٰ و أكثَرُ وَلداً»(١)

فموجبات البقاء و الكثرة و العزّة و العظمة، توفرت لاهـل البـيت عـليهم السلام من خلال تضحياتهم و صبرهم و جهادهم و صدقهم مع الله، بعكس اولئك الخانعين الاذلاّء للظلمة.

و طبقا لما رواه حمد الله المستوفي، فانَّ يزيد بن معاوية كان له ثلاثة عـشر

(١) نهج البلاغة ج٣ ص١٦٩. ك ٨٤.

ولداً[١]، و لكنك اليوم لا تجد احداً ينتسب الىٰ يزيد!! و لو وُجد ذلك الأحد، فانه سيستنكف عن نسبه الوضيع هذا و لا يصرح به خوفاً من العار و يُخفيه خوفاً من ان تلحقه لعنة اللاعنين.

و لم يبق للحسين عليه السلام من اولاده الذكور، يوم عاشوراء إلاّ علي بن الحسين عليه السلام و لكنك اليوم تجد عشرات الملايين من السادات و الشرفاء من اولاد زين العابدين عليه السلام، مشهورين و معروفين و منتشرين في الاصقاع و الممالك الاسلامية، و الذين يُكنُّ لهم المسلمون ـ بسنّتهم و شيعتهم ـ كلَّ احترام و تجليل و تبجيل، و يتبركون بهم.

٥ـ مدرسة عاشوراء

و من جملة ثمرات استشهاد الحسين عليه السلام التي لازالت الاجيال و علىٰ مرَّ العصور تنتفع بها، تلك المراسم و الشعائر التي تقام لاحياء ذكراه، و ذكر مصائبه و نوائب اهله و عيالاته، و علىٰ طول ايام السنة[٢].

---

(١) حجة السعادة ج٢ ص٣. مروج الذهب ج٣ ص٣٦.

(٢) للمستشرق الفرنسي المعروف، الدكتور رينو (جوزيف)، بيانٌ وافي في كتابه «الإسلام و المسلمون» تناول فيه بعمق فلسفة الشعار الحسينية بكل أشكالها من الناحية السياسية و الاخلاقية و تربية النفوس و تكميلها مشيراً الىٰ تمركز هذه الشعائر عند الشيعة في ايران، معتبراً اءنه السرَّ في بقاء و قوة شوكة الشيعة في المستقبل و تنامي نهجهم و تزايد عددهم. و اشار المستشرق المذكور الىٰ الاوقاف الشيعية و الحقوق الشرعيَّة التي يصرفها الشيعة في احياء مراسم عاشوراء و اقامة مجالس العزاء علىٰ الحسين عليه السلام و قال: ان ما سوىٰ الشيعة من المذاهب الاسلامية، لا يبذلون ما يبذله الشيعة من الاموال في الدعوة الىٰ الدين، و قد يعادل بذل الشيعة ثلاثة أضعاف بذل الاخرين في نفس السبل، و لو أنَّ شيعياً كان يعيش بعيداً عن

←

← اهل ملّته و في ابعد نقاط العالم، فانه سيقيم لوحده مجلس احياء ذكر الحسين عليه السلام و ينفق على الفقراء و يُطعم الطعام، و يكون بذلك داعية في الواقع الى الدين.

و للمنبر و الوعظ و الارشاد و الخطابة، دور مهم في تربية الخطباء و الوعاظ و المتحدثين الاكفّاء لتعريف الناس و تعليمهم المعارف و الأخلاق الرسالية. فالمنبر يتناول مختلف المسائل الدينية و العقائدية و الفكرية و الاخلاقية، بالبحث و الدراسة، بنحو يكون الفرد الشيعي اعلم من اقرانه من سائر المذاهب، في تلك العلوم و المعارف. و لو القينا نظرةً الى الاقطار الاسلامية، لم نجد كالشيعة سبّاقاً في الميادين العلمية و الصناعية و الاقتصادية، فالاستعداد للابداع و الترقي و كسب العلوم الحديثة، اوضح عند الشيعة من غيرهم، كما ان اليد العاملة الشيعية اقدر من مثيلاتها من سائر الفرق، و اكثر عدداً بالقياس الى نسبة نفوسهم.

و ان الشيعة لم ينشروا مبادئ مذهبهم و فكرهم، عن طريق القوة و السلاح، بل فعلوا ذلك بقوة التبليغ و الفكر و الأخلاق.

ان اهتمام الشيعة باحياء هذه الذكرى و ما يظهر من كرامات في تلك المجالس ادى الى ان يشترك ثلثا المسلمين بل و الهنود و المجوس أيضاً، في تلك المراسم.

و من هنا، يمكننا الحكم بان عدد الشيعة سيزداد في المستقبل القريب و قد يفوق عدد اتباع المذاهب الاخرى، و قداستطاع التشيع من النفوذ الى الملل و اهل المذاهب الاخرى، و تمكن الشيعة من تبليغ و ايصال اصول مذهبهم الى الاخرين، و قد حققوا مايحلم ساسة الغرب به، بما يبذلونه من اموال طائلة لنشر المسيحية.

ثم يتطرف المستشرق الى «مواكب الحسينية و الرايات و علائم العزاء، و يشرح بالتفصيل تأثيراتها و نتائجها و فلسفتها، و علاقة الشعائر بالاتحاد و الوحدة الشيعية و الاستقلالية و روح التحرير، و يقول: من الامور الفطرية و الطبيعية التي تدعم فكر الشيعة هو ان الطبع البشري و الفطرة الإنسانيّة ميّالة الى نصرة المظلوم و كراهية الظالم».

ان هؤلاء الكتاب و المفكرين، يذعنون لحقيقة مظلومية الحسين عليه السلام و اصحابه، و طغيان و وحشية قتلتهم، و لا يذكر قتلة الحسين عليه السلام إلاّ باقبح الاسماء و الالقاب، اذ لا شئ يكبح الشعور الفطري و الادراك الوجداني، و يقف حائلاً دون تقدم المذهب الشيعي و رُقيّه.

و هذه المقالة، طويلة مفصلة، و من اراد المزيد فليراجع كتاب «ذكرى الحسين» ج ٢ ←

← ص ٢٠٤ـ٢٠٨. تاليف العلامة مهاجر العاملي.
و لقد نقلنا ملخصاً مضغوطاً لبعض تلك المطالب هنا ليعلم القارئ العزيز أنَّ المستشرقين المنصفين و المفكرين و اهل النظر من علماء الملل الاخرىٰ قد اقرّوا بنتائج و ثمرات هذه المراسم الحسينية، و تأثيراتها في المبادئ الوطنية و الاستقلال و الحريّة.
و ليس هذا المستشرق هو الوحيد الذي التفت الىٰ هذه الحقائق، بل هناك العديد منهم ممن يعتقد بدور ثورة الحسين عليه السلام الكبير في تثبيت دعائم الإسلام و نشره في العالم، من جملتهم المستشرق الألماني (ماربين) الذي يعتقد بنفس الشيً في سياسة الحسين عليه السلام و طلبه للحق، و يمتدح معتقدات الشيعة.
و لكن بعض اعداء الإسلام و مرتزقة الاستعمار و ذوي الاقلام المأجورة، الذين يخافون من وقوف الشعائر و المراسم المذهبية في وجه اطماعهم الاستعمارية في الدول الاسلامية و الحدّ من نفوذهم و تحكمهم برقاب المسلمين، خلافاً للمذاهب الاخرىٰ و من هنا فانهم يحاولون التقليل من اهمية الثورة الحسينية، بل و يتجرأ بعضهم علىٰ إتهامها بالفشل و عدم الفائدة.
و علىٰ العموم فان هؤلاء يحاولون الاستخفاف بكل ظاهرة من شأنها أنَّ تقوّي شوكة المسلمين و ترفع شأنهم و توحد صفوفهم، و يحاولون تعطيل و منع هذه الشعائر و الظواهر، او الحدَّ من انتشارها علىٰ اقل التقادير، كما نرىٰ ذلك بوضوح في دولة مصر، حيث حاولت الحكومة المصرية منع الشعار الحسينية التي كانت تقام في عدة ارجاء من مصر و بشكل مهيب و رائع حتىٰ زمان الملك فؤاد الذي كان تحت رعاية و حماية الانجليز، حيث منعها.
و في العراق، و ان حاول الحكام منع تلك الشعائر بين فترة و اخرىٰ و لكن، و لعلوّ همّة الشيعة و عزمهم و غيرتهم علىٰ الدين، و تضحياتهم بقيت مراسم عاشوراء و الاربعين تقام بشكل رائع و مهيب يشترك فيها كلُّ طبقات المجتمع.
و قد تشرفتُ بزيارة كربلاء المقدسة قبل اعوام، و في ايام عاشوراء، فلفت انتباهي، هيبة عزاء شكّلها اساتذة و طلاب الجامعات العراقية جاءوا من بغداد و الموصل و البصرة، فكان مشهداً رائعاً لينُمُّ عن عمق تأثير الثورة الحسينية في ضمائر المثقفين. فلقد كانت تلك الهيئة موكباً مميزاً من بين المواكب الحسينية، فإن اقامة الشعائر الحسينية من خلال نافذة العلم و المعرفة، يكون أوقع في التأثير و التأثر، فلقد اثبت هؤلاء بقصائدهم هتافاتهم و راياتهم ←

→ السوداء و الحمراء التي رفعوها، ان الطريق الانجح لنشر مبادئ الحسين عليه السلام و تحقيق اهدافه هو سبيل الشعائر المبتنية علىٰ اليقين و المعرفة، و في الوقت الذي اثبتوا فيه اشتراكهم مع الهيئات و المواكب الاخرى، اعلنوا عن استقلالهم و رشدهم الفكري و دركهم لحقيقة و فلسفة الشعائر الاسلامية و تعظيمها، و عدم تأثرهم بالاعلام الاستكباري الساعي الىٰ تسخيف هذه الشعائر و الانتقاص من دورها.

أجل، نحن نرىٰ اليوم، و في المجتمعات التي تدعي التحضر و المدنية ان مراسماً تقام و في مناسبات عديدة، لا تمتُّ الىٰ الروح الإنسانيّة و الىٰ العقل و السيرة العقلائية، و مع ذلك لا ينتقدها احدٌ، لان اولئك الذين يقيمون هذه المسابقات هم من أهل القدرة و المال و الذين يشجعون الناس على حضور مسابقة الملاكمة و يجبرون رجلين أو امراتين ينتميان الىٰ النوع البشري الكريم، علىٰ ضرب احدها الآخر حتىٰ الادماء و الطرح أرضاً، بلا فائدة روحية أو جسدية مرجوة من مثل هذا النزال.

فكم من عين قد فقئت و اذن قد صمَّت، بل و كم من إنسان مات في هذه المسابقات الفارغة، و العجب انهم يفتحرون بذلك و يهدون الجوائز للاشدِّ قسوة و وحشية، و يصفقون له فرحاً بنصره!!

ان التبذير و الاسراف و البذخ اليوم يعمُّ العالم الغربي، بدءاً من اعياد كانون و انتهاءاً بوصايا الاموات و مراسم التجهيز و الدفن. و التي تدلّ مضافاً الىٰ الاسراف و التبذير، علىٰ السخف و السفاهة و خفة العقل و قلة التدبير.

سبق و ان قرأت في احدىٰ الجرائد المشهورة، ان شجرةً في أميركا، يُقدِّسها الناس و يفدون لزيارتها، و ذكر المقال: ان عدد زوّار هذه الشجرة في تلك السنة قد بلغ ثمانية ملايين زائر.

و المبالغ المالية التي تصرف في فرنسا و ايطاليا و دول اخرى، علىٰ الرمّالين و الفوّالين و الكهنة و قرّاء الكف و الفناجين و السحرة، كبيرة قد تعدل ميزانية احدىٰ الدول الشرقية!!

و مع كل هذا، لا تجد عاقلاً ينقض عليهم و يردعهم.

و بعض المغتربين المبهورين بحياة الغرب، يصرف علىٰ تجهيز و دفن كلبه، اموالاً تكفي لتأسيس مستوصفٍ في قرية نائية، و يبذر المال في مراكز القمار و الطرب و الرقص، و يعتبر ذلك تمدناً و خضارة و ثقافة!! في حين ان ابناء قريته في وطنه بامسِّ الحاجة الىٰ القنوات المائية ←

و قد يتصور البعض خطأً، أنَّ الشيعة يبذرون الاموال حينما يصرفونها في اقامة مثل هذه الشعائر؛ و لكن الواقع يُشير الىٰ غير ذلك، فالاستفادة المعنوية من هذه المراسم، و تأثيرها في تربية و تهذيب المجتمع واضحة الىٰ درجة القطع بخطأ هذه المقولة، بل هذه المراسم و الطقوس هي من أفضل و انجح سبل الاصلاح و انها مدارس تربية و تعليم للقيم و المبادئ الاسلامية الرفيعة، و إنَّها وسائل إحياء أمر اهل البيت، و رمز بقاء التشيع و فكره الاصيل، بل بقاء الإسلام و الدين.

و لو خصَّصت آلاف الملايين من الاموال و عائدات الاوقاف لترويج

← و ماء الشرب و اشباع بطونهم من الجوع.

و نفس هؤلاء، و لعدائهم للاسلام و شعائره، يستخدمون اقلامهم و السنتهم الماجورة للنيل من اهتمام المسلمين بتعظيم شعائر الدين و الالتزام بالاداب و الاحكام الشرعية، منتقدين مراسم احياء ذكرىٰ الحسين عليه‌السلام.

و لكن، و لله الحمد، لم يُعد لهؤلاء المستعمرين هُواة، فضلاً عن الانصار و ان الجيل الجديد من شباب الإسلام، وعىٰ تلك الاحابيل و عرف تلك الحيل و الخدع الاعلامية المسمومة، و عرف ان اقامة هذه الشعائر و الاقتداء بسيد الشهداء، يُحيي المجتمع و يبعث روح التضحية و الفداء من اجل المبادئ الفاضلة.

إنَّ اقامة عزاء الحسين عليه‌السلام اضحىٰ معجوناً بدماء الشيعة و رمزاً لهويتهم و استقلالهم، و أنه يستحق البذل منّا بكل غالٍ و نفيس، و علىٰ الجميع أن يساهموا في ذلك، و يشتركوا، كما ان علىٰ الخطباء و المبلغين ان يعرّفوا الشباب و الجامعيين المثقفين، علىٰ فلسفة ثورة الحسين عليه‌السلام و مبادئه ليحصّنوهم من الإعلام المضاد، و يحفظوا استقلالية العالم الاسلامي.

و اذا ما رامَ الشيعة و المسلمون عامة، ان يطووا مراحل الترقي و التطور، فعليهم ان يتتلمذوا في مدرسة العشق و الشهادة الحسينية فهذه المراسم العاشوراءئية، ليست مضادة للتطور العالمي و التكنلوجي و الاكتشافات و الاختراعات و غزو الفضاء و سائر مظاهر المدنية الحديثة، بل هي موافقة تماماً و انها من جملة السبل الكفيلة بالوصول بالانسان الىٰ مدارج الرقيّ و التقدم.

التعاليم الاخلاقية و الاجتماعية، و كانت صفوفها دائرة عامرة علىٰ طول ايام السنة، لما حققت ما حققته المجالس الحسينيّة و لما استطاعوا المحافظة علىٰ استمراريتها لكل هذه القرون المتمادية.

و لكنَّ الحسين عليه السلام و برأسمال الفضيلة و الخُلق الرفيع و بتضحياته في سبيل الحق، اسس مدرسة منذ اكثر من ثلاثة عشرة قرناً من الزمان لازالت صفوفها دائرة عامرة علىٰ طول ايام السّنة، متزايدة شعبها و تشعباتها، و فنونها و علومها، يرتادها الرجال و النساء و الشباب و الشيوخ و الاطفال و كل طبقات المسلمين الفكرية و الاجتماعية، ليتعلموا دروس الحقيقة و الفداء.

إنَّ قراءة و استماع تاريخ تضحيات الحسين عليه السلام، و نهضته و ثباته و ثبات أصحابه، يقوّي ايمان الانسان و يرسّخ معتقداته الصحيحة و يعلو بهمّته و ارادته.

إنَّ هذه المراسم التي تقام كلَّ سنة في المساجد و الحسينيات و البيوت و المنتديات، لَهيَ ادوات المبارزة مع الظلم و الظالمين و الوقوف بوجه سلاطين الجور، و الكفر و الشرك، و إعلان إنتصار الحسين عليه السلام!

إنَّ احد أنجح الوسائل و السُبل لترغيب الناس بالمبادئ و القيم، هو ضرب الامثلة الحية الواقعية لهم، و حكاية تاريخ المتميّزين في هذه المجالات، و ايُّ تاريخ و ايُّ نموذج و ايُّ قدوة أفضل من الإمام الحسينَ عليه السلام علىٰ مرِّ التاريخ؟

إنَّ مجالس عزاء الحسين عليه السلام هي افضل مجالس التبليغ و الدعوة الىٰ الإسلام. في تلك المجالس، يتعرف روّادها علىٰ المعارف القرآنية و أصول و فروع الدين و التفسير و الحديث و سيرة النبي صلى الله عليه وآله و الائمة و الصحابة، و المواعظ و الحكم و الأخلاق و علوم الاجتماع و التربية مضافاً الىٰ الحقائق الكونية و الطبيعية.

و في مجالس الحسين عليه السلام يتعلم الفرد منهج التربية الاسريّة و الاجتماعية و

الاواصر التي تربط الانسان ببني نوعه.

و لا شكَّ في أنَّ ذلك من أفضل السُبل لتحقيق هذا الغرض، فالحسين عليه‌السلام قوةّ مغناطيسية تجذب الجميع اليها، و إنَّ محبوبية الحسين عليه‌السلام في القلوب تدفع الجميع للارتباط و الاقتداء به و تسجيل أسماءهم في سجلِّ انصاره و ذرف قطرات الدموع الساخنة علىٰ مُصابه.

و لو انك اقترحت علىٰ الناس ان يبذلوا شيئاً من المال للامور الخيرية و إعانة الفقراء، فانك ستحصل علىٰ مبالغ لا تُعدُّ شيئاً بالقياس الىٰ المبالغ التي يصرفونها تطوعاً و بلا اقتراح من أحدٍ، في إقامة مجالس الحسين عليه‌السلام فما أعظم الحسين عليه‌السلام وسيلةً للاصلاح و تقويم شؤون المجتمع الحياتية و هداية الشبيبة ينبغي أن نستفيد منها و ان نترجم تلك الاحاسيس و المشاعر و عواطف الملايين من المسلمين، الىٰ موقفٍ موحدٍ لنصرة الدين و الحق.

إنَّ الامّة التي تمتلك مثل الحسين عليه‌السلام رمزاً و قدوةً و مثالاً، أمّةٌ ينبغي ان يُحتَذىٰ بها في طريق الحرية و العدالة الاجتماعية.

و إنَّ امّةً أعلن قائدها:

«لا أرى الموتَ إلاّ سعادةً و لا الحياة مع الظالمين إلاّ برما» و بقيت كلمته هذه خالدة في مسامع التاريخ، لا ينبغى لها ان تستلم لظالمٍ و تعين طاغ.

و إنَّ امّة تعلن يزيد بن معاوية و تعدُّ خيانته و مهادنته الكفار، ذنباً و خيانةً للاسلام، عليها أنْ تجتنب مهادنة الكفار و التذلّل لهم.

و ليس في زمننا الحاضر، منبرٌ تبليغيٌ أفضل من منبر الحسين عليه‌السلام فاذا ما استفدنا منه و أحسنّا إستغلاله، فسنصل الىٰ أفضل النتائج و المغانم.

و نعتقد أنَّ مجالس الحسين عليه‌السلام في ايران، افغانستان، باكستان، الهند، العراق،

لبنان، سورية، البحرين، القطيف، قطر، اليمن، مصر و باقي ارجاء العالم، هي اكثر فائدة من سائر المؤسسات الثقافية و الارشادية العامة التي أسست للاصلاح و التغيير.

و كمثال لذلك: الخطباء و المدّاحين الذين ينتشرون في البلدان و يدورون علىٰ مدار النسة في البيوت و المنتديات و يحتكّون بالناس و ينشدون الاشعار و المراثي و المدايح، و لو أمكن جمعهم و تنظيمهم و منهجةِ برامجهم من قبل العلماء و الحوزات العليمة و مراجع الدين و تعبئتهم و زرقهم بالمعلومات و توعيتهم سياسياً و إجتماعياً و تحليل الاوضاع السياسية و ما يهمُّ الناس و المجتمع لهم، لامكن الوصول الىٰ الاهداف بشكل اشرع و انجع. اذ يمكن التاكيد في كل فترة علىٰ واحدةٍ من الحالات الاجتماعية و الاخلاقية و تناولها من قبل الجميع باسهاب و دقةٍ و تخصُّص، فان ذلك سيؤدي الىٰ ارتفاع المشاكل و الأمراض الاجتماعية و الحالات المعوَّجة في المجتمع، الواحدة بعد الأُخرىٰ للوصول الىٰ المجتمع المثالي.

و في السنوات الاخيرة، ازداد عدد الطلاّب و فضلاء الحوزات العلمية الذين ينتشرون في المدن و المحافظات و القرىٰ و الارياف، أيام شهر محرم و صفر و شهر رمضان المبارك و المناسبات الاخرى، لاقامة الجماعات و الوعظ و الارشاد و الخطابة و التوجبد الديني و السياسي و الاجتماعي، مما حَدىٰ بالناس الىٰ تقديرهم و شكرهم.

و هؤلاء، ايَّدهم الله يقومون اضافة الىٰ الارشاد و التبليغ و ردّ الشبهات و تعليم الاحكام الشرعية، بالامور و الفعاليات الاجتماعية و الخدماتية كعمارة المساجد و تأسيس المؤسسات الخيرية الاجتماعية.

و اكررُ ثانية: إنَّ الانصاف، هو أنّنا لم نستفد بَعدُ كل الاستفادة من مائدة

الحسين عليه‌السلام ، فانّ أحد أهم عوامل إنتشار مذهب التشيع و الإسلام في الهند، و باعتراف المطّلعين، هو إقامة شعائر الحسين وكما يقول «ماربين» : إنَّ عدد الشيعة لم يكن يتجاوز عدد الاصابع و لكنهم اليوم و ببركة مجالس الحسين عليه‌السلام يعتبرون من الطوائف المعتدِّ بها عدداً في الهند.

اذن، يمكننا القول:

كما انَّ استشهاد الحسين عليه‌السلام ساهم في الحفاظ علىٰ الدين من الانحراف، فانَّ مجالس عزاء الحسين عليه‌السلام هي الاخرىٰ لها الدور الكبير في بقاء الدين و استمراريته و هداية المجتمع الىٰ الحق.(١)

فسلام الله عليك يا أبا عبد الله

٦ـ إدانَة بني اميَّة

لقد حفر بنو اميّة قبورهم بقتلهم الحسين عليه‌السلام و ازاحوا الستار عن شنائع أفعالهم و مقاصدهم المشئومة، و اشتروا بذلك غضب و نِفرة المجتمع الإسلام ضدَّهم.

و كما أشرنا في فصل سابقٍ (انعكاسات مقتل الحسين عليه‌السلام) فانَّ المجتمع

---

(١) إنَّ رثاء الحسين عليه‌السلام و البكاء عليه، و زيارته قد ابتدأت في نفس سنة ٦١ هـ. ق و استمر اقامة تلك المجالس عليه في العصور المختلفة من قبل الائمة و اتباعهم و عامة المسلمين. فقد أنشد كبار الشعراء القصائد في ثورة الحسين عليه‌السلام و مصائبه و تضحياته و من جملتهم شاعر اهل البيت دعبل الخزاعي.

و للاطلاع علىٰ تاريخ عزاء الحسين عليه‌السلام راجع: الدلائل و المسائل ج١ ص١١٣. ذكرىٰ الحسين ص٨ـ٥.

الاسلامي إستقبل حادثة كربلاء بحزنٍ و المٍ عميقين و قد أدان كلُّ المسلمين هـذه الجريمة النكراء في حق سبط رسول الله صلى الله عليه و آله و رهطه و آل بيته، و توالت الاعتراضات الانتقادات من أقرباء بني اميّة أنفسهم قبل أعدائهم.

يقول المستشرق الالماني «ماربين»: إنَّ من اكبر أخطاء بني اميّة التي محت إسمهم من صفحة العالم، هو قتلهم الحسين عليه السلام.

و هذه حقيقة يذعن لها كلُّ مورخ و مطّلع علىٰ تاريخ الإسلام، و لقد كـان لذلك الاستنكار و الاعتراض العام علىٰ حكم بني اميّة فوائده الكبيرة و الكثيرة. اذ يئس بنو اميّة من محاربة الإسلام و طعنه في ظهره، بعد أن عرف الناس حقيقة هذه العائلة الخبيثة و مخططاتهم الاجرامية و انكشف زيفهم و كفرهم للجميع، فقد فضح قتل الحسين عليه السلام بتلك البشاعة و الشناعة و سبي بنات رسول الله صلى الله عليه و آله، حقيقة بني اميّة.

و عاد التعاون مع بني اميّة و الدخول يسلكهم و سلطانهم، عاراً يـفرُّ مـنه الناس.

و لولا بريق السيوف و رؤوس الاسنة و الرماح التي يُهدِد بهـا بـنو امـيّة الناس، لهدم الناسُ علىٰ رووس بني اميّة دورهم و لقطعوهم إرباً إربـاً، و مـثّلوا بجثثهم كل تمثيل.

و انَّك لتجد في شعر عبد الله بن همام السلولي، ترجمـةً لتـلك الاحـاسيس الغاضبة عند عامة المسلمين، حين يقول:

حُشينا الغَيضَ حتّىٰ لو شَربـنا دِمـاءَ بَـني أمَـيَّةَ مـا رُويـنا

و يقول احد علماء مصر الذي صنف فهرست كامل ابن الأثير:

«ان الجيش الذي تولىٰ محاربة الحسين و قتله لهو أقسىٰ قلوب العالم و ليس

فيه آثار الرحمة و الانسانية بل هم جمادات متحركة شرّيرة سجّلوا لأنفسهم في التأريخ أكبر العار و أسوء الاعمال و أفضع الافعال عاملهم الله بجرائمهم أشدّ العقاب.[١]

و يقول الشيخ عبد الوهاب النجار، أستاد قسم التخصّص في الازهر، في ملاحظاته علىٰ الكامل:

«لعن الله الفسق و الفسّاق لقد سوّدوا صحائف التأريخ و سجّلوا علىٰ أنفسهم الجرائم الكبرىٰ التي لا تغتفر و لا تنسىٰ مدىٰ الدّهر فأنا لله و إنّا اليه راجعون و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العضيم.[٢]

٧ـ توالي الثورات علىٰ بني أميّة

من جملة نتائج نهضة الحسين عليه السلام و مظلوميته، تلك الحركات التحررية و الانتفاضات و الثورات التي توالت لاسقاط الحكم الاموي، و في عدّة أرجاءٍ من العالم الاسلامي.

و من ابرز عوامل تلك الثورات هو الدعوة الىٰ الأخذ بدم الحسين و الثأر من بني اميّة.

إنَّ ثأر الحسين عليه السلام أصبح شعاراً يرفعه المظلومون و المقهورون من حكم بني اميّة.

و هذه الثورات، و إن أُخمد اكثرها و قضي عليها علىٰ يد السفّاحين أمثال

(١) فهرست الكامل ج٣ ص ح و ط.

(٢) الكامل ج٣ حاشيه ص٢٩٧.

مسلم بن عقبة و الحصين بن نمير و الحجاج، دفاعاً عن اركان الحكم الاموي المتزلزلة، و لكن توالي تلك الثورات، يحكي عن شدة نفرة المسلمين من هذا الحكم، و يسيرُ بالحكم نحو الزوال و الانقراظ تدريجياً و يضعف مخططات بني اميّة.

و من الواضح، أن مثل هذه الحكومة التي لا تستند في قوامها و قوتها إلاّ الىٰ بعض الاراذل من المرتزقة و المأجورين، بينما يعتبرها سائرالشعب حكومة غاصبة جائرة، لا يمكنها أن تدوم طويلاً في الحكم بالحديد و النار، فنفس إخماد تلك الثورات بالقمع، كان يبعث الروح القتالية الاستشهادية من جديد في نفوس الناس.

و اوّل ثورةٍ حدثت (بعد عدة حركات صغيرة مثل حركة الكوفة و حركة عبد الله بن عفيف) بعد نهضة الحسين عليه السلام هي ثورة المدينة، التي اشرنا اليها سابقاً، و التي قضىٰ عليها مسرف بن عقبة بأمر يزيد، بتلك الوحشية و القساوة و هتك حرمة المدينة الطيبة.

يقول الطبري: بعد مقتل الحسين عليه السلام قام نجدة بن عامر الحنفي في اليمامة، و إبن الزبير في مكة[١].

و من اكبر الثورات المهمة التي إندلعت بعد ثورة الحسين عليه السلام هي ثورة التوّابين بقيادة الصحابي «سليمان بن صُرد الخزاعي» و التي اشترك فيها عدد من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و من أعيان الشيعة، و كان شعارهم «يا لثارات الحسين» و لقد ابلَو بلاءً حسناً و كانوا من الصادقين في شعورهم بالندم و الأسىٰ علىٰ إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام بين ظهرانيهم.

و لقد كانت خُطب و أشعار و كلمات هؤلاء الجماعة تدلّ بوضوح علىٰ

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٦٧.

إستقامتهم و ثباتهم و روحهم الاستشهادية، و مضافاً الىٰ إنَّ هذه الثورة كانت من عجائب التاريخ و نموذجاً لهيجان الروح الطاهرة و الزكية و ليقظة الضمير، فهي تعكس بجدٍّ تأثيرات ثورة الإمام الحسين عليه السلام و مظلوميته و استشهاده، و ندم الناس علىٰ عدم الالتحاق بركبه.

عندما، نودي بشعار «يا لثارات الحسين» كان عبد الله بن حازم جالساً مع زوجته و ابنته و كانت زوجته جميلة و عندما سمع النداء قام و حمل سلاحه و امتطر جواده و قالت له زوجته أجننت يابن حازم قال: لا، لكنّ منادي الله ينادي و لا يجوز القعود و لابد من الانتقام لدم المظلوم بكربلاء أو أن أقتل في هذا الطريق فقال له زوجته، و ماذا عن ابنتك قال: اوكلها الىٰ الله، ثم التفت الىٰ السماء و قال الهي أودعتك أهلي و أولادي فاحفظني لهم و اغفر لي تقصيري في نصرة ابن بنت نبيك.(١)

و أول ما قام به التوابون بعد خروجهم هو التوجه الىٰ قبر الحسين عليه السلام لزيارته و تجديد البيعة له، و باتوا ليلتهم عند مرقده الطاهر، محيين الليل بالبكاء و العويل، و الاعتذار و الوعد بالسير علىٰ نهجه، و التوبة من خذلانهم له، و كانوا يقولون:

«اللهم ارحم حُسينا الشهيد بن الشهيد المَهدىّ بن المهدي الصدّيق بن الصدّيق اللهم انّا نشهد أنّا علىٰ دينهم وسبيلهم، و أعداء قاتليهم، و أولياء محبّيهم، اللهم إنّا خذلنا ابن بنت نبيّنا فاغفر لنا ما مَضىٰ منّا، و تب علينا فارحم حسيناً و أصحابه الشهداء و انّا نشهد أنا علىٰ دينهم و علىٰ ما قتلوا عليه و ان لم تغفر لنا، و

---

(١) القمقام الزخار ص٦٨٨.

ترحمنا لنكونن من الخاسرين.[١]

و الحق، إنَّ التوابين قد أثبتوا وفاءهم و بطولتهم و بأسهم و محبتهم و ولايتهم لاهل البيت عليهم السلام بقتالهم بني اميّة في «عين الوردة» و بذلك سجّلوا إسمهم في صفحة الفخر و العزّ من تاريخ الامة الاسلامية. و لقد كانت قصتهم عبرة حقيقيةً و درساً تربوياً لكل الناس.

نسأل الله ان يقبل توبتهم، و يحشرهم في زمرة انصار الحسين عليه السلام.

و بعد هذه الثورة، اندلعت ثورة المختار الثقفي. و بقيت الثورات تتوالىٰ حتىٰ انقراض حكم بني اميّة.

و لم تمرّ الايام طويلة حتىٰ عوقب كل من اشترك في جريمة كربلاء علىٰ يدالثوار، أو ابتلاه الله بما اخزاه دنياً و آخرةً.

يقول الزهري: لم يبق احدٌ ممن إشترك في قتل احسين عليه السلام إلاّ نال عقابه في الدنيا قبل الاخرة.[٢]

٨ـ التحور الفكري

من جملة الامراض الفكرية الخطيرة التي ابتلي بها المجتمع الاسلامي بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله و التحاقه بربّه، هو ضعف الارادة، و اللامبالاة و عدم الانفعال بما يجري حوهلم، حتىٰ لو كان ما يجري مخالفاً لخير ومصلحة الامّة و لتعاليم الإسلام و احكامه، و كانوا يعتبرون كلَّ من يستلم الحكم هو الخليفة المفروض عليهم طاعته!

---

(١) الكامل لابن الاثير ج٢ ص٣٤١.

(٢) حفيدة الرسول ص٥٣. اسعاف الراغبين ص١٩٢.

و هذا الاستسلام، فسح المجال لكثيرين في استغفال المسلمين و القفز الىٰ السلطة و المراكز الادارية في الدولة، و تمرير مخططاتهم، و الاستبداد بقراراتهم، و لم يكن إلاّ السيف و القوة اساساً لاستلام الحكم.

و هذا الاسلوب في الاستيلاء علىٰ الحكم، كان هو المحكم في زمن الجاهلية، و في بعض البلدان المتخلفة، و حتىٰ في بعض الدول التي تدّعي التطور و المدنية، بنسبٍ متفاوتة.

و أما في المجتمع الاسلامي الذي أُسّس علىٰ اساس أرقىٰ التعاليم و المقررات السماوية، فقد كان مثل ذلك المنهج غريباً و عجيباً، ذلك أن هذه الحكومات المستبدة، ليس فقط لا يمكنها هداية المجتمع الىٰ الاهداف التي رسمها الإسلام، و إنّما يتسبب ذلك في إساءة فهم الإسلام و إتهامه من قبل الاجانب بالخواء و فقدان الانظمة الاجتماعية و السياسية.

فالممارسات المستبدَّة للحكومات الواصلة الىٰ السلطة عن طريق القوة و الارهاب، و حتىٰ لو أبدت بعض الليونة، لا يستطيع المسلم الحقيقي و الانسان الواعي و المتمدن الواقعي، أن يتحملها و يسكت عليها، و إن استحقار الامم و الشعوب بهذه الطريقة أمرٌ يستحيل قبوله ممن له ادنىٰ إدراكٍ بشري.

و أكثر أتباع مدرسة اللاأُبالية و الخنوع، هم من ضعاف النفوس و الماجورين و المغرضين أمثال عبد الله بن عمر [1] الذين يعتذرون علىٰ سكوتهم بان

(١) نقل ان الحجاج بن يوسف، عندما جاء الىٰ مكة المكرمة و قضىٰ علىٰ عبد الله بن الزبير، جاءه عبد الله بن عمر و قال له: مدَّ يدك لابايعك! فاني سمعت رسول الله يقول: من مات و لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية. فمدَّ له الحجاج رجله و قال له: ان يدى مشغولة. فقال له ←

مخالفتهم للحكم يوجب التفرق و شق عصا المسلمين و اختلال النظام، و قد يلتمس هؤلاء أحياناً إعتذارهم من خلال بعض الروايات الداعية الىٰ وجوب إطاعة ولاة الأمر، لذا فهم يسكتون عن كل الجرائم و الانحرافات الاخلاقية و السياسية و الاجتماعية و يعتبرون أن السكوت اولىٰ من المواجهة!!

إنّ مؤيدي الحكام الغاصبين و أبواقهم الاعلامية و من أجل اسكات مخالفيهم و إستغفال المجتمع و إحكام قبضهم، يقولون باتهام الناصحين و الاصلاحيين باثارة القلاقل و الفتن و بالاخلال بالنظام و شقّ عصا المسلمين.

و من الواضح، إنَّ طلاّب الدِعة و الراحة من ضعاف القلوب و ممن يضحي بالمصلحة العامة من أجل مصالحة الشخصية و لا يأبه للدين و شرف الامّة و عزّتها، كانوا يستسلمون لهذه الاحابيل الموافقة لمزاجهم، تهرباً من المسئولية.

و نتيجة ذلك، فسح المجال للظلمة يفعلون ما يشاؤون، بلا رادع و لا رقيب، و ينتهي الأمر الىٰ وجوب تقديم الطاعة ليزيد و الحجاج و الوليد كما تجب طاعة الإمام العادل الصالح، و يكون الخروج علىٰ الظالم، إشعالاً للفتنة و شقاً لعصا المسلمين!!

إنَّ نسبة هذا الحكم الىٰ الإسلام زوراً و بهتاناً و إفتراءاً، أتاح للظلمة إرتكاب جرائمهم و تصفية القوىٰ المعارضة لهم.

صحيح أنَّ الآيات و الروايات توجب إطاعة أولي الأمر و تحرّم مخالفتهم و الخروج عليهم، و لكن الادلة تقصد أولي الأمر الذين يطبقون الشريعة بحذافيرها و

← ابن عمر: اتهزا بي؟ قال الحجاج: يا أحمق بني عدي، أين كنت يوم بيعة علي بن ابي طالب؟ الم يكن علي امام زمانك؟ و الله انك لا تبايع امتثالاً لقول رسول الله و انما تبايع خوف هذا الجذع الذي صّلب عليه ابن الزبير: الكنىٰ و الالقاب ج ١ ص ٣٥٧.

يدعون الناس الىٰ الصلاح و يسعون الىٰ تحقيق الاهداف الاسلامية و يظهرون عزّة الإسلام. فكيف تكون إطاعة حكومة كحكومة يزيد الفاسق و أمثاله من الظلمة واجبةً علىٰ عامة المسلمين؟!

لو أنَّ مظلوماً جُلد جلدَةً واحدةَ ظلماً، كان كلُّ المسلمين الذين يعينون تلك الحكومة مسئولين، «الظالمُ و المُعينُ لَهُ و الراضي بِهِ شُركاءُ ثَلاثٌ»

و في منطق الإسلام و مدرسة الانبياء عليهم السلام، لا يعدُّ الخروج طلبا للحق، و الامرُ بالمعروف و النهي عن المنكر و نصيحة الحكام و الدعوة الىٰ الخير و الصلاح، إخلالاً بالنظام و لا تفريقاً للمسلمين، بل إنَّ ذلك عينُ النظام و وحدة المسلمين.

إنَّ زوال النُظم القائمة علىٰ أساس الظلم و الباطل و التعدي علىٰ حقوق الناس و الاستبداد و خنق الحريات و تكبيل المجتمع ،أفضل من بقاءها، و النظام القائم علىٰ التميز الطبقي و الاستعلاء و إذلال المجتمع و نهب ثروات و خيرات الشعب، هو عينُ اللانظام و إنَّ النَظم الذي يسمح ليزيد و ابن زياد و شمر و الحجّاج بان يكنوا هم مصدر التشريع و التقنين، و يزجّ بالمفكرين و العلماء و الصلحاء في غياهب السجون، ليس نظماً بل هو فتنةٌ و إضطراب، و إنَّ الخروج علىٰ مثل هذا النظم و حَلِّه، هو خروج لاحلال النظم الواقعي الصالح، قال تعالىٰ:

« و قاتِلُوهُم حتّىٰ لا تكونَ فِتنَةٌ و يكون الدّين لله »(١)

فطبقاً لهذه الآية الشريفة، تكون كلُّ النظم، شرّاً و فتنَةً إلاّ النظام المرتبط بالسماء، و تكون الحكومات كلها، انفلاتاً و هرجاً و مرجشً و بلاءاً علىٰ الناس، إلاّ

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

الحكومة الاسلامية الصالحة.

فانه اذا كان ما قام به بنو اميّة في المدينة الطيبة من سفك الدماء و هتك الإعراض و إهانة المقدسات نظماً، فسيكون ما قام به فرعون و نمرود و جنكيز خان و سائر الظلمة و المستبدين، نظماً أيضاً!

و علىٰ هذا الحساب الخاطئ جداً، سيكون نبيُ الله ابراهيم و موسىٰ بل و كل الانبياء و روّاد الاصلاح، مشاغبين! نعود بالله.

إنَّ الاعتقاد بوجوب إطاعة كلِّ حاكم ولي زمام أمور المسلمين و لو بالقوة و الارهاب، هو أسخفُ رأي و معتقدٍ يثير العجب و الدهشة من أولئك الذين يؤيدون هذا المسلك الباطل.

لقد حارب الحسين عليه السلام هذا الفكر الخاطئ الخطير، و نبّه الناس الىٰ حرمة إطاعة الحكومات الجائرة كحكم يزيد و بني اميّة قاطبة، و افهمهم أنَّ القيام و الخروج علىٰ مثل هذه الحكومات، واجبٌ شرعي و إنْ لزم تقديم التضحيات و الفداء.

و بعد ثورة الحسين عليه السلام، إتضح للناس، أنَّ الحكومة التي يجب علىٰ عامة المسلمين اطاعة مقرراتها و نظمها هي الحكومة التي تجسِّدُ العدالة الإسلامية شكلاً و مضموناً، و تطبق القوانين و الاحكام الشرعية تطبيقا صادقاً دقيقاً.

٩ـ الاثر الخالد

إنَّ اثر ثورة الحسين عليه السلام بقي خالداً في صفحات التاريخ وكان و لازال الدافع و المحفِّز لأبطال الاصلاح و مجاهدي طريق الحق و الحقيقة و حماة العدالة و الفضيلة.

إنَّ جهاد الحسين عليه السلام لم يكن لشخص يزيد اللئيم بشمائله النحسة و شكله

القبيح، و انما كان جهادُ الحسين عليه السلام للمنهج الذي تجسد في يزيد عصر الحسين عليه السلام بفساده و استبداده و رذالته و اراقته للدماء البريئة و فسقه و مجونه و عدائه للاسلام و الايمان و طغيانه و تمرده علىٰ الله و الرسول و خطره علىٰ الدين و القرآن. و الحسين عليه السلام جاهد ذلك المنهج اينما كان و في يزيد ايَّ عصر و زمان تجسَّد.

و علىٰ الشيعة و الاحرار في كل العالم ان يتعلموا هذا الدرس من الحسين عليه السلام و يعلموا أن ثورة الحسين عليه السلام لازالت قائمة مستمرة علىٰ اليزيديين في كل عصر و مكان، فما دام هناك شركٌ وكفرٌ و جهلٌ و باطلٌ و ظلمٌ و إستبدادٌ و إستعبادٌ للناس و غصبٌ للحقوق الإنسانيّة، فهناك حسين عليه السلام يترصد تلك الانحرافات و يقف بوجهها بنفس العزم و نفس الصمود و نفس الاباء و نفس البأس.

و علىٰ كل شخصٍ أنْ يميّز طريقه و يختار جبهته، جبهة الحسين ام جبهة يزيد؟ و هل هو في صف الظلمة و اعداء الإسلام، أم إنَّه في صفِّ الحسين عليه السلام و أصحاب الفضيلة و انصار الحق و العدالة؟

و كم من الناس، ظاهرهم أنَّهم من موالي الحسين عليه السلام و انصاره، و لكن باطنهم يدلُّ علىٰ إنَّهم من حزب يزيد و بني اميّة.

و اقولها آسفاً، كم من قلمٍ و لسانٍ و فعال و خصال، تركت الحسين عليه السلام و الإسلام غريباً وحيداً و التحقت بمعسكر قتلة الحسين عليه السلام و مخالفي منهجه و اهدافه.

و لو يكن في الدنيا، رجالٌ أبطال حق و فداء كالحسين عليه السلام و اصحابه الذين فدوا آخرتهم بدنياهم و روحهم بأموالهم و الحقِّ بالباطل و الحقيقة بالمجاز، لضعفت القيم الإنسانيّة و بَهت ضياؤها و خبث جذوتها، و لساد حبُّ الدنيا علىٰ حبِّ الآخرة و الغرائز الحيوانية علىٰ الكمالات الإنسانيّة و لتحقق مصداق قوله تعالىٰ:

«يعلمون ظاهراً مِنَ الحياةِ الدُّنيا و هُم عن الآخرة هم غافلون»(١)

و أمّا شهادة الحسين عليه السلام و تضحيات أصحابه و أسرِ أهله و عياله فقد عكس جمال الحقيقة الانسانيّة، و ساق الانظار الىٰ عالم السمو و المعنىٰ و افهَم الجميع ان الإنسانيّة معنىٰ سامٍ لا يتَّحدد بهذا القالب الجسماني الظاهري، فليست الإنسانيّة لحماً و دماً و عظاماً، فلو سار الانسان في وادي الآدمية و وصل الىٰ مملكة الإنسانيّة فسوف يتجلىٰ فيه الشرف و الرفعة و الكرامة الىٰ درجةٍ لا تتمكن معها أيَّة قوة مادية من السيطرة و التسلط عليه، و لا يمكن استبدالها بكل الحظوظ الحيوانية و المقامات الدنيوية.

و هذا الاثر، خالدٌ و مستمر، و كلما كثرت مجالس عاشوراء و مراسم ذكر الحسين عليه السلام و مصائبه، و كلما إزداد التأمل و الغور في أسرار النهضة الحسينية، كلما إزداد تأثيرها في القلوب و كبر شوق الناس الىٰ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و ترسخت المفاهيم الاصلاحية و حماية المظلومين و نصرة الضعفاء و المحرومين و الايثار بالمال و المتاع الدنيوي من أجل المصالح العليا.

و لو انَّ القوىٰ المستعمرة و اعداء الإسلام، قلّلوا من عدائهم للمنهج الحسيني و خلّوا بين المسلمين و بين هذه الحقائق السامية، و قام الوعّاظ و العلماء و الخطباء ببيان أسرار النهضة و أهدافها، لاقتلعت جذور الظلم و الفساد و استبدلت بشجرة الايمان و التوحيد و العدالة و الفداء و الاقتداء بالحسين عليه السلام و أهدافه.

ان الشعراء الذين انشدوا في الحسين عليه السلام كالكميت و دعبل و إبن الرومي و حتىٰ ابي العلاء المعرّي، و في الازمنة الصعبة التي حكم فيها أعداء الحسين عليه السلام،

---

(١) سورة الروم، الآية ٧.

الذين بذلوا الأموال و الهدايا و الهبات لمتملق السلطان، أنشدوا تلك القصائد البليغة الساحرة، لان ذوقهم الرقيق و شعورهم المرهف قد لَمس جمال الإنسانيّة الكريمة في تاريخ حياة الحسين عليه السلام و أولاده. مثلهم كمثل الشاعر المسحور بجمال الطبيعة الخلاّبة و الطيور و الرياحين و الصحارىٰ و السماء و النجوم، و لكن شعراء الطف، سُحروا بجمال فضيلة و حقيقة الحسين عليه السلام و أصحابه البررة، فانشدوا بالبداهة تلك القصائد الرائعة.

نعم، لقد كان الحسين عليه السلام من أعظم آيات الله، و إنَّ تجلي الايمان و العبودية للحق تعالىٰ و الحقيقة و الشجاعة و الشهامة و الفداء في شخصيته، كان أوضح من تجلي الشمس و القمر.

فمن وصف من الشعراء الحسين عليه السلام كان شعره هو الاوفر حظاً في الروعة و الجمال و اللطافة و هذه التأثيرات لشهادة الحسين عليه السلام في النفوس، و انفعال الارواح و تفاعلها معها، سيبقىٰ خالداً علىٰ مرّ التاريخ. و لذا وجدنا كيف فشل الجبّارون كالمتوكل العباسي، حينما أرادوا الحدّ من تأثيرات ثورة الحسين عليه السلام في نفوس الناس فازداد إقبال الناس علىٰ تعظيم الشعائر الحسينية و إزداد إخلاصهم للحسين عليه السلام. فتحقّق بذلك مصداق هذا البيت:

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفاً ... الىٰ الحشر لا يزداد إلاّ معاليا

فسلام الله و صلواته عليك، و علىٰ أولادك، و اهل بيتك و اصحابك، و أنصارك يا سيّد الشهداء، و يا أبا الأحرار و يا سفينة النجاة، و يا منقذ الإسلام، تقبّل منّي هذا القليل، و لا تُؤاخذني بما فرّطت في خدمتك، فما في هذا الكتاب مِن الحسنات و الكلمات اللائقة بجنابكم فمنكم و ما فيه مما هُو دون مقامكم الرّفيع فهو منّي و من جهلي، و قصور معرفتي فانظر إليه يا مَولاي بعين العناية و القبول فانّكم

أهل البيت لا يخيب مَن رجاكم، و لا يحرم من أتاكم.

و أسئل الله تعالىٰ بحقّ النّبي و اهل بيته أن يصلي عليه و عليهم و يغفر لي و لوالديّ و لأساتذتي و لجميع المؤمنين و المؤمنات، و ان يحشرني في زمرة سيدي و مولاي الحسين ـ عليه السلام ـ إنَّه قريبٌ مجيبٌ.

مصادر الكتاب من كتب العامّة

١ـ ابو الشهداء .... عباس عقاد

٢ـ الأخبار الطوال .... ابو حنيفة دينوري

٣ـ احياء الميت بفضائل اهل البيت .... سيوطي

٤ـ اسباب النزول .... واحدي

٥ـ الإستيعاب في اسماء الاصحاب .... ابن عبد البر قرطبي

٦ـ اسد الغابة .... ابن اثير الجوزي

٧ـ اسعاف الراغبين .... محمد الصبّان

٨ـ الإكليل .... سيوطي

٩ـ الإتحاف بحب الاشراف .... شبراوي

١٠ـ الإسلام و الاستبداد السياسي .... محمد غزالي

١١ـ الإصابة .... ابن حجر عسقلاني

١٢ـ الإمامة و السياسة .... ابن قتيبة

١٣ـ البدء و التاريخ .... مطهر مقدسي يا أبو زيد بلخي

١٤ـ بطلة كربلاء .... الدكتوره بنت الشاطي

١٥ـ بنات النبي صلى الله عليه وآله .... الدكتوره بنت شاطي

١٦ـ تاج العروس .... مرتضىٰ الزبيدي

١٧ـ التاريخ الكبير .... ابن عساكر
١٨ـ تاريخ الامم و الملوك .... الطبري
١٩ـ تاريخ اليعقوبي .... اليعقوبي
٢٠ـ تاريخ الخلفاء .... السيوطي
٢١ـ تاريخ ابن اعثم .... احمد ابن اعثم
٢٢ـ تذكرة الخواص .... سبط ابن الجوزي
٢٣ـ تفسير الطبري .... الطبري
٢٤ـ الجامع الصغير .... السيوطي
٢٥ـ الحاوي .... السيوطي
٢٦ـ الحسن و الحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله .... محمد رضا رشيد
٢٧ـ حلية القرآن .... ابو نعيم الاصفهاني
٢٨ـ حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله .... الشرباصي
٢٩ـ حياة الحيوان .... الدميري
٣٠ـ خصائص .... النسائي
٣١ـ الخصائص الكبرىٰ .... السيوطي
٣٢ـ دائرة المعارف .... فريد وجدي
٣٣ـ الدر المنثور .... السيوطي
٣٤ـ ذخائر العقبىٰ .... محب الدين الطبري
٣٥ـ السيرة الحلبية .... على الحلبي الشافعي
٣٦ـ سمو المعنىٰ في سموّ الذات أو اشعة من حياة الحسين عليه السلام .... العلائلي
٣٧ـ سنن الترمذي

٣٨ـسنن ابن ماجه
٣٩ـسيره ابن هشام
٤٠ـالسيدة زينب عليها السلام ....لجنة نشر العلوم و المعارف الاسلامية
٤١ـالسيرة النبوية ....السيد احمد زيني
٤٢ـشرح نهج البلاغة ....ابن ابي الحديد
٤٣ـشرح نهج البلاغة ....محمد عبده
٤٤ـصحيح البخاري
٤٥ـصحيح الترمذي
٤٦ـصحيح مسلم ....أبو الحسن مسلم
٤٧ـالصواعق المحرقة ....ابن حجر
٤٨ـالعدالة الاجتماعية في الإسلام ....سيد قطب
٤٩ـعقد الفريد ....ابن عبد ربه
٥٠ـغرائب القرآن ....حسن بن محمد قمي النيشابوري
٥١ـفرائد السمطين ....الحمويني
٥٢ـالكامل في التاريخ ....ابن الأثير
٥٣ـكفاية الطالب ....الگنجي الشافعي
٥٤ـكنز العمال ....على المتقي الهندي
٥٥ـكنوز الحقائق ....المناوي
٥٦ـالمحاسن و المساوئ ....ابراهيم بن محمد البيهقي
٥٧ـالمختصر في أخبار البشر ....ابو الفداء
٥٨ـمسند احمد ....احمد بن حنبل

٥٩ـ مصابيح السنة .... البغوي

٦٠ـ مطالب السؤول .... محمد بن طلحة الشافعي

٦١ـ معاوية بن ابي سفيان في الميزان .... عباس العقّاد

٦٢ـ مقاتل الطالبين .... ابو الفرج الاصفهاني

٦٣ـ مقتل الحسين عليه السلام .... الخوارزمي

٦٤ـ مودة القربىٰ .... سيد علي الهمداني

٦٥ـ النصايح الكافية لمن تولىٰ معاوية .... سيد محمد بن عقيل

٦٦ـ النزاع و التخاصم .... المقريزى

٦٧ـ نظم درر السمطين .... الزرندي

٦٨ـ نور الابصار .... الشبلنجي

٦٩ـ نهاية الارب في انساب العرب .... القلقشندي

٧٠ـ ينابيع المودة .... القندوزي

و كتب اخرىٰ

الفهرس

البحث الأوّل

شخصيّة الحسين عليه السلام و فضائله

البحث الثاني

بني هاشم و بني أُمَيَّة

البحث الثالث

دواعي ثورة الحسين عليه السلام

البحث الرابع

نتائج الثورة الحسينية

مؤلّفات المرجع الدينى الكبير

سماحة آية الله العظمى الصافي الگلپايگاني دام ظله

رديف	نام كتاب	زبان	ترجمه
	قرآن و تفسير		
١	تفسير آيه فطرت	فارسى	—
٢	القرآن مصون عن التحريف	عربى	—
٣	تفسير آية التطهير	عربى	—
٤	تفسير آية الانذار	عربى	—
	حديث		
٥	منتخب الاثر در ٣ جلد		اردو/انگليسى
٦	غيبة المنتظر	عربى	
٧	قبس من مناقب اميرالمؤمنين (ع) (مئة و عشر حديث من كتب عامة)	عربى	فارسى
٨	پرتوى از فضائل اميرالمؤمنين (ع) در حديث	—	فارسى
٩	احاديث الائمة الاثنى عشر، اسنادها و الفاظها	عربى	—
١٠	احاديث الفضائل	عربى	—
	فقه		
١١	توضيح المسائل	فارسى	—
١٢	منتخب الاحكام	فارسى	—
١٣	احكام نوجوانان	فارسى	انگليسى
١٤	جامع الاحكام در ٢ جلد	فارسى	—
١٥	استفتائات قضايى	فارسى	—
١٦	استفتائات پزشكى	فارسى	—
١٧	مناسك حج	فارسى	عربى
١٨	مناسك عمره مفرده	فارسى	عربى
١٩	هزار سؤال پيرامون حج	فارسى	—
٢٠	پاسخ كوتاه به ٣٠٠ پرسش در٢جلد	فارسى	آذري
٢١	احكام خمس	فارسى	—
٢٢	اعتبار قصد قربت در وقف	فارسى	—
٢٣	رساله در احكام ثانويه	فارسى	—
٢٤	فقه الحج در ٤ جلد	عربى	—
٢٥	القول الفاخر في صلاة المسافر	عربى	—
٢٦	صلاة جماعة	عربى	—
٢٧	أحكام الخلل في الصلاة	عربى	—
٢٨	هداية العباد در ٢ جلد	عربى	—
٢٩	هداية السائل	عربى	—
٣٠	حواشى على العروة الوثقى	عربى	—
٣١	القول الفاخر فى صلاة المسافر	عربى	—
٣٢	فقه الخمس	عربى	—
٣٣	أوقات الصلوة	عربى	—
٣٤	التعزير (احكامه و ملحقاته)	عربى	—
٣٥	ضرورة وجود الحكومة	عربى	فارسى
٣٦	رسالة فى معاملات المستحدثة	عربى	—
٣٧	التداعى فى مال من دون بينة و لايد	عربى	—
٣٨	رسالة فى المال المعيّن المشتبه ملكيته	عربى	—
٣٩	حكم نكول المدعى عليه عن اليمين	عربى	—
٤٠	ارث الزوجة	عربى	—

۴۱	مع الشيخ جاد الحق فی ارث العصبه	عربی	—
۴۲	حول دیات ظریف ابن ناصح	عربی	—
۴۳	بحث حول الاستقسام بالازلام (مشروعية الاستخارة)	عربی	—
۴۴	الرسائل الخمس	عربی	—
۴۵	الشعائر الحسينية	عربی	—
۴۶	آنچه هر مسلمان باید بداند	—	آذری
	اصول فقه		
۴۷	بیان الاصول در ۳ جلد	عربی	—
۴۸	رسالة في الشهرة	عربی	—
۴۹	رسالة في حكم الاقل و الاكثر في الشبهة الحكمية	عربی	—
۵۰	رسالة في الشروط	عربی	—
	عقاید و کلام		
۵۱	عرض دین	فارسی	—
۵۲	به سوي آفریدگار	فارسی	—
۵۳	الهیات در نهج‌البلاغه	فارسی	—
۵۴	معارف دین در ۳ جلد	فارسی	—
۵۵	پیرامون روز تاریخي غدیر	فارسی	—
۵۶	نداي اسلام از اروپا	فارسی	—
۵۷	نگرشي بر فلسفه و عرفان	فارسی	—
۵۸	نیایش در عرفات	فارسی	—
۵۹	سفرنامه حج	فارسی	—
۶۰	شهید آگاه	فارسی	—
۶۱	امامت و مهدویت ج۱،۲،۳،۴	فارسی	—
۶۲	الامامة والمهدوية ج۴و۳و۲و۱	عربی	-
۶۳	نظام امامت و رهبري/۱	فارسی	—
۶۴	تجلي توحید در نظام امامت/۲	فارسی	عربی
۶۵	ولایت تکویني و ولایت تشریعي/۳	فارسی	—
۶۶	پیرامون معرفت امام/۴	فارسی	—
۶۷	معرفت حجت خدا/۵	فارسی	—
۶۸	وابستگي جهان به امام زمان/۶	فارسی	—
۶۹	باورداشت مهدویت/۷	فارسی	عربی
۷۰	اصالت مهدویت/۸	فارسی	—
۷۱	نوید امن و امان/۹	فارسی	آذري
۷۲	عقیده نجات بخش/۱۰	فارسی	—
۷۳	انتظار، عامل مقاومت و حرکت/۱۱	فارسی	—
۷۴	به سوي دولت کریمه/۱۲	فارسی	—
۷۵	پاسخ به ده پرسش/۱۳	فارسی	—
۷۶	گفتمان مهدویت/۱۴	فارسی	انگلیسي
۷۷	فروغ ولایت در دعاي ندبه/۱۵	فارسی	عربی
۷۸	تلخیص منتخب الأثر	فارسی	فارسی
۷۹	پیام‌هاي مهدوي/۱۶	فارسی	—
۸۰	توضیحات پیرامون کتاب عقیده مهدویت در تشیع امامیه	فارسی	انگلیسي
۸۱	گفتمان عاشورایي	فارسی	—
۸۲	مقالات کلامي	فارسی	—
۸۳	الى هدي كتاب الله	عربی	—
۸۴	ایران تسمع فتجیب	عربی	—
۸۵	رسالة حول عصمة الانبياء و الائمة	عربی	—
۸۶	تعليقات على رسالة الجبر و القدر	عربی	—
۸۷	لمحات في الكتاب والحديث والمذهب ج۱و۲و۳	عربی	—
۸۸	صوت الحق و دعوة الصدق	عربی	—
۸۹	رد اكذوبة خطبة الامام على (ع)، على الزهرا (س)	عربی	—
۹۰	مع الخطيب في خطوطه العريضة	عربی	اردو/ فرانسه
۹۱	رسالة في البداء	عربی	—
۹۲	جلاء البصر لمن يتولى الائمة الاثني عشر	عربی	—
۹۳	حديث افتراق المسلمين على ثلاث و سبعين فرقة	عربی	—
۹۴	من لهذا العالم؟	عربی	—
۹۵	بين العلمين، الشيخ الصدوق الشيخ المفيد	عربی	فارسی
۹۶	داوری میان شیخ صدوق و شیخ مفید	—	فارسی
۹۷	مقدّمات مفصّلة على «مقتضب الأثر» و «مكيال المكارم» و «منتقى الجمان»	عربی	—
۹۸	امان الامة من الضلال والاختلاف	عربی	—
۹۹	البكاء على الامام الحسين (ع)	عربی	—

۱۰۰	النقود اللطيفة على الكتاب المسمى بالاخبارالدخيلة	عربى	—
	تربيتي		
۱۰۱	ماه مبارك رمضان، عالي‌ترين مكتب تربيت و اخلاق	فارسى	—
۱۰۲	راه اصلاح (امر به معروف و نهي از منكر)	فارسى	—
۱۰۳	با جوانان	فارسى	—
	تاريخ		
۱۰٤	سير حوزه‌هاي علمي شيعه	فارسى	—
۱۰۵	رمضان در تاريخ (حوادث تاريخى)	فارسى	—
	سيره		
۱۰٦	پرتوي از عظمت امام حسين (ع)	فارسى	—
۱۰۷	اشعة من حياة الامام الحسين (ع)	عربى	—
۱۰۸	آينه‌ى جمال	فارسى	—
۱۰۹	از نگاه آفتاب	فارسى	—
۱۱۰	اشك و عبرت	فارسى	—
	تراجم		
۱۱۱	زندگاني آيت الله آخوند ملامحمد جواد صافي	فارسى	—
۱۱۲	زندگاني جابر بن حيّان	فارسى	—
۱۱۳	زندگاني بوداسف	فارسى	—
	شعر		
۱۱٤	ديوان اشعار	فارسى	—
۱۱۵	بزم حضور	فارسى	—
۱۱٦	آفتاب مشرقين	فارسى	—
۱۱۷	صحيفة المؤمن	فارسى	—
۱۱۸	سبط المصطفي	فارسى	—
۱۱۹	در آرزوي وصال	فارسى	—
	مقاله‌ها و خطابه‌ها		
۱۲۰	حديث بيداري (مجموعه پيام‌ها)	فارسى	—
۱۲۱	شب‌ پرگان و آفتاب	فارسى	—
۱۲۲	شب عاشورا	فارسى	—
۱۲۳	صبح عاشورا	فارسى	—
۱۲٤	با عاشوراييان	فارسى	—